



بسم الله الرحمن الرحيم

Republic Of Iraq
Ministry Of Higher Education &
Scientific Research
Research and Development



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

No :
Date:

العدد: ب ت ٤ / ٢٠١٣
التاريخ: ٦ / ١٠ / ٢٠١٣

ديوان الوقف الشيعي / الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

م / مجلة المصباح

تحية طيبة...

اشارة الى كتابكم المرقم ١٤٩٩٦ في ٢٩/٩/٢٠١٣ والحاقا بكتابتنا المرقم ب ت ٤ / ٨٠٣٣ في ٦/٦/٢٠١٣ بالإمكان اعتماد "مجلة المصباح" الصادرة عنكم لأغراض الترقية العلمية .
....مع وافر التقدير

أ.م.د. محمد عبد عطية السراج
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠١٣/١٠/٦

نسخة منه إلى/

- دائرة البحث والتطوير/ الشؤون العلمية.
- الصادرة.
١٠/٦/١٣

Website: www.rddiraq.com

mail : gd_office@rddiraq.com scientificdep@rddiraq.com

الهاتف / ٧١٩٤٠٦٥



العتبة الحسينية المقدسة

المصباح

مجلة علمية فصلية محكمة
تُعنى بالدراسات والأبحاث القرآنية

تصدر عن

العتبة الحسينية المقدسة

العدد التاسع والعشرون - ربيع (٢٠١٧م - ١٤٣٨هـ)

- السنة الثامنة -

المشرف العام

سَمَاحَةُ الشَّيْخِ عَبْدِ مَهْدِيِّ الْكِرْبَلَائِيِّ

المُتَوَلَّى الشَّرْعِيِّ لِلْعَبَةِ الْحُسَيْنِيَةِ الْمُقَدَّسَةِ

رئيس التحرير

محمد علي هادي

مدير التحرير والعلاقات العامة

الدكتور حميد مجيد هادي

هيئة التحرير

أ.د. علي رحيم هادي الحلوي

أ.د. صالح مهدي عباس

أ.د. عمار عبودي نصار

أ.د. زهير غازي زاهد

أ.م.د. عبد الجواد البيضاني

أ.م.د. علي عباس الاعرجي

الريادة الاستشارية

أ.د. عبد الجبار ناجي

بيت الحكمة - بغداد

أ.د. احمد مطلوب

رئيس المجمع العلمي العراقي

أ.د. محمد علي آذرشب

جامعة طهران - ايران

أ.د. حازم سليمان الحلبي

جامعة الكوفة - العراق

أ.د. عبود جودي الحلبي

جامعة كربلاء - العراق

الشيخ الدكتور منصور مندور

الازهر الشريف

أ.د. محمد كريم ابراهيم

جامعة بابل - العراق

أ.د. عبد الامير كاظم زاهد

جامعة الكوفة - العراق

أ.د. محمد جواد الطريحي

جامعة بغداد - العراق

أ.د. عبد النبي اصطيف

جامعة دمشق - سورية

المصباح

مجلة علمية فصلية محكمة
تُعنى بالدراسات والأبحاث القرآنية

العدد التاسع والعشرون - ربيع (٢٠١٧م - ١٤٣٨هـ)

الترقيم الدولي :

ISSN: 2226 - 5228

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق

٢٠١٠ / ١٤١٤

العنوان الموقعي

مجلة المصباح - مقابل باب السلام

كربلاء المقدسة - جمهورية العراق

الاتصالات

مدير التحرير والعلاقات العامة

٠٧٨١٠٨٠٠٦٢٧

٠٧٧٠٣٢٨٥٠٧٨

ادارة المجلة

٠٠٩٦٤ ٣٢ ٣١٠٠٥٥

بدالة

٠٠٩٦٤ ٣٢ ٣١٠٠٦٦

داخلي: ٥٦١

سكرتير التحرير

غاضر عبد الامير الطريحي

التنسيق والمتابعة والتوزيع

علي أفضيلة الشمري (العراق)

٠٧٨١٠٤٢٧١٣٠ / هـ

د. أحمد كامل الجباري

(جمهورية مصر العربية)

٠٠٢٠١١١١٢٦٧٧٧٩ / هـ

السؤون الادارية والمالية

رضا جواد الحائري

معمد الترجمة الانكليزية

سعد شريف طاهر

الاخراج والتصميم

قاسم سالم محمد

البريد الإلكتروني: almissbah@imamhussain.org

موقعنا على شبكة الإنترنت: www.almissbah.imamhussain.org

المحتويات

- كلمة الافتتاح/ رئيس التحرير..... ٩
- الأخطاء التاريخية في عملية التفسير/ أ.د. الشيخ طلال الحسن..... ١٥
- مصحف أمير المؤمنين علي عليه السلام (الجزء الثاني)/ سماحة العلامة السيد علي الشهرستاني..... ٤٧
- تزييف المخطوط العربي لدى المستشرقين/ أ.د. حسن منديل حسن العكيلي..... ٨١
- مبادئ التعايش السلمي للفرد والمجتمع/ فضيلة الشيخ حسن الصفار..... ١١٣
- مصطلح علوم القرآن في ضوء علم اللغة النصي / أ.م.د. علي جاسب الخزاعي..... ١٢٥
- اهداف ذكر النجوم والكواكب في القرآن الكريم/ م.م. رزاق مهدي حمادي..... ١٤١
- سورة الفاتحة إرهابات النزول ما قبل البعثة وما بعدها/ أ.م.د. عادل عباس النصراوي..... ١٨٥
- التشريعات الاقتصادية في سورة البقرة/ د. فوزي خيرى كاظم..... ٢٠٣
- الحلول العامة لمشاكل المعاشرة الزوجية في القرآن/ د. الشيخ هاشم ابو خمسين..... ٢٢٣
- العدول الزمني في القرآن من الخبر الى الإنشاء/ د. حيدر عودة البصري..... ٢٤٣
- جرس القرآن دراسة في ظاهرة التأثير في السامع/ م.د. عباس صادق عبد الصاحب..... ٢٧١
- الرؤية القرآنية لمقامات النبي الخاتم/ م.د. محمد كاظم حسين الفتلاوي..... ٣٠١
- وقفة عند قوله تعالى ((فاعفوا واصفحوا...)) / الشيخ عبد الجليل أحمد المكراني..... ٣٣٧
- نافذة المصباح..... ٣٥٣

ضوابط النشر

١. أن يكون البحث منسجماً مع اختصاص المجلة وتوجهها في نشر الابحاث التي تتعلق بالقرآن الكريم حصرياً.
٢. أن لا يكون البحث منشوراً في مجلة داخل العراق وخارجه، أو مستلاً من كتاب أو رسالة جامعية أو محملاً على الشبكة العنكبوتية على أن يلتزم الباحث بذلك بتعهد خطي.
٣. أن لا يكون البحث نمطياً أو مما أشبع موضوعه بحثاً، أو سردياً أو إحصائياً أو إجرائياً مما لا يتمثل فيه جهد الباحث الفكري.
٤. يرسل البحث محملاً على CD أو فلاش او بوساطة البريد الالكتروني للمجلة مع احتفاظ الباحث بنسخة الأصل عنده. ولا تستوفي المجلة أية مبالغ نقدية عن نشر الابحاث المطلوبة للتحكيم والترقية.
٥. تقوم المجلة باشعار الباحث بوصول البحث، ثم تشعره بقبول النشر في حال موافقة هيئة التحرير على ذلك وعندها يكون البحث ملكاً للمجلة لا يجوز تقديمه للنشر في مجلة أخرى.
٦. ترتيب الابحاث في المجلة يخضع لسياق فني صرف ولا علاقة لأهميته أو لمكانة الباحث بذلك.
٧. يهمل كل بحث لا يحمل المعلومات المطلوبة عن الباحث (اسمه -درجته العلمية -مكان عمله -عنوانه الكامل ورقم هاتفه أو عنوان بريده الالكتروني).
٨. يستحسن للباحث الإشهار بنشاطه العلمي والثقافي في سطور قليلة.
٩. تحتفظ هيئة التحرير بحق حذف أو تعديل ما لا يتماشى وسياسة المجلة في نشر علوم القرآن الكريم حصرياً أو ماخرج منها عن منهج البحث العلمي أوالموضوعي أو مامس جوهر العقائد الاسلامية ورموزها الفكرية والدينية.

كلمة الافتتاح

بقلم رئيس التحرير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَهُ الْحَمْدُ أَوَّلًا وَآخِرًا عَلَى مَا أَوْلَانَا مِنْ تَوْفِيقٍ لِإِنْجَازِ الْعَدَدِ
الْأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنْ عُمْرِ (المصباح) المديد فِي زَمَنِ تَضَاعَلِ فِيهِ
عَدَدُ الْقُرَاءِ وَتَكَاثَرَ فِيهِ رُؤَادُ الْمَوَاقِعِ الْإِلِكْتُرُونِيَّةِ الَّتِي أَلْهَتِ النَّاسَ
عَنِ الْعِلْمِ الْمَوْثِقِ الرَّصِينِ حَتَّى صَارَ الْعَقْلُ الْبَشَرِيُّ مَرْتَعًا لِكُلِّ مَنْ
هَبَّ وَدَبَّ مِنْ أَدْعِيَاءِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْبَحْثِ الْاَكَادِمِيِّ، وَبِذَلِكَ
ضَاعَتِ الْمَقَائِبُ الصَّحِيحَةُ لِلْبَحْثِ وَشَاعَتْ ثِقَافَةُ الْاِنْتَرْنِتِ الَّتِي
جَاءَ أَكْثَرُهَا كَيْفِيًّا افْتِرَاضِيًّا، هَزِيلًا، لَا يَمُتُ لِلْحَقِيقَةِ بِصِلَةٍ، اللَّهُمَّ
إِلَّا مِنْ قَلِيلٍ مِنَ الْمَنْهَجِ الَّذِي يَحْرِصُ أَرْبَابُهُ عَلَى الْحِفَاطِ عَلَى الشَّكْلِ
وَالْمُضْمُونِ لِلْبَحْثِ.

لَقَدْ قَطَعَتْ الْمَجْلَةُ شَوْطًا لَابَاسَ بِهِ فِي سَنَوَاتِهَا السَّبْعِ الْمَاضِيَةِ
فِي مِيْدَانِ نَشْرِ عُلُومِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِأَقْلَامِ ثَلَاثَةِ مِنْ قَادَةِ الْفِكْرِ وَالثَّقَافَةِ
العَرَبِيَّةِ وَالتَّرَاثِ الْاِسْلَامِيِّ، وَلَوْ أَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ لَمْ يَقْعُوا عَلَى حَقِيقَةِ
مَعْنَى (علوم القرآن) والمفهوم الذي يُنتج تلك العلوم، والهدف من
تأصيلها على صعيد المعرفة القرآنية الشريفة. فكتبوا في ما لا يشير إلا
مِنْ طَرَفٍ خَفِيِّ إِلَى بَعْضِ الْمَرَامِي الْقُرْآنِيَّةِ مِمَّا هِيَ أَقْرَبُ مَا تَكُونُ إِلَى

التفسير التقليديّ الذي عَجَّتْ به كتبُ الاقدمينَ مما جاءَ مكروراً
أو مُشَبَّحاً في بحثه، أو بعيدَ الصِّلةِ بمفهوم (علوم القرآن).

يقول أحدُ المتخصّصينَ بعلوم القرآنِ معرفاً تلكَ العلومَ، بحسبِ
وجهة نظر العلماءِ القدامى: إنها عبارةٌ عن مجموعةٍ من المسائلِ،
يُبحث فيها عن احوال القرآن الكريم من حيثُ نزوله وأداؤه وكتابتهُ
وجمعه، وترتيبهُ في المصاحف، وبيانُ خصائصه وأغراضه.

وفي أبحاثهم التفصيلية لمفردات هذا التعريف، يشتد أثر المنهج
التاريخي بروزاً ووضوحاً.

إن استمسك العلماءُ بالمنهج التاريخي، لم يتركْ لهم -أحياناً-
الفرصَ الكافية لايفاءِ الناحيةِ الأدبيةِ في القرآن، ماهي خليقةٌ به من
العناية. فقد جمعوا في (أسباب النزول) مثلاً، بين السببِ التاريخي
والسياق الأدبي في ثلثة من المواطن، ولكنهم لم يحسنوا -دائماً-
الجمع بين هذين الأمرين في سائر المواطن الاخرى. حتى بات
الباحث يتساءل مراراً: لم وُضعت هذه الآية الى جانب تلك بالرغم
من الفاصل الزمني البعيد؟ ثم لا يجد لهم جواباً شافياً عن ذلك..!.

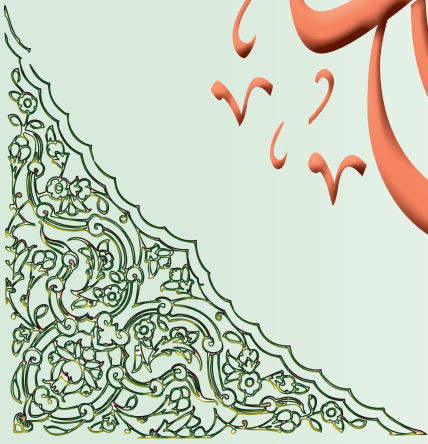
يحصل هذا على كثرة ما روي في هذا وصنفوا فيه..!. نقول ذلك،
غير متاسين أبحاث من تنبهوا الى هذا الجانب وكتبوا فيه من أبحاثٍ
نشرتها المجلةُ تبعاً في أعدادها المتقدمة. وهذا هو السبب الوحيد
الذي جعلنا نحجم عن نشر الأبحاث التفسيرية الصِّرفة والتي تلاحقَ
ورودها الى المجلة، ناهيك عن الأبحاث الوصفية التي يجمع فيها
الباحث مواطنَ ورود كلمة أو مفهوم في الكتاب العزيز، ولا نريد أن

نضرب على ذلك أمثلة قد تطيح بجهود اولئك الباحثين أو تثبط عزيمتهم في المشاركة بتحرير المجلة.

فالمعول عليه في اختيار البحث ونشره، هو معرفة معنى (علوم القرآن الكريم) بحيث تجيب تلك المعرفة عن سؤالٍ يدور في خلدِ السائل والمستفهم، والذي -ربما- يسيحُ بالقاريء في رحاب فهم موقف تاريخيٍّ أو أخلاقيٍّ أو إنسانيٍّ من خلالِ تعبيرِ قرآني كريم، وبذلك فسوف نُخرج المجلة من إطارها التعريفي السطحي إلى الميدان البحثي الذي يستثمر كنهَ العبارة، وربما المفردة لمصلحة إبراز الإعجاز اللفظي والمعنوي للكتاب تخطى كل حدود الهزل والسطحية والإسعاف إلى حدود الإعجاز والفوقية ومطابقة مقتضى الحال، والخلود إلى ما لانهاية، والعطاء الثر الذي لا يقدر عليه إلا الخالق المبدع سبحانه جل في علاه، وما ذلك على الله بعزيز.

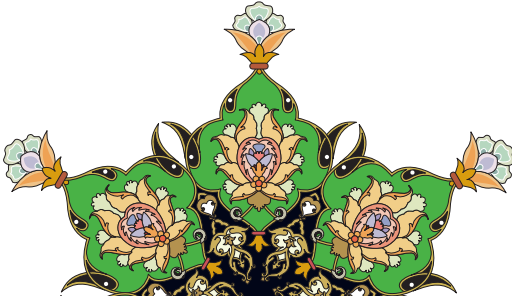
وفي خاتمة هذا المطاف، فاننا نرى أن الواقع يحكمنا بأن نُكَبِّرَ في العتبة الحسينية المقدسة وملتوئبيها الشرعيِّ العامِّ سماحة العلامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي وبمباركة من المرجعية العليا الرشيدة لاتحدُّه حدود للقائمين على إبراز هذا الجهد الضئيل في منظوره، الكبير في مفهومه، والذي لولاه لما كُتِبَ لنا النجاح في تحقيقه فالحمد لله أولاً وآخراً على حسن توفيقه، ونستغفره -تعالى- إن بَدَرَ منا تقصير في آدائه انه -سبحانه- أهل التقوى وأهل المغفرة..

وَاللَّهُ يَخْتَارُ
مَنْ يَشَاءُ
وَمَا يَخْتَارُ
إِلَّا السَّاجِدِينَ
وَاللَّهُ يَخْتَارُ
مَنْ يَشَاءُ
وَمَا يَخْتَارُ
إِلَّا السَّاجِدِينَ



بحوث العدد

البحوث وما تتضمنها من آراء وافكار تعبر عن رأي كتابها



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الأخطاء التاريخية في عملية التفسير

وأثرها في المعارف الدينية

عرض موجز للنظرية الصحيحة في فهم القرآن

أ.ر. الشيخ طلال الحسن

جامعة الصوفى العالمية

فحوى البحث

البحث عرض موجز للنظرية الصحيحة في فهم القرآن الكريم من خلال بسط المناهج التفسيرية والتأويلية التي اتخذها المفسرون، القدامى منهم والمحدثون، من أجل تقريب معنى الآيات البينات الى معارف وسموا تلك المناهج باسماء افترضوها مسبقاً من قبيل: تفسير القرآن بالقرآن، أو التفسير بالمأثور، وما الى ذلك.

ولم يستعمل سماحة الشيخ الباحث طريقة التقسيم على فصول والفصول على مباحث، أو ترقيم العنوانات الجانبية حفظاً منه لوحدة الموضوع وتحاشياً للوقوع في الاستطراد.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على النبي الخاتم محمد الأمين وآله الطيبين الطاهرين.

توطئة:

ينبغي أولاً أن أسجل شكري وامتناني لجميع الأعلام والعاملين في الحقول القرآنية، من الماضين والمعاصرين، فإنهم قد تركوا لنا تراثاً ثرياً في مجال التفسير وعلوم القرآن، وكفى بهم أن يكونوا من حملة القرآن، وقد جاء في الخبر عن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: (قال رسول الله ﷺ: حملة القرآن عرفاء أهل الجنة)^(١).

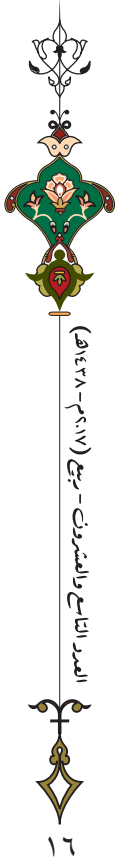
وقد لاحظت - بقدر المكنة - تراثنا التفسيري وما كتبه في علوم القرآن به حاجة إلى مراجعات كثيرة، ولذلك أحببت التنويه بأن جميع ما سأذكره من نقد للعملية التفسيرية وما واكبته من أخطاء تاريخية - التي جعلت نتاجها موصوفاً بأمرين واضحين، هما: الأول:

(١) الأصول من الكافي، للشيخ الكليني: ج ٢ ص ٦٠٦ ح ١١.

قلّة الإبداع وكثرة التكرار والاجترار، والثاني: الانحياز والتخندق - لا أريد بها الإساءة إلى أحدٍ أو التقليل من شأنه العلمي، فنحن أقلّ من ذلك، فضلاً عن كوننا لا نستغني عن نتاجاتهم العلمية، فهي الموائد الغنية بالعلم والمعلومات، وكفاها شرفاً أن تكون سائرة في فهم القرآن الكريم، الكتاب الموحى به الى المعصوم، والذي لنا الشرف والفخر أن نكون في خدمته وطوعَ أمره.

المدخل:

إنّ الدراسات النقدية، على أهميتها المعرفية، وضرورتها المنهجية، وبُعدها التنموي للفكر والانفتاح على الآخر، لا تلقى، في الغالب، قبولاً في الأوساط العلمية الدينية، فإنّ الثقافة السائدة في الأوساط الدينية - العلمية والعملية - هي ثقافة التلقين، وليست ثقافة الرصد والنقد، إلّا في حدود ضيقة تفرضها الصنعة العلمية، كما في البحوث الفقهية، وضمن حدود معلومة، وأما في البحوث الأخرى، العقيدة والفلسفة والتفسير، فإنها تعاني أكثر من الجمود



والانحصار ضمن مدارس متخذة، فيكون الحراك العلمي ضمن تلك الدوائر الضيقة، وفي الغالب نجد أن طلبة كل عالم مشهور لا يتجون شيئاً أكثر من تكريس النتاج التلقيني الواصل إليهم عن طريق أساتذتهم، فتلامذة السيد الخوئي رحمته الله على مستوى الفقه- في الغالب- يدورون حول تلقينات أستاذهم، وتلامذة الشهيد الصدر رحمته الله على مستوى علم الأصول لا يملكون شيئاً مميّزاً عن التلقين الصدري، وتلامذة السيد العلامة الطباطبائي رحمته الله أيضاً هم الآخرون لا يملكون شيئاً مميّزاً عن التلقينات الطباطبائية، والصورة موروثية ومكرورة، فإن استمرار حاكمية الفلسفة المشائية وفلسفة الحكمة المتعالية في أوساطنا الإسلامية دليل واضح على التلقينية والتبعية، مع أنهم لم يأتوا بغير نتاج بشري، ليس وحيانياً، وليس معصوماً، ولكن ما زالت عقول الكثير منا أرسطية أو صدرائية وأحياناً سهرورية، لأننا تربينا في بيئة تلقينية.

وهذا على مستوى العقيدة والفكر

والفلسفة، وأما على مستوى فهم النص الوحياني، وهو القرآن الكريم، فإن التلقين فيها يشكل حضوراً صارخاً، ويكفينا شاهداً تاريخياً على ذلك هو الكم الهائل من النقولات والاجترارات بين أهم المصنفات التفسيرية، وعلى سبيل المثال تجد كتاب (التبيان في تفسير القرآن) للشيخ الطوسي مجرد إعادة صياغات لتفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، مع تعديلات مذهبية^(٢)، وهكذا تجد كتاب (مجمع البيان في تفسير القرآن) للشيخ الطبرسي رحمته الله فهو عبارة عن طبعة منقّحة عن كتاب التبيان للشيخ الطوسي، وأما التفاسير الروائية ضمن المذهب الواحد فإنها لا تكاد أن تختلف إلا في أغلفتها وأسماء مؤلفيها.

كل هذا جعلنا قوالب تُعبأ فيها نتاجات مُعدّة سلفاً، وصار عظيم همناً هو كيف نفهم ما يقوله الإعلام، أو

(٢) جدير بالذكر أن الشيخ الطوسي رحمته الله هو البطل التاريخي في إعادة الصياغات المتنّية، كما هو المعروف عنه في إعادة صياغة الروايات وتحويلها فتاوى.

نحصل عليه في أروقتنا العلمية التلقينية، وإذا ما حاولنا ذلك فإننا سوف نغرّد خارج السرب^(٤).

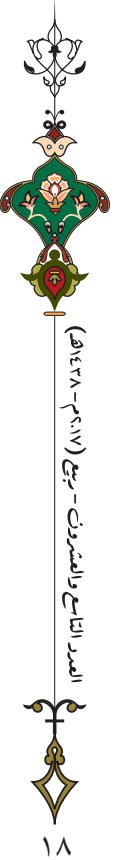
إنّ هذه التلقينية هي التي تقف من وراء الحركة البطيئة في ارتقاء العلوم الدينية على مستوى النظرية والتطبيق، وهي التي دعنتني الى أن أفف بوجهها في حدود عملي ودراستي وتحقيقاتي في التفسير وعلوم القرآن؛ لأنني رفضت أن

(٤) لا زلت أذكر موقفاً عند دراستي في مرحلة الدكتوراه، حيث قدّمت بحثاً في (حجّية قول المفسرين من الصحابة والتابعين والمعاصرين) لأستاذ مادة التفسير الموضوعي، فأخبرني بأنّ بحثي لا قيمة علمية له، فسألته عن السبب فقال: إنّ السيد الخوئي لا يقبل بشيء اسمه الحجّية التفسيرية!! فقلت له: وما دخل السيد الخوئي في بحثي، وهل السيد الخوئي متخصص في التفسير الموضوعي حتى نأخذ بقوله، فكتابه (البيان في تفسير القرآن) مزيج من علم الرجال وعلم الأصول، وتفسيره لسورة الفاتحة فقط لا يكفي في جعله متخصصاً في التفسير وعلوم القرآن، فضلاً عن التفسير الموضوعي، فلم يردّ عليّ ردّاً علمياً، وإنما كان ردّه عملياً، فقد غضب غضباً شديداً ثم وضع على بحثي درجة الرسوب!.

قل: كيف نفهم ذلك الركام الاجتراري الذي أسموه بالعلم، وإذا أردنا أن نمدح عقلية شخص ما نقول عنه بأنه كان يفهم ما يقوله ابنُ سينا^(٣)، وكأنّ الكمال العلمي والنضج الفكري هو أن نفهم ما يقوله الآخرون!. أما النقد أو التجديد فذلك جملة ناقصة لا معنى لها، فضلاً عن كونه في نظر البعض يشكّل مروفاً عن الدين!. إنه فنّ التلقين!. والتوقع في القوالب الجاهزة، التي جعلتنا نقضي عقوداً من أعمارنا في فهم كلمات الشرح وشرح الشرح، وأما المتون الوحيانية والنصّية فقد استبدلت بمتونٍ صارت هي الغاية والهدف!. وفي ضوئها يتحدّد العلم، ويتحدّد الفهم، ويتحدّد المقام العلمي!.

فإذا أردنا أن نمدح شخصاً في الدراسات القرآنية نقول عنه بأنه يفهم ما يقول السيد العلامة الطبّاطبائي!. أما متى نوجّه نقداً لابن سينا أو للسيد العلامة؟. وكيف يتمّ ذلك؟. فهذا ما لم

(٣) كما في مدح السيد الإمام الخميني لملا صدرا (صدر الدين الشيرازي).



أكون قابلاً يُعبأ فيه ما اجتزّه الآخرون، وهذا النفس الرصدي والتوجّه النقدي قرأت ما استطعت من تراثنا التفسيري واكتشفت أخطاء جسيمة في عملية التفسير، مما حداً بي إلى رصدها ونقدها وعرض البدائل الصحيحة التي نأمل منها الإسهام في الارتقاء بالعملية التفسيرية.

أخطاء تاريخية

منهجية في عملية التفسير:

لقد غفلت الأقسام التفسيرية أموراً مفصلية في رسم المعطى القرآني، فهم قد انطلقوا من أمور لا أصل لها، تفتقر إلى البحث والتحقيق، وهي ما يمكن تسميتها بالأخطاء المنهجية والتاريخية؛ لأنها تمسّ صلب العملية التفسيرية أولاً، ولأنها نشأت مع ظهور العملية التفسيرية بمعناها الاصطلاحي ثانياً، وهي كالتالي:

الخطأ التاريخي الأول: (تحديد المنهج

والأسلوب التفسيريين سلفاً)

وهو الأمر الذي توارثوه وسلّموا له مقاليد حركتهم التفسيرية، ونعني

به تحديد المنهج والأسلوب التفسيريين في رتبة سابقة على قراءة النصّ قراءة أولية، فتجد بعض الأعظم منهم يُصرّح في السطور الأولى بأنه سوف ينطلق بمهمته التفسيرية بمعية منهج تفسير القرآن بالقرآن بعد بيان بطلان أو ضعف المناهج الأخرى^(٥)، كما تجد بعض الأعظم أيضاً يُصرّح بتحديد الأسلوب التفسيري الذي سوف يعتمد في مهمته التفسيرية في سطور الأولى أيضاً.

ولم نعلم الوجه في إلغاء مدخلية النصّ القرآني في تحديد ملامح المنهج والأسلوب التفسيريين، إنها قراءة قسرية وتطويعية للنصّ القرآني، فالنصّ القرآني هو موضوع العملية التفسيرية والتأويلية معاً، كما أنّ فهمه هو الهدف الأولي والحقيقي من وراء كل ما يحشده المُفسّر والمؤوّل للنصّ، ولكننا - بحسب تتبعنا - وجدنا المتصدّين لفهم القرآن - تفسيراً وتأويلاً - قد أوقعوا أنفسهم في

(٥) انظر: الميزان في تفسير القرآن، للسيد

العلامة محمد حسين الطباطبائي: ج ١

خطورته المعرفية، حيث النظر إلى ذلك الأفق الرحب غير المتناهي بعين واحدة ومن خلال ثقب إبرة!

إنَّ فرض منهج معين - على فرض صحته - بقصد الوصول إلى المعطى القرآني هو محاولة قسرية وتطويعية أخرى للنص، حيث سيكون المفسر بين أمرين لا ثالث لهما:

أولهما: ترك النصوص التي يقصر المنهج المُفترض عن الوصول لها، وهذا ما نشاهده بوضوح في تفسير الميزان، فقد اختطَّ السيد العلامة رحمته الله لنفسه منهج تفسير القرآن بالقرآن، ولكنه رحمته الله قد أوقعه ذلك في ترك نصوص عديدة بلا رؤية تفسيرية واضحة، بل لا تكاد تجد سورة كاملة - لاسيما السور الطوال - قد أكمل تفسيرها وفق منهجه، وهناك شواهد كثيرة على ذلك ^(١).

(٦) من قبيل أنه قد فسَّرَ آية (٨) إلى (٢٠) من سورة البقرة في صفحة واحدة فقط، حيث ذكر سطرين ثم انتقل إلى آية (١٧)، وأتم بقية الصفحة في تفسير آية (١٧) إلى (٢٠)، علماً أنه قد سره قد نبّه إلى أنّ هذه الآيات فيها بيان

إشكاليات خطيرة، يحقّ لنا بأن نصفها بالأخطاء التاريخية التي ما زالت هي الحاكمة في الساحة التفسيرية برغم المحاولات الجادة التي نلمحها من هنا وهناك.

إنَّ أعظم هذه الأخطاء، كنتيجة حتمية، هي تطويُّع النصِّ ومحاصرته بمنهج أو أسلوب تفسيري فرضه المفسر على النصِّ، فشاء النصُّ أم أبى سوف يكون مُنقاداً لمعطيات ذلك المنهج وذلك الأسلوب، وبمقتضى ذلك، سوف يكون النصُّ منقاداً لفهم المفسر لذلك المنهج والأسلوب التفسيريين!.

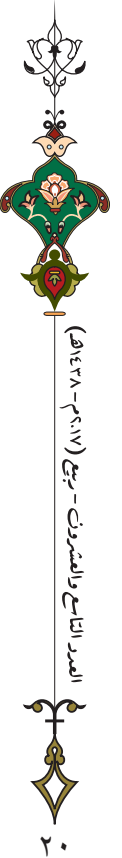
الخطأ التاريخي الثاني:

(الاقتصار على منهج تفسيري واحد)

(وأسلوب واحد)

وهو حمل القرآن بما يحمله من عظمة وعمق ووجوه غير متناهية على منهج تفسيري واحد، وبأسلوب تفسيري واحد، وهذا ما نلاحظه في الأعم الأغلب من المصنفات التفسيرية.

إنه خطأ لا يقلُّ عن السابق في



حال المنافقين، وأنه سوف يتعرّض إلى تفصيل القول فيهم في (سورة المنافقون) وغيرها، إلا أنه تبيّن عندما مرّ بموضع الإرجاع في سورة (المنافقون) لم يتعرّض إلى المضامين الكثيرة التي تناولتها الآيات الأنفة، بل أنه لم يلفت نظرنا إلى علاقة هذه السورة بتلك الآيات، ولم يُشر لها ولو إشارة بسيطة، حيث اكتفى بتبنيّ سرد صفات المنافقين من خلال بيانات سورة (المنافقون) نفسها، وقد ذكر في سورة (المائدة: ٥٢) شيئاً يسيراً، له صلة بالآيات الأنفة أشبه ما يكون بالتنبية.

جدير بالذكر أنه تبيّن قد تكرر منه المرور السريع في موارد عديدة، منها: أنه قد فسر آية (٢١) إلى (٢٥) من نفس السورة في صفتين ليفتح بحثاً في الإعجاز في (٣٠) صفحة، ليتحوّل التفسير إلى علوم قرآن، مع أنه تبيّن في المقدمة إلى أنه لن يتعرض كثيراً إلى آيات الأحكام لأنها تدخل ضمن البحث الفقهي؛ وأيضاً فسر آية (٤٩) إلى (٦١) من نفس السورة في أقل من صفحة ونصف، مع أنّ هذه الآيات الثلاث عشرة تتضمن مباحث عميقة وخطيرة لها صلة وثيقة بالعقيدة، التوحيد والنبوة والمعاد، والجانب الأخلاقي والتربوي، بل إنّ هذه الآيات تصلح موضوعاتها لكتاب كامل، ومن الواضح أنّ الموضوع التفسيري لا يكمن في قلة الصفحات وكثرتها، وإنما في تحقيق تفسيرها من

وما نعتقده أنه لم يجد منفذاً تفسيرياً قرآنياً لبيانها، فاضطر لتجاوزها، مع أنّ المطلوب هو تفسير القرآن بالدليل المعتمد، لا أن يلزم نفسه بمنهج لا يُحقّق له الهدف، وكأنّ الهدف من التفسير بمنهج تفسير القرآن بالقرآن ليس هو التفسير نفسه وإنما تطبيق المنهج نفسه. وجدير بالذكر أيضاً أنّ هذا النقد ليس موجّهاً لمنهج تفسير القرآن بالقرآن بما هو هو، وإنما بما هو مقتصر عليه، ولذلك فهو نقد موجّه لأيّ منهج آخر - غير المنهج الجامع - أريد الاقتصار عليه، فالكلام الكلام مع من يعتقد بضرورة الالتزام بالمنهج الروائي دون غيره. وثانيهما: هو أن يلوي عنق تلك النصوص وإمرارها في قلبه المفروض، مُرتكباً بذلك أبشع ما وقعت به العملية التفسيرية، وهو التفسير بالرأي.

عدمه، وهذا ما أردنا التنبه له، حيث مرّت جملة من تلك الآيات دون أن يتعرّض لها، وما هذا سوى عينة صغيرة، فهناك عشرات الآيات الأخرى التي لم يتعرّض لتفسيرها في الميزان (رضوان الله تعالى عليه).

الخطأ التاريخي الثالث:

(القراءة التجزيئية وتحويل الروايات
من التطبيق إلى التفسير)

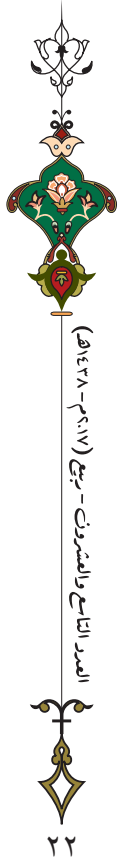
ونعني بذلك حاكمية النزعة الروائية على عملية التفسير وعدم التفريق بين المهام التفسيرية والمهام التطبيقية للروايات، فالتفسير يمثل جهة مفهومية عامة لا علاقة لها بالمصاديق الخاصة، والتطبيق يمثل جهة مصداقية خاصة لا يمكن إعمامها، من قبيل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَى الْكَوْثَرِ ﴾ [سورة الكوثر: 1]، فالكوثر هو الخير الكثير، بقطع النظر عن مصاديقه، وهذا هو التفسير، وأما تطبيق المفهوم على بعض مصاديقه، كأن يُقال بأن الكوثر هو نهر في الجنة، أو هو السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام فذلك مجرد تطبيقات لا يمكن حصر المفهوم بها.

إن مشكلة التطبيقات تكمن في أنها تحوّلت إلى تفاسير، مما يعني أنها أصبحت تحدّد وجهة القرآن الكريم، وبالتالي فقد أصبحت تحدّد المراد الإلهي من تلك الآيات، ولذلك اتخذ

الكثير من هذه الرؤية الضيقة منطلقاً لتأسيس توجهات دينية، ومذاهب، وفرق، لاسيما بعدما استحكمت النزعة الروائية على التفكير.

إن النزعة الروائية تقدم رؤية تجزيئية، وتنظر إلى بُعد واحد، كما هو الحال في الآيات الظاهرة في معنى الجبر، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [سورة النساء: 78]، وأيضاً قوله تعالى:

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الصفات: 96]، حيث يظهر منها الجبر في الأفعال، فتأسست الجبرية، في قبال الآيات الموحية بالتفويض، قال تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [سورة الإنسان: 3]، وقوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَلَغْيَهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ [سورة الأنعام: 104]، وقوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا



مَا أَكْسَبَتْ ﴿ [سورة البقرة: ٢٨٦]،
فتأسس التفويض، مع أنّ القراءة
الموضوعية، تنتهي إلى الأمر بين
الأمرين، حيث مراعاة اختيار الإنسان
بمعية توفيق الله تعالى وسلطانه، ولعل
قوله تعالى: ﴿ **مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ**
وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ ﴾ [سورة
النساء: ٧٩]، يُشير إلى ذلك.

وغير ذلك من الموضوعات التي
قُرئت قراءة تجزيئية بعيدة عن الموقف
القرآني، كما في العصمة وعلم الغيب
والشفاعة، وما شابه ذلك.

الخطأ التاريخي الرابع:

(تحكيم الأدوات المعرفية بشكل

إفراط أو تفريط)

ومن الأخطاء الأخرى تحكيم
الأدوات المعرفية بشكل إفراطي أو
تفريطي، فمن يؤمن بالفلسفة ومنهجها
العقلي حصراً طوّع النصوص القرآنية
لذلك، وتحوّل عنده القرآن بنصوصه
المختلفة إلى رؤية عقلية صرفة، ومن
يؤمن بالعرفان ومنهجه الإشاري
والباطني والكشفي تحوّل عنده القرآن

كله إلى بطون، وبتون البطون، بنحو لا
محصل لها، ومن يؤمن بالمنهج اللغوي
وظهور اللفظ في معناه الموضوع له لا
غير، جرّد القرآن من معانيه العميقة،
وسقط في إشكالية التجسيم، كما هو
الحال في آيات التشبيه، مع أنّ هذه
الأدوات المعرفية ينبغي أن تُحدّد في
ضوء الموضوع المبحوث فيه، فإنّ كان
الموضوع يتعلق بالأحكام الشرعية
فلا دخل للمنهج العقلي والعرفاني في
ذلك، حيث اللجوء إلى الظهورات
والروايات المفصلة، وإن كان الموضوع
يتعلق بالعقائد نذهب إلى المنهج العقلي،
لا سيما في البحوث التوحيدية، وإن كان
الموضوع يتعلّق بأمر معنوية ذهبنا إلى
المنهج الإشارة ضمن ضوابط وحدود
معقولة.

الخطأ التاريخي الخامس:

(غياب الهدف المعرفي تجاه القرآن)

ويكمن هذا الخطأ في عدم الالتفات
إلى أنّ الهدف المعرفي والشرعي تجاه
القرآن هو السعي لفهمه، وليس تفسيره
أو تأويله، والفهم كما نراه أوسع دائرة

من التفسير والتأويل، كما سيأتي.

الخطأ التاريخي السادس:

(الزوايا المحدودة والزوايا الضيقة)

وهو ما وقع فيه جميع المتصدين لعملية التفسير بلا استثناء، حيث قدّموا نتائجهم التفسيرية من خلال زوايا محدودة، بعضها لا يصدق عليها حتى عنوان التفسير الاصطلاحي، وبعضها جامع لأكثر خطوات التفسير، وأما في التأويل فحدث ولا حرج.

ونعني بالزوايا المحدودة هو أنهم لم يتعاطوا مع النص القرآني على أنه نص فيه ظاهر وباطن، وأنّ محصلته النهائية هي حصيلة الجمع بين التاجين التفسيري والتأويلي، فاكتفى الأكثر بالظاهر وسماه تفسيراً وأنه تحقق عنده المراد من النص، مع أنه لا يتحقق منه سوى مستوى الظاهر فيما إذا تطبّق الخطوات الصحيحة التي تدرج ضمن المعنى الاصطلاحي للتفسير، وإلاّ فالكثير منهم اكتفى بزواية ضيقة من الزوايا المحدودة.

بمعنى أن المعنى الاصطلاحي

للتفسير هو محصلة المعنى الظاهر من النص، وهذا يحتاج إلى ثلاث خطوات أساسية، وهي:

الخطوة الأولى: بيان مفردات النص، وهو ما يسمى عندهم بالتفسير المفرداتي.

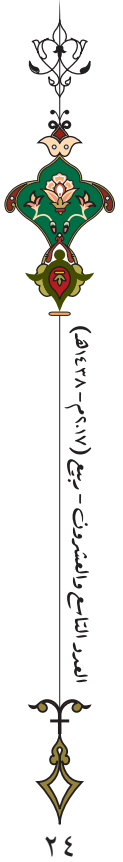
الخطوة الثانية: بيان جُمَلات النص أو آيات النص، وهو ما يسمى عندهم بالتفسير التجزيئي أو المفرداتي أو الجملي.

الخطوة الثالثة: بيان موضوع النص، وهو ما يسمى عندهم بالتفسير الموضوعي.

ولـ استقرأنا جميع المصنفات التفسيرية فلن نجد نصاً واحداً قد راعى هذه الخطوات الثلاث، وإنما المعروف هو الاكتفاء بخطوة أو خطوتين، وهذه هي الزوايا الضيقة ضمن الزوايا المحددة.

فـ الزوايا المحددة هي الاكتفاء بالظاهر أو بالباطن، والزوايا الضيقة هي الاكتفاء بخطوة أو خطوتين من الزوايا المحددة.

وأما في التأويل فالغالب عليهم هو



إلغاء كامل لشيء اسمه ظاهر النص، وكأن التأويل يتعلق بموضوع آخر غير النص، ولعل معظم مشاكل فهم النص جاءت من التأويلات؛ لأنها تفتقر للضوابط العلمية، بخلاف عملية التفسير فإنه تخضع لضوابط وقواعد يُطلق عليها: شروط التفسير والمفسر.

غياب مراتبية النصّ وشرائط فهمه:

وفي ضوء تلك الأخطاء التاريخية غاب البحث في مراتبية النصّ القرآني وشرائط فهمه بوجودها المجموعي، وبمعطياتها كوحدة تركيبية، حيث اقتصرت البحوث على مفاصل الشرائط منفردة، من المناهج والأساليب والأدوات، من دون الالتفات إلى أنّ هذه المناهج والأساليب الأدوات التفسيرية والتأويلية إنما ينبغي تكريسها في خدمة النصّ القرآني لتحقيق هدفية فهمه، لا تكريس النصّ للمنهج والأسلوب والأدوات.

آثار الأخطاء التاريخية في عملية التفسير

على المعارف الدينية

من خلال ما تقدم من عرض سريع

للأخطاء التاريخية يمكن لنا أن نرصد بعض الآثار الخطيرة التي شكّلتها هذه الأخطاء على المعارف الدينية الأساسية، هي: العقيدة والفقه والأخلاق.

فإذا ما تصورنا ما يُحصّله المتكلم المفسر من نتائج محدودة فرضها عليه منهجه الخاص أو أسلوبه الخاص، اللذان، على أفضل التقادير فيها، لا يتجان فهماً واقعياً للنص، وإنما هو فهم يدور تحت مظلة الزوايا المحدودة والزوايا الضيقة، فإنه من البديهي سوف تكون محصلته الفكرية والعقدية مساوية لذلك النتاج المحدود والضيق.

وفي ضوء هذه المعطيات الفكرية والعقدية الضيقة، التي كان التفسير المحدود سبباً في جزء غير قليل منها، نتج عندنا التكفير والتضليل والتفسيق، وغير ذلك من العبوات الناسفة، والمفرقات المفزعة، والألغام الكاسحة.

وأما في الفقه، ففي جميع الأحكام الشرعية القرآنية نجد الرؤية الضيقة أو الموقف الآياتي هو الحاكم، مع أنّ الموقف الآياتي - في قبال النظرية القرآنية - ربما

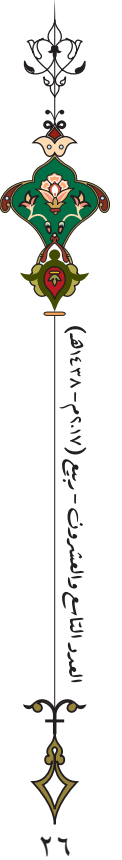
إنّ الكم الهائل من الأبنية العقائدية والتشريعية والأخلاقية لم تتجلّ فيها الرؤية القرآنية، ولذلك جاءت بتراء عرجاء، تحمل تناقضاتها في أرحامها، وتواجه عصفاً شديداً من تمحّلات الحدائثيين، الذين هم في الغالب يفتقرون للرؤيتين معاً، أعني: الموقف القرآني، والموقف الآياتي، فلا هم كلاسيكيون يدورون في أفق الزوايا المحدودة والزوايا الضيقة، ولا هم قرآنيون بالمعنى المطلوب، ومما لا ريب فيه أنّ كثيراً من مقولات الحدائثيين سببها هو ما اصطدموا به من التناجات التفسيرية المحدودة والضيقة، ولو أنهم عثروا على نتاج واحد يتعرّض للرؤية القرآنية الجامعة لارتفعت عندهم الكثير من شبهاتهم وتساؤلاتهم.

وقد عانى الحدائثيون من سيول التكفير والتضليل والتفسيق، ففرّ شطر منهم، وكمنّ شطر آخر، وترك شطر آخر ما كان عليه، لشدة ما أصابهم من الحيف والإحباط واليأس، علماً بأنّ المشكلة الحقيقية لا تكمن في الحدائثيين؛ لأنهم

كان يمثل مرحلة تاريخية، وعليه فلا بدّ من معرفة الموقف القرآني العام، كما هو الحال في موضوع الكفر والارتداد، ونظام الزوجية (تعدد الزوجات، حقوق المرأة، ضوابط الكفاءة أو التكافؤ، حرية التعبير)، فضلاً عن جزئيات كثيرة تتعلق بالفن والإعلام وما شابه ذلك.

وأما في الأخلاق فالمسألة وإن كانت لا تبدو مؤثرة بقدر العقيدة والأحكام ولكن الأمر ليس كذلك، فنحن إلى الآن لا يوجد عندنا نظام قرآني أو رؤية قرآنية لأخلاقيات الأبوة والبنوة، وأخلاقيات الزوجية، وأخلاقيات التكافل بين الزوجين، وأخلاقيات تشكيل أصل الأسرة، فالغالب في ذلك هو الرؤى الضيقة، وكثيراً ما تتشكل الأسرة عندنا تبعاً للحاجات الجنسية، كما تتشكّل الأسر في عالم غير الإنسان، مع أن القرآن يفرض في بناء الزوجية الوحدة النفسية بين الزوجين، قال تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ**

لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ [سورة النحل: ٧٢]، على تفصيل ليس هذا موضع بيانه.



يمثلون ردّ الفعل، وإنما المشكلة الحقيقية تكمن في الكلاسيكيين؛ لأنهم الفعل، ولأنهم البؤر المولدة للإشكاليات التاريخية، ولأنهم عاشوا وما زالوا يعتاشون على تلك الأخطاء التاريخية.

جدير بالذكر أنّ هذه الأخطاء التاريخية الواقعة في عملية التفسير قد وقع ضعفها في علم الحديث، وربما تتاح فرصة أخرى للكشف عن تلك الأخطاء القاتلة، وعن ركام الزيف والتزييف الذي لا زال ينخر في عقولنا وقلوبنا ووجداننا، ويحوّلنا من إنسان حيّ مفكّر ومبدع ومنتج، إلى إنسان متقوقع متآكل ومتحجر.

النظرية الصحيحة في فهم القرآن:

فيما نعتقده أنّ النظرية الصحيحة في فهم القرآن، والتي ستكفل لنا الخروج من انتكاسات الأخطاء التاريخية، وتجعلنا نعيش وحيانية النصوص القرآنية، وتسليحنا برؤية قرآنية جامعة تسقط أمامها الرهانات الخاطئة والتزييف التاريخي والبعثرة المعاصرة، تكمن في خطوتين عامتين، هما:

الخطوة الأولى: الخروج من الزوايا المحدودة في قراءة النص، والنظر إليه بصفته يمثل مستويين، الظاهر والباطن، وعلينا الوصول إلى الرؤية الجامعة.

الخطوة الثانية: الخروج من الزوايا الضيقة التي تحصر التفسير بالمفردات أو بفهم الآيات والجمل.

فلا بدّ أن نخرج برؤية تفسيرية جامعة، أي: محصلة: (تفسير المفردة، وتفسير الجملة، وتفسير الموضوع)، ثم الخروج برؤية تأويلية جامعة، أي: محصلة: (تأويل المفردة، وتأويل الجملة، وتأويل الموضوع).

ثم إتباع نظام فني دقيق للمزج بين النتاجين التفسيري الجامع والتأويلي الجامع للوصول إلى مرتبة فهم النص، فإنّ فهم النص هو محصلة النتاجين التفسيري الجامع والتأويلي الجامع.

أهمية البحث في مراتب فهم القرآن:

تكمن أهمية البحث في:

١. إبراز مفردة الفهم في قبال التفسير والتأويل، وبيان تدرّج مراتب فهم القرآن في ضوء العقل والقرآن

ولذلك يغلب مجيؤها في مورد التفسير أو في مورد التأويل بنحو من الترادف، وظنَّ الكثير منهم أنَّ الفهم يندرج ضمن ذلك، فكانوا يُطلقون كلمة الفهم ويُريدون بها التفسير^(٧)، وتارة يُطلقونها

(٧) انظر: (فهم القرآن ومعانيه، لأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي). فهو لم يستعمل كلمة (فهم القرآن) إلا في عنوان الكتاب ليتنقل بعدها إلى كلمة التفسير؛ وانظر أيضاً: (فهم القرآن... دراسة شاملة في رؤى الإمام الخميني المنهجية في فهم وتفسير القرآن)؛ جواد علي كَسَّار؛ وأيضاً: انظر: (فهم القرآن الحكيم... التفسير الواضح حسب ترتيب النزول)، للدكتور محمد عابد الجابري؛ حيث تجد ذلك واضحاً في عنوان هذين الكتابين معاً فضلاً عما جاء في متنها؛ حتى أنَّ الذين تصدَّوا لنقد الجابري في كتابه هذا قد خلطوا بين الفهم والتفسير؛ انظر: (الجابري وتفسيره فهم القرآن الحكيم)، مقالة للدكتور أحمد بوعود، منشورة في موقع: (ملتقى أهل التفسير... مركز تفسير للدراسات القرآنية)؛ حتى أنَّ الزركشي قد استعمل مفردة الفهم في موضع التفسير وتعريفه، حيث يقول الزركشي: (التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو...). «البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد

- والسنة، مع التركيز على العلاقة الوثيقة بين مراتب الفهم وشرائطه المختلفة.
٢. إعطاء مفهوم الفهم المساحة المعرفية المناسبة له.
٣. إثبات فهم القرآن الكريم بمراتب، من خلال حيثيات مختلفة كما تقدّم (النص والقارئ والأدوات).
٤. مزج النتاجين التفسيري والتأويلي وصولاً إلى أشرف مراتب فهم القرآن الكريم، والذي يمثل الهدف الأقصى في المرتبة العلمية لا العملية.
٥. إبراز الأخطاء التاريخية التي مرّت بها العملية التفسيرية، التي تقدم بيانها.

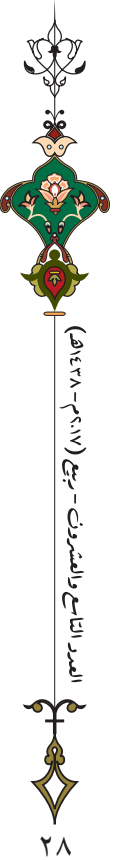
الفصل الأول/

المبحث الثاني:

تحديد المراد من مفردات البحث:

مفردة الفهم لغة واصطلاحاً:

اعتنى المهتمون بالعلمية التفسيرية وعلوم القرآن بمفردة الفهم من دون أن يلحظوا خصوصية فيها خارج إطار التفسير، أو خارج إطار التأويل؛



ويريدون بها التأويل؛ مع أن المسألة ليست كذلك، كما سيتضح.

الفهم لغة: هو المعرفة والتعقل، فتقول: فهمت الشيء يعني عرفته، أو عقلته^(٨)؛ وقيل هو المعرفة القلبية^(٩)؛ فهناك معرفة عقلية وأخرى قلبية، وكلاهما يُطلق عليهما عنوان الفهم، ولعل المعرفة والعلم هما أقرب لمعنى الفهم لغةً، وهذا ما نبّه له العلامة الطباطبائي^(١٠).

وقد ورد هذا الاستعمال في القرآن

بن عبد الله الزركشي: ج ١ ص ١٣؛ نعم، هنالك كلمة يتيمة ويسيرة للغزالي يظهر منها إنه يُفرّق بين الفهم والتفسير، حيث يقول: (القرآن شرح ذاته - تعالى - وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها، وفي القرآن إشارة إلى مجامعها، والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن، ومجرد ظاهره التفسير لا يشير إلى ذلك). إحياء علوم القرآن، لأبي حامد الغزالي: ج ١ ص ٢٨٩.

(٨) انظر: كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي: ج ٤ ص ٦١.

(٩) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي: ج ١٢ ص ٤٦٠.

(١٠) الميزان في تفسير القرآن، للسيد العلامة محمد حسين الطباطبائي: ج ٢ ص ٢٤٨.

مرةً واحدةً فقط، وهو قوله تعالى:

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ

إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ

شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴿٧٩﴾ [سورة

الأنبياء: ٧٨ - ٧٩]، أي: فعرفناها

وعلمناه - والمراد هنا القضية والحكم

والحكومة^(١١) - لسليمان، ونظراً لكون

التلقّي من قبل الأنبياء بواسطة الوحي

فإنّ المعرفة القلبية أرجح في المقام من

المعرفة العقلية؛ فإنّ المعارف الوحيانية

تودّع في القلوب وتعيها العقول وتبلّغها

الألسن.

وهنا يرى صاحب المفردات أنّ

الفهم هيئة للإنسان بها يتحقق معاني ما

يحسن، يقال فهمت كذا؛ وقوله تعالى:

﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾، إما بجعل الله له

من فضل قوة الفهم ما أدرك به ذلك،

أو ألقى ذلك في روعه، أو أوحى إليه

وخصه به؛ وأفهمته إذا قلت له حتى

(١١) انظر: التبيان في تفسير القرآن،

للشيخ الطوسي: ج ٧ ص ٢٦٨؛ تفسير

القرطبي، محمد بن أحمد القرطبي:

ج ١١ ص ٣٠٧.

تصوره (١٢).

والذي يبدو أن عملية الفهم يوجد فيها نوعٌ من التآني والتروي، فيقال: فَهَّمْتُهُ الدرس، أي عَلَّمْتُهُ الدرس شيئاً فشيئاً، وعليه ففهم القرآن يعني تعلمه واستيعابه شيئاً فشيئاً.

الفهم الاصطلاحي: لم نعثر على تعريف دقيق أو حدٍّ صريح له؛ إلا أن هنالك مضموناً عاماً مُستفاداً من التعريف الاصطلاحي للتفسير؛ لما تقدّم من استعمالهما في معنى واحد أو مُتقارب؛ مما أدى إلى تعميق فكرة الترادف بينها؛ وقد استعمل الفهم مؤخراً بمعنى القراءة المعاصرة، فيقال فلان صاحب قراءة، أي: صاحب فهم خاص به.

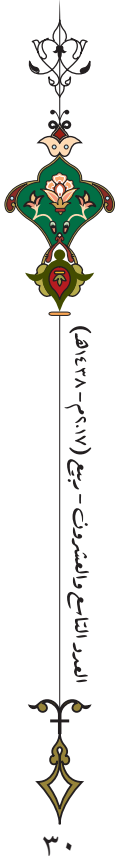
والفهم بحسب ما نراه: عملية إجرائية تعتمد مجموعة مقدمات علمية ومعنوية تهدف الى الوصول إلى المضامين الحقيقية للنص

القرآني (١٣)؛ والمراد بالمقدمات العلمية جميع الأدوات والقواعد التفسيرية، كما أن المراد بالمقدمات المعنوية جميع المقدمات والقواعد التأويلية؛ ونظراً لكون التفسير يُعالج الظاهر القرآني فقد عبّرنا عنه بالمقدمات العلمية، ونظراً لكون التأويل يُعالج الباطن القرآني فقد عبّرنا عنه بالمقدمات المعنوية؛ ولا يُراد بالمعنوية جانب المعنى في قبال اللفظ؛ وإنما نُريد به ما تحتاج إليه من مقدمات تقف بنا على مستويات معينة من بطون القرآن في مراتبها الرئيسية الثلاث (الإشارة واللطائف والحقائق)؛ والتي من ضمنها الخلوص والتركية وصلاح النفس.

نعم، إنَّ المُفسّر ينال مرتبة دانية من مراتب فهم القرآن الكريم، كما أن المؤوّل ينال مرتبة أعلى من مرتبة المُفسّر من مراتب الفهم، وأما من تمكّن من الجمع بين المرتبتين التفسيرية والتأويلية

(١٣) إنَّ هذا التعريف الاصطلاحي من مختصات هذه المقالة؛ وقد انتهينا إليه بعد دراسة وتحقيق وتأمل.

(١٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للعلامة الراغب الأصفهاني: ص ٣٨٦.



فإنه يكون قد نال مرتبة عالية جداً من مراتب الفهم.

والخلاصة: أن فهم القرآن عملية إجرائية لا تُرادف التفسير أو التأويل، وإنما هي أشرف مرتبة معرفياً منها.

الفهم في الاصطلاح القرآني:

إنَّ الفهم في الاصطلاح القرآني- والذي يمثل الفهم الحقيقي للقرآن- هو الوقوف الفعلي على تعاليمه بتدبر، فلا يكفي مجرد العلم به، أو مجرد فهم مراده، وإنما لا بد من التدبر به والعمل بمقتضياته، فالفهم القرآني لا ينتهي عند وصول المعلومة للذهن، فذلك مجرد مقدمة لهدف أسمى وهو تحرك القلب والوجدان باتجاه الفعل، ولهذا الفهم القرآني مراتب ودرجات، تبدأ بمرتبة الانفعال بالنص القرآني، وتتم بمرتبة التحرك باتجاه الفعل، وتنتهي بمرتبة التحرك من خلال الوعي القرآني لا الوعي الشخصي والفردي.

وعليه فالامتياز الذي يُحقِّقه التعريف الاصطلاحي للفهم قرآنياً على تعريفنا الاصطلاحي للفهم هو

جنبه العمل بما فهمناه من القرآن؛ ولعل من وجوه قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة **الْقُرْآنِ** **أَمْرٌ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**] سورة محمد: [٢٤]، هو: ألا يعملون بالقرآن بعد فهمه، ولذلك لا يُعد فهمهم للقرآن فهماً حقيقياً له؛ لأنَّ الفهم هنا يكون بمعنية العمل.

مفردة (المراتب) لغة واصطلاحاً:

الرتب: ما أشرف من الأرض كالدرج. تقول: رَتَبْتُ وَرَتَّبْتُ، كقولك دَرَجَةٌ وَدَرَجٌ، ويجمع على رتب، كما يقال: درج سواء. والرَّتَبَةُ واحدة من رَتَبَاتِ الدَّرَجِ ورتبته ورتبته سواء. والمرتبة: المنزلة عند الملوك ونحوها. وترتب فلان: أي علا رتبة، أي درجة^(١٤).

والمرتبة: المنزلة، وكذلك المرتبة؛ والمرتبة: المرقبة، وهي أعلى الجبل؛ والمراتب في الجبل والصحاري،

(١٤) انظر: كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٥هـ): ج ٨ ص ١١٥؛ معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥هـ): ج ٢ ص ٤٨٦، باب: (رتب).

بالعالية، وبينهما مراتب.
المراتب اصطلاحاً: لا تفترق كثيراً
عن المضامين اللغوية لها، فهي السلام
والمنازل والمقامات التي يتبوّؤها القراء،
وحيث إننا نلاحظ الجنبتين المعرفية
والمعنوية في قراءة النصّ، فإنّ المراتب
الملحوظة هي المراتب المعرفية والمعنوية
في القرآن الكريم.
وأما فيما يتعلّق بالصناعة الفنية في
فهم القرآن فإنّ مراتبية الفهم فيه يُمكن
أن تُلاحظ من زوايا:

- الزاوية الأولى: مراتبية الفهم بلحاظ النصّ القرآني.
- الزاوية الثانية: مراتبية الفهم بلحاظ قارئ النصّ.
- الزاوية الثالثة: مراتبية الفهم بلحاظ أدوات الفهم.

أما بلحاظ النصّ القرآني ففي القرآن
نصوص تتفاوت في سعتها المعرفية،
فآية الكرسي مثلاً تشتمل على مطالب
عُليا تتعلّق بالمعرفة الأسمائية، قال
تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾
[سورة البقرة: ٢٥٥]، فالله اسم علم

وهي الأعلام التي ترتب فيها العيون
والرقباء^(١٥). والمرتبة أيضاً: المنزلة
الرفيعة، ومنها قيل للمراتب: المراتب،
وهي على بزنة: «مفعلة» من رتب
الرجل: إذا انتصب قائماً، عند أرادة
الغزو والحج وغيرهما من العبادات
الشاقة^(١٦)؛ وجمعها: مراتب، على زنة:
«مفاعل»؛ وقد حُكي عن النبي ﷺ:
(من مات على مرتبة من هذه المراتب
بعث عليها يوم القيامة)، أي: من رباط
أو حج أو غير ذلك^(١٧).

وعليه فالرتبة والمرتبة والمراتب
لغويّاً لُوْحظ فيها معنى السُّلمية
والارتقاء والعلو والمنزلة الرفيعة،
فالدرج أو السُّلم أو السلام فيها رتب
ومراتب، تبدأ بالدرجة الدانية وتنتهي

(١٥) انظر: الصحاح تاج اللغة، إسماعيل
الجوهري: ج ١ ص ١٣٣؛ لسان العرب،
لابن منظور: ج ١ ص ٤٠٩ - ٤١١.
(١٦) انظر: الفائق في غريب الحديث،
للعلامة جار الله محمود الزمخشري: ج ٢
ص ١٥.

(١٧) مسند أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن
حنبل: ج ٦ ص ١٩؛ المستدرک، للحاكم
النيسابوري: ج ٢ ص ١٤٤.

الحكمة المتعالية والعرفاء يتحدثون في هذه الصفات عن معانٍ أخرى تتعلّق بالمظهرية.

وأما بالنسبة للزاوية الثالثة (مراتبية الفهم بلحاظ أدوات الفهم) فيمكن تقريب الفكرة من خلال عرض بعض الأدوات، فهناك ما يُسمّى بالأساليب التفسيرية، من قبيل الأسلوب المفرداتي، والأسلوب الجملي التجزيئي، والأسلوب الموضوعي، ولا ريب بأن لكل أسلوب معطيات تختلف من حيث العمق المعرفي عن الآخر، فالنتائج التفسيرية للمفردات تمثل مرتبة من مراتب الفهم الدانية قياساً بما تقدّمه النتائج التفسيرية على المستوى الجملي التجزيئي، وهكذا نجد نتائج المستوى الجملي يمثل مرتبة دانية المعطى التفسيري للأسلوب الموضوعي.

مراتب الفهم قرآنيًا:

تقدّم في الفهم بالاصطلاح القرآني أنّ للفهم القرآني مراتب ودرجات، وأولى هذه المراتب هي مرتبة الانفعال بالنصّ القرآني؛ والثانية مرتبة التحرك

للذات المقدسة قد أجملت فيه الأسماء والصفات، وهذا الإجمال تمّ تفصيله أولاً بقوله: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، والحيّ اسم جامع للأسماء والصفات الذاتية، والقيوم اسم جامع للأسماء والصفات الفعلية؛ في حين لو أخذنا نصّاً آخر من قبيل: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [سورة الأنعام: 102]، نجد الانتقال من الإجمال في قوله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ إلى تفصيل محدود جداً في صفة محدودة من الصفات الفعلية، وهو قوله: ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

وأما بالنسبة للزاوية الثانية (مراتبية الفهم بلحاظ قارئ النصّ) ففي المثال السابق نجد أنّ من قرأ هذا النصّ القرآني وكان ينطلق من رؤية كلامية أو فلسفية مشائية فإنه سوف يُقدّم مستوى من القراءة محدوداً بمبانيه الكلامية أو الفلسفية، فيتحدّث عن العينية وغير العينية في وصفه للصفات الإلهية، في حين نجد أصحاب مدرسة

جامعاً مشتركاً يتمثل بالموضوع الذي تدور حوله جميع مسائل التفسير، وهو القرآن الكريم، فهو مادة البحث التفسيري، ولكونه كلام الله سبحانه فإن العملية التفسيرية ستعنى بمعرفة وتبيين (٢٠) المراد من كلامه سبحانه في حدود القرآن، وفي حدود المكنة البشرية على حدّ تعريف الفناري (٢١)؛ والسعة المعرفية للمفسّر.

إنّ هذا التعريف المتّصّد هو ما نُطلق عليه بالتعريف الاصطلاحي التقليدي، والمنظور فيه الرؤية العامة للعملية التفسيرية، والذي لم تُلحظ فيه -بحسب الارتكاز التفسيري- الحركة الامتدادية على المساحات

كتابه العزيز). البيان في تفسير القرآن للسيد الخوئي: ص ٣٩٧. ولعلّ أفضل تعريف له هو: (ما يبحث فيه عن مراد الله تعالى من قرآنه المجيد). مجمع البيان في تفسير القرآن، للشيخ الطبرسي: ج ٦ ص ١٥٩.

(٢٠) عنينا بالمعرفة عالم الثبوت، وبالتبيين عالم الإثبات.

(٢١) انظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، للشيخ الطبرسي: ج ١ ص ١٨.

باتجاه الفعل، وعندما يتحرّك باتجاه الفعل تبدأ مرتبة أخرى وهي التحرك من خلال الوعي القرآني لا الوعي الشخصي والفردي.

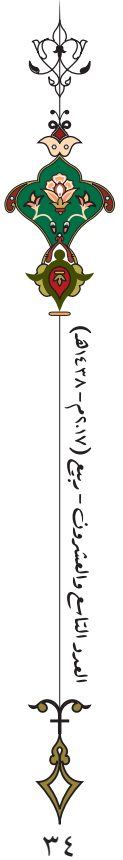
التفسير والتأويل وعلاقتها بالفهم:

التفسير لغة: الإيضاح والتبيين، مأخوذ من الفسر، بمعنى الإبانة وكشف المغطى (١٨)، فسير إبانة وكشف للمغطى، وأمّا في الاصطلاح فقد وقع اختلاف فيه (١٩)، إلا أنّ هنالك

(١٨) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي) عبد الرحمن بن محمد الثعالبي: ج ١ ص ٤٠؛ القاموس المحيط، للشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: ج ٢ ص ١١.

(١٩) من جملة ما عُرّف به التفسير أنه: (بيان معاني الآيات والكشف عن مقاصدها ومداليلها). الميزان في تفسير القرآن، للسيد العلامة محمد حسين الطباطبائي: ج ١ ص ٣.

وهذا التعريف رغم جودته إلاّ أنّه يغفل مقاصد السور التي لها لحاظ تفسيري بما هي وحدة نصّية غير ما تقدّمه آياتها مستقلة، كما أنّه يغفل حقيقة الترابط بين الآيات والسور في رسم موقف لا يمكن التوصل إليه بنظرة تفسيرية تجزيئية. وأيضاً: (هو إيضاح مراد الله تعالى من



الثلاث للأساليب التفسيرية المشهورة، والمتثلة بالتفسير المفرداتي والتجزئي والموضوعي؛ وبالتالي فهو غير التعريف الذي نلتزم به؛ الذي نمحه اصطلاحاً جديداً.

التفسير في اصطلاحنا: بمعنى ما تقدم من التفسير الاصطلاحي التقليدي فإننا نشترط قيماً إضافياً لبلوغ المعنى الذي نرتيبه للتفسير، حيث لا بدّ من عرض النتائج التفصيلية للنصّ المقروء على مستوى المفردات والجمل والموضوع، وهذا ما يتكفّل به كل من التفسير المفرداتي اللغوي والتفسير التجزيئي الجملي والتفسير الموضوعي؛ فإذا ما انتهى البحث التفسيري عند واحد من الأساليب الآنفة دون مُراعاة الأسلوبين الآخرين ولو بالضمن فإنّ المُفسّر لا يعدو التفسير الاصطلاحي العلمائي التقليدي، وهو عنوان محدود، ومعنونه قاصر عن انطباق عنوان المُفسّر عليه في ضوء ما تشترطه هذه الدراسة من ضرورة الإمام وإعمال الأساليب الثلاثة للاتصاف بعنوان المُفسّر؛ والذي يُمكن

أن نصلح عليه بالتفسير الخاصّي. وفي ضوء ذلك ستترتب عندنا نتائج مهمة، أهمّها:

١. إنّ المصنّفات التفسيرية التي لم تتوفّر على المعطيات التفسيرية للأساليب التفسيرية الثلاثة تكون فاقدة لعنواني لتفسير والمُفسّر بالمعنى الخاصّي، وإن كانت مُتوفّرة على المعنى التقليدي.

٢. إنّ المصنّفات التفسيرية التي لم تتوفّر على المعطيات التفسيرية الثلاثة إنما تعكس مستويات مُتدنية من مراتب الفهم، لأنّ الفهم الاصطلاحي الذي تبنّاه يعتمد على مقدّمتين، الأولى علمية تتعلّق بالتوفّر على جميع المعطيات التفسيرية التي تتكفّل بها الأساليب الثلاثة، والثانية معنوية تتعلّق بالتوفّر على جميع المعطيات التأويلية؛ فمن لم يرتقِ إلى مستوى جمع وتحصيل المعطى التفسيري الخاصّي فإنه لا تصل به النوبة إلى الفهم الاصطلاحي الذي نفترضه، والذي نُسمّيه بالفهم العلمي أيضاً.

أبجديات وشرائط فهم القرآن (٢٢)،
 وخط ثالث يتعلّق بأبجدية مزج النتائج
 التفسيري والتأويل؛ أما الخط الأول
 فهو أدوات التفسير بمناهجه المُعتبرة
 وأساليبه الثلاثة، وهو ما نطلق عليه
 بالأبجدية الأولى للفهم؛ وأما الخط
 الثاني فإنّه يتمثل بالتأويل؛ وهو ما
 نطلق عليه بالأبجدية الثانية للفهم؛
 وبغية اكتمال الصورة الإجمالية لخطوط
 أبجديات فهم القرآن ينبغي التعرّض
 لمقولة التأويل، وبيان ما نلتزم به في هذه
 الدراسة. لأنّ نظريات التأويل الأربع
 فيها تفاصيل كثيرة، فإننا سنقف على
 مرادنا منه.

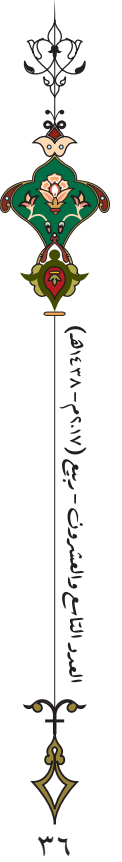
(٢٢) استعملنا اصطلاح الأبجدية لتقريب
 أهمية هذه الشرائط، وكلمة الأبجدية
 مأخوذة من الحروف العربية الأربعة
 الأولى، وهي: (ألف، باء، جيم، دال)؛
 وإننا عبّرنا عن شرائط الفهم التفسيرية
 والتأويلية بالأبجدية لعدم إمكان فهم
 القرآن من دونها، كما هو حال الكلمات
 العربية حيث لا يمكن كتابتها وقراءتها
 وفهمها من دون أبجديتها؛ كما أنّ
 هنالك هدفاً آخر وهو الإشارة إلى أنّ
 شرائط الفهم هي من أوليات الفهم كما
 أنّ حروف العربية من أوليات صناعة
 الكلمات.

٣. إنّ النتائج المعرفية للتفسير التقليدي
 غير الخاصّي ستبقى عاجزة عن
 تقديم رؤية مُتكاملة عن الموقف
 القرآني النهائي تجاه الإشكاليات
 المثارة والتي يُراد من القرآن
 التصديّ للإجابة عنها.

٤. نعم، ربما يُقال بأنّ التفسير
 الموضوعي غالباً ما يكون مُتوفراً
 على نتائج الأسلوبين التفسيريين
 المفرداتي والموضوعي، فلا معنى
 لاشتراط الجمع بين الأساليب
 الثلاثة.

٥. وجوابه هو أننا قد نبّهنا إلى أنّ
 البحث التفسيري إذا ما انتهى عند
 واحد من الأساليب الآنفه دون
 مُراعاة الأسلوبين الآخرين ولو
 بالضمن فإنّ المفسّر لا يعدو التفسير
 الاصطلاحي التقليدي، وعليه فإذا
 اشتمل التفسير الموضوعي على
 معطيات المفرداتي والتجزئي فإنه
 يكون تفسيراً بالمعنى الخاصّي.

المراد من التأويل في اصطلاحنا:
 هنالك خطان أساسيان يرسمان



التأويل عندنا: هو الوقوف على خلفيات الأشياء الظاهرة، ودرك الحقيقة المحكية فيها بواسطة الظواهر.

بعبارة أخرى: هو معرفة المناشئ القريبة والمتوسطة والبعيدة للأمر الظاهرية، والتي من جملتها النصوص القرآنية، فتأويلها معرفة مناشئها الحقيقية القريبة والمتوسطة والبعيدة؛ والمراد من القريبة منها خصوص الإشارات، ومن المتوسطة خصوص اللطائف، ومن البعيدة خصوص الحقائق؛ وهذه الإشارات واللطائف والحقائق لا نهاية لأمدها بحسب المكنة البشرية ومقتضيات الممكن، لأنَّ القرآن مجلى معرفي ومعنوي إطلاقي للأسماء الحسنى لله تعالى.

فمن قال بأنَّ التأويل هو عين التفسير فإنه ستتفي الحاجة إلى التأويل، ومن يرى أن التأويل هو الوقائع الخارجية اللاحقة للنص (رأي ابن تيمية) فستضيّق المساحة التأويلية فيه، كما أنَّ جملة من معطياته ستبقى دون ثمرة عملية، فيما إذا كانت مجرد إخبار

عن حوادث ماضية كفتنا مؤونتها المدونات التاريخية والتناج التفسيري للنص المقروء. وأما بالنسبة للتأويل بمعنى الوجه الأخير أو المرجوح أو غير الظاهر في النص (الأقرب للقول بالمجاز)، وهو قول المشهور، أو بمعنى الحقائق العينية السابقة على النص، أي نظرية الخزائن (نظرية الطبأطبايي) فإنَّ الحاجة فيها إلى التأويل ستكون جادة ومثمرة، ولا ريب بأنَّ قول الطبأطبايي هو الأوجه، ولكنه بحاجة إلى بيانات أكثر وأعمق.

وأما فيما نتبناه في التأويل فإنَّ الحاجة للتأويل لا انقضاء لها أبداً، لإطلاقية التجلّي فيه من جهة، ولانفتاح الدوائر المعنوية الكبرى المتمثلة بالإشارة واللطائف والحقائق.

الفرق بين فهم القرآن

وتفسيره وتأويله:

في ضوء المعطيات الآتفة يكون قد اتضح الفرق بين الفهم الاصطلاحي للقرآن وبين تفسيره وتأويله، ولا نحتاج هنا سوى توكيد أصل الفكرة

ولذا فما ندعو له هو الخروج من هذا التخندق التفسيري المتوارث على صعيدي المنهج والأسلوب ثم مزج النتاج التفسيري بالنتاج التأويلي للخروج برؤية كاملة يُمكن معها حيازة فهم النصّ القرآني، ففهم النصّ القرآني تقتصر عنه المناهج منفردة، كما أنها تقتصر مجتمعةً أيضاً في صورة الحصر بأسلوب تفسيري معين، كما أنّ ذلك كلّه يقتصر أيضاً عن فهم النصّ من دون تأويله، كما أنّ فصل النتاجين التفسيري والتأويلي يقطع الطرق أمامنا لفهم النصّ بصورته الغائية.

مراتب فهم القرآن وهوية قارئ النصّ:

لفهم مراتب كثيرة، ويمكن إجمالها في المراتب العامة، وهي:

١. مرتبة فهم القرآن في ضوء المفردات القرآنية.
٢. مرتبة فهم القرآن في ضوء الجمل القرآنية.
٣. مرتبة فهم القرآن في ضوء الموضوعات والنظريات القرآنية.
٤. مرتبة فهم القرآن في ضوء تأويل

تاركين التفصيل فيها إلى الرجوع إلى كتابنا (مراتب فهم القرآن) (٢٣).

إنّ النتاج التفسيري منذ انطلاقة الأولى وإلى يومنا هذا عادة ما نجده مُنبثقاً من نظرة أحادية في المنهج والأسلوب التفسيريين، فكانت - ولا زالت - صبغة التفسير التجزيئي هي السائدة والحاكمة في الوسط التفسيري، كما أنّ منهج التفسير الروائي هو الأكثر تواجداً وحضوراً في النتاج التفسيري، رغم أنّ التفسير الاجتهادي ظلّ هو المزاحم الأكبر له تأريخياً، وأن تفسير القرآن بالقرآن قد اختطف بريق التفسير الروائي في العقود القليلة الأخيرة، ولكن ذلك المزاحم العتيد، والمزاحم الجديد لم يخرجنا من إشكالية التخندق والتسوّر في دوائر ضيقة جداً، فبقي المزاحمان العتيد والجديد نسبياً أسيري النظرة الأحادية، وهكذا في سائر المناهج الأخرى التي حاول دعائها حصر فهم القرآن بها.

(٢٣) مراتب فهم القرآن، الدكتور طلال الحسن، الناشر: مؤسسة العرفان للثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ، طبع دار القارئ، بيروت.

وعلوم القرآن، فتكون علاقتهم بالقرآن وفهمه من قبيل علاقتهم بسائر العلوم الأخرى، لديهم تصورات عامة، وهي مرتبة السواد الأعظم قرّاء القرآن، ويدخل فيهم القراء التقليديون والحفظة، ومعظم الأكاديميين.

ثانياً: مرتبة حملة الثقافة الخاصة بالتفسير وعلوم القرآن، ولكنهم لم يبلغوا درجة الاجتهاد والتخصّص في التفسير وعلوم القرآن، وهؤلاء يمتلكون رصيماً معلوماً جيداً يسمح لهم بفهم كلمات المُفسّرين، فيكونون أشبه بالمقلّدين ممّن نال مرتبة التفقه في الدين، ولكنهم لم يصلوا إلى مرتبة الاجتهاد والفهم التخصّصي؛ ويدخل فيهم الكُتّاب والتدريسيون في مجال التفسير وعلوم القرآن، وقليل من الأكاديميين.

ثالثاً: مرتبة حملة التخصّص الحقيقي في قراءة النصّ، وهؤلاء على ثلاثة أقسام؛ وهي:

١. مرتبة المتخصّص في مجال التفسير لا غير؛ وهي على ثلاث مراتب، الأولى مرتبة التفسير المفرداتي، والثانية مرتبة

المفردات القرآنية.

٥. مرتبة فهم القرآن في ضوء تأويل الجمل القرآنية.

٦. مرتبة فهم القرآن في ضوء تأويل الموضوعات والنظريات القرآنية.

٧. مرتبة فهم القرآن في ضوء مزج النتاج التفسيري والتأويلي.

٨. مرتبة فهم القرآن بلحاظ المتكلم (صاحب النصّ).

٩. مرتبة فهم القرآن بلحاظ قارئ النصّ.

١٠. مرتبة فهم القرآن بلحاظ شرائط الفهم.

١١. مرتبة فهم القرآن بلحاظ النصّ القرآني المقروء.

الفصل الثالث /

المبحث السابع:

مرتبة فهم القرآن بلحاظ قارئ النصّ:

وأما هوية قرّاء النصّ القرآني- بشكل عام - فتتخصر بين مراتب ثلاث، هي:

أولاً: مرتبة حملة الثقافة العامة، وهم ممّن لم يطلّعوا على أدوات التفسير

٣. الالتزام بمراتبية الفهم.
٤. معرفة كون التناج التفسيري لكل معصوم عليه السلام هو الأولى في زمانه، فلا يلغي ما قبله من عرض المعصوم السابق عليه، ولا يلغيه عرض المعصوم اللاحق.
٥. معرفة النصوص الفاعلة والمتفاعلة «الخلايا القائمة والخلايا النائمة»، والفصل بينهما نظرياً وعملياً.
٦. إنَّ للقرآن الكريم طرفين وجوديين، هما عالم اللفظ وعالم الخزان، وهما بتعبير فلسفي مُتعالٍ يُشكّلان أرضية الرقيقة (عالم اللفظ)، وسقف الحقيقة (عالم الخزان).

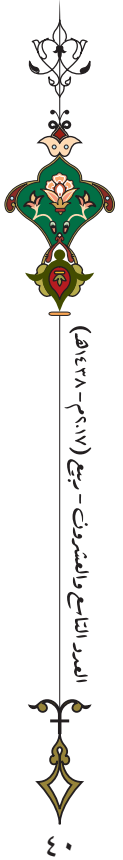
أبجديات التأويل:

١. الاعتقاد بوجود عالم الخزان والحقائق، وأنّه لا يُطال إلاّ بالكشف وطهارة القلب.
٢. للقرآن مراتب ثلاث تُشكّل موضوعة التأويل، الإشارة واللطائف والحقائق.
٣. إنَّ الوصول إلى التجلّي الأسماي والصفات الأعظم لله سبحانه في

- التفسير التجزيئي الترتيبي، والثالثة مرتبة التفسير الموضوعي.
٢. مرتبة المتخصّص في مجال التأويل لا غير، وهي على ثلاث مراتب أيضاً، فهناك - كما تقدّم - تأويل مفرداتي وتأويل جُملي وتأويل موضوعي، وبحسبها تختلف مراتب المؤلّين.
٣. مرتبة المتخصّص في مجالي التفسير والتأويل، وهي على قسمين، الأولى مرتبة من لم يرتق إلى مقام الجمع والمزج بين التناجين؛ ومرتبة من ارتقى إلى ذلك المقام السامي.

شروط فهم القرآن:

- أهم شروط فهم القرآن هي الإمام بالأبجديات الثلاث، وهي:
١. أبجديات التفسير.
 ٢. أبجديات التأويل.
 ٣. أبجديات المزج بين التفسير والتأويل.
- أبجديات التفسير:
١. الإيمان بوحدة النصّ القرآني، ووحدة الموقف القرآني.
 ٢. الالتزام بتعدد المعاني ومراتبية المصدق.



السقف المعرفي الذي دون التفسير والتأويل المأخوذين بصورة مستقلة؛ ولذلك فإنَّ خصوصية التفسير محفوظة، كما أنَّ خصوصية التأويل محفوظة أيضاً، ولا يصح لقارئ النصّ الانتقال إلى مرحلة المزج بين التاجين قبل الفراغ من بيان التاجين التفسيري والتأويلي معاً.

إذن فالمزج ليس تدويماً للتاجين، وليس إلغاءً لهما، كما أنه ليس مرحلة مستقلة عن التاجين السابقين، وإنما هو محاولة الوصول إلى قراءة جامعة من خلال الجامع المشترك الحاكي عنهما.

تنبيه: إنَّ المعني بعملية الجمع بين التاجين التفسيري والتأويلي لا بدَّ أن يكون محرزاً للملكية التفسير والتأويل معاً، فلا يصح لأبيّ أحد أن يأخذ نتاجاً تفسيراً لمفسّر ما، ونتاجاً تأويلياً لمؤول ما، ثم يقوم بالبحث عن الجامع المشترك بينهما، فالمسألة ليست تلفية، وإنما هو مجال معرفي عالٍ جداً، لا يخوض غماره إلا من درج في عالم التفسير وعالم التأويل معاً.

كتابه المعظم يكمن في المراتب التأويلية القائمة على أساس التحقق لا التحقيق، والتحقق هو الانطباع بالشيء وليس مجرد دركه.

٤. طهارة القلب من الشوب وتزكيتته من الأدران.

٥. التقوى في العمل ظاهراً وباطناً.

٦. الإقرار بالعبودية المحضة لله سبحانه قولاً وعملاً.

٧. ومن خلال هذا الإجمال يتضح أنَّ شرائط الفهم المؤلفة من مجموعة أبجديات تفسيرية وتأويلية، يُمكن عنونها أيضاً بالتفسير والتأويل أيضاً، ويمثل التفسير المستوى الأول من مستويات شرائط الفهم، كما أنَّ التأويل سيمثل المستوى الثاني من شرائط الفهم.

أبجدية المزج بين التفسير والتأويل:

إنَّ المزج بين التاجين لا يعني إذابة التاجين أو إلغاء الهوية التفسيرية والهوية التأويلية للنصّ المقروء، وإنما هي مرحلة ثالثة يرتقي فيها قارئ النصّ إلى أعلى مراتب الفهم، أو إلى

الخطوة الأولى: البحث عن جامع مشترك عام للتاجين التفسيري والتأويلي معاً.

الخطوة الثانية: تحديد نسبة ارتباط الجامع المشترك إلى كلا التاجين، فإن كانت النسبة للتاج التأويلي طاغية عليه بنحو يضعف معها الارتباط بالتاج التفسيري، فإنه لا بد من البحث عن جامع آخر، وإن كان الجامع للتاج التفسيري أقرب بما لا يمنع انطباقه على التاج التأويلي، كان له ترجيح، وإن كانت نسبة الارتباط متقاربة كان هو الأرجح من جميع العناوين الأخرى المحتملة.

تنبيه: كلما ابتعد الجامع المشترك عن مضمون ومحصلة التاج التفسيري كلما قل احتمال إصابته وبُعد ترجيحه، والعكس بالعكس.

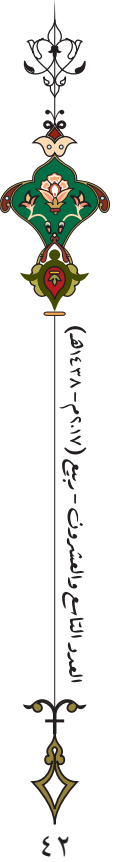
الخطوة الثالثة: في صورة عدم وجود جامع مشترك بين التاجين التفسيري والتأويلي، فإنَّ القارئ سيكون أمام أمرين، لا بد من سلوك أحدهما:

الطريق الأول: إعادة النظر في

نعم، إذا كان القائم بالعملية التلفية وافقاً على شروط التفسير والمفسر، وشروط التأويل والمؤول، وقادراً على استنباط الجامع المشترك فله أن يستعين بالتاج التفسيري والتأويلي للآخرين.

آلية المزج بين التاجين التفسيري والتأويلي:

وهنا تكمن المكنة الفعلية التي عليها قارئ النص تفسيراً وتأويلاً، حيث لا بد له أن يخرج بنتيجة توفيقية غير متناقضة بين التاجين التفسيري والتأويلي، بمعنى أن المحصلة التفسيرية تحتمل الأبعاد التأويلية لها، كما أن المحصلة التأويلية تحتمل الأبعاد التفسيرية أيضاً، وهذه الاحتمالية الملحوظة من جهتين لا تعني التحميل على النص، وإلا صار تفسيراً وتأويلاً بالرأي الشخصي الممنوع شرعاً، ولذلك يحتاج القارئ المتخصّص إلى آلية علمية وعملية تُمكنه من تحقيق ذلك الهدف الغائي، والخروج بمحصلة واحدة ونهائية، وأما الآلية فتكمن في ثلاث خطوات، هي:



التَّاجِين مَعاً، لَاسِيَّما التَّاجِ التَّأْوِيلِي، فَإِنَّهُ
الأكثر احتمالاً للخطأ.

الطَّرِيقُ الثَّانِي: إِذَا كَانَتْ نَتِيجَةُ
إِعَادَةِ المَرَاجَعَةِ نَفْسِ المَحْصَلَةِ السَّابِقَةِ
مِنِ التَّنَافِي وَالتَّعَارُضِ، فَإِنَّ الرَّاجِحَ
هُوَ التَّمَسُّكُ بِالنَّتَاجِ التَّفْسِيرِيِّ، نَظراً
لِارْتِفَاعِ نِسْبَةِ الخَطَأِ فِي النَّتَاجِ التَّأْوِيلِيِّ،
وَيَكُونُ النَّتَاجِ التَّأْوِيلِيِّ فِي مَرْتَبَةِ السَّكُوتِ
عِنْدَهُ، وَعِنْدئذٍ يَكُونُ النَّتَاجِ التَّفْسِيرِيِّ
هُوَ المَحْطَةُ الأَخِيرَةُ الَّتِي انْتَهَى إِلَيْهَا
قَارِئُ النِّصِّ فِي نَظَرِيَةِ الفَهْمِ، إِلاَّ مَعَ
وِجُودِ رِوَايَةٍ صَحِيحَةٍ تُؤَكِّدُ وَتُصَحِّحُ
نَتَاجَهُ التَّأْوِيلِي، وَهَذَا مَعَ نَدْرَتِهِ، إِلاَّ أَنَّهُ
سَوْفَ يَرْفَعُ مِنْ نِسْبَةِ الِاتِّزَامِ بِالنَّتَاجِ
التَّأْوِيلِيِّ، وَيُخْرِجُهُ مِنْ مَرْتَبَةِ السَّكُوتِ
عِنْدَهُ، دُونَ إِغْءَاءِ النَّتَاجِ التَّفْسِيرِيِّ،
فَيَكُونُ الفَهْمُ النِّهَائِي ذَا مَرْتَبَتَيْنِ، مَرْتَبَةُ
النَّتَاجِ التَّفْسِيرِيِّ، وَمَرْتَبَةُ النَّتَاجِ التَّأْوِيلِيِّ
الْمُدْعُومِ بِالرِوَايَةِ الصَّحِيحَةِ.

وَعِنْدئذٍ لَا يَصِحُّ إِدْعَاءُ جَامِعِ مَشْرُوكِ
بَيْنِ التَّاجِينِ، لِظُهُورِ التَّعَارُضِ، وَعَدَمِ
الْمَكْنَةِ مِنْ إِغْءَاءِ أَحَدِ النَّتَاجِينِ، فَالتَّفْسِيرُ
مُسْتَدَلٌّ عَلَيْهِ بِحَسَبِ الفَرَضِ، وَالتَّأْوِيلُ

تَعْبُدِي بِحَسَبِ الدَّعْمِ الرِّوَايِيِّ لَهُ.
نَعَمْ، يُمَكِّنُ لِلنَّتَاجِ التَّأْوِيلِيِّ المُدْعُومِ
بِرِوَايَةٍ صَحِيحَةٍ أَنْ يَكُونَ دَاعِياً عَنِ
البَحْثِ عَنِ جَامِعِ مَشْرُوكِ مَنْطِقِ عَلَى
النَّتَاجِ التَّأْوِيلِيِّ بِحَسَبِ الفَرَضِ، لِيجد
لَهُ المَصْدَاقَ الأَقْرَبَ فِي نَتَاجِهِ التَّفْسِيرِيِّ
مِنْ خِلَالِ إِعَادَةِ قَارِئِ النِّصِّ تَفْسِيراً
بِمَعِيَةِ الجَامِعِ المَشْرُوكِ، وَهَذَا العَمَلُ
التَّعْبُدِي وَإِنْ كَانَ فِيهِ خَطُورَةٌ كَبِيرَةٌ
تَكْمُنُ فِي تَطْوِيعِ الظَّاهِرِ إِلَى حَاكِمِيَّةِ
الجَامِعِ، إِلاَّ أَنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ فَائِدَةٍ مَعْرِفِيَّةِ
كَبِيرَةٍ، لَاسِيَّما مَعَ الأَخْذِ بِعَيْنِ الِاعْتِبَارِ
إِحْتِمَالِيَّةِ النِّصِّ وَلَيْسَ التَّحْمِيلِ، وَقَدْ
عَرَفْتَ الفَرْقَ.

تَبْيِيهُ: بِالنَّسْبَةِ لِلْكَشُوفَاتِ
والتَّجَلِّيَّاتِ، حَتَّى مَعَ فَرَضِ وَصُولِهَا إِلَى
مَرْتَبَةِ القَطْعِ وَاليَقِينِ فَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِحِجَّةٍ
إِلاَّ عَلَى صَاحِبِهَا، لِأَنَّهَا وَسِيلَةٌ ثَبُوتِيَّةٌ
وَلَيْسَتْ إِثْبَاتِيَّةٌ، أَوْ قَلَّ بِأَنَّهَا وَسِيلَةٌ
إِثْبَاتِيَّةٌ شَخْصِيَّةٌ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَتَجَاوَزَ
مَسَاحَةَ الرَّائِي، وَبِالتَّالِي فَإِنَّ عَلَى القَارِئِ
الَّذِي أُكْرِمَ بِالكَشْفِ وَالتَّجَلِّيِّ لِلْحَقَائِقِ
الْقُرْآنِيَّةِ أَنْ يَبْحَثَ عَنِ وَسَائِلِ إِثْبَاتِيَّةِ

من القرآن الكريم أو السنة الشريفة أو الدليل العقلي القطعي، وإلا فإنه مأمور بالسكوت؛ إذا لا حجة له بتصديق غيباته، كما هو واضح.

جدير الذكر أن انتفاء المحكم القرآني إلى عالم الظاهر والتفسير، وانتهاء التشابه إلى عالم الباطن والتأويل، ووجود قاعدة إرجاع التشابه للمحكم، للضامنة من الضلال، بل والاهتداء إلى الصراط المستقيم^(٢٤)، كل ذلك يجعلنا على مقربة كبيرة من قاعدة المزج بين النتاجين التفسير والتأويل، فإرجاع التشابه للمحكم هو نوع مزج قريب مما نحن فيه، إلا أنه يعنى بفهم التشابه، ونحن نعنى بالوصول إلى المحصلة النهائية للنص المقروء.

لماذا المزج بين النتاجين التفسيري والتأويلي:

للمزج بين النتاجين أسباب منطقية وموضوعية، وهي:

١. حفظ نظرية الفهم من الزيغ، فما لم

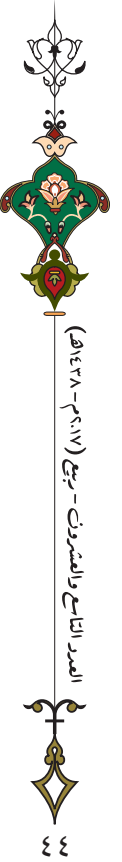
(٢٤) انظر: وسائل الشيعة، للحرّ العاملي: ج

٢٧ ص ١١٥ ح ٢٢.

نصل إلى الجامع المشترك الأعلائي الحاكي عن الظاهر والباطن معاً نكون على خطر عظيم من الزيغ، لاسيما عند الركون للنتاج التأويلي فحسب، فتلك أرض رمالها متحركة، تزلّ فيها الأقدام، وتجفّ فيها الأقدام.

٢. إنّ التفرد بالنتاج التفسيري لا يعطي صورة نهائية عن مرادات النصّ التي تتجاوز الظاهر بمسافات كبيرة، كما أنّ التفرد بالنتاج التأويلي هو الآخر لا يرسم النتائج النهائية للمراد من النصّ، بل يجعل القارئ غير المعصوم على مقربة كبيرة من الوقوع في الخطأ والزيغ.

٣. للوصول إلى الهدف الغائي من أصل العملية التفسيرية والتأويلية، والذي لا يتحقّق إلاّ بالوصول إلى المحصلة النهائية للنتاجين، والذي لا نجد أمامنا طريقاً آخر غير المزج المعرفي بينهما، فتكون المحصلة هي فهم القرآن، وليس مجرد تفسيره أو تأويله.



ملاحظات عامة حول الأخطاء التاريخية:

وهنا أودّ أن أسجل بعض الملاحظات التي تساعدنا في الخروج من تلك الأخطاء التاريخية، الآنفه الذكر، وهي:

١. ينبغي لنا استشعار الحرية الفكرية في أعماقنا، وأن نتخلص من العبوديات المفتعلة، عبودية المناصب، وعبودية الأسماء، وعبودية الناس، وهذا ما يحتاج منا إلى قناعة وشجاعة وإقدام.

٢. ينبغي لنا التخلص من بعض الأخلاقيات الخاطئة، من قبيل ما أُسميه بالتقوى غير المبرّرة، والتي كثيراً ما تمنعنا من الرصد والنقد، وتجعلنا نعيش حالة مريرة من التناقض الداخلي، التي لا نقبض فيها على دين ولا على علم.

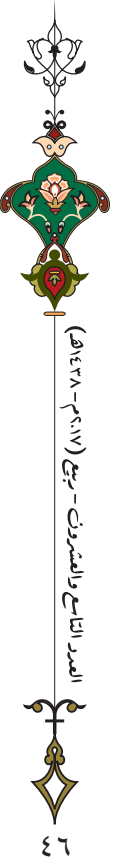
٣. لابدّ من التمرکز في دائرة الرصد والنقد، والتي يكون فيها القائم بعملية فهم القرآن موجوداً، والخروج من تعبوية التلقي والفقْد،

التي يكون فيها المقصود مفقوداً. ٤. وأخيراً نحتاج الى أن نتعلّم فنّ التفكير الجماعي الذي يقع في قبال السلوك الجمعي، فالتفكير الجمعي يجعل منا منظومة متكاملة، وأما السلوك الجمعي يجعل من أصحابه قروداً متطابقة في الحركات والسكنات.

المصادر:

- إحياء علوم القرآن، لأبي حامد الغزالي.
- الأصول من الكافي، للشيخ الكليني.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي.
- البيان في تفسير القرآن، للسيد الخوئي.
- التبيان في تفسير القرآن، للشيخ الطوسي.
- تفسير القرطبي، محمد بن أحمد القرطبي.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي) عبد الرحمن بن محمد الثعالبي.
- الصحاح تاج اللغة، إسماعيل

- الجوهري.
- الفائق في غريب الحديث، للعلامة
- الطبرسي.
- جار الله محمود الزمخشري.
- مراتب فهم القرآن، الدكتور طلال
- فهم القرآن الحكيم... التفسير
- الحسن.
- الواضح حسب ترتيب النزول،
- المستدرك على الصحيحين، للحاكم
- للدكتور محمد عابد الجابري.
- النيسابوري.
- مسند أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن
- الحارث بن أسد المحاسبي.
- حنبل.
- فهم القرآن... دراسة شاملة في
- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين
- رؤى الإمام الخميني المنهجية في فهم
- أحمد بن فارس بن زكريا.
- وتفسير القرآن، جواد علي كسّار.
- مفردات ألفاظ القرآن، للعلامة
- القاموس المحيط، للشيخ مجد الدين
- الراغب الأصفهاني.
- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي.
- مقالة: الجابري وتفسيره فهم
- القرآن الحكيم، مقالة للدكتور أحمد
- بوعود.
- كتاب العين، للخليل بن أحمد
- الفراهيدي.
- الميزان في تفسير القرآن، للسيد
- العلامة محمد حسين الطباطبائي.
- منظر الأفرريقي.
- وسائل الشيعة، للحرّ العاملي.



مُصْحَفُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي تَالِبٍ

(بَيْنَ الْمُنْزَلِ وَالْمُفَسَّرِ)

(الجزء الثاني)

سماعة العلامة السيد علي الشهرستاني

مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لاهياء التراث

فحوى البحث

بحث ننشره مجزئاً، يعرض لدراسة نسخة المصحف الكريم الخطية المنسوبة للامام علي بن ابي طالب والمحفوطة في خزانة نفائس العتبة العلوية المطهرة.

والروايات الدالة على صحة وجودها ونسبتها، جاءت بها مصادر علماء الجمهور فضلا عن علماء الشيعة الامامية. وقد يقول بعض علماء أهل الحديث والسنة بضعف تلك الروايات أو بالحمل على الجمع في السطور لا الكتابة أو تخريجات أخرى يناقشها السيد الباحث وهو المتخصص المحقق الذي لم يترك شاردة ولا واردة الا أحصاها بروح علمية بعيدة عن التعصب والهوى.

قال: لست أخاف عليك النسيان، وقد دعوت الله لك أن يحفظك فلا ينسأك، لكن اكتب لشركائك، قال: قلت: ومن شركائي يا نبي الله؟ قال: الأئمة من ولدك.

وهذا النص وغيره يفهمنا بأن النبي ﷺ أراد أن يحفظ شريعته، بالتدوين عند أهل بيته وغيرهم، لتبقى المدونات ذخراً وتراثاً علمياً لأجيال المسلمين على مر التاريخ.

وعليه فالإمام أمير المؤمنين فضلاً عن تدوينه: المصحف (المنزل) و(المفسر)، فقد كانت له كتب كثيرة أخرى: كالجفر والجامعة وكتاب علي، وقد حكي عن معاوية قوله:

إني شهدت رسول الله أملي على علي بن أبي طالب كتاباً، وكان يتفقد مقاطع الكلام كتفقد المصرم صريمته^(٤).

ويضاف إليه: أن لا أحد من المسلمين لم يجروا على ادعاء حيازة علم الكتاب كله سوى أمير المؤمنين ﷺ، إذ

(٤) الصناعتين للعسكري: ٤٣٩، الفصل الثاني في ذكر المقاطع.

مدى وثاقة النسخ المنسوبة الى الامام

علي ﷺ في مكتبات العالم:

الإمام علي ﷺ كاتب القرآن:

بدءاً لابد من ذكر الاتفاق على أن الإمام علياً ﷺ كان من المدونين والكتبة على عهد رسول الله ﷺ، وقد كتبه من فيه ﷺ بيده^(١)، وقد كانت له صحيفة عن رسول الله ﷺ^(٢) طولها سبعون ذراعاً بخطه وإملاء رسول الله^(٣)، ومعناه: أن الإمام كان لا يترك كل ما يسمعه من رسول الله ﷺ، بل يكتب كل ما نزل عليه ﷺ بخطه.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه أمر علياً أن يدون ما يقوله، وقال له: أكتب ما أملي عليك.

فقال علي ﷺ: يا نبي الله أو تخاف النسيان!؟

(١) الكافي ٧: ١١٣ / ح ٥.

(٢) الكافي ٧: ٣٢٩، رجال النجاشي: ٣٦٠ / ت ٩٦٦، الاحتجاج ٢: ٦، بحار الأنوار ٤٤: ١٠٠.

(٣) الفقيه ٤: ٤١٨ / ح ٥٩١٤، عيون أخبار الرضا ﷺ ١: ١٩٢ / ١، بحار الأنوار ٤٣: ٧٩ / ٦٧، عن بصائر الدرجات: ١٦٢ / ٢، والكافي ١: ٢٣٨ .١.

دعاء عليه السلام (٥) النَّاسَ لسؤاله عن كتاب الله، فكان عليه السلام يكرّر قوله - من أوّل تسلّمه للخلافة إلى أوان شهادته - بأنّه مستعدّ للإجابة عن جميع الأمور ومن القرآن الكريم على وجه الخصوص، خلافاً لمن سبقه من الخلفاء - كالذي كان يضرب هذا وذاك، لسؤاله عن بعض الأشياء، وقد ضرب صبيحاً وجعله وضيعاً بعد أن كان سيّداً في قومه بدعوى تعمقه في السؤال عن متشابه القرآن (٦).

فقد جاء في (تاريخ دمشق) عن أبي الطفيل، قال: «سمعت عليّاً وهو يخطب النَّاسَ فقال: يا أيّها النَّاسَ، سلوني فإنكم لا تجدون أحداً بعدي هو أعلم بما تسألون منّي، ولا تجدون أحداً أعلم بما بين اللوحين منّي، فسلوني» (٧).

(٥) بصائر الدرجات: ١٨٧ / ٢٢، باب ما عند الأئمّة عليهم السلام من سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله، الإمامة والتبصرة: ٥٤ / ح ٣٨، الباب ٦.

(٦) انظر سنن الدارمي ١: ٦٦ / ١٤٤، وعنه في الإتيان ٢: ٩ / ٣٧٧٣.

(٧) تاريخ دمشق ٤٢: ٣٩٨، وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٢: ٣٣٨، وانظر: شرح الأخبار للقاضي النعمان ١: ٩١، ١٩٦،

وعن محمّد بن فضيل قال: «سمعت ابن شبرمة يقول: ما كان أحد يقول علي المنبر: سلوني عن ما بين اللوحين، إلّا عليّ بن أبي طالب» (٨).

وعن سليمان الأحمسي، عن أبيه، قال: «قال عليّ: والله ما نزلت آية إلّا وقد علمت فيما نزلت، وأين أنزلت، وعلى من نزلت...» (٩).

وعن جعفر بن محمّد الصادق، عن أبيه، عن آباءه، عن عليّ صلوات الله عليهم، قال: «سلوني عن كتاب الله، فوالله ما نزلت آية منه في ليل أو نهار ولا مسير ولا مقام، إلّا وقد أقرّانيها رسول الله صلى الله عليه وآله وعلمني تأويلها. فقال ابن الكوّاء: يا أمير المؤمنين، فما كان ينزل عليه وأنت غائب عنه؟»

عن الأعمش، والخبر المذكور أيضاً في أمالي الصدوق: ٤٢٣ / ح ٥٦٠، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٧٣ / ح ٣١٠، وأمالي الطوسي: ٥٢٣ / ح ١١٥٨.

(٨) تاريخ دمشق ٤٢: ٣٩٩، وعنه في شرح الأخبار ٢: ٣١١ / ح ٦٣٨، وشواهد التنزيل ١: ٥٠ / ح ٤٦، ٤٧.

(٩) طبقات ابن سعد ٢: ٣٣٨، حلية الأولياء ١: ٦٧، تاريخ الإسلام ٣: ٦٣٧.



أبي طالب عليه السلام بهذه المنزلة العلمية - وهو كذلك - فهل يُعقل أن لا يكون له مصحف مدوّن، وهو الواقف على التنزيل والتأويل، والقائل بأنه يعلم بنزول الآيات، أهي نزلت بليل أم بنهار، وفيهم نزلت ومتى نزلت؟.

والمصرّح بأنه كتب كل آية أنزلها الله على محمّد بخطه مجرداً عن التفسير والتأويل مرةً، ومعه مرةً أخرى؟.

فإذا كان كذلك - وهو كذلك - فأين ذهب ما كتبه عليه السلام بخطه، هل فقد؟. أم هو موجود عند أهل بيته؟. أو في المكتبات؟.

وإذا قلنا بوجوده في المكتبات في العالم، فهل يخالف هذا القول بوجوده عند أهل بيته وأنّ الإمام الحجّة سيأتي به عند ظهوره عليه السلام؟. أم أنّ هذا الكلام لا يخالفه إذ يمكن الجمع بينهما وذلك القول بوجود نسختين من المصحف عند الإمام؟. لكن هل رُتّباً بشكل واحد أو بترتيبين؟.

بلى، قد خاطب الفضل بن شاذان (ت ٢٦٠ هـ) العامة احتجاجاً عليهم

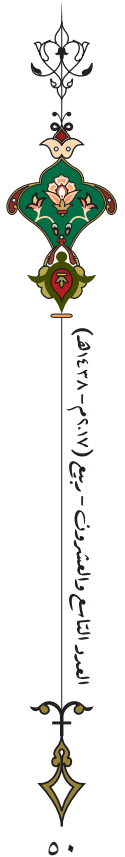
قال: كان يحفظ عليّ رسول الله صلى الله عليه وآله ما كان ينزل عليه من القرآن وأنا عنه غائب حتّى أقدم عليه فيقرّئنيه ويقول لي: يا عليّ، أنزل الله بعدك كذا وكذا، وتأويله كذا وكذا، فيعلّمني تنزيله وتأويله»^(١٠).

نعم لقد علّم رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام عليّاً عليه السلام شأن نزول الآيات، فيمّ نزلت؟. وأين نزلت، وما جاء في تفسيرها وتأويلها؟. لأنّه خليفته، وكان يعرف خفايا الأمور وروح الأحكام، وهو ما أعطاه الله إياه، فكان الإمام يعلن استعداداه في إعطاء ما عرفه من العلوم للناس، متى احتاجوا إليها.

كما كان في إرجاع رسول الله صلى الله عليه وآله الناس إلى الإمام علي عليه السلام، له دلالة على لياقته وأفضليته على الآخرين، وأنّ القرآن على ارتباط بالعترة منذ عصر الرسول حتى يوم القيامة.

فالسؤال هنا هو: إذا كان عليّ بن

(١٠) أمالي الطوسي: ٥٢٣ / ح ١١٥٨، وانظر: كتاب سليم: ٣٣١ / ح ٣١ عن سليم بن قيس عن أمير المؤمنين وفيه: يحفظ عليّ ما غبّ عنه...



بما لفظه: ورويتم أن إبطاء عليّ على أبي بكر البيعة على ما زعمتم لتأليف القرآن، فأين ذهب ما ألفه عليّ بن أبي طالب حتّى صرتم تجمعونه من أفواه الرجال؟ ومن صحفٍ زعمتم كانت عند حفصة بنت عمر بن الخطاب (١١)؟!.

وقال الجاحظ (ت ٢٥٥هـ): فإن سألناهم عن أصحاب الحروف والقراءات والوجوه الذين بقراءتهم يقرأ الناس، وبقدر اختلافهم اختلف الناس، قالوا: زيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، ولم يُذكر معهم، لأننا شاهدنا الناس يقولون: هذا في قراءة عبد الله بن مسعود، وهكذا هو مصحف عبد الله، وهذا في قراءة أبي، وهكذا هو في مصحف أبي، وهذا في قراءة زيد، وهكذا هو في مصحف زيد، ولم نرهم يقولون: هذا في قراءة عليّ، وهكذا هو في مصحف عليّ (١٢)؟.

وقال محمد بن عبد الكريم

(١١) الإيضاح: ٢٢٢ بعض ما ورد عن النبيّ في أبي وابن مسعود.

(١٢) العثمانية: ٩٣.

الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) معلقاً على جمع الخلفاء للقرآن:

كيف لم يطلبوا جمع عليّ بن أبي طالب؟! أو ما كان أكتب من زيد بن ثابت؟! أو ما كان أعرب من سعيد بن العاص؟! أو ما كان أقرب إلى رسول الله ﷺ من الجماعة (١٣)؟!

وقال الشيخ محمود أبو رية تحت عنوان (غريبةٌ توجب الحيرة):

من أغرب الأمور ومما يدعو إلى الحيرة، أنهم لم يذكروا اسم عليّ عليه السلام في من عهد إليهم بجمع القرآن وكتابته، لا في عهد أبي بكر ولا في عهد عثمان! ويذكرون غيره ممن هم أقل منه درجة في العلم والفقهاء! فهل كان عليّ لا يُحسن شيئاً من هذا الأمر؟ أو كان من غير الموثوق بهم؟ أو ممن لا يصحّ استشارتهم أو إشراكهم في هذا الأمر؟.

اللهم إنّ العقل والمنطق ليقتضيان بأن يكون عليّ أول من يُعهد إليه بهذا الأمر، وأعظم من يشارك فيه، وذلك بما أُتيح له من صفاتٍ ومزايا لم تنهياً

(١٣) مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار ١: ١٣.

مرّ التاريخ ومن جميع أطراف الفريقين - محدّثين كانوا أم مؤرّخين، لغويين أم مفسّرين، فقهاء أم متكلمين^(١٥) - وفي القرون الأولى، لتوجّد في النفس اطمئناناً في صحّة ما قيل عن وجود

مصحف للإمام عليه السلام بعد رسول الله ﷺ .

وكذا يؤيّد دعوى ابن النديم من مشاهدة ذلك المصحف عند أبي يعلى حمزة الحسيني قد سقط منه أوراق يتوارثونه بنو حسن، أو عند آل جعفر^(١٦).

ومشاهدة ابن معية الأسدي وابن حديد الأسدي وابن عنبه وغيرهم ذلك في المشهد العلوي أو بالمدار^(١٧).

فأين ذهب ذلك المصحف، هل فقد؟ أم احترق؟ أم هو موجود كله أو ابعاضه في هذه المكتبة أو تلك؟.

نعم قد عثر في الجامع الكبير في صنعاء اليمن مصحف منسوب إلى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بصنعاء وقد طبع أخيراً من قبل منظمة

(١٥) وضحنا كل ذلك في المجلد الاول من كتابنا (جمع القرآن) فراجع.

(١٦) فهرست ابن النديم: ٣٠.

(١٧) عمدة الطالب: ٢٠.

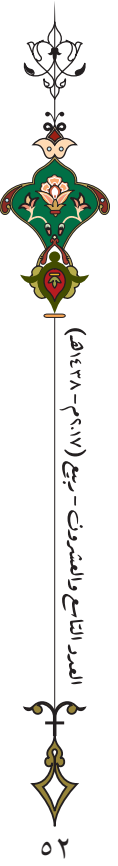
لغيره من بين الصحابة جميعاً؛ فقد ربّاه النبي ﷺ على عينه، وعاش زمناً طويلاً تحت كنفه، وشهد الوحي من أوّل نزوله إلى يوم انقطاعه، بحيث لم يند عنه آية من آياته!.

فإذا لم يُدع إلى هذا الأمر الخطير، فإلى أيّ شيء يُدعى؟!.

وإذا كانوا قد انتحلوا معاذير ليسوّغوا بها تخطيهم إياه في أمر خلافة أبي بكر فلم يسألوه عنها ولم يستشيروه فيها، فبأيّ شيء يعتذرون من عدم دعوته لأمر كتابة القرآن؟. فيماذا نعلل ذلك؟. وبماذا يحكم القاضي العادل فيه؟. حقاً إنّ الأمر لعجيب، وما علينا إلّا أن نقول كلمة لا نملك غيرها، وهي: لك الله يا عليّ، ما أنصفوك في شيء^(١٤)!.

إذن ليس لأحد أن ينكر وجود مصحف للإمام، لأنّ كثرة الناقلين والمخبرين والراوين لخبر مصحف الإمام علي عليه السلام في الصحاح والسنن والمسانيد وفي أهم الكتب الحديثية والتاريخية واللغوية عند الفريقين على

(١٤) أضواء على السنّة المحمّدية: ٢٤٩.



بالقاهرة^(٢١)، أو في الروضة الرضوية في

IRCICA منظمة التعاون الإسلامي،

صورة منها تحت رقم ١ في آخر الكتاب،
ونسخة أخرى في مكتبة الجامع الكبير
بصنعاء اليمن^(١٨).

وبالخط الكوفي من الآية ١٧٣ سورة
البقرة ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ
وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ وفي كل صفحة ١٤
سطراً، الفواصل بين السطور والكلمات
منظمة ودقيقة، وهي تشبه إحدى النسخ
المنسوبة إلى أمير المؤمنين في الخزانة
الرضوية في مشهد الإمام الرضا/ إيران،
النسخة معربة وعلى حواشي الصفحات
يوجد تذهيب وهو جديد، صورة منها في
آخر الكتاب تحت رقم ٣.

كما توجد نسخ من المصحف منسوبة
للإمام في متاحف العالم كمتحف الآثار
التركية والإسلامية في اسطنبول^(١٩)،
أو في متحف طوب قايي سراي
اسطنبول^(٢٠)، أو في مشهد رأس الحسين

ونسخة أخرى في كل صفحة ١٦ سطراً أمانة
٢ الورقة 102A، صورة منها في آخر الكتاب
تحت رقم ٤.

(١٨) تشتمل على سورة البقرة حتى آخر
سورة الكهف في ١٥٠ ورقة، كل صفحة
٢٠ سطراً، فيها نقط الإعراب وفي بعض
الصفحات نقط الإعجام، أيد صحة
انتسابها إلى الإمام علي في سنة ١٣١٨
ثمانية أشخاص من علماء اليمن منهم
الحجري، صورة منها تحت رقم ٢ في آخر
الكتاب.

وهناك نسخة ثالثة بنفس المواصفات تحتوي
على ١٤٧ ورقة، مقاساتها ١٢ / ١٨ ×
سم، في كل صفحة سبعة أسطر، في آخر
النسخة وبعد الآية ٢١٢ من سورة البقرة
مكتوب (كتبه علي بن أبي طالب)، وقد
استعمل المداد الأخضر الداكن لرسم النقاط
المستعملة للتفريق بين الحروف المتشابهة،
بعض صفحات المصحف مٌحيت ثم كتب
عليها القرآن مجدداً، صورة منها في آخر
الكتاب تحت رقم ٥.

(١٩) وهي نسخة كاملة تتكون من ٣٨٢ ورقة
من البردي، مقاساتها ٢١ × ٣٠ سم،
جلده بني اللون، وفي كل صفحة ١٦
سطراً، مكتوبة بالخط الكوفي بمداد أسود،
يوجد في القسم الأدنى من الصفحة
الأولى ختم وقفي للسلطان محمود الأول
العثماني، وفي آخر النسخة ختم للسلطان
بايزيد الثاني، وهناك قيد يفيد بأن كاتبه
الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢١) وأبعاد هذه النسخة ٩ × ١٤ وسمكه
١٧ سم، وعدد أوراقه ٥٠٨ في القطع
البياضي، وأن في كل صفحة ١٤ سطراً،
كُتب على الجلد، وهي فاقدة الإعجام،
أمّا نقط الإعراب فهي موجودة في بعض
صفحاته، وهي النسخة التي قال عنها
الزرقاني في مناهل العرفان ١: ٢٧٩:
«..وكذلك المصحف المحفوظ بتلك

(٢٠) في متحف طوب قايي عدة نسخ منسوبة
للإمام علي، أحدها مكتوب على الجلد

مدينة مشهد/ إيران^(٢٢)، أو في الخزانة

وصورة منها في آخر الكتاب تحت رقم ٧. ونسخة أخرى في ١٠٢ ورقة، كل صفحة في سبعة أسطر، من أول القرآن إلى آخر آية ١٥١ سورة الأنعام، فيها نقط الإعراب دون الإعجام، وفي آخرها ما يشير إلى انتسابها إلى أمير المؤمنين علي، وعليها خطوط من تولوا على الخزانة من سنة ١٢١٩ إلى سنة ١٣١٩ هـ، صورة منها موجود في آخر الكتاب تحت رقم ٨.

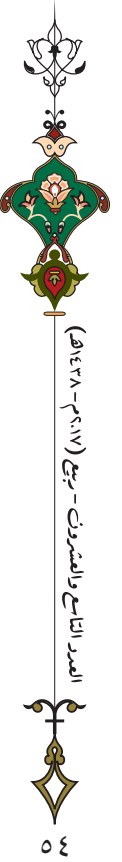
ونسخة ثالثة في خمسة أوراق كل ورقة في ثلاثة أسطر، مذهبة وفيها نقط الإعراب والإعجام، وفي ذيل تهذيب الصفحة الأولى عبارة باللغة الفارسية تعريها: هذه خمسة وعشرون ورقة من كلام الله المجيد وقد لوحظت في يوم الأحد ١٦ ذي الحجة ١١١٥ هـ وهي بخط علي بن أبي طالب. ثم ختمت بتوقيع (باقر العلوم)، صورة منها في آخر الكتاب تحت رقم ٩.

ونسخة رابعة بالقطع البياضي في ٨٦ صفحة، كل صفحة ثمانية أسطر، وفي حاشية الصفحة الأخيرة من الأسفل الأعلى مكتوب بالخط الكوفي كتبه علي بن أبي طالب، صورة منها في آخر الكتاب تحت رقم ١٠.

ونسخة خامسة هي من سورة (هود) إلى آخر سورة الكهف، في ٦٩ صفحة، كل صفحة في ١٥ سطراً، النسخة معربة ومعجمة، مقاسها ٣٢ / ٢ × ٢٣ / ٥ سم، وفي آخر الصفحة كتبه علي بن أبي طالب، الواقف الشاه عباس الصفوي وقد أيد صحة

الخزانة ويقال أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام كتبه بخطه، يلاحظ فيه أنّه مكتوب بذلك الخطّ الكوفي القديم، بيد أنّه أصغر حجماً وخطه أقلّ تجويفاً من سابقه [الذي هو بخطّ عثمان] ورسمه يوافق غير المدني والشامي من المصاحف العثمانية حيث رسمت فيه الكلمة السابقة (مَنْ يَرْتَدِدْ) بدال واحدة مع الإدغام وهي في غيرها كذلك، فمن الجائر أن يكون كاتبه علياً أو يكون قد أمر بكتابه في الكوفة». صورة منها تحت رقم ٦.

(٢٢) في المكتبة الرضوية عدة نسخة منسوبة لأمير المؤمنين غالبها مكتوبة على الجلد وبخط كوفي، منها نسخة تحتوي على نصف القرآن متفاوتة الخط ونوع الورق تحتوي على ١١٨ ورقة في كل ورقة ٢٤ سطراً مقاسها ٣٤ / ٥ × ٤٦ / ٢ سم، ادعى البروفسور دروش حسبما قاله الأستاذ مرتضى كريمي نيا أنّها مكتوبة في أواسط القرن الثاني الهجري، خالية من نقط الإعجام، ونقط الإعراب لو شوهد فيها فهي متأخرة، وهي تشبه باختلاف في أسطر كتابتها نسخة متحف طوب قاپي/ تركيا، ونسخة دار المكتوبات بصنعاء/ اليمن، ونسخة جامعة توبينغن/ المانيا، ومكتبة جيستر بيتي/ ايرلندا، وقد وقف النسخة علي بن أبي القاسم المقربي السروي، ويوجد في آخر النسخة أختام لبعض سلاطين القاجارية تاريخ أحدها ١٢٦٧ هـ، والأخرى ٢٩ صفر ١٢٨٩ هـ



العلوية في النجف^(٢٣)، أو في مكتبة أمير المؤمنين للشيخ الأميني في النجف الأشرف^(٢٤)، أو في غيرها من متاحف العالم^(٢٥). أيمن أن تكون جميع تلك

انتسابها إلى الإمام الشيخ البهائي في سنة ١٠٠٨، مصورة منها في آخر الكتاب تحت أرقام ١١ و ١٢.

(٢٣) توجد في الخزانة الغروية عدة نسخ منسوبة إلى أمير المؤمنين مكتوبة على الجلد وبالخط الكوفي وعليها نقط الإعراب، منها النسخة التي نحن بصدد التعريف بها مصورة منها برقم ١٣.

ومنها النسخة التي رآها الشيخ أبو عبد الله الزنجاني في ذي الحجة سنة ١٣٥٣، أولها بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالنَّمَاءَ ذَاتَ الْبُرُوجِ﴾ (١) وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿ وفي آخرها (كتبه علي بن أبي طالب في سنة أربعين من الهجرة، صورة منها في آخر الكتاب تحت رقم ١٤.

(٢٤) عدد أوراقها ٣٠٩، قياسها ١٨ × ٥ / ١٢، عدد الأسطر ٩، وفيه نقص من سورة الشعراء آية ٢٠١ إلى آية ١٠ من سورة النمل، ٢٧ آية من سورة الشعراء، ١٠ من سورة النمل كذلك نقص سورة الكافرون وسورة النصر في آخر المصحف، صورة منها في آخر الكتاب تحت رقم ١٥. وقد انتقلت هذه النسخة في العهد البعثي إلى المتحف الوطني ببغداد.

(٢٥) منها النسخة الموجودة في مكتبة مولا آزاد جامعة عليكر اوتربرادش/ الهند، صورة

النسخ منسوبة للإمام أم بينها ما هو صحيح النسبة إليه ﷺ؟.

وكيف يتطابق ذلك مع ما جاء في روايات أهل البيت بأنّ مصحف الإمام موجود عند الإمام الحجّة وأنّه سيظهره حينما يظهر^(٢٦). وقد أجبنا عن ذلك ببعض الشيء وأنّ الموجود عند الإمام الحجّة هو (المصحف الوقائعي) وما نتكلم عنه هو (قرآن التلاوة) فلا يمكن البت في صحّة انتساب تلك النسخ إلى الإمام وعدمه إلاّ بعد قراءة المقدّمة التالية.

كثرة النسخ المنسوبة لماذا؟.

توجد ادّعاءات كثيرة في نسبة بعض

منها تحت رقم ١٦.

والنسخة الموجودة في مكتبة القصر الملكي الشاهنشاهي (گلستان) طهران/ إيران، صورة منها موجودة في آخر الكتاب تحت رقم ١٧ و ١٨. أو الموجودة في المتحف الوطني الإيراني صور منها موجودة في آخر الكتاب تحت الأرقام ١٩، ٢٠ و ٢١، أو متحف رضا عباسي/ إيران تحت الرقم ٢٢، أو مكتبة الهند في لندن، صورة منها موجودة في آخر الكتاب تحت رقم ٢٣.

(٢٦) نحن وضحنا سابقاً بأنّ الإمام يظهر المصحف المفسر لا مجرد ولا تضاد بين الأمرين.



النسخ القرآنية المنسوبة إلى أمير المؤمنين علي -علي وجه الخصوص- في تركيا والهند وايران والعراق لزيد هذا العدد على العدد المقترح بضعفين، ولاسيما مع لحظ اختلاف الخط بين تلك النسخ، أو اختلاف الخط في أوراق النسخة الواحدة، بعضها كتب بخطٍ والأخرى بخطٍ آخر، ووجود التشكيل وتنقيط الإعراب والزخرفة في بعضها -وهي متأخرة عن الصدر الأوّل على نحو القطع واليقين- وعدم وجودها في اخر.

نعم إنّ عشاق آل البيت والصحابة هم كثر، والمستغلّون لعواطفهم هم كثر كذلك، وهم موجودون في جميع البلدان وهم يبحثون عن كل شيء يتعلق برسول الله والصحابة فهذا يبحث عن سيف ونعل ودرع وعصا لرسول الله أو لهذا الصحابي أو ذاك، ولهذا الرجل من أهل البيت أو ذاك، فمن جهة لا يمكن قبول كل شيءٍ منسوب إليهم على نحو الادّعاء، وكذلك لا يمكن تكذيب -أو نفي- نسبة جميعها ادعاءً، فما الحل؟. وهذا ما سنقوله في آخر هذا المحور إن شاء الله.

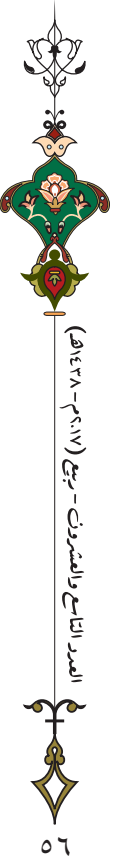
تلك النسخ القرآنية إلى أمير المؤمنين عليه السلام أو إلى غيره من آل البيت والصحابة منها لمضاهاة ما نُسب إلى الصحابة، وخصوصاً إلى عثمان بن عفان من مصاحف.

أو: للارتزاق به عند السلاطين والخلفاء ومحبي الأئمة والصحابة (علويين كانوا أم عثمانين).

أو لعلل أخرى خفية أو معلنة. ويتأكد هذا المدّعى حينما تقف على تعدد النسخ المنسوبة إلى عثمان بن عفان والإمام علي بن أبي طالب في مكتبات العالم الغربي والاسلامي، فلا يعقل أن تصح نسبة كل هذه النسخ إلى شخص واحد؟. فهل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أو عثمان بن عفان أو غيرهم من الصحابة كانوا من الورّاقين حتّى تصحّ نسبة عشرة نسخ أو أكثر إليه عليه السلام أو إلى عثمان؟.

ولماذا نرى جميع تلك النسخ مستقيمة الخط لا انحناء فيها كأنّ كاتباً حرّفيّاً قد كتبها، في حين أنّ الكتابة كانت في طريقها إلى التطوّر آنذاك.

فلو أجريت مسحاً إجمالياً لهذه



من موارد التزوير:

إنّ ما عرفناه ونعرفه - في التاريخ - من طرق التمويه والدجل في تعتيق النسخ ونسبتها إلى هذا وذاك هو شيء كثير، وهو ما لا ننكره، وهذا يدعوننا للتثبت والحذر من قبول كلّ شيء منسوب إلى هذا الصحابي أو ذاك من آل البيت، بل يلزمنا هذا أن نخطو بخطى وثيدة في القبول أو النفي، وأن لا نتسرّع في الأحكام نفيًا أو إثباتًا.

فصحيح أن تعتيق النسخ ونسبة الخطوط إلى الأشخاص قديم بقدم التاريخ، لكنّ هذا لا يجيز لنا التساهل في حفظ تراثنا القديم، أو التشكيك في الوثائق الموجودة في خزائنا بدعوى ورود هذا الاحتمال والخوف لان ذلك يدعوننا إلى محقه، فقبول أحدهما هو أخطر من القبول بالثاني، وإليك الآن بعض النصوص التراثية - المخيفة - في التعتيق والجعل، اذكرها كي تقف على أهميّة هذا الموضوع، وضرورة التثبت في الوثائق والأسناد والخطوط والورق والحبر وعدم العجلة في البت في نتائج البحوث والتحقيقات.

• ففي (المنتظم) لابن الجوزي (٢٧): إنّ اليهود قدّموا لأبي القاسم بن مسلمة وزير الخليفة القائم بالله العباسي كتاباً فيه أنّ رسول الله أسقط الجزية عن أهل خيبر، وأظهروا كتاباً فيه شهادة بعض الصحابة، وادّعوا أنّه بخط الإمام عليّ، فحُمّل ذلك الكتاب سنة (ت ٤٤٧ هـ) إلى رئيس الرؤساء علي وزير القائم العباسي، فعرضه على الحافظ الخطيب البغدادي فتأمّله، ثم قال: هذا مزورّ!

ف قيل له: فمن أين لك؟

قال: في الكتاب شهادة معاوية بن أبي سفيان، ومعاوية أسلم يوم الفتح و [إجلاء أهل] خيبر كان في سنة سبع.

وفيه شهادة سعد بن معاذ، وكان قد مات يوم الخندق، فاستحسن ذلك فيه.

• وفي (المنتظم) لابن الجوزي نص آخر يؤكّد: أنّ (٢٨) علي بن محمد، الأحذب المزورّ: كان يكتب على خط كلّ أحد، حتّى لا يشكّ الرجل المزورّ

(٢٧) المنتظم ١٦: ١٢٩ / ٣٤٠٧.

(٢٨) المنتظم ١٤: ٢٨٦ / ٢٧٧٣.



وعليه فظاهرة اختلاق النسخ وتزويرها وتعتيقها لا يمكن إنكارها، وقد كانت متفشية آنذاك، وقد زُورت رسائل كثيرة -على مرّ التاريخ- على لسان هذا أو ذاك، وحُتمت بمهور لا يعلم عنها صاحبها، منها الرسالة المختومة بختم عثمان إلى والي مصر والتي أدت إلى مقتله^(٣٢) وأمثاله، ونحن قد اكتفينا- في هذه الدراسة -بتقديم نموذجين واقعيين من التاريخ: أحدهما عن المسمّى بالدانيالي، والآخر عن المعروف بالأحذب، وهو غيض من فيض، وهو بنظرنا كاف لكي يدعونا للحيلة والحذر من القبول بكل شيءٍ منسوب إلى الأنبياء أو قولاً أو فعلاً أو تراثاً إلاّ بعد الدراسة والتأني والتثبت.

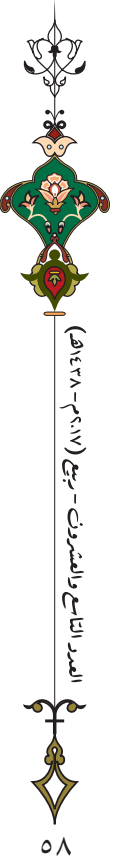
فكما أنّ الإثبات يحتاج إلى دليل كذلك النفي هو الآخر يحتاج إلى دليل أيضاً، فلا يجوز نفي شيء عن الله أو رسوله أو الوصي إلاّ بدليل من الله

(٣٢) أنظر تاريخ الطبري ٢: ٦٦٦ حوادث سنة ٣٥، والكمال في التاريخ ٣: ٦٠.

على خطه أنّه خطه، وبُلي الناس منهم ببلوى عظيمة، ختم السلطان على يده مراراً، تُوفيّ في التاسع من رجب من هذه السنة ٣٧١ هجرية.

• وفي (تكملة) الطبري^(٢٩) و (الكمال في التاريخ)^(٣٠) وغيرها: أنّ ورّاقاً ذكياً محتالاً كان يسكن ببغداد أيام المقتدر العباسي يُعرف بالدانيالي، يبلّ الأوراق ويعتق الكاغذ، ويكتب فيه بخطه ما يشبه الخطّ العتيق، يرمز منه بحروف من أسماء أهل الدولة، ويشير إلى ما يعرف ميلهم عليه من أحوال الرفعة والجاه كأنّها ملاحم، ويحصل على ما يريد منهم من الدنيا، وقد عمل حيلة لتوصيل الحسين بن القاسم إلى الوزارة بطلب من أبي القاسم بن الزنجي، وقد حدّث ابن الزنجي^(٣١).

(٢٩) تكملة تاريخ الطبري: ٦٤.
(٣٠) الكامل في التاريخ ٧: ٦٧، حوادث سنة ٣١٩ هـ.
(٣١) تجارب الأمم ٥: ٢٩٥، خلافة المقتدر بالله، ذكر السبب في تقلد الحسين بن القاسم الوزارة.



ورسوله ﷺ وأمير المؤمنين علي (عليه السلام)، فقال سبحانه: ﴿قُلْ ءَللّٰهُ اَذْبَ لَكُمْ ءَمْرٌ عَلَى اللّٰهِ تَقْتَرُونَ﴾ [سورة يونس: ٥٩].

وحسبى أنّ الرسول الأعظم كان لا يجيز تغيير كلامه أو نسبة شيء إليه ما لم يقله بل كان يلزم الآخرين عدم تكذيب قوله والأخذ بالهوى والرأي بل كان يدعوهم إلى الأخذ بما له أصل عندهم إذ قال: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد^(٣٣).

كما جاء عن الأئمة (عليهم السلام) قولهم: ما أحد أكذب على الله وعلى رسوله ممن كذبنا أهل البيت أو كذب علينا لأنّه إذا كذبنا أو كذب علينا فقد كذب الله ورسوله لأننا إنما نحدّث عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله^(٣٤).

وجاء عنه أيضاً: الناس سلكوا سبيل شتى منهم من أخذ بهواه ومنهم من أخذ برأيه وإنكم أخذتم بما له أصل^(٣٥).

(٣٣) صحيح البخاري ٢: ٩٥٩ / ٢٥٥٠.

(٣٤) قرب الإسناد: ٣٥٠، مستدرک الوسائل ٩: ٩١ / ح ١٠٣٠٩.

(٣٥) المحاسن: ١٥٦ / ٨٧، الكافي ٨: ١٤٦ / ح ١٢١.

وعليه فنحن لا يمكننا القبول بصحة جميع تلك النسخ، كما لا يمكننا نفي جميعها بضرر قاطع، بدعوى وجود تنقيط الإعراب فيه وهو متأخر، أو وجود الزخرفة وأشياء حادثة فيه، وما شابه ذلك.

إذ لا خلاف في تأخر تنقيط الإعراب وأنّه من وضع أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٧ هـ وقيل ٦٩ هـ)^(٣٦) وإن كان روي في كتاب ابن أبي داوود عن هارون بن موسى أنّه قال: أوّل من نقطّ المصاحف: يحيى بن يعمر (ت قبل ٩٠ هـ)^(٣٧)، وقال آخرون نصر بن عاصم الليثي (ت ٩٠ هـ)^(٣٨) وعبد الرحمن بن هرمز (ت ١١٧)^(٣٩) ويعنون به تنقيط الإعجام

(٣٦) نقط المصاحف للداني: ٣ و ٦، الإصابة ٣: ٥٦١ / ٤٣٣٣، صبح الاعشى ١: ٤٧٨.

(٣٧) نقط المصاحف للداني: ٥، تذكرة الحفاظ ١: ٧٥ / ٧٢، معرفة القراء الكبار ١: ٦٨ / ٢٤.

(٣٨) نقط المصاحف: ٦ و ٧، معرفة القراء الكبار ١: ٧١ / ٢٧.

(٣٩) معرفة القراء الكبار ١: ٧٧ / ٣٠، تهذيب الكمال ١٧: ٤٦٧.

وأنه كان بعد تنقيط الإعراب.

فلان بن فلان.

وبنظري أنّ تنقيط الإعجام كان قبل تنقيط الإعراب إذ كيف يمكن أن تعرب الكلمة في حين لا يعلم الحرف هل هو مهمل او معجم ولو كان معجماً فهل النقطة هي في الأعلى أم في الأسفل (بشراً أو نشرأ).

فقد يمكن أن يقال في الجواب: بأنّ النقطة الحمراء الإعرابية المضافة الى النسخة أو الزخرفة والتشكيل هي من وضع المتأخرين وإضافاتهم حقاً، وأنّها لم تكن في الأصل، لكنها لا تنافي أن تكون مع ذلك النسخة قديمة أيضاً، لأنّ الإضافات هي حديثة.

المهم أنّ القرن الهجري الأوّل قد انقضى وتنقيط المصاحف لم يزل محدود الاستعمال، وأنّ بعض الصحابة والتابعين كانوا يكرهونه، أمثال: ابن عمر (ت ٧٣ هـ) (٤٠) و ابراهيم النخعي (ت ٩٦ هـ) (٤١) والحسن البصري (٤٢) وابن سيرين (٤٣) (توفياً ١١٠ هـ) وقتادة (ت ١١٧ هـ) (٤٤)، وعليه فإنّ القول بوجود التنقيط لا يعني التشكيك في نسبة هذه النسخة أو تلك إلى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أو إلى رسول الله ﷺ أو إلى الصحابي فلان بن فلان أو

وكذا الحال بالنسبة إلى نقط الإعجام و «نقط الإعجام رغم أنّ النقوش العربية الجاهلية خالية من أي أثر له فإنّ بعض علماء السلف ذهبوا إلى أنّه قديم» (٤٥). وقال صاحب (كشف الظنون) عن النقط والإعجام: إلّا أنّ الظاهر أنّهما موضوعان مع الحروف إذ يبعد أنّ الحروف مع تشابه صورها كانت عرية عن النقط إلى حين نقط المصاحف (٤٦).

وقد أيد كلامي بعض الأفاضل وقال بوجود نقط الإعجام قبل نقط الإعراب مستندلاً بما حكى عن الإمام علي وقوله:

(٤٠) نقط المصاحف: ١٠.

(٤١) الاتقان ٢: ٤٥٤ / ٦٢١٥، ٦٢١٨، نقط المصاحف: ١١.

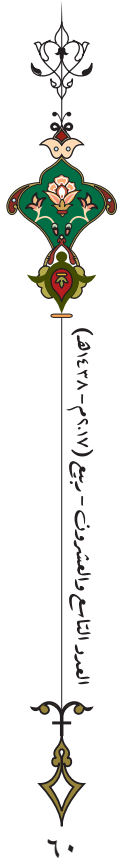
(٤٢) نقط المصاحف: ١١.

(٤٣) احياء العلوم ١: ٢٧٧.

(٤٤) نقط المصاحف: ١٠.

(٤٥) رسم المصحف: ٤٦٨.

(٤٦) كشف الظنون ١: ٧١٢، صبح الأعشى ٣:



أنا النقطة تحت باء بسم الله الرحمن الرحيم (٤٧).

كما يمكن أن تؤيد هذه النظرية بما قاله الداني وغيره بأن «خلو المصاحف من النقط جاءت للفسحة ولكي تحتمل كل الوجوه» (٤٨).

ومعناه وجودها قبل جمع عثمان الناس على مصحف واحد، وأن لجنة عثمان تركوا تنقيط الإعجام للفسحة ولكي تحتمل كل الوجوه.

وبذلك يكون تنقيط الإعجام هو الأقدم وضعاً، من تنقيط الإعراب خلافاً للمشهور على اللسن وفي الكتب وإذا صح مدعانا فهو يدعونا للتساؤل: كيف يمكن القبول بالتنقيط الإعرابي الأحمر المتأخر على النسخة مع عدم وجود الأسود المتقدم عليه، إلا أن نقول بوضعه لاحقاً على النسخة الغروية وهي لم تكن في نسخة الأصل.

ويضاف إليه أنه ليس بالضرورة أن

(٤٧) ينابيع المودة لذوي القربى ٢١٣: ١، نور البراهين ٤: ٢، الأنوار العمانية ٤٠: ١.
(٤٨) المحكم في نقط المصاحف: ٣، ٢١، النشر ٣٣: ١.

تكون هذه النسخة - التي بأيدينا - هي تلك النسخة التي كتبها الإمام بعينها، فقد تكون مكتوبة من على نسخته عليه السلام. ولهذا نسبت إليه عليه السلام.

وقد تكون بعضها مكتوبة بخطه ثم أضيف إليها شيء آخر بخط غيره إكمالاً لها في العصور المتأخرة ولهذا نسبت جميعها إلى الإمام عليه السلام كما مر في كلام الامام الزيدي الهادي بن يحيى بن الحسين. وقد يكون للإمام أمر بكتابتها فنسبت إليه وهناك علل أخرى.

وبهذا فقد اتضح للمطالع الكريم بأن القرآن الكريم هو واحد عند الجميع وان له عدة مخطوطات قيمة في العالم الإسلامي والغربي، بعضها ناقصة وأخرى كاملة، وهي مكتوبة في أحجام متفاوتة وعلى أجناس وأصناف مختلفة، قال الدكتور غانم قدوري الحمد:

وتوجد الآن في مكتبات العالم مجموعة كبيرة من المصاحف القديمة، أو قطع منها، قد كتبت على الرق، وبالخط الكوفي القديم، مجردة من النقط والشكل ومن كثير مما ألحق بالمصاحف من أسماء

وتملك مكتبات التراث الإسلامي في مصر خير مجموعة من تلك المصاحف القديمة، كذلك يروى أنّ أحد تلك المصاحف القديمة^(٥٠) كان موجوداً في الحرم النبوي في المدينة المنورة حتى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨ م) حيث نقله العثمانيون إلى الآستانة مع انسحابهم من أراضي الحجاز، ويقال أنّه انتقل إلى ألمانيا^(٥١).

ومنها مصحف محفوظ الآن في مدينة طشقند في تركمنستان الإسلامية في روسيا، وقد قامت بنشره - في مطلع هذا القرن - جميعة الآثار القديمة الروسية، وطبعت منه خمسين نسخة^(٥٢)،

Abbott, p. 57. (٥٠)

(٥١) انظر: محمد طاهر الكردي: تاريخ القرآن ص ١٢٠ و M. Hamidullah, p. 430.

(٥٢) كان هذا المصحف في جامع خواجه عبيد الله الأحرار، ثم اشتراه حاكم تركمنستان ونقله إلى بطرسبورج فوضع في دار الكتب القيصرية، وسمي هناك المصحف السمرقندي، وأشيع أنّه المصحف الإمام الذي قتل عليه الخليفة عثمان بن عفان فكان الناس يزورونه في أيام معينة، ثم نشرته جميعة الآثار القديمة على يد المصور

السور وعدد آيها وغير ذلك بحيث تبدو أقرب إلى الصورة التي كانت عليها المصاحف الأولى^(٤٩). إلى أن يقول:

ومهما كان الرأي في تلك المصاحف فإنّها - دون شك - قديمة ترجع إلى القرون الهجرية الأولى، بل ربما إلى القرن الأوّل حصراً، ولا سيّما حين لا يظهر فيها أي أثر للاصلاحات التي أدخلت على الخطّ العربي في النصف الثاني من القرن الأوّل الهجري، إلّا بعض العلامات النادرة أحياناً، فهي بذلك أقرب إلى الحقبة التي يحتمل أن تكون المصاحف العثمانية موجودة فيها، وربما نسخت منها أو من مصحف نسخ من أحدها، وهي لذلك خير ما يمثل واقع الرسم الذي نسخت به المصاحف العثمانية.

(٤٩) أنظر جولدتسيهر: ٢٩٨، ومحمد طاهر الكردي: تاريخ القرآن: ١١٩ - ١٢٠، وناصر النقشبندي: المصاحف الكريمة في صدر الإسلام. مقال في مجلة سومر مج ١٢ سنة ١٩٥٦ ج ١ و ٢، ص ٣٥، ود. سعاد ماهر: مشهد الإمام علي في النجف القاهرة. دار المعارف ١٣٨٨ هـ ص ١٩٦ وما بعدها.

ومع ذلك فإنّ الدراسات عن تلك المصاحف القديمة وعددها في مكتبات العالم لا تزال قليلة.

وقد تيسرت لي القراءة في بضعة مصاحف قديمة من تلك المحفوظة في دار الكتب المصرية، بعضها مشكول ومعجم...

ثم يعلق الاستاذ غانم في الهامش بقوله:

إن محاولة الاطلاع على المصاحف الكريمة المخطوطة والقديمة منها خاصة أمر في غاية الصعوبة وليس من اليسير التوفيق بين طموحات البحث في الحصول على المادة من تلك المصاحف

الروسي (بساريكس) وطبعت منه خمسين نسخة، وبقي هذا المصحف في دار الكتب القيصرية إلى الانقلاب البلشفي، وفي أوائل سنة ١٩١٨ م حمل في حفل عظيم تحت حراسة الجند إلى إدارة مكونة من الشخصيات الإسلامية البارزة هناك تسمى (النظارة الدينية) وذلك إرضاء للمسلمين وكسباً لتعصيدهم، وبقي فيها خمس سنوات. وفي أواسط سنة ١٩٢٣ نقل إلى تركمنستان، وبقي في سمرقند فترة من الزمن، وهو الآن في طشقند (انظر د. عبد الفتاح شلبي: الإمامة ص ٢٠٥).

وبين حرص القائمين بالمحافظة عليها بالألا تمسّها يد أحد حتّى ولو كانت يد باحث مسلم ليس بأقل حرصاً منهم عليها...

ثم يضيف الأستاذ في هامش آخر له بعد ذلك بالقول:

حصلت - إلى جانب ذلك - على ثنائي لوحات - كل لوحة تحوي صفحتين - من مصحف قديم محفوظ في مشهد الإمام علي - عليه السلام - في النجف، ولكن يبدو أنّه يعود إلى فترة متأخرة عن تلك التي يرجع إليها مصحف طشقند ومصحف جامع عمرو، ومصحف النجف مكتوب على رق وبخط كوفي بمداد أسود، وفيه نقط الإعراب التي تنسب طريقة استعمالها لأبي الأسود الدؤلي بالحمرة، وعدد أوراقه (٣٠٩) وأبعاده (١٩ سم × ١٢.٥ سم تقريباً). وفي الورقة الأخيرة منه كتب بخط مختلف عن خطّ المصحف الأصل أنّه بخطّ الإمام علي سنة ٤٠هـ.

والملاحظة الأخيرة يحتاج اثبات صحّتها إلى أدلة صحيحة صادقة،

والشكل أيضاً كما علمت.
نعم إن المصحف المحفوظ في خزانة الآثار بالمسجد الحسيني والمنسوب إلى عثمان مكتوب بالخط الكوفي القديم مع تجويف حروفه وحجمه كبير جداً ورسمه يوافق رسم المصحف المدني أو الشامي حيث رسم فيه كلمة ((يَرْتَدِد)) من سورة المائدة بدالين اثنين مع فك الإدغام وهي فيها بهذا الرسم، فأكثر الظن أنّ هذا المصحف منقول من المصاحف العثمانية على رسم بعضها.
وكذلك المصحف المحفوظ بتلك الخزانة، ويقال إنّ علي بن أبي طالب كتبه بخطه، يلاحظ فيه أنّه مكتوب بذلك الخط الكوفي القديم، بيد أنّه أصغر حجماً، وخطه أقل تجويفاً^(٥٤).

بلى هناك نسخ أثرية نفيسة وقديمة - منسوبة للصحابة وأهل البيت - في مكتبات العالم، وهي تناهز ٦٥ نسخة نفيسة في العالم حسبها أعلم^(٥٥) وأنّ

(٥٤) مناهل العرفان ١: ٢٧٩.

(٥٥) ادعى الدكتور محمد باقر حجّتي في تاريخ القرآن: ٤٩٠ بأن أكثر وأهم النسخ القرآنية النفيسة موجودة في

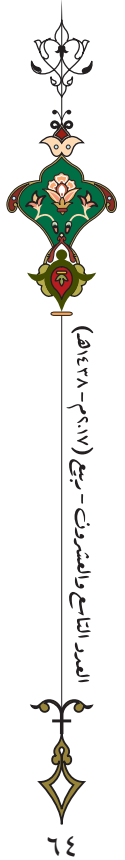
وليس بعيداً أن تكون الجملة المدخولة (انظر ابراهيم جمعة: دراسة في تطور الكتابات الكوفية ص ٧١) ومع ذلك فإنّ المصحف في وضعه السابق يدلّ على أنّه يرجع إلى فترة متقدمة^(٥٣).

وقد تساءل الزرقاني - قبل الاستاذ غانم - عن المصاحف العثمانية: أين هي؟. فقال: وليس بين أيدينا دليل قاطع على وجود المصاحف العثمانية الآن فضلاً عن تعيين أمكنتها وقصارى ما علمناه أخيراً أنّ ابن الجزري رأى في زمانه مصحف أهل الشام ورأى في مصر مصحفاً أيضاً.

أما المصاحف الأثرية التي تحتويها خزائن الكتب والآثار في مصر ويقال عنها أنّها مصاحف عثمانية فإنّنا نشكّ كثيراً في صحة هذه النسبة إلى عثمان لأنّ بها زركشة ونقوشاً موضوعة كعلامات للفصل بين السور وليبان أعشار القرآن، ومعلوم أنّ المصاحف العثمانية كانت خالية من كل هذا ومن النقط

(٥٣) رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية:

١٩٠ - ١٩٤.



أكثر من عشرة نسخ منها منسوبة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والنسخة التي في الخزانة الغروية^(٥٦) هي من النسخ القيمة المنسوبة إلى الإمام أمير المؤمنين، وهي مكتوبة على الرق، كما أنّ أخواتها الموجودة في مكتبات العالم هي الأخرى غالبها مكتوبة على الجلد والبردي والرق.

إنّ محاولة الاطلاع على جميع المصاحف المنسوبة للإمام في تركيا وإيران واليمن ومصر والمقايسة بينها لم يكن بالشيء الهين بل هو في غاية الصعوبة، وإن كان ذلك هو أملنا ومبتغانا لكن تحققة في هذا الوقت القصير هو عسير.

وإنّا نرى فيما قام به بعض المستشرقين والشخصيات والمؤسسات والحكومات في البلدان الإسلامية - منذ أوائل القرن الماضي وحتى اليوم - من طبع النسخ القرآنية والأناجيل القديمة طبق الأصل خطوة مفيدة في هذا المضمار، وهي تخدم

بريطانيا، وأنّه رأى ٧٠ نسخة نفيسة منها في مكتبة لندن العامة.

(٥٦) والتي الامانة العامة للعتبة العلوية بصدد طبعها ونشرها طبق الأصل (الفاكسيلم).

الباحثين وتساعد المحققين في حقل الدراسات القرآنية والبالوجرافيا في بحوثهم، وهي ظاهرة حضارية متميزة نأمل الارتقاء بها إلى مستوى أعلى.

١. قد كان أول من طبع القرآن طبق الأصل وبشكله التراثي هو دي. اس. رايس [D. S. Rice] الذي نشر مصحف ابن البواب المكتوب سنة ٣٩١ هجرية بخط النسخ، والمحفوظ أصله في مكتبة تشيستر بيتي (دبلن - إيرلندا)^(٥٧).

٢. ثم تبعه المستشرق الروسي بيساريف [S. Pissaref] في عام ١٩٠٥ بنشر نسخة طبق الأصل لمصحف سمرقند (تشطقند)^(٥٨). تم طبع ٥٠

The Unique Ibn Al (٥٧) -Bawwab Manuscript: Complete Facsimile Edition of the Earliest Surviving NaskhiQu'ran. Chester Beatty Library, Dublin. Manuscript K. 16. Graz: Akademische, 1983.

Coran Coufique de Samarcand: (٥٨) écrit d'après la Tradition de la Propre Main du Troisième

[Sergio Nosedá] نسخة طبق الأصل لمصحف المكتبة الوطنية الفرنسية (Arabe ٣٢٨ a) بعنوان: (المصاحف بالخطّ الحجازي: المجلد الأول، المخطوطة ٣٢٨ Arabe a) من المكتبة الوطنية الفرنسية^(٦١). وهو المجلد الأول ضمن سلسلة «مصادر انتقال النصّ القرآني من المخطوطات»، ويبلغ عدد أوراق المصحف ٥٦ ورقة. وفي عام ٢٠٠١ نشر أيضاً نسخة

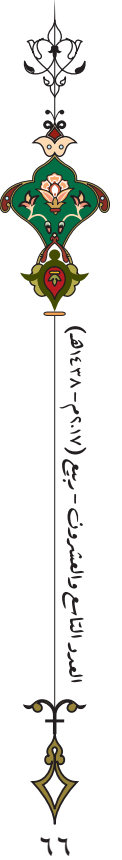
القلب المقدس الكاثوليكية في ميلانوا، وكان قبلها أستاذاً للشريعة الإسلامية في جامعة تورينو. أنشأ في عام ١٩٩٩ مؤسسة فيرني نوسيدا وكان من أبرز إصداراتها (المصاحف بالخطّ الحجازي من باريس ولندن) التي نشرت عامي ١٩٩٨ و٢٠٠١.

(٦١) Sources de la transmission manuscrite du texte coranique. I. Les manuscrits de style hijazi. Volume I. Le manuscrit arabe 328a (a) de la Bibliothèque Nationale de France, 1998, Fondazione Ferni Noja Nosedá, Leda, and Bibliothèque Nationale de Paris.

نسخة منه، بيعت منها ٢٥ فقط. وتوجد نسخة مصورة منها في دار الكتب المصرية تحت عنوان (٢٠٤ مصحف). قدر طيار آتلي قولاج عدد أوراق هذا المصحف الأصلي بـ ٩٥٠ ورقة، إلا أنه تنقصه أوراق كثيرة حتّى اليوم، فالمتبقى منه هو ٣٥٣ ورقة فقط. ٣. وفي عام ١٩٩٨ نشر فرانسوا ديروش^(٥٩) [Francois Deroche] وسرجيو نوسيدا^(٦٠)

Calife Osman (644 - 656) qui se trouve dans la Bibliothèque Impériale Publique de St. Petersburg, 1905, St. Petersburg. (٥٩) ولد عام ١٩٥٢، هو أستاذ التاريخ والكوديكولوجيا العربية في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا (EPHE) في باريس. يعتبر ديروش من أشهر المعاصرين المتخصصين بدراسة المخطوطات القرآنية المبكرة، وله العديد من الإصدارات في هذا السياق. كان آخرها كتابه الصادر عن بريل: (مصاحف الأمويين: نظرة أولية).

(٦٠) سرجيو نوسيدا (١٩٣١ - ٢٠٠٨) كان أستاذاً للغة العربية وآدابها في جامعة



٦١ ورقة منه فقط، وأما باقي أوراق المصحف فقد تقرر نشرها مستقبلاً.
٤. وفي عام ٢٠٠٤ قام المستعرب الروسي يفيم رضوان^(٦٤) [Efim Rezvan] بنشر نسخة طبق الأصل من «مصحف عثمان» بعنوان: (مصحف عثمان: كاتا - لانجار، سانست بطرسبرج، بخاري، طشقند^(٦٥))، وتحتوي هذه النسخة على ٤٠٪ من النصّ القرآني^(٦٦).

طبق الأصل لمصحف المكتبة البريطانية (Or. ٢١٦٥) بعنوان: (المصاحف بالخط الحجازي: المجلد الثاني، المخطوطة) Or. ٢١٦٥ فوليو ١ إلى ٦١، من المكتبة البريطانية^(٦٢).

هو المجلد الثاني من السلسلة نفسها. وتبلغ مجموع أوراق هذا المصحف ١٢١ ورقة تمثل ٥٣٪ من النصّ القرآني^(٦٣)، إلا أنّ النسخة العينية تضمنت أوّل

. Sources de la transmission (٦٢) manuscrite du texte coranique.

I. Les manuscrits de style hijazi. Volume 2. Tome I. Le manuscrit Or. 2165 (f. 1 à 61) de la British Library, 2001, Fondazione Ferni Noja Nosedà, Leda, and British Library: London.

Islamic -awareness. org, (٦٣) (2014). MS. Or. 2165 – A Qur’anic Manuscript From The 1st Century Hijra In The British Library. Retrieved 25 November 2014, from: [http:// www. islamic -awareness. org/ Quran/ Text/Mss/ms2165.html](http://www.islamic-awareness.org/ Quran/ Text/Mss/ms2165.html)

(٦٤) ولد في ١٩٥٧ م، نائب مدير متحف بطرس الأكبر للأثروبولوجيا والإثنوغرافيا (كونستكاميرا)، الأكاديمية الروسية للعلوم، مدير تحرير المجلة الدولية للبحوث المخطوطة الاستشراقية (Mhanuscripta Orientalia) وأستاذ في الكلية الشرقية وكلية الفلسفة في جامعة ولاية ناست بطرسبرج. (ترجمته بتصرّف من صفحته على موقع: <http://www.kunstkamera.ru>).

“The Qur’ān Of ‘Uthmān” (٦٥) (St. Petersburg, Katt -Langar, Bukhara, Tashkent), 2004, Volume I. St. Petersburg Centre For Oriental Studies: St. Petersburg (Russia). Islamic -awareness. org, (٦٦)



متحف طوب قابي سراي)، وهو مصحف شبه كامل تنقصه ورقتين فقط، يحتوي على أكثر من ٩٩٪ من النصّ القرآني^(٦٨). وفي نفس العام آلتى قولاج نسخة طبق الأصل للمصحف المنسوب إلى عثمان بن عفان في متحف طوب قابي سراي بعنوان: (المصحف الشريف المنسوب إلى عثمان بن عفان في متحف الآثار التركية والإسلامية بعنوان: (المصحف الشريف المنسوب إلى عثمان بن عفان: نسخة متحف الآثار التركية والإسلامية باستنبول)، وهو أيضاً مصحف شبه كامل تنقصه عدة أوراق.

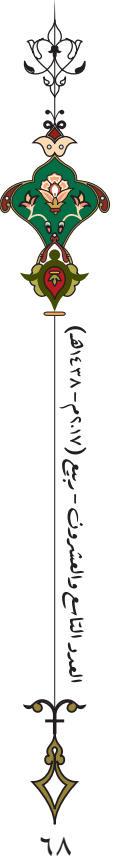
٦. وفي عام ٢٠٠٩ نشر طيار آلتى قولاج نسخة طبق الأصل للمصحف

(٦٨) Islamic -awareness. org. (2014). The “Qur’an Of Uthman” At The Topkapi Museum. Istanbul, Turkey, From 1st / 2nd Century Hijra. Retrieved 25 November 2014. from: <http://www.islamic-awareness.org/Quran/Text/Mss/topkapi.html>.

٥. وفي عام ٢٠٠٧ نشر الدكتور طيار آلتى قولاج^(٦٧) [Tayyar Altikulac] نسخة طبق الأصل للمصحف المنسوب إلى عثمان بن عفان في متحف طوب قابي سراي بعنوان: (المصحف الشريف المنسوب إلى عثمان بن عفان، نسخة

(2014). The “Qur’an Of Uthman” At St. Petersburg (Russia), KattaLangar, Bukhara, And Tashkent (Uzbekistan), From 2nd Century Hijra. Retrieved 25 November 2014, from: <http://www.islamic-awareness.org/Quran/Text/Mss/peters.html>

(٦٧) ولد عام ١٩٣٨ م، هو من المهتمين في حقل الدراسات القرآنية وتحقيق المصاحف القديمة. عمل نائباً لرئيس الشؤون الدينية في الفترة من ١٩٧١ - ١٩٧٦، ثم مديراً عاماً للتعليم الديني بوزارة المعارف (١٩٧٦ - ١٩٧٧)، ثم رئيساً للشؤون الدينية (١٩٧٨ - ١٩٨٦)، وهو حالياً عضو في البرلمان التركي، حيث يرأس اللجنة البرلمانية للتعليم والثقافة. (انظر: مقدمة مصحف طوبقابي سراي، ص ٦، هامش رقم ٤).



٨. تسعى الأمانة العامة للعتبة العلوية جادة في طبع نسختها الفريدة الموجودة إسهاماً منها في هذا المضمار. طالبين منّي التعريف بها والكتابة بعض الشيء عن جمع القرآن وما يرتبط بالنسخ وتعتيقها والشبهات التي تدور حولها فكتبت هذا الذي هو بأيديكم.

ونسختها مكتوبة على الرق بالخط الكوفي، أوله سورة الفاتحة وفيه نقص في منتصف سورة الكوثر وسورة الكافرون والنصر وعنوان سورة المسد، وقد كتبت فيها أسماء السور ونقط العلامات

(2014). The “Qur’an Of Ali b. AbiTalib” (The Sanaa Mushaf) From 1st / 2nd Century Hijra. Retrieved 25 November 2014, from: [http:// www. islamic -awareness. org / Quran / Text / Mss / alisanaa. html](http://www.islamic-awareness.org/Quran/Text/Mss/alisanaa.html)

منوهين بأننا قد اعتمدنا في هذا الجرد على ما زدنا به الأستاذ مرتضى كريمي نيا من مقال للأستاذ أحمد وسام شاکر تحت عنوان (الإصدارات العينية للمخطوطات القرآنية القديمة) فشكراً له.

المنسوب إلى عثمان بن عفان في القاهرة بعنوان: (المصحف الشريف المنسوب إلى عثمان بن عفان: نسخة المشهد الحسيني بالقاهرة). يحتوي المصحف على أكثر من ٩٩٪ من النصّ القرآني^(٦٩)، وتنقصه أربع ورقات فقط، وأُعيد كتابة ٩ من أوراقه بيد لاحقة.

٧. في عام ٢٠١١ نشر آلي قولاج نسخة طبق الأصل للمصحف المنسوب إلى علي بن أبي طالب في صنعاء بعنوان: (المصحف الشريف المنسوب إلى علي بن أبي طالب: نسخة صنعاء)، يحتوي هذا المصحف على ٨٦٪ من النصّ القرآني^(٧٠).

Islamic -awareness. org. (٦٩)
(2014). The “Qur’an Of Uthman” At The Al -Hussein Mosque, Cairo, Egypt, From 1st / 2nd Century Hijra. Retrieved 25 November 2014, from: [http:// www. islamic -awareness. org / Quran / Text / Mss / hussein. html](http://www.islamic-awareness.org/Quran/Text/Mss/hussein.html)
Islamic -awareness. org. (٧٠)

أوراق البردي في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، والباقي على الرق، أكثرها بخطوط كوفية، ومنها بخط قريب من النسخي وهي تؤكد ضرورة الاهتمام بنشر المصاحف القديمة كما هي، وعن طريق شبكة المعلوماتية كالانترنت والأقراص المدججة وأمثال ذلك، لأنّ العصر عصر السرعة والمواصلات، والباحث لا يمكنه جمع جميع النسخ القرآنية ورقياً عنده، لأنّ ذلك يكلفه مالياً ومكانياً.

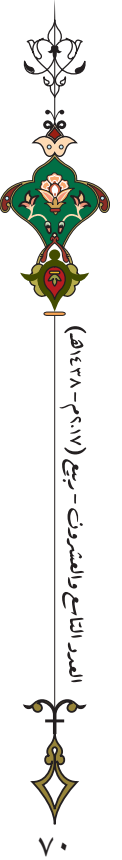
كما أنّ كثرة وجود النسخ القديمة من القرآن الكريم بين يدي الباحثين لا سيّما المتماثلة في الشك والنصّ والمكتوبة في بلدان مختلفة تحدّ من شبهات المستشرقين الذين يدسّون السمّ في العسل ولا يريدون الحقيقة المجرّدة بل يوظفونها لغاياتهم التي لا تريد لنا خيراً.

نعم، إن طبع بعض المستشرقين النسخ القرآنية طبق الأصل لا يغفر ذنب الآخرين منهم الذين يريدون المساس بالإسلام وكتابه المقدس.

وصحيح أنّ الأثرين والمنقبين قد يأتون بنظريات جديدة في بحوثهم، لكن

الإعرابية، وفواصل الآيات، بعضها بالمداد الأحمر، وبعضها بالمداد الأصفر الذهبي، أما متن القرآن الكريم فهو مكتوب بالمداد الأسود فبعضه غامق والآخر صار فاتحاً بمرور الأزمان، وقد تمّ إصلاح بعض الأوراق وإعادة كتابة صفحات هالكة منه، فبعضه يدل على قدمه والآخر على أنّه متأخّر، كما أنّ سمك الصفحات تختلف بعضها عن بعض، وقد كتبت في بعض حواشي المصحف أجزاء القرآن بالذهبي وعليه رسوم زخرفية، وكتب في الصفحة الأخيرة منه وبخطّ كوفي فاتح عبارة (كتبه علي بن أبو طالب في سنة أربعين من الهجرة). وفيها عدد غير متساوٍ من السطور، عدد صفحات المخطوط ٦١٢ صفحة، وهذا المصحف يحتوي على ما يقارب ٩٩٪ من النصّ القرآني.

ولابدّ من الإشارة إلى أنّ المستشرق موريتز [Moritz] نشر في كتابه، نماذج من خطوط مصاحف قديمة تحرزها دار الكتب فقط، وهي ترقى إلى القرون الخمسة الأولى للهجرة مكتوبة على



هذا لا يمكن اعتماده في تفنيد الثوابت، لأن الأمر الثابت والمتواتر لا يمكن تفنيده بمفردة مأخوذة من هنا أو هناك، فذاك هو الرأي والهوى والاستحسان الذي اعتمده المستشرق فلا يمكنه أن يقارع الدليل والحجة والتواتر.

فالكل يدّعي بأنه وقف على أقدم نسخة من القرآن الكريم، فهذا يراه في طشقند تركمنستان/ روسيا، والآخر في جامعة توينغن الألمانية، وثالث في الجامع الكبير بصنعاء/ اليمن، ورابع في المتحف الإسلامي في القدس الشريف، وخامس في جامع عمرو بن العاص/ مصر، وسادس في تركيا، وسابع في إيران، وثامن، وتاسع...

ففي عام ١٩٧٢م عثر عمال الصيانة عند ترميمهم لسقف المسجد الكبير بصنعاء على بقايا أوراق لمصاحف قرآنية قديمة تبلغ عددها ٤٠ ألف ورقة يعود عمر بعضها إلى القرن الأول الهجري.

وقد نشرت صحيفة الاتلانتك الأمريكية في عددها ليناير عام ١٩٩٩ م مقالاً لتوبي لبستر بعنوان (ما القرآن)

ذكر فيه وقوفه على اتصال هاتفي من عالم الماني يدعى جيرد بوين [Gerd puin] الخبير في دراسة المخطوطات القرآنية القديمة والذي أرسلته الحكومة الألمانية الاتحادية في ثمانينات القرن الماضي لمساعدة الحكومة اليمينية في ترميم وصيانة الآثار والمخطوطات اليمينية وذلك بطلب من القاضي اسماعيل الأكوغ رئيس هيئة الآثار والمخطوطات سابقاً.

وقد ادعى بوين في اتصاله الهاتفي مع الصحفي توبي لبستر بأن النصّ القرآني قد تطور عبر الزمن ولم يكن نازلاً من السماء، وذلك لاختلاف بعض النصوص التي عثر عليها عن الأخرى، وقد تصدّى للردّ على كلام بوين الأستاذ فهمي هويدي في مقال له بعنوان (غارة أخرى على القرآن تطعن على تنزيله وصدقته).

فادعاء بوين هو ادعاء فارغ يفتقر إلى الدليل العلمي، وهو مما دعا القاضي الأكوغ أن يستاء من مقالته، وان بوين وزميله بوثرمر أرادا أن يبعثا برسائل اطمئنان - أو قل تكذيب - إلى الأكوغ

گودرزي [Mohsen Goudarzi] من جامعة هارفارد والذي أثبت فيه بشهادات علماء ذهبوا إلى اليمن لرؤية وتصوير هذه المخطوطات، أن السلطات اليمنية كانت قد تعاونت معهم تعاوناً جيداً، وقد سمحت لهم بتصوير المخطوطات من دون أدنى اعتراض.

ففي عام ٢٠٠٧ م سمحت السلطات اليمنية للعالم الإيطالي نوسيدا وعالم الآثار كرستيان روين بأخذ صور لطرس صنعاء المسوح [Sanaa Palimpsest].

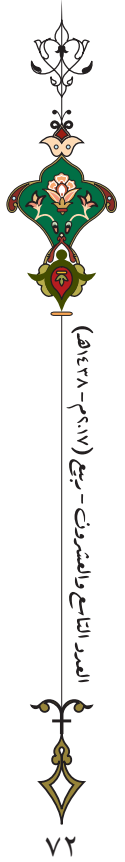
ويقول روين عن زملائه أنهم منحوا قدراً للوصول للمخطوطات أكبر من بعض المكتبات الأوربية. كل هذه الأقوال تخطئ مدعى جيرد بوين في عدم تعاون السلطات اليمنية.

اجل اني قد قرأت أخيراً مقالاً لوسام رامز قبلان بعنوان (التحقيق في مخطوطة القرآن الأقدم المكتشفة في ألمانيا) جاء فيه: (إن نتيجة الفحوصات الفيزيائية بواسطة عنصر الكاربون ١٤ التي أجريت على مخطوطة جامعة توينغن الألمانية من

لتهدئة الموقف، فما قاله بوين في رسالته للأكوع: المهم والحمد لله لا تختلف هذه المصاحف الصنعائية عن غيرها في متاحف العالم إلا في تفاصيل لا تمس القرآن كنصّ مقروء وإنما الاختلافات في الكتابة فقط.

ثم ألقى اللوم على الحكومة اليمنية التي لا تريد أن تذكر دوراً للألمان، في حين أن كلام بوين باطل من عدة جهات اولاً، لأن الحكومة اليمنية كانت هي السبابة في التعريف بهذه النسخ للناس وللمجاميع العلمية، وقد عرضت بعض تلك اللوحات في مناسبات محلية ودولية وبالتعاون مع دار الآثار الكويتية عام ١٩٨٥ م، والذي صدر عنه كتاب (مصاحف صنعاء) وفيه مقالات للأكوع، وحصّة بنت الصباح، وجيرد بوين، وغيرهم، فما يعني تجاهل بوين لدور الحكومة اليمنية آنذاك.

ومما يزيد في تأكيد عدم صحة ادعاء بوين - من إرادة السلطات اليمنية إخفاء المخطوطات - هو البحث الذي قام به الاستاذان بهنام صادقي [Behnam Sadeghi] من جامعة ستانفورد ومحسن



القرآن الكريم لتحديد عمرها أثبتت أنّها كتبت بنحو ٢٠ - ٤٠ عاماً بعد وفاة رسول الله) وهذا هو ادعاء لا يمكن البت بصحته أو خطئه وفق الفحوصات الفيزيائية فقط، بل عليهم اخذ امور اخرى بنظر الاعتبار أيضاً.

وقد زارني البروفسور ميخائيل ماركس ومعه الدكتور كريمي نيا وطرح عليّ أحد مشاريعهم المهمّة في أكاديمية برلين ورائدنبورغ للعلوم وهي تأسيس مشروع الذخائر القرآنية إذ يرمون في مشروعهم إلى إقامة منظومة رقمية علمية تتمّ فيها دراسة القرآن الكريم من خلال البحث في ثلاث محاور: أحدها جمع صور من المخطوطات القديمة ودراستها من حيث منشأها وشكل الحرف المستخدم ولاعجام والتنقيط وغيره. كما أنّ من محاورهم هو دراسة النسخة فيزيائياً لتحديد عمرها.

وقد دار الحديث بيننا حول بعض مدعيات المستشرقين وأنّ ما يقولونه ليس بحقيقة مطلقة حيث يمكن مناقشتها إذ وضّحتُ له عدم صحة ما يقوله بعضهم

وحَتَّى إنِّي ناقشته في ما أراني من نصوص على الحاسوب وأنّه ليس بثابت، إذ يمكن نقضه والحدس بخلافه، وقد أتيت ببعض الأدلة النقضية وقد أوعدني بأن يكتب عن لقائه بي في مجلة ألمانية.

فالأستاذ ماركس كان قد حاضر في مركز البحوث الإسلامية التابعة للروضة الرضوية عن أثر عنصر الكاربون ١٤ واستمع له كثيرٌ من الباحثين، فهو يدّعي بأنّ النسخة القرآنية الموجودة في معهده هي من أقدم النسخ القرآنية في العالم، فقلت له: إنّ ادّعاك ليس بصحيح إذ أقصى ما يمكن أن يدلّ عليه الفحص الفيزيائي هو تقدير عمر النسخة، وأنّها بين سنة ٢٥ - ٤٠ هـ، وهذا لا يعني عدم وجود نسخة أقدم منها في العالم، إذ أنّك لم تطلّع على جميع نسخ القرآن في العالم، كما لا يمكنك إثبات كون المكتوب كان في ذلك التاريخ الذي حدّده الفحص، إذ يمكن أن يكون المكتوب قد كُتِبَ بعد قرنٍ وأكثر من عمره.

وعليه، فنحن لا نجازف كالأخريين بالقول بأنّ نسخة الخزانة الغروية هي



لماذا كذب أندرو هيغنز^(٧٢) الخبر الذي أشاعه أنطون سبيتالر من حرق ارشيف صور المخطوطات القرآنية الموجودة في المعهد اليسوعي التابع لكلية البافارية؟. والذي كان يحتوي على ٤٥٠ لفة فيلم أثناء قيام القوات الجوية بحملاتها، فمما قاله أندرو هيغنز:

إنّ النازيين دفعوا بكل خبراء العربية القديمة من اليهود وغيرهم من الآريين في المجهود الحربي مما أدى إلى تحوّل العلماء المتخصصين في الشرق الأوسط إلى ضبّاط مخبرات ومحققين ومترجمين... ثمّ أضاف قائلاً: خلال القرن التاسع، ابتدع الألمان ثقافة جديدة تعني بالنصوص القديمة، ولقد أدى هذا إلى ثورة في فهم الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى... ثمّ نقل عن السيدة أنجليكا نوويرث (استاذة التاريخ في جامعة برلين المفتوحة والتي تتلمذت على يد السيد سبيتالر والمقربة منه) قولها:

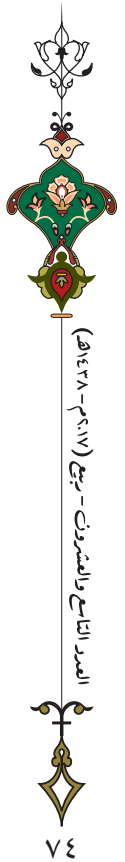
(٧٢) ترجم مقاله الأستاذ عبد الحق بوقلقول تحت عنوان (دراسات المانية حول القرآن).

من أقدم وأنفس النسخ القرآنية او ان عمرها يعود الى سنة كذا وكذا أو أنّ كاتبها هو الإمام علي لاغير، لكننا نقول بكلام ملخصه أنّها نسخة تراثية قديمة وجديرة بالطبع، وهذه النسخة هي شبه نسخة كاملة وهي أكبر من نسخة جامعة توبينغن على وجه القطع واليقين.

لأنّ مخطوطة جامعة توبينغن لا تتجاوز صفحاتها عن ١٥٤ صفحة وقد كتبت بالخط الكوفي وبثلاثة ألوان: البني والأحمر والأسود، وأنّ التشكيل الأحمر لو شوهد فيه فهو مما أضيف إليه في العصور المتأخرة وحين الترميم^(٧١) ونسختنا الغروية هي في ٦١٢ صفحة، مع ايماننا بوجود التشابه بين النسختين في كثير من الأحيان.

فتساءل قائلين: ما يعني اهتمام المعاهد اليسوعية بالمخطوطات القرآنية في أيام الحرب العالمية على وجه الخصوص؟. وما هو السر في ذلك؟. بل

(٧١) من مقال لوسام رامز قبلان (التحقيق في مخطوطة القرآن الأقدم المكتشفة في ألمانيا).



ظلت لفات الفيلم تلك في علب سجائر وصوان بلاستيكية إلى جانب علبة كعك قديمة، ولكنّه حالياً محفوظ في مكان أمن برلين، حيث سوف تشكّل صور هذه المخطوطات قاعدة بيانات.

تعتقد السيدة نوويرث والفريق العامل معها أنّها ستساعد على كشف جوانب كثيرة من تاريخ النصوص الإسلامية.

والنتيجة كما يقول السيد مايكل ماركس -مدير المشروع البحثي- ستكون الخروج بأوّل «دراسة نقدية» للنصّ القرآني، واكتشاف التداخلات بينه وبين النصوص الأخرى في التوراة وغيرها من الكتب المقدسة في الأديان المسيحية واليهودي^(٧٣).

ان نقل امثال هكذا نصوص تؤكد أنّ هدف بعض المستشرقين -ولا سيّما رجال الدين منهم- لم يكن حفظ التراث فقط بل هو المساس بالنصّ القرآني وقدسيته، لكن تحت غطاء البحث

(٧٣) دراسات ألمانية حول القرآن، لأندرو هيغنز.

والتقيب في المخطوطات ومساعدة المسلمين في التعرف على مخطوطاتهم وتراثهم، والسعي معهم لحفظه وضبطه، وهو ملحوظ في أقوال بوتن ودعواه عن الصحف القرآنية التي شاهدها في مسجد صنعاء باليمن.

نعم، قد تأثر بعض الباحثين المسلمين العلمانيين المعاصرين في الدول الإسلامية باقوال علماء الغرب ونظرياتهم وجعلوها أصولاً صحيحة في التحقيق لا يمكن مخالفتها، ساعين إلى معرفة التراث الإسلامي من خلال ما قننه علماء الغرب في معرفة الآثار وتطور الكتابة والخط وكيفية التعرّف على الحبر والورق وأمثال ذلك، لكن جهودهم لم تحظَ بالقبول من جميع المسلمين، وإن تأثر به بعضهم.

وبالتالي فإنّ الفحص الكيميائي والمختبري للمخطوطات والوقوف على كيفية تطور الخط والكتابة من السرياني والحجازي والكوفي وما شابه ذلك لا ننكره وهو صحيح إلى حدّ ما وله أثر في التعرف إلى الحقيقة، لكنّه ليس منتهى المأل.

في العام ١٨٥٧، عرضت أكاديمية باريس جائزة لأحسن «تاريخ نقدي» للقرآن، ولقد فاز بها الألماني ثيودور نولدكه، وهذه الخطوة أصبحت فيما بعد، حجر الزاوية في الأبحاث الغربية المستقبلية، حتّى أن نوويرث تصف هذا الأخير بقوله: «إنّه حجر كنيستنا».

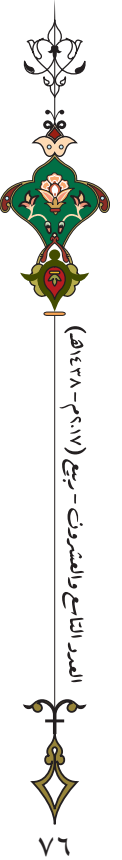
بدأ أرشيف ميونيخ على يد أحد مقربي نولدكه، الذي كان اسمه غوتهلف بيرغستراسر، وبما أنّ ألمانيا كانت قد انزلت انزلاقاً مبكراً نحو الحكم الفاشي في بدايات القرن الماضي، فقد قام هذا الأخير بتجميع النسخ القديمة من القرآن من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، حيث يقول: إنّه صور تلك النسخ بوساطة آلة تصوير من نوع Leica...

وبعدّه تولى العمل مستعرب ألماني آخر، هو أوتو بريتلز، الذي استعمل أيضاً آلة تصوير من ذات النوع، ففي عام ١٩٣٤ وخلال زيارة له إلى المغرب، تمكن من زيارة مكتبة ملكية هناك، كانت تحوي نسخة قديمة من القرآن... إلى أن يقول:

كما يجب أن لا نتغاضى ولا ننسى أيضاً بأنّ الأوروبيين في القرون الوسطى كانوا يسعون لاستغلال الموروث الثقافي عند المسلمين تحت غطاء حفظ التراث وبذريعة العلم والتحقيق.

ولأواصل ما قاله هيغنز في مقاله للتعرف على سر اهتمامهم بالقرآن:

لقد بدأ الأوروبيون دراسة القرآن في القرون الوسطى، وكان الهدف الأبرز وقتذاك هو محاولة الفحص، وبحلول القرن التاسع عشر، بدأت الأبحاث تأخذ طابعاً علمياً عبر دراسات أكثر جدية للنصوص القديمة، وفي هذا المجال كان الألمان سباّقين. وكان التركيز الأساس على التوراة. ولقد حاول القساوسة والحاخامات منع ذلك، إلّا أنّ العلماء ضغطوا وأصرّوا إصراراً تحدّوا النظرة التقليدية للعهدين: القديم والجديد، وهذا ما أدّى إلى تفويض الإيماّن بحرفية الكتاب المقدس، وأسهم اليوم في ولادة العلمانية إسهاماً كبيراً في أوروبا، ولقد أدار هؤلاء -مع مرور الوقت - اهتماماتهم صوب القرآن.



كان السيد بريتلر جامع المخطوطات، يعمل على ما يبدو، لحساب المخابرات العسكرية... ثم تحولت المسؤولية عن الأرشيف بعد هذا إلى إشراف السيد سبيتالر، الذي أسهم في جمع بعض الصور الأخرى، حيث كان يعمل خلال حقبة الحرب في مكتب القيادة الألمانية...

ثم يختم هيغنز مقاله بالقول: في منتصف السبعينات، كانت حياة السيد سبيتالر المهنية في ميونيخ، تقترب من نهايتها، حيث كان على وشك التقاعد، فبدأ حينها بتحريك تلك الصناديق ووضعها في غرفة مجاورة للتي كان يجري فيها مشروع قاموس أكاديمية العلوم البافارية.

وهنا تذكر طالبة الدكتوراه في ذلك الوقت، كاترين مولر، كيف أنها لمحت تلك الصناديق وشاهدت فيها أفلاماً قديمة، إلا أنها حينما سألت سبيتالر عن فحواها، لم تحصل منه على أي جواب، لتدرك الآن أن الأمر كان يتعلق بالمخطوطات القديمة للمصحف.

أما في أوائل الثمانينات، وفي وقت ما يزال الاعتقاد فيه سائداً بأن الأرشيف مفقود، سافر عالمان ألمانيان إلى اليمن^(٧٤)، بقصد الفحص والمساعدة على إعادة ترتيب مخطوطات قديمة هناك، ولقد استغل الرجلان الفرصة، وقاما أيضاً بالتقاط بعض الصور، إلا أنّهما حينما كانا يحاولان إخراجها من اليمن، منعتهم السلطات اليمنية من ذلك. ويروي السيد غيرد روديجر -الذي كان أحدهما- كيف تمكّن بعض الدبلوماسيين الألمان هناك أخيراً من إقناع اليمنيين بالإفراج عن بعضها. يقول السيد بوين: إنّ المخطوطات التي عُرضت عليه توحى له بأن «القرآن لم ينزل من السماء»... ثم يضيف هيغنز بالقول:

ولم يفهم أحد سبب إصرار سبيتالر على إبقاء الأمر لغزاً، فكلّ ما كتبه حول الموضوع، كان هامشاً صغيراً في مقالة نشرها خلال العام ١٩٧٥ حول القرآن

(٧٤) وكلام هيغنز يؤكد ما نقلناه قبل قليل عن بوين وأنه كان وراء التشكيك في القرآن الكريم، وأنّ دعوى تكذيبه نقل الصحفي توبي لستر هو كذب.

بل باحث في التراث، فسألته هل من واجبك هو البحث عن القراءات القرآنية أم التعرف على عمر النسخة والحبر وما شاكل ذلك؟. فقال: هو الثاني.

فقلت: فما يعني قولك بأن الموجود تحت هذه النسخة من القراءات الشاذة والمتروكة، وأنت قد شاهدتها وهل هذا يرتبط بمجال التراث أم بمجال الدين.

باعترفاً أن بعض هؤلاء الباحثين قد استغلوا تخصصهم التراثي للمساس بأعظم كتاب على وجه الأرض الا وهو القرآن الكريم، لكن وحدة النص القرآني، وكثرة نسخه في جميع البلاد، وبخطوط مختلفة، وعند جهات عديدة وعلى مر القرون، فندت أطروحاتهم الخائبة للمساس بالقرآن الكريم.

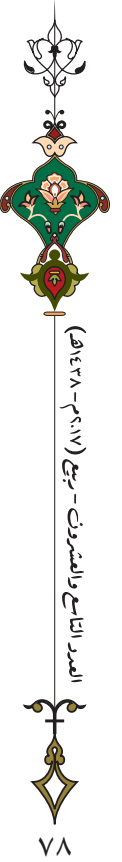
إنّ بحوثاً رخيصة وتشكيكات واهية من هذا أو ذاك لا يחדش بعظمة القرآن وأصالته، كما أنّ توقفنا وعدم بتنا بكون هذه النسخة أو غيرها هي نسخة الإمام أمير المؤمنين أو لا، لا يחדش في قيمة المخطوطة التراثية الموجودة عند هذه الجهة أو تلك او في هذا البلد او ذاك.

ادعى فيها ضياع الأرشيف وقت الحرب، إلى جانب قوله: «لقد غيرت أوضاع عالم ما بعد ١٩٤٥ الظروف، ولم يعد من الممكن الاستمرار في المشروع».

فالسؤال: ما هو هدف المستشرقين الغربيين الاهتمام بجمع المخطوطات القرآنية وفي أيام الحرب العالمية على وجه الخصوص أو قبلها بقليل.

وما يعني إثارة بعضهم بعض الشبه الواهية وادعاءهم الوقوف على صحف كانت مكتوبة فيها آي من القرآن الحكيم غير المتداول بين ايدينا اليوم ثم محيت تلك الكتابات وكتب عليها شيء يطابق الموجود، ثم ظهور الكتابات القديمة الأولى تارة أخرى من تحت الكتابة الحديثة، وفيها قراءة متروكة وشاذة لأحد الصحابة لا يقرأ بها المسلمون اليوم؟. فما يعني طرح هكذا أقوال من باحثين في الآثار لا علماء في الدين؟.

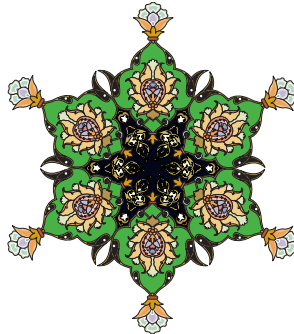
وقد سألت الأستاذ ميخائيل ماركس حين زيارته لي عن عمله وهل هو عالم دين، أعني أنه حاخام أو قس، أم أنه باحث في التراث، فقال لست بعالم دين



ومن كل ما تقدم عرفنا أهمية العمل التراثي وضرورة لزوم الحذر ممن يعتقدون النسخ قديماً أمثال الدانيالي وممن يثرون الشبه حديثاً كبعض المستشرقين والباحثين التراثيين الموجودين هنا وهناك.

المهم هو: أننا نعتزّ بهذا المصحف الشريف الموجود في الخزانة الغروية، وننبرك به، لكونه أولاً هو كلام الله المجيد، وثانياً لانتسابه إلى أمير المؤمنين علي، وثالثاً لأنه نص تراثي قديم يؤكّد وحدة النص القرآني عبر اجيال متعاقبة، وهو ليس باقل من التبرك بالشبّاك الفضّي لضريحه الطاهر والأبواب والجدران والستائر لحرمة الشريف.

فنحن نقدّس هذا المصحف ونحترمه لأنه يحوي نصّ القرآن الكريم، مؤكّدين للجميع بأنّ المصاحف الموجودة بأيدينا، والمنسوبة إلى ائمتنا، والمحفوطة في خزائن مشاهدهم المشرفة وفي بلدان متعددة ومختلفة لا تختلف عن المصحف الموجود بأيدي المسلمين اليوم ترتيباً ومحتوى، ولأجل كلّ ذلك اهتمّت الأمانة العامة للعتبة العلوية المطهرة في طبعه وإخراجه كما هو طبقاً للأصل (فاكسيميل) كي تدلّل على وحدة النصّ القرآني عند جميع المسلمين، وعبر جميع القرون، اذن القرآن هو قرآن جميع المسلمين لا قرآن طائفة خاصة بعينها.



لَمَّا خَلَقْنَا
الْإِنسَانَ
فَأَنبَأَهُ
أَنَّهُ كَرِيمٌ
لَمَّا خَلَقْنَا
الْإِنسَانَ
فَأَنبَأَهُ
أَنَّهُ كَرِيمٌ



تَرْيْفُ الْمَخْطُوطِ الْعَرَبِيِّ لَدَى الْمُسْتَشْرِقِينَ

المستشرق آرثر جيفري مثلاً

أ.ر. حسن منديل حسن العليبي

كلية التربية للبنات - جامعة بغداد

فحوى البحث

البحث يدور حول كتاب (مقدمتان في علوم القرآن) الذي حققه ونشره ارثر جيفري في العام ١٩٥٤ والذي أثار جدلاً بين الدارسين المختصين والمحققين، ولم يهتدوا الى صاحب مقدمة كتاب (المباني لنظم المعاني) الى يومنا هذا. اذ يعتقد السيد الباحث بأن هذه المقدمة هي من وضع المستشرق (جيفري) وبالتعاون مع آخرين، هدفهم في ذلك الإساءة للقرآن الكريم بدوافع خبيثة. اذ أن المقدمتين تنطويان على بعض المطاعن في القرآن الكريم وادعاء الزيادة والنقص فيه والتي وردت على شكل روايات يردّها صاحب كتاب (المباني)، والتي اثارت جدلاً حاداً بين الباحثين.

الخلاصة:

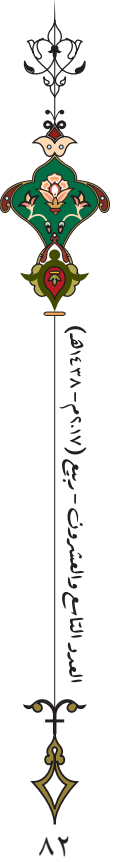
وسلبه الاعجاز. الا ان مشاغل التحضير للدكتوراه آنذاك لم تسمح لي باثبات ذلك. وقد كان حب البحث والتحقيق دافعا لمعاودة البحث بالموضوع وجمع أدلته. وبعد الدراسة والتحقيق وصلت الى أدلة قاطعة تثبت ما ذهبت اليه ذكرتها في ثنايا البحث وقد استندت الى أدلة عقلية منطقية في الغالب. والحمد لله رب العالمين والله هو الهادي الى الرشاد. وأعوذ به من أن يكون كلامي شططا، اللهم واجعل عملي هذا لوجهك الكريم خالصا واكتبني من المدافعين عن كتابك الكريم.

فرضية البحث:

عند اطلاعي على مقدمة كتاب المباني ساورتني الشكوك بصحتها ذلك أنها في مضمونها تجمع كثيرا من الرويات التي تنطوي على بعض المطاعن في القرآن الكريم، وكثرة الخلافات في القراءات القرآنية وادعاء الزيادة والنقص في القرآن الكريم وغير ذلك من المطاعن التي وردت على شكل روايات يردّها صاحب كتاب المباني. لكن بطريقة

على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها المستشرقون في دراسة تراثنا الاسلامي والعلمي وتحقيقه، الا ان بعضهم حاول الإساءة الى لاسلام والطعن بالقرآن الكريم، موظفا التأليف والتحقيق والنشر لهذه الاساءة، من هؤلاء المستشرق آرثر جفري ولاسيما في تزييف احدي مقدمتي كتاب: (مقدمتان في علوم القرآن). الذي حققه ونشره سنة ١٩٥٤. والذي أثار جدلا بين الدارسين المختصين والمحققين، ولم يهتدوا الى صاحب مقدمة كتاب المباني لنظم المعاني الى يومنا هذا بعد أكثر من نصف قرن على نشره على الرغم من التنقيب والبحث، وفي ضوء تقدم التحقيق ونشر التراث وتقدم وسائل الاتصال وفهرست التراث العربي المخطوط في العالم.

فعند اطلاعي على الكتاب قبل ثلاثين سنة تقريبا ساورتني الشكوك في محتوى المقدمة الأولى (المباني لنظم المعاني) بأنها من وضع المستشرق آرثر جفري نفسه للطعن بالقرآن الكريم



آنذاك^(١).

تمهید:

الاستشراق العلمي والاستشراق

المغرض...

لا نجحـد الجهود التي بذلها المستشرقون في مجال الدراسات القرآنية سواء على مستوى التأليف، أو جمع المخطوطات وفهرستها وتحقيقتها ونشرها وترجمتها عن العربية إلى مختلف اللغات الأوروبية. ويعد عملهم هذا خدمة جلية للتراث العربي الإسلامي، استفاد منه علماءنا وباحثونا، فأضافوا عليه نتاجات قيمة^(٢).

ففي مجال فهرسة القرآن الكريم وتفاسيره وعلومه، بذلوا جهودا حثيثة ككتاب كارل بروكلمان، وكتاب - نجوم الفرقان في أطراف القرآن للمستشرق كوستاف فلوجل) وهو فهرست مرتب

تؤدي إلى الشكوك في تراثنا في الدراسات القرآنية. لا تنأى كثيرا عما ذكره جفيري في مقدمته لكتاب المصاحف من افتراءات. في ضوء اهتمام المستشرقين بتاريخ القرآن الكريم والتأليف بصورة مغرصة منحازة وليس بدراسة علمية موضوعية.

لذلك افترضت الفرضية الآتية: إنَّ مقدمة كتاب المباني من وضع المستشرق آرثر جفيري نفسه أو بالتعاون مع مستشرقين آخرين ولا سيما المستشرق تيو دور نولدكة صاحب كتاب تاريخ القرآن الذي اعتمد نسخة المخطوط الكتاب، وقد زيفت هذه المقدمة للطعن بالقران الكريم من حيث المباني والمعاني لسلبها الاعجاز القرآني..

وقد تكون المخطوطة من فعل مستشرقين آخرين سابقين عليهم أرادوا الإساءة إلى الدين الإسلامي الخفيف والقرآن الكريم الذين كانوا يجاربون الإسلام بكل السبل. لاسباب سياسية وصراعات دينية ولا سيما في العصر العثماني وتهديدهم دول أوروبا

(١) لذلك عندما ترجموا القرآن الكريم سموه بالكتاب المقدس التركي ينظر مقدمة نولدكة تاريخ القرآن ١١.

(٢) المصدر نفسه. وينظر: المستشرقون، نجيب العقيلي تفصيل آيات القرآن الكريم ومفتاح كنوز السنة.

في عصر الخلفاء للطعن فيه بدهاء مدعين الموضوعية العلمية مبطنين طعنا خفيا في القرآن الكريم والإسلام.. اذ كانت غايتهم غير المعلنة في دراساتهم القرآنية اثبات ان القرآن الكريم من كلام البشر (محمد ﷺ) لنزع الاعجاز عنه. واعتمدوا في اثبات ذلك على كتب وروايات منحرفة ضعيفة منقطعة عن الوحي. وعجبا لبعض علماء الإسلام الذين نقلوا مثل هذه الروايات التي ورد جزء منها في مقدمة المباني، تتقاطع مع العقل من غير تمحيص وتدبر مصدرها الطاعنون بالقرآن الكريم أو الجاهل.

من ذلك كتاب: (مقدمتان في علوم القرآن) موضوع البحث الذي تعاون على تزييفه وإصداره عدد من المستشرقين منهم نولدكة وأرثر جيفري الذي حققه. والذي كان من مصادرهم المهمة وهو لمؤلف مجهول. وقد بذل الدارسون العرب منذ عشرات السنين في نسبة الكتاب لكن لم ينسب الكتاب الى مؤلفه الحقيقي نسبة حقيقية نظمتن اليها من غير شكوك.

على حروف المعجم للكلمات الواردة في القرآن الكريم. وفي مجال التحقيق، عكف المستشرقون على تحقيق مجموعة من المخطوطات التي لم تعرف النور إلا على أيدي هؤلاء المستشرقين .

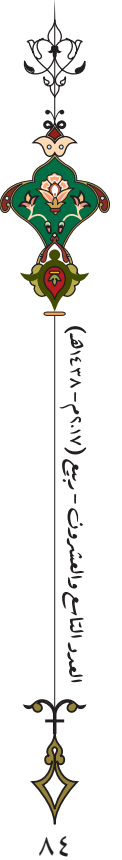
وأصدروا مجلات منها آسيوية وفرنسية وإنجليزية وألمانية ونمساوية وإيطالية وأمريكية، لم تترك بابا إلا قرعته، ولا بحثا إلا طرقته، وقد بلغت المجلات والدوريات التي تشتغل على القرآن الكريم في موضوعات مختلفة عامة وخاصة، فأوصلها ثلاثائة ونيف مجلة كما أحصاها الدكتور أحمد نصري^(٣).

وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي بذها المستشرقون في خدمة تراثنا الاسلامي العلمي، الا ان بعض المستشرقين حاول الاساءة الى الاسلام والتأمر عليه من خلال أعمالهم العلمية: أمثال نولدكة وبرجستر وأرثر جيفري وغيرهم من الذين درسوا أصول القرآن

(٣) د. أحمد نصري/ الاستشراق العلمي:

[http:// vb. tafsir. net/](http://vb.tafsir.net/)

tafsir36702/sixzz2bqAfu8d



وقد أعتد الباحثون وطلبة الدراسات على كتاب مقدمتان في علوم القرآن منذ صدوره أي قبل أكثر من ستين عاما ونقلوا منه وأحالوا عليه وبنوا آراءهم ونتائج بحوثهم على هذا الكتاب مجهول المؤلف.

الفصل الأول:

التعريف بالكتاب والدراسات السابقة:
كتاب ((مقدمتان في علوم القرآن)) بتحقيق المستشرق الاسترالي آرثر جيفري، ضمّ مقدمتين لتفسيرين هما: ((كتاب المباني لنظم المعاني)) لمؤلف مجهول ومقدمة تفسير ابن عطية المعروف. ثم قام الأستاذ: عبد الله إسماعيل الصاوي بتصحيح الطبعة الثانية ((وقوم نصها وألحق بها استدراقات وتصويبات للطبعة الأولى)). نشرته مكتبة الخانجي سنة: ١٩٥٤م.

وقد شرع مؤلف كتاب المباني في تأليفه «يوم الأحد غرة شعبان ٤٢٥ هـ» (٣) أي ٣ شعبان ٤٢٥ هـ / ٢٣ يونيو ١٠٣٤ م. وقد وصلنا في نسخة وحيدة، ومؤلفه غير معروف لدينا لأن الصفحة

الأولى من المخطوطة مفقودة. وكانت هذه المخطوطة مركز عناية المستشرقين المغرضين من دون المخطوطات الكثيرة فقد عنوا فيها عناية كبيرة وكان من أهم مصادرهم في مؤلفاتهم التي شككوا في القرآن الكريم. قال كلود جيلو مقدمة بحثه: لتيودور نولدكه (١٨٣٦ - ١٩٣٠)، ثم فريدريك شوالي (١٨٦٣ - ١٩١٩) وكوتلف برجستراسر (١٨٨٦ - ١٩٣٣) سبق في الاطلاع على المؤلف ولفت الانتباه إلى أهميته.

وتفسير المباني هذا يوجد قطعة منه في مكتبة الدولة ببرلين تبدأ من سورة الفاتحة إلى سورة الحجر برقم ١٠٣١ كما في الفهرس الشامل الصادر من مؤسسة آل البيت بالأردن قسم التفسير ٩١٩. وصورة هذه المقدمة محفوظة بمركز الملك فيصل تحت علوم القرآن برقم (٢٦٧٩ - ٢ - ف).

وهي من مصادر المستشرق الألماني نولدكه اذن في كتابه ((تاريخ القرآن)). وإنّ تلميذ نولدكه وهو المستشرق

الجزري، ولكن لم يتيسر له ذلك، وأشار إلى أن هذه المخطوطة قد انتفع بها نولده في كتابه الشهير (تاريخ القرآن) وغيره من المستشرقين.

وكان (نولده) أول من نبه إلى المقدمة، ورجع إلى مخطوطته الفريدة التي تحتفظ بها مكتبة برلين، ثم قام الإنجليزي آرثر جيفري بتحقيق مقدمة التفسير، وضم إليها مقدمة تفسير ابن عطية (ت ٥٤٣هـ) وتولت دار الخانجي في القاهرة نشر المقدمتين سنة ١٩٥٤م بعنوان (مقدمتان في علوم القرآن) ثم أعادت نشره سنة ١٩٧٢م بتصحيح عبد الله إسماعيل الصاوي..

وتقع المقدمة الاولي وهي لكتاب المباني لنظم المعاني، في عشرة فصول مطولة تناولت: المكي والمدني، ونزول القرآن، وجمع القرآن وكتابة المصاحف، واختلافها، ورد الشبهات الواردة على الجمع والمصاحف وبيان عدد السور والآيات والتفسير والتأويل، والمحكم والمتشابه ونزول القرآن على سبعة أحرف، إلى غير ذلك. وفي الفصل

((شوالي)) استعملها بعد شيخه^(٤). وكان براجستراسر يدعو إلى الإفادة من هذه المقدمة وكان عازما على تحقيقها ونشرها بعد انتهائه من نشر كتاب ((غاية النهاية)) لابن الجزري لكن ظروفًا قاسيةً حالت دون إنجاز قصده. قبل وفاته بستين.

وقد ذكر جيفري في مقدمة تحقيقه: أنه أعدّ هاتين الرسالتين لأصدقائه في المشرق والمغرب تلبيةً لرغبةٍ عبّر عنها الأستاذ براجستراسر^(٥)، وقد نشرهما آرثر جيفري من المخطوطات المحفوظة في دار الكتب ببرلين، ودار الكتب المصرية، وقد أشار إلى أنه نشر هاتين المقدمتين لأهميتهما، ولحرص المستشرق برجستراسر من قبله على نشرهما بعد فراغه من نشر كتاب ((غاية النهاية)) لابن

(٤) ((كتاب المباني لنظم المعاني لم يُعَدِّ مجهول المؤلف)) إعداد د/ السالم محمد محمود أحمد الشقيطي، في جامعة طيبة بالمدينة المنورة ١٤٢٦هـ.

(٥) ينظر: مقدمتان في علوم القرآن مقدمة التحقيق و بحث ((كتاب المباني لنظم المعاني لم يُعَدِّ مجهول المؤلف)) إعداد د/ السالم محمد محمود أحمد الشقيطي ص ٣.

الأخير الحادي عشر وهو متن الكتاب فسر المؤلف آيات القرآن الكريم، مشيراً إلى معانيها بشكل إجمالي. وقد ضم المخطوط خمس عشرة سورة من سور القرآن الكريم من فاتحة الكتاب حتى سورة الأحزاب.

لقد أثارت مقدمة كتاب المباني بين الباحثين جدلاً ونقاشاً وخلافات وبذلوا الجهود والوقت في توثيق نسبة الكتاب فألفوا الأبحاث والدراسات وكثرت الآراء واشتد الخلاف والنقاش والردود بينهم. ويمكن تقسيمهم على ثلاثة مجموعات كل مجموعة ترجح نسبة الكتاب الى عالم مغاير وكالآتي:

١. الشيخ أبي محمد حامد بن أحمد بن جعفر بن بسطام المتوفى بعد سنة ٤٢٥هـ. وهذا ما رجحه الدكتور غانم قدوري الحمد في بحثه وتبعه الأستاذ محمد الجكني الشنقيطي.

٢. أبو محمد أحمد بن محمد بن علي العاصمي مؤلف كتاب زين الفتى في شرح سورة هل أتى (الذي عاش نحو العام ٤٢٥هـ والمولود سنة

٣٧٨هـ) كما ذهب جلّ الباحثين منهم كاظم رحمتي وأبو يوسف والكفراوي، والأستاذ سامر رشواني ومحقق كتاب (زين الفتى في شرح سورة هل أتى) لأحمد بن محمد بن علي العاصمي^(٦)، ذهب إلى أن مؤلف هذا الشرح هو نفسه مؤلف كتاب (المباني).

٣. فريق آخر درس مقدمة المباني والأعلام وأسانيد الرواة التي وردت فيها والمؤلفات وغير ذلك، لكن لم يقطعوا بمؤلف محدد مثل المستشرق الفرنسي كلود جاوييد الفرنسي ومن تبعه من الدارسين. قال في ملخص بحثه: استطعنا التعرف على عدد من شيوخ المؤلف ولكن دون التوصل إلى تحقيق هوية المؤلف.

وقد نشرت محاوره علمية طويلة في الموقع الإلكتروني منتدى أهل التفسير^(٧) شارك بها المعنيون بالموضوع من

(٦) [ترجم له القفطي في إنباه الرواة ١ / ١٣٣].

(٧) موقع ملتقى أهل التفسير // <http://vb.tafsir.net/forum2/thread4905-3.html>

أدلة ترجح نسبة هذا الكتاب اليه وقد توصل الى هذا الرأي من خلال دراسة أسانيد كتاب (الإيضاح في القراءات العشر واختيار أبي حاتم وأبي عبيد) لأحمد بن أبي عمر الأندرابي المتوفى بعد سنة ٥٠٠هـ الذي كان تلميذاً لابن بسطام، والمقابلة بين الروايات التي وردت في الكتابين المباني والايضاح^(٩).

• وتبعه الدكتور السالم محمد محمود أحمد الشنقيطي الجكني^(١٠): الذي رجح ان تكون نسبة الكتاب الى ابن بسطام أيضاً، تناول اسمه وكنيته ولقبه. وعقيدته وشيوخه وتلامذته...^(١١)، توصل الى ذلك

(٩) ينظر بحث الدكتور غانم قدوري الحمد تحت عنوان: (مؤلف التفسير المسمى: كتاب المباني لنظم المعاني)، مجلة الرسالة الإسلامية (١) ببغداد، في عددين متتاليين هما العدد رقم ١٦٤ والعدد ١٦٥ عام ١٤٠٤هـ. (ص ٢٤٣-٢٥٥).

(١٠) ((كتاب المباني لنظم المعاني لم يُعدَّ مجهول المؤلف)) ١٦.

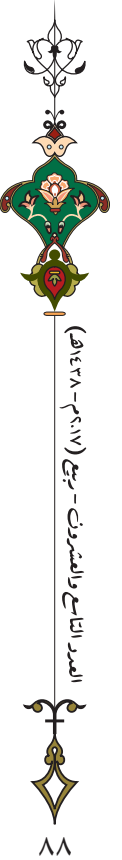
(١١) في بحثه: ((كتاب المباني لنظم المعاني لم يُعدَّ مجهول المؤلف)) ص ٦

المحققين والباحثين دعا اليها الدكتور عبد الرحمن الشهري في ١٧ / ٠٣ / ٢٠٠٦ بعنوان: (من هو مؤلف تفسير (المباني في نظم المعاني) الذي نشره آرثر جفري مقدمته؟) فأدلى الباحثون بأراء مختلفة ومادة مهمة جمعت في رابط واحد، انتفعت بها كثيرا في هذا البحث. لكن النقاش العلمي هذا لم يصل الى رأي قاطع في نسبة الكتاب نظمن اليه. فكل رأي وجهت اليه اعتراضات وشكوك، مما دفعني لأن أدلي بدلوي بين الدلاء عسى أن يكون فيصلا في ذلك ان شاء الله. وهو رأي توصلت اليه قبل ثلاثين سنة لم أفرد له بحثا.

وفيما يأتي التفصيل باذن الله تعالى وذكر ادلة كل فريق ثم أذكر رأبي:

• الدكتور غانم قدوري الحمد^(٨): نسب كتاب (المباني في نظم المعاني) للشيخ أبي محمد حامد بن أحمد بن جعفر بن بسطام الطحري وذكر

(٨) البحث منشور بمجلة الكتب الاسلامية العدد السادس [http:// www. i -b.com/ara/06/article/02.htm](http://www.i-b.com/ara/06/article/02.htm)



من خلال ترجمة شيخه ابن الهيصم، في ((غاية النهاية)) لابن الجزري ومن تلميذه الأندراي صاحب كتاب ((الإيضاح في القراءات)). الذي نقل نصوصاً عن شيخه حامد بن أحمد موجودة في كتابه ((المباني)) وعن غيره من شيوخه^(١٢)، وجده نقل منه في سبعة وعشرين مسألة ما بين حديث وأثر كلها عن حامد بن أحمد بن جعفر وصرح باسم ابن بسطام ولم يذكر العاصمي^(١٣).

وهي أحاديث واثار تشترك في نقلها كل المصادر. فضلا عن كون الشنقيطي لم يرجع الى الكتاب المخطوط كله وانما رجع الى المقدمة التي نشرها جيفري التي نشكك بصحتها. فضلا عن ذلك ليس في قول ابن الجزري في ترجمة ابن الهيصم: (اعتمد عليه أحمد بن عمر صاحب ((الإيضاح)) وروى عن حامد بن أحمد عنه فوائد في كتابه) ما يدل على أن الأندراي روى عن ابن بسطام وابن

(١٢) المصدر نفسه ص ٢٠ وص ١٨.

(١٣) نفسه ٦ و ١٦.

الهيصم القراءات بالأسانيد، وإنما روى عنهم فوائد متفرقة غير مقيدة. فضلا عن أن كنية حامد أبو محمد، وكنيته أبو جعفر كما في المخطوط أثناء سورة البقرة^(١٤).

• الأستاذ محمد كاظم رحمتي: يرى رحمتي أن مؤلف كتاب «المباني لنظم المعاني»، و «زين الفتى في شرح سورة هل أتى» عالم واحد هو (هو أبو محمد أحمد بن محمد بن علي العاصمي (الذي عاش نحو العام ٤٢٥هـ)^(١٥)، «من خلال الموازنة بين نصوص الكتابين، وقد أشار

(١٤) ينظر تعقيب د عبد الشهري ملتقى اهل التفسير.

(١٥) [http:// rahmati. kateban. com/ print/ 1604](http://rahmati.kateban.com/print/1604)

com/ print/ 1604 البحث منشور

مترجم الى العربية في موقع اسمه رحمتي

بعنوان ملاحظات حول النسختين الكراميتين جاء فيه. و البحث منشور

بمجلة الكتب الاسلامية العدد السادس

[http:// www. i -b -q. com/](http://www.i-b-q.com/)

ara/ 06/ article/ 02. htm وكتب

بحثاً مطولاً بالفارسية أكد فيه ذلك منشور

في موقعه الالكتروني باللغتين الفارسية

والعربية.



المباني في المواضع التالية:
 مثل قوله: على ما ذكرنا في كتاب
 الإبانة والإعراب وفي كتاب المباني لنظم
 المعاني^(١٧). وعن خصائص سورة هل أتى
 يقول العاصمي: وأما الذي وعدناه من
 ذكر نظم هذه السورة بعد ذكر فوائدها
 فهو أحق ما نفتتح به بعد الفراغ من ذكر
 الفوائد وإن كنا قد أوردنا لنظم آيات
 القرآن كتاباً وعنواناً بكتاب المباني لنظم
 المعاني و بيناً [هناك] مقدمات الكلام
 في هذا الفن الذي لا يسع لمن يتكلم في
 القرآن الاغفال عنها...^(١٨). ويقول:
 وقد بيّنت وجوه الاحتجاج التي في
 هذا الفصل في كتاب المباني لنظم المعاني
 فكذلك المرتضى رحمته الله^(١٩).

وتبعه أبو يوسف الكفراوي في ذلك
 الترجيح قال: مؤلف كتاب «المباني»

(١٧) مخطوطة زين الفتى، الورقة ٤١؛ العسل
 المصنفى، ج ١ ص ٨٤-٨٥).

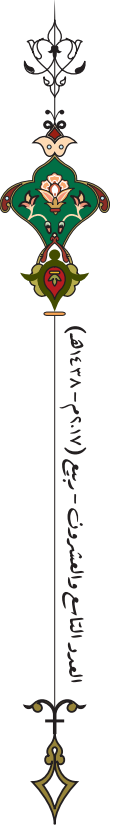
(١٨) نفس المصدر السابق، المخطوطة، الورقة
 ٤٨ ب؛ العسل المصنفى، ج ١ ص ٩٦ و
 مخطوطة زين الفتى، الورقة ٥٢؛ العسل
 المصنفى، ج ١، ص ١٠٢).

(١٩) (زين الفتى، الورقة ٢٠٦؛ العسل
 المصنفى، ج ٢، ص ٨).

العاصمي في كتابه زين الفتى^(١٦)
 إلى تأليفه كتاب المباني، وكتباً
 أخرى ورد ذكرها في كتاب المباني
 والاحالات على كتبه والأسانيد
 والاشترائك في النقل عن ابن الهيصم
 شيخه بالنص حرفاً حرفاً. والنقل
 عن كتاب أبي سهل الأنباري (فيه
 ما فيه). واتحادهما طبقة وبلداً،
 وهما من كتب الكراميين التي تنقل
 بعضها عن بعض مثل: كتاب (فيه
 ما فيه) لأبي سهل محمد بن محمد بن
 علي الطالقاني الأنباري.

ووازن رحمتي بين مخطوطة زين
 الفتى: وكتاب زين الفتى الذي نشره
 الأستاذ محمد باقر محمودي بعنوان
 العسل المصنفى في تهذيب زين الفتى.
 وقد وردت إحالات للعاصمي إلى كتاب

(١٦) مقدمة كتابه «زين الفتى في شرح سورة
 هل أتى»، هذبه وعلق عليه الشيخ/
 محمد باقر المحمودي، وسمى التهذيب:
 «العسل المصنفى من تهذيب زين الفتى في
 شرح سورة هل أتى»، ونشره مجمع إحياء
 البحوث الإسلامية في مدينة قم الإيرانية،
 وصدرت الطبعة الأولى سنة ١٤١٨ هـ.



بعد ٤٢٧ هـ)، كما لم يذكر أنه نقل عن كتاب له (٢٠).

ومع ذلك ثمة اعتراضات وشكوك وأستئلة ليس لها جواب أهمها: ردّ الدكتور غانم الحمد: (لم يتضح لي مما عُرِضَ عن كتاب زين الفتى الأساس الذي تقرر بموجبه نسبة الكتاب إلى العاصمي، وهل ذُكِرَ اسمه في أول الكتاب وفي داخله، وهل الأسانيد في الكتاب تؤيد هذه النسبة وتؤكدها؟. وما مقدار علاقة النصوص التي نقلها الأندرابي عن ابن بسطام بالنصوص الواردة في كتاب زين الفتى؟.

ثم ان سائر الكتاب التفسير لم يقابله مع النصوص وهذا يعني ان المقدمة غير الكتاب) (٢١).

وان العاصمي هذا شيعي المعتقد كما يبدو من خلال أقواله في كتاب زين الفتى. أما صاحب كتاب المباني فمذهبه كرامي أو سني كما أكد الدارسون،

(٢٠) ينظر ملتقى اهل التفسير // <http://vb.tafsir.net/forum2/thread4905-3.html>

(٢١) المصدر نفسه.

هو العاصمي، والأدلة على ذلك كثيرة جداً؛ منها: ورود اسم المؤلف في أول الكتاب، ونقل بعض علماء القرنين السادس والسابع الهجريين عن كتابه هذا، وتصريحهم بأنه من تصنيفه. وإن من يقارن بين الكتابين يجد توافقاً كبيراً في المنهج والأسلوب وأن المؤلفات: «الدرر في ترفيع السور»، و «الزينة في سؤالات القرآن»، و «الغرر في أسامي السور» التي ذكر مصنف «المباني» أنها من تصنيفه، وأحال عليها قد وردت الإشارة إليها وإلى غيرها في كتاب «زين الفتى» في أكثر من موضع، منسوبة لمؤلفها أبي محمد العاصمي... وزاد عليها: «ديباج المذكرين»، و «المباني لنظم المعاني»...

كما أن جل الشيوخ الذين روى عنهم مصنف «المباني» روى عنهم العاصمي في «زين الفتى»، ويضاف إلى ذلك: أن أبا عبد الله الأندرابي لم يدع أن كتاب «المباني» من تصنيف شيخه أبي محمد حامد بن أحمد بن جعفر بن بسطام الطحيري (الطحيري) الزاهد الورع (ت

ومتكلم كرامي...).

رأي في حقيقة كتاب المباني:

والذي أراه أن مخطوط كتاب المباني من صنعة عدد من المستشرقين منهم جيفري، إذ تشير دلائل كثيرة على ذلك وعلى تلفيق المقدمة من كتب عدة، ومن ثم ألحقت بتفسير يتناول الاحكام النصي والدلالي في بعض سور القرآن الكريم وآياته مما كان يسمى بعلم المناسبة، فعند اطلاعي على الكتاب قبل ثلاثين سنة تقريبا ساورتني الشكوك في محتوى المقدمة الأولى وأفترضت أنها من وضع المستشرق آرثر جفري نفسه أو بالتعاون مع مستشرقين آخرين ولا سيما المستشرق تيو دور نولدكة صاحب كتاب تاريخ القرآن للطعن بالقران الكريم الذي طعن بالقران من حيث المباني والمعاني أيضا لسلبها الاعجاز.. وقد تكون مخطوطة الكتاب من وضع وصنعة آخرين أرادوا الإساءة الى الدين الإسلامي الحنيف والقرآن الكريم الذين حاربوا الإسلام بكل السبل وهم كثيرون في أوروبا أنحاء الحروب الصليبية، لاسباب سياسية

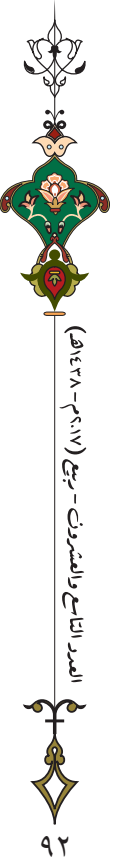
من خلال موقف التبجيل والتقدير والاحترام للصحابة عمر وابي بكر رضي الله عنهما والسيدة عائشة رضي الله عنها. فضلا عن ردود صاحب الكتاب على بعض المسائل التي يقول بها بعض الشيعة وعلى امامهم ^(٢٢).

وقد أكد معتقد العاصمي الكرامي المستشرق الفرنسي كلود جليو ^(٢٣) في بحثه ^(٢٤) الذي درس مصادر الأحاديث المنقولة في كتاب المباني مع تراجم للرجال الذين يتضمنهم. وقال جليو في ملخص دراسته: (ولكن الشيء الأكيد أن المؤلف خراساني أو نيشابوري غالبا من نيشابور

(٢٢) ينظر مقدمتان في علوم القران مقدمة المباني: ص ٢٤س٨: وقوله ص ٨٢ س ١٧ ص ١٩١س٢: وكقوله ص ٢٠٣ س ١٤ كقوله ص ٥٨ س ٧: وقوله ص ٥٩ س ٢٠: كما في ص ٤٠ و ١٨٤.

(٢٣) أستاذ بجامعة بروفانس، قسم اللغة العربية والدراسات الاسلامية، ٢٩ شارع روبرت شومان ١٣٦٢١ اكس ان بروفانس، سيديكس ١. مستشرق فرنسي مهتم بتراث المسلمين - في علوم القرآن وعلم الكلام خاصة - في بلدان وسط آسيا.

(٢٤) (علوم القرآن عند كرامية خراسان: كتاب المباني) ترجمة الدكتورة أم عاصم.



وصراعات دينية وفي العصر العثماني الذي شهد صراعا مع اوربا لذلك عندما ترجم القران في أوربا أطلقوا عليه الكتاب المقدس التركي (٢٥).

الا ان مشاغل تحضير الدكتوراه أثنيتي عن اثبات الفرضة في بحث. وبعد الدراسة والتحقيق وصلت الى أدلة تثبت ما ذهبت اليه منها وسأدلو بدلوي بين الدلاء دفاعا عن ديننا الحنيف وكتاب الله والله هو الهادي الى الرشاد.

ليس غريبا عليهم تزييف نص بل فعلوا اكثر وقتلوا وشردوا واستعمروا ومحاولاتهم للقضاء على الدين واثبات القران كلام محمد ﷺ وليس معجزا ولن يفلحوا.

ونجد كثرة المطاعن في الروايات مادة الكتاب التي لا تتطابق مع عنوان الكتاب.

ويبدو ان الكتاب جمع روايات للمستشرقين الذين حاولوا الطعن في القران الكريم من التراث الإسلامي ويؤكد ذلك ان المستشرقين الثلاثة

(٢٥) ينظر مقدمة نولدكة تاريخ القران.

وتلاميذهم اعتمدوا عليها واراد برجسر نشرها قبل موته بستين لكن ظروفه منعتهم وجاء جفري لتحقيق رغبته كانوا يهتمون في دراسة تاريخ وتطور قراءاته من أيام الخلفاء الى قراءة حفص المشهورة المتداولة بين أيدينا (تصدير الكتاب جفري ٣).

فهي مقدمة عني بها المستشرقون عناية كبيرة وبذلوا جهودا كبيرة لنشرها بهذه الطريقة الملفقة، وكانت من أهم مصادرهم في كتبهم على الرغم من انها مجهولة المؤلف، وقد بنوا عليها حقائق ونتائج وهو عمل ينافي أصول البحث والتحقيق العلمي الرصين الذي يجب الالتزام به وأعني تحقيق ونشر جزء من مخطوط مجهول المؤلف، وهم لا يجهلون أساليب التحقيق العلمي ولكن كانت لهم غاية مبطنة.

إن عناية المستشرقين بنسخة تثير الجدل فريدة مجهولة المؤلف والناسخ خالية من تاريخ النسخ ليثير الشكوك في عنايتهم هذه، ذلك لانها نسخة ينافي تحقيقها شروطه التحقيق ويمنع الاعتماد

أحدهما معروفة صحيحة النسب الى صاحبها، وأخرى مجهولة النسب لسقوط الورقة الأولى من المخطوط وذلك ليزيد اللبس على الدارسين. ولماذا لم ينشر مخطوط الكتاب كله المقدمة والتفسير وقد بلغت هذه المقدمة ٢٥٠ صفحة تقريبا من هذا مجموع الكتاب المطبوع من أصل ٢٩٣ صفحة، أما مقدمة ابن عطية فبلغت ٤١ صفحة ولو طبع كتاب المباني منفردا لكان أنسب لكنه كان يريد اللبس على الدارسين واخفاء حقيقة المخطوط المزيف. فجمع بينهما ليزيل الشكوك ان مقدمة كتاب المباني كبير يمكن نشره وحدها من غير مقدمة ابن عطية.

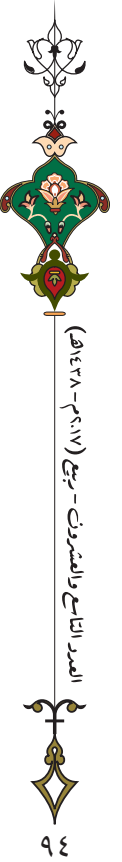
- تناولت مقدمة كتاب المباني روايات تؤدي الى الطعن في القرآن مثل: موضوع الزيادة والنقصان في القرآن الكريم، ادعاء التحريف فيه وحديث الغرائق والخلاف في القراءات ومصادرها مما اتخذه المستشرقون ذريعة للطعن بالقرآن

عليها ومع ذلك ومع ذلك مضى جيفري في تحقيقها ونشرها وقد أعتمد عليها الدارسون للأسف في دراساتهم. وفيما يأتي أذكر مزيد من الأدلة على ذلك بالتفصيل ان شاء الله تعالى.

المبحث الثاني:

أدلة تزييف الكتاب والأسباب:

- إن المستشرق آرثر جيفري صدر كتابه بهذه المقدمة، والتي تقع في عشرة فصول، وهي إحدى المقدمتين المنشورتين، والأخرى: مقدمة التفسير لابن عطية المتوفى سنة ٥٤٣ هـ. وهو عمل ينافي أسلوب التحقيق العلمي ان ينشر جزءا من كتاب مجهول المؤلف. جمع بين مقدمتين مختلفتين قرن بينهما ٤٢٥ ابن عطية ٥٤٣ ولا أعرف ما الجامع بينهما وما الغرض من نشرها لتكبير الكتاب مثلا للتمويه، والجامع بينهما انهما مغربيان ولا سيما ان جيفري ضليع بعلم التحقيق وشروطه العلمية. وهذه طريقة ذكية محكمة في إخفاء الحقيقة ان ينشر مقدمتين لكتابين



الکرم لا ثبات عدم اعجازه. فضلا عن ايمائه بتقاطع المباني للمعاني والقصد من تناول المعاني يبدو معاني القرآن غرضهم وهذا ما كان يسعى اليه بعض المستشرقين^(٢٦).

وكذلك تناولت المقدمة الخلاف بين بعض الصحابة رض في تغيير رسم الخط ومسألة المصاحف التي كان متخصصا بها جيفري^(٢٧)، والروايات الضعيفة فيها، نحو: إن مصحف ابن مسعود قد غابت عنه ثلاث سور قرآنية هي سورة الفاتحة والناس والفلق. ومصحف أبي بن كعب أيضاً لم يسلم من الادعاءات، فقد روي أنه يضم سورة باسم حقد. فالمقدمة عبارة عن جمع روايات وتتابعها وخلافات في جمع القرآن وعدد آياته وسوره وجمعه ومصاحفه وقراءاته ونزوله وترتيب نزوله وغير ذلك من الروايات الضعيفة المردودة غير المقبولة عقلا ومنطقا^(٢٨)، تتابعت بذكاء لزرع

(٢٦) ينظر مقدمة تاريخ القرآن نولدكة.

(٢٧) ينظر مقدمته لكتاب المصاحف.

(٢٨) ينظر مثلاً مقدمة المباني من كتاب

مقدمتان في علوم القرآن ص ١٦.

الشكوك في نفوس القراء ولا سيما النبتدئ والمتأثرين بالحضارة الغربية الذين في قلوبهم الزيغ: (فأما الذين في قلوبه زيغ فيتبعون متشابهه...).

ولا سيما انه نشرها في عصر كانت المصادر القرآنية الموثوقة فيه شحيحة.

- العناية الكبيرة التي أولاها بعض المستشرقين بهذه المقدمة تبدو مريبة ذلك لانها جمعت المطاعن بالقرآن الكريم بأسلوب الدفاع والرد على الروايات وهي طريقة ذكية لنشر هذه المطاعن ونفي الاعجاز عنه وانه كتاب غير سايوي من كلام محمد ص وكانوا يسعون الى ذلك بشكل مبطن مقنع ومقبول لانه موضوع حساس لقد أثار جيفري شكوكا وشبها في القرآن منها القول بنقص القرآن على لسان بعض الصحابة والعلماء بحسب الروايات وكما نقل عن البخاري: ولأن القرآن إذا سقط منه شيء بطل الباقي الخ^(٢٩)

ولا يستبعد ان الروايات موجودة في

(٢٩) وكما في ص ٨٩-٩٣.

احتمال أن يكون العاصمي هذا هو ابن بسطام نفسه، لكن هذا يحتاج إلى تتبع ترجمة العاصمي هذا في موارد كثيرة للكشف عن حقيقته، وقد حاولت ذلك في قاعدة (خزانة التراث) التي أصدرها مركز الملك فيصل مشتملةً على فهارس المخطوطات في العالم، ولم أجد له ذكراً... والغريب أنني بحثت عن هذا الاسم في خزانة التراث فلم أظفر له بكتاب، مع إنه يظهر من مقدمة المباني أنه مكث من التأليف^(٣١).

وقال الباحث جنيد الله ان حامد هو مؤلف الكتابين واما العاصمي فوهم من ناسخ نسخة زين الفتى وهي نسخة غير معتمدة لتأخرها وذلك لصراحة ذكر الأندارابي لاسم حامد عندما ينقل نفس النصوص الموجودة في الايضاح والمباني حرفا حرفا ومن كتاب الانماري أيضا.

فضلا عن اتفاق^(٣٢) نسخة كتاب زين الفتى مع نسخة كتاب «المباني» في

بعض المصادر القديمة في موروثنا الإسلامي. لكنه جمعت في هذه المقدمة وأضيف عليها كما يبدو في النقل من كتاب العاصمي زين الفتى لوجود نصوص واحالات عليه في كتابه المباني كما مرّ بنا. - التوافق بين مقدمة المباني وكتاب زين الفتى وغيره:

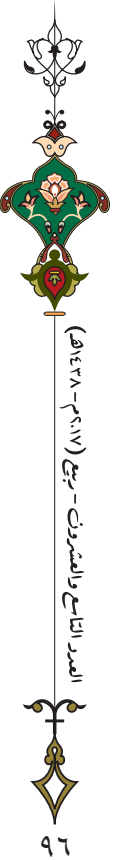
مرّ بنا اضطراب أقوال الدارسين وخلافاتهم في نسبة كتاب المباني بين العاصمي مؤلف كتاب زين الفتى، وابن بسطام، وكل منهم جمع أدلة واضحة لكنها سرعان ما يبدو التناقض فيها، وما هذا الا بسبب التلاعب بالمخطوط وتزييفه وتلفيقه من كتب عدة أثارت جدلا بين الدارسين كل فريق ينقض أدلة الفريق الآخر بأدلة أخرى. مما دفع بعضهم الى القول: (الخوف أن يكون هناك كتابان باسم «المباني» لكل من العاصمي والطخري! والله أعلم)^(٣٠).

وعقب د. عبد الرحمن الشهري:

(٣٠) ((كتاب المباني لنظم المعاني لم يعد مجهول المؤلف)) ١٦.

(٣١) ينظر: ملتقى أهل التفسير.

(٣٢) المصدر نفسه: رأي الأستاذ كفاوي.



اللغة والأسلوب:

رجح جيفري ان مؤلف المباني من أهل المغرب، ولم يفصح عن الأدلة التي توصل بها إلى ذلك. قال ((جيفري)) في مقدمة الكتاب مقدمتان في علوم القرآن: ((ويظهر لنا من لغته -مؤلف ((المباني))- وأسانيده أنه من علماء المغرب، وكثيراً ما نجد أنّ ما يدلي به يجلو الأمور الغامضة في كتب أبي عمرو عثمان الداني القرطبي المنتشرة بيننا...))^(٣٥). لكن أكد جميع الدارسين والمحققين المهتمين بالكتاب على أن المؤلف من المشرق الاسلامي وليس من علماء المغرب لذكره شيوخه من الكرامية وأنه كرامي المعتقد والمذهب. ويبدو ما ذهب اليه جيفري مقصود لاخفاء الحقيقة وابعاد الشكوك عن الكتاب.

فالواضح من أسلوب الكتاب ومن حيث اللغة بعيد كل البعد عن الأسلوب المغربي -الأندلسي -التميز بصبغته الأدبية من الجناس وغيره من المحسنات البديعية.

(٣٥) مقدمتان في علوم القرآن ٣.

أنهما قد سقط من أولهما جزء من المقدمة، إلا أن السقط من الثانية قد أذهب باسم المؤلف، بخلاف الأولى؛ حيث كان السقط من أولها قليلاً^(٣٣). وقال مهذب كتاب الزين: (وقد سقط من النسخة الوحيدة المعتمدة في التحقيق بعض المقدمة، وتتمة الفصل السادس، ومعها الفصول الأربعة الأخيرة)^(٣٤).

يتبين كيف لفق جيفري وغيره بين الكتابين بذكاء حيث اخذوا نصوصا منه ومن غيره ليصعب على الباحثين والمحققين الاهتمام اليه وقد أثار جدلا واسعا بين الدارسين المختصين كما مرّ بنا لكنهم لم يقطعوا برأي جازم. وكلا الطرفين على حق بذكر دلائل فهناك تلفيق بين المخطوطات.

(٣٣) المصدر نفسه.

(٣٤) كتاب «زين الفتى في شرح سورة هل أتى»، الذي هذبه وعلق عليه الشيخ/ محمد باقر المحمودي، وسمى التهذيب: «العسل المصفى من تهذيب زين الفتى في شرح سورة هل أتى»، ونشره مجمع إحياء البحوث الإسلامية في مدينة قم الإيرانية، وصدرت الطبعة الأولى سنة ١٤١٨ هـ.

ويدل على الوضع والتزييف من قبل المستشرق الذي مهما يكن فلا يرقى الى متخصص عربي صاحب سليقة عربية سليمة او صاحب الكتاب المجهول نفسه. بل وفيها سقط كثير يظهر بمقابلتها مع النصوص التي نقلها الأندرابي عن المؤلف في كتاب ((الإيضاح)) وقد وازن بين ٢٧ نصا بينالكتابين، لذلك دعا أحد الدارسين الى إعادة تحقيق كتاب ((المباني لنظم المعاني)) حيث إنَّ الطبعة الموجودة الآن والتي لها أكثر من (٥٠) سنة مليئةً بالتحريف والتصحيح، بل وفيها سقط كثير يظهر بمقابلتها مع النصوص التي نقلها الأندرابي عن المؤلف في كتاب ((الإيضاح))^(٣٧). وهي دعوة لا يجوز الأخذ بها بعد ما ذكرت من الأدلة في حقيقة المخطوط.

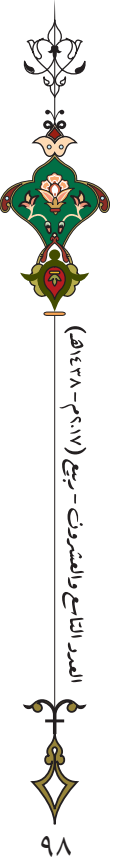
- تليفق المقدمة والتفسير فهي تختلف في الأسلوب والموضوع والمضمون

(٣٧) ينظر: بحث الأستاذ السالم محمد شنقيطي ص ٢٨.

وأكد جاويد^(٣٦) بان المؤلف مشرقي كرامي من خراسان كلود جيلو ردا على جفري بانه مغربي - وقال و أظهر ف. سيزكين بعض شيوخ مؤلف كتاب المباني، وأعلن بأنه «في الغالب فارسي أو عاش في فارس». وقال: إن عمل فان إس أتاح لأرون زيزو من جامعة واشنطن إعادة الدراسة عن قرب لكتاب المباني وإظهار الأصل الكرامي وأيضا في الغالب خراسانية هذا المؤلف ومؤلفه.

- كثرة الاخطاء اللغوية في طبعة جفري المليئةً بالتحريف والتصحيح. والأمر الغامضة الكثيرة جدا التي شكى منها عبد الله الصاوي مصحح الطبعة الثانية. وكما يبدو من جدول الذي ألحقه بالطبعة الثانية نجد ٩٠ بالمائة منه أخطاء في مقدمة المباني، أما مقدمة ابن عطية فتكاد تخلو من التحريف والغموض الا ماندر مما يزيد التشكيك بمصداقية المخطوط

(٣٦) كتاب المباني ص: ٦ كتاب المباني ص: ٢ من الترجمة الإنجليزية.



والمنهجية أيضا وهذا يمكن أن يعد دليلا آخر على أن مخطوط الكتاب مزيفا بوساطة جمع نصوص وروايات وزيادات وقص وحذف ولصق. ففي الاسلوب نجد حداثة مثل قوله: المعنون، وفبنا يريد علينا^(٣٨) فضلا عن اللحن النحوي نحو قوله: وجوابا على والصواب عن. التي لا تصدر من مؤلف له كتاب في الاعراب كما مر بنا. وعنوان الفصل الثاني: (في كيفية جمع المصاحف والسبب المؤدي الى تأليفها) نجدها عبارة محدثة ولا سيما في الثانية فضلا عن طعنة التأليف لا الجمع^(٣٩).

وبعض المصطلحات قلما يستعملها المشاركة والمغاربة مثل تسمية أبواب المقدمة بالفصول وهي تضم أبوابا وهذا خلاف المعهود. ولم يجعل المؤلف هذه الأبواب في داخل الفصول، أما الفصل الحادي عشر فقد جعله مؤلف الكتاب

أصل الكتاب، ولم يسمه تفسيرا كما ورد في مقدمة الناشر للساوي ومقدمة المؤلف صاحب المباني نفسه.

مؤلفات صاحب المباني:

ومن الغريب أيضا أن مؤلف كتاب المباني المجهول كثير التصانيف كما يبدو من احوالاته الكثيرة على سائر مؤلفاته. وعلى الرغم من أهميتها وكثرتها التي أشار إليها لم يهتد الباحثون إليه ولا الى شيوخه وتلاميذه ومصادره التي ذكرها في كتابه المباني فقد ذكر أنه ألف أربعة كتب هي: الإبانة والإعراب^(٤٠). والدرر في ترفيع السور^(٤١)، وكتاب الغرر في أسامي السور^(٤٢). والزينة في سؤالات القرآن (لم يتمه، على الأقل آنذاك)^(٤٣). وغيرها. كلام للمؤلف عن كثرة مؤلفاته التي وعد فيها بتأليف كتاب يخدم فيه كتاب الله، وقول صاحب المقدمة ٧ (و لكل فصل من هذه الفصول كتب ومقالات اختصرناها في

(٤٠) وقدمه كتاب المباني: ١١٦.

(٤١) المصدر السابق: ١٧٢.

(٤٢) مقدمة كتاب المباني: ٦٤.

(٤٣) المصدر السابق: ١١٦.

(٣٨) ينظر الصفحة: ١٧٤ و ص ٦.

(٣٩) المصدر نفسه ١٧.

الغموض والاضطراب في دلائل

الكتاب:

اضطراب الدارسون في نسبة الكتاب وكثرة التساؤلات التي لم يجدوا أجوبة لها في تحقيق نسبة الكتاب مثل: محمد كاظم رحمتي ومن تبعه الذي رجح أن يكون مؤلف كتاب (المباني في نظم المعاني) هو أبو محمد أحمد بن محمد بن علي العاصمي (٤٢٥هـ) وهو مؤلف زين الفتى نفسه وذلك لورود اسم كتاب المباني في أثناء كتاب زين الفتى وكذلك ورود أسماء مصنفات أخرى مشتركة للمؤلف في كلا الكتابين والاشتراك في النقل عن ابن الهيصم بالنص حرفا حرفا، فضلا عن النقل المشترك عن كتاب أبي سهل الأنباري فيه ما فيه.

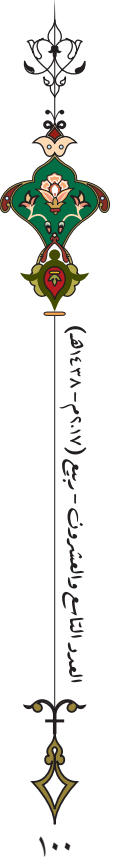
والدكتور غانم قدوري الحمد ومن تبعه الذي رجح نسبة الكتاب الى ابن بسطام. وقال تستوقف المتابع للموضوع قضية غاية في الأهمية، وهي أننا إذا قلنا إن العاصمي هو مؤلف كتاب المباني فلماذا لم يرد له ذكر في كتاب الأندرابي، بحسب متابعتي للكتاب، وهو ينقل أقوال محمد

كتابتنا هذا ومن أراد الإبلاغ فيها فعليه بكتبتنا المؤلفة في كل باب منها) والمفهوم ان له كتبا في كل فصل من المقدمة والمقدمة اختصارات لها.

قال الدكتور عبد الرحمن الشهري: لقد بحثت في قاعدة التراث سوى غاية النهاية، ويعني هذا جمع مادة المستشرقين ربما وان كتبه لابد ان تكون معروفة ونسبة الكتاب تكون سهلة لكثرة كتبه. فضلا عن اصطلاح كتبا المؤلفة وهي عبارة محدثة تبدو فالقدامي يسمونها مصنفة وغيرها.

ومن الأدلة المهمة التي تسند ما ذهبت اليه: هي ان كتاب الغرر في أسامي السور: الذي أحال صاحب كتاب المباني عليه في أثناء حديثه عن فضائل القرآن... ذكره ابن الجزري في كتابه: (غاية النهاية) وقد حقق برجستراسر كتاب غاية النهاية هذا وخبر كتاب المباني فكيف لم ينتبه اليه وهو المحقق العالم، ولكن يدل خيوط الوضع من هنا والتلفيق لدى المستشرقين (٤٤).

(٤٤) ينظر بحث الأستاذ السالم الشنقسطي ١٤.



بن الهیصم وأبی سهل الأنماري عن طریق کتاب المباني.

والدكتور عبد الرحمن الشهري قال: احتمال أن يكون العاصمي هذا هو ابن بسطام نفسه، وقد حاول البحث عنه في قاعدة (خزانة التراث) التي أصدرها مركز الملك فيصل مشتملة على فهرس المخطوطات في العالم، ولم يجد له ذكراً.

وقال أيضاً: الغريب أنني بحثت عن هذا الاسم (أبي محمد أحمد بن محمد بن علي العاصمي) في خزانة التراث فلم أظفر له بكتاب، مع إنه يظهر من مقدمة المباني أنه مكث من التأليف.

وكذلك الشك في ان يكون مؤلف زين الفتى هو العاصمي وهو مؤلف المباني.

وسبب ذلك هو اختلاف عقيدة المؤلفين فمؤلف زين الفتى واضح انه شيعي اما مؤلف المباني فيترضى على عثمان وعلى الشيخين وعلى أم المؤمنين عائشة ويستدل باقوالهمز فضلاً عن أن كنية مؤلف المباني أبو جعفر كما جاء أثناء كتابه المباني وليس أبا محمد. ناهيك عن

أن العاصمي "أديب فاضل تميز في النحو والتصريف وأنه شرح المفضليات وله كتاب في التصريف"^(٤٥) كما ذكر القفطي ومن هذه صفته لا يمكن أن يكون كتاب المباني المطبوع من تأليفه لأنه مؤلف بأسلوب بعيد عن الأسلوب الأدبي. وغير ذلك من التساؤلات التي أثارها الباحثون حول الكتاب والاحتمالات التي احتملوها والافتراضات التي لم تثبت مثل^(٤٦):

ان العاصمي مؤلف زين الفتى واما المباني فلا زال مجهولاً او هو حامد. وان العاصمي مؤلف الكتابين ولكن نسخة زين الفتى الموجودة ليست له ولعلها مختصر او تهذيب بدليل وجود نسخة واحدة لها ومتاخرة النسخ جداً. وان حامد هو مؤلف الكتابين واما العاصمي فوهم من ناسخ نسخة زين الفتى وهي نسخة غير معتمدة لتأخرها وذلك لصراحة ذكر الأندارابي لاسم حامد عندما ينقل نفس النصوص الموجودة في الايضاح الاندارابي

(٤٥) ينظر: انباه الرواة، القفطي ٣ / ٧٥.

(٤٦) ينظر متدى.

العكس لأن الكتابين في موضوع واحد في تناسب السور وقد يكون له التفسير لكن لم يذكر في قائمة كتبه ولا سيما أن عصر ابن الزبير الغرناطي يتناسب مع سخرية مؤلف المباني من إحدى فرق الشيعة الذين ينتظرون امامهم الغائب منذ أربعمئة سنة وهذا التأريخ يتناسب مع عصر الغرناطي ذلك ان المؤلف توفي في حدود ٧٠٠ هـ فضلا عن ان الغرناطي كان يهاجم المذهب الشيعي كثيرا في كتبه كذلك وان له اقولا ضد الروافض. ومع ذلك لا أجزم بهذا الاحتمال ولا ادعي انه هو لكن هناك تشابه وتساؤلات تحتاج الى مزيد من البحث^(٤٧). ومن قوله يدل ان المؤلف في القرن السادس الهجري.

(٤٧) ينظر كتابي: البرهان في تناسب سور القرآن - الامام الحافظ أبو العباس احمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي ٧٠٨ هـ رحمه الله كما ورد في مستهل الكتاب تح د سعيد الفلاح الجامعة الزيتونية مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ١٩٨٨. وملاك التأويل القاطع بذوي الاحاد والتعطيل في توجيه المشابه اللفظ من أي التنزيل للمؤلف نفسه والمحقق، أطروحة دكتوراه، طبعت بدار الغرب الإسلامي ط ١ بيروت لبنان.

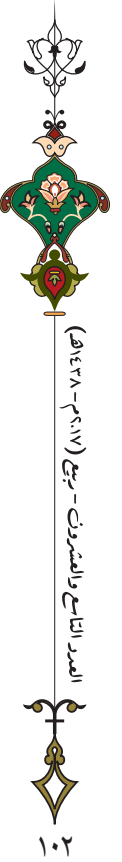
والمباني حرفا حرفا ومن كتاب الانباري ايضا.

ورد الدكتور سالم محمد محمود أحمد الشنقيطي: وقد يكون للعاصمي هذا كتاب بنفس العنوان لكن قطعاً ليس هو هذا المطبوع.

وغير ذلك من الاحتمالات والافتراضات التي لا تنتهي مع كل ناظر في الكتاب:

فقد وجدت أن هناك عاصميا اخر اهتم بتناسب السور ونظم آيات القرآن وسوره وثمة مشتركات بينه وبين صاحب كتاب المباني وقد ورد في سلسلة نسبه اسم جعفر وتخصص بتناسب السور وهو متأخر عنه توفي سنة ٧٠٨ هـ وهو مغربي كما احتمل جفري، هو ابن الزبير بن جعفر الثقفي العاصمي الغرناطي. ربما هو لكن لم يذكر المؤلفات التي ذكرها صاحب المباني ولا يستبعد أن أصل التفسير من تأليف ابن زبير وأما المقدمة فمن صنع وتلفيق واضح المخطوط أصل الكتاب.

وكان على صاحب المباني - في الأقل - ان يشير الغرناطي الى تفسيره أو



مجهولية الاحالات والاسانيد:

وأما من حيث أسانيد كتاب المباني وشيوخه المباشرين الذين روى عنهم فهم غير معروفين ولم أجد لهم ذكراً في المصادر المتوفرة ما عدا شيخه ابن الهيصم والفارسي الذين لا شك أنهما مشرقيان وليسا مغربيين^(٤٨). وقال كاظم رحمتي: وبالنسبة للأثري^(٤٩) وكتابه التفسيري فيه ما فيه، فإننا عدا ما نقله العاصمي وبعض المنقولات الأخرى، لا نملك أي معلومات إضافية... ويتجلى الغموض أكثر لدى المستشرق كلود جيلو الذي درس اسانيد الكتاب دراسات مستفيضة وتتبع شيوخه وتلامذته وكتبه وحلل الكتاب تحليلاً تاريخياً لكنه لم يصل إلى مؤلفه الحقيقي وهذه ليست مصادفة عفوية. فقد درس المستشرق الفرنسي كلود جيلو^(٥٠) في

(٤٨) الشنيطي.

(٤٩) المباني ص ١٧.

(٥٠) أستاذ بجامعة بروفانس، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، ٢٩ شارع روبرت شومان ١٣٦٢١ اكس ان بروفانس، سيديكس ١. مستشرق فرنسي مهم بتراث

بحته^(٥١) مصادر الأحاديث المنقولة في كتاب المباني مع تراجم للرجال الذين يتضمنهم وعني به نتبع سيرة مؤلفه وشيوخه ومصادره بدراسة جميع أسانيد الرواة والإشارات إلى الأشخاص والمؤلفات وحتى الاستشهادات التي تضمنتها.. وعقد مبحثاً خاصاً عن أبي سهل الأثري - المصدر الأساسي الذي اعتمد عليه مؤلف كتاب المباني في تصنيفه. ولم ينته الباحث الفرنسي إلى قول جازم في تحديد مؤلف كتاب المباني وقال جيلو في خلاصة: ولكن الشيء الأكيد أنّ المؤلف خراساني أو نيسابوري ومتكلم كرامي. وقال: يعترض البحث في أسانيد الرواة الذين يتضمنه كتاب المباني عائقان: في الواقع وقبل كل شيء، فالعديد من الأشخاص القريبين من المؤلف ومصدره يصعب بل يستحيل التحقق من هويتهم مع حدود معلوماتنا.

المسلمين - في علوم القرآن وعلم الكلام خاصة - في بلدان وسط آسيا (٥١) علوم القرآن عند كرامية خراسان: كتاب المباني) ترجمة الدكتورة أم عاصم.

محمد بن محمد الطالقاني الأنباري (كتاب المباني ص: ٨، ١، ٧-٨). وأحيانا يتبع المؤلف -أو مصدره -اسمه بدعاء^(٥٣).
أدلة أخرى:

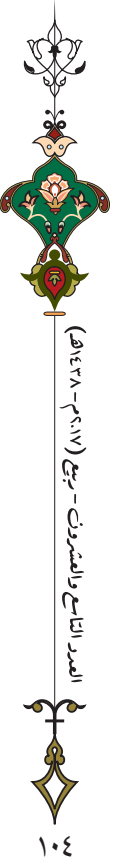
- إن الدارسين المختصين والمحققين لم يهتموا الى صاحب مقدمة كتاب المباني الى يومنا هذا بعد أكثر من نصف قرن على نشره على الرغم من التنقيب والبحث، وفي ضوء تطور تقدم التحقيق والفهرسة: ونشر التراث وتقدم وسائل الاتصال وفهرست التراث العربي المخطوط في العالم. ايصح بعد هذه أكثر من نصف قرن لم يعرف الكتاب وفي ضوء تقدم التحقيق والمؤسسات والنت لم يعرف المؤلف فهل يعقل أن يظل هذا الكتاب ومكائنه هذه عند الباحثين والدارسين ((مجهول المؤلف))؟. رغم الجهود الحثيثة التي بذلها المختصون في تحقيق نسبتها.

(٥٣) كتاب المباني ص: ٢٠. يفترض أنه مات ٩٣٧ / ٣٢٥، غالبا بالاعتماد على أسانيد الرواة التي يظهر فيها.

أما العائق الثاني فهو متواجد بكثرة في المؤلفات العربية القديمة. إن مؤلفنا لديه مصدر أساسي -نتحدث عنه لاحقا- ويذكره كثيرا. وبخصوص أسانيد الرواة كما هي فإن المؤلف غالبا ما يقوم بالإسناد إلى شيوخه، ولكن مع لعبة الاستشهادات يكون من الصعب في الغالب أن نقرر إن كان هذا السند أو ذاك له أو لأحد شيوخه^(٥٢).

أما أبو سهل الأنباري، المصدر الرئيس لمؤلف كتاب المباني فيظهر مؤلف المصدر الرئيس لكتاب المباني -في الغالب- بكنية أبي سهل (كتاب المباني ص: ١٣: قال أبو سهل (ثلاث مرات) أو قال الشيخ أبو سهل؛ ص: ١٦)، أو أبي سهل الأنباري (-كتاب المباني ص: ١٠، ١٢، ٢٠). ولكن في مستهل الكتاب ظهر اسمه أكثر إتماما: الشيخ أبو سهل

(٥٢) أرقق في مداخلته بحث كتبه -كلود جليو- علوم القرآن عند كرامية خراسان: كتاب المباني) ترجمة الدكتور أم عاصم. وكلود جليو* مستشرق فرنسي مهتم بتراث المسلمين -في علوم القرآن وعلم الكلام خاصة- في بلدان وسط آسيا.



الحادي عشر ينبغي ان يكون بابا أو عنوانا جديدا لانه متن الكتاب.

• وان المقدمة لا تتفق مع محتوى الكتاب اذ يتناول نظم القران واعجازه اللغوي والبلاغي وكان عليه ان يعقد بابا في لغته واعجازه يتناسب مع متن الكتاب في اعجاز نظم القرآن الكريم، وهذا ما كان جفري لا يؤمن به وينفيه والله أعلم.

وهذه الطريقة في التفسير اشتهر بها علماء الشام أكثر من غيرهم ويليهم الأندلسيون والاشاعرة وغيرهم كما يبدو لاهتمامهم بالاعجاز اللغوي للقران الكريم ولم يذكر مؤلف المباني أحدا ممن عني بهذا النوع من التفسير ولا حتى كبيرهم الامام عبد القاهر ٤٧١ هـ اشتهر بالنظم وتفسير المباني في النظم وتحوي عنوانه نظم المعاني ولم يشر اليه وربما كان معاصرا له.

• ان السيوطي المعني بعلوم القرآن لم يذكر صاحب المباني وقد نسب المصطلح الى ابن الجوزي، يقول الباحث (المدخل لدراسة القرآن

• المؤلف في الصفحة الاولى نصفها تقريبا ما يزال بالاستهلال التحميد والصلاة على النبي ثم قال أما بعد مما يدل على ان المفقود من الكلام لا يرقى الى الصفحة كاملة لان الاستهلال بالحمد والصلاة على النبي ص لا يستغرق صفحة ونصف في الغالب الذي عهدناه. لكن المؤلف في الصفحة الاولى نصفها تقريبا ما يزال بالاستهلال التحميد والصلاة على النبي ثم قال أما بعد مما يد ان المفقود من الكلام لا يرقى الى الصفحة كاملة لان الاستهلال قصير.

• المقدمة الطويلة للتفسير التي نشرها جفيري، وهي تقع في عشرة فصول، وسائر الكتاب الفصل الحادي عشر الي توقف عنده جفري وهو يتناول فاتحة الكتاب باسهاب بطريقة البلاغيين ثم تكون العناوين بحسب السور البقرة ال عمران يتناول نظمها.

• ولم يسمه صاحبه مقدمة وهي تسمية حديثة من جفري وان الفصل

ومجموع الصور مع الوجه والظهر كما نشر
٥٦٥ صفحة.

وهناك بتر في آخر مخطوط الكتاب على
حجمه الكبير فهو ينتهي الى سورة الحجر
ويقع في حدود ٥٠٠ ورقة لكن جيفري
حقق ٨٩ ص منه وهو الجزء المتضمن
ولم لم يحقق الكتاب كله لان مادة الكتاب
تحدث عن النظم العالي المعجز وليس
بالمطاعن، ناهيك عن ان بداية الكتاب
ملبسة وخاتمته لم يشر الى نفسه.

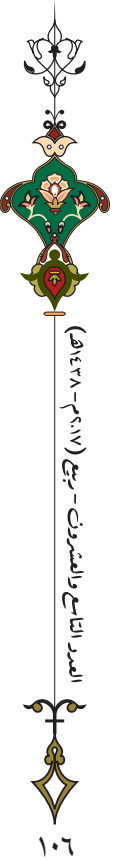
الصفحة الأولى كأنها ليس من
المخطوط وانما من كتاب آخر ذلك
انه لا يدل على المضمون فضلا عن
اختلاف الخط، ونلاحظ هناك اصلاح
للسنسخة بورق آخر ولا تحتوي على أسماء
أو تواريخ كالعادة وكذلك الصفحة
الأخيرة:

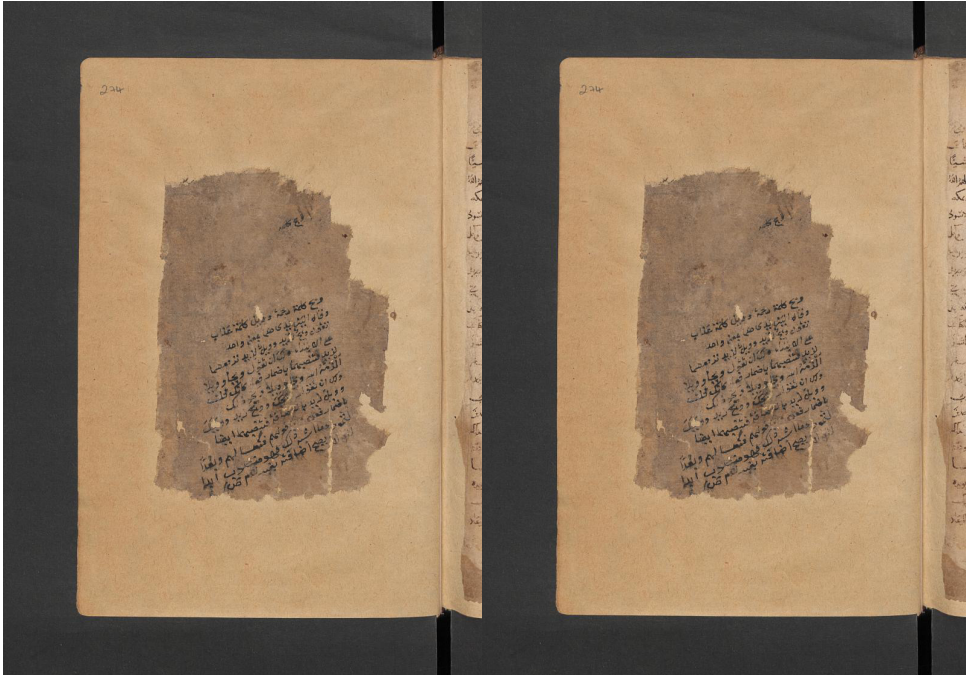
الكريم لدكتور محمد محمد أبو شهبة
في اصطلاح علوم القرآن: كان
المعروف لدى الكاتبين في هذا الفن
أن ظهور هذا الاصطلاح كان في
القرن السادس الهجري، على يد أبي
الفرج بن الجوزي استنتاجا مما ذكره
السيوطي في مقدمة الإتيان.
ولكنني وقفت على مؤلف بعنوان:
مقدمتان في علوم القرآن طبع في عام
١٩٥٤، إلا أنه ذكر في الصحيفة الثانية
منها: أنه بدأ في تأليف كتابه في سنة
أربعمائة وخمس وعشرين.

صور من المخطوط:

من خلال تفحص أصل مخطوط
الكتاب (المباني لنظم المعاني) على^(٥٤)
النسخة الفريدة والورقة الأولى منها
ساقطة، وفي الورقة الثانية. نلاحظ ثمة
أدلة على ما نذهب اليه كبير يبدو المقدمة مع
التفسير ٢٧٥ ص فضلا عن الصفحات
البيضاء في أول المخطوط ٦ وما بعدها،
(٥٤) موقع مخطوطات برلين.

Digitale Sammlungen der
Staatsbibliothek zu Berlin:
Werkansicht





العدد التاسع والعشرون - برقع (٣٠١٧م - ١٤٣٨هـ)



Ex Bibliotheca Regia Berolinensi

الورقة الأخيرة من المقدمة

الورقة قبل الأخيرة من المخطوط

عرف الجاهل ونسبوا جميعا كجرات أبحاث المفاضات التي فويت والمرجان وضع من
 أعين منة اشتغال بالعضمان فهو يعم إلى اشتغال المهادي واكتسار ذلك
 لأنه كلام الملك الذي كان به الظاهر بين يديه ولما من خلقه لأنه تحت فوط
 بالحق والسلفين مخروصين على أهل الفهد والطغيان متبارك الله ذواته
 والإحسان والفضل والامتنان خالق الجان والإنسان وله الشكر الدائم والذكر
 الأزمن والخليل المداون ومزج الجان وتقلب في حكمه الثقلان **أما بعد**
 بان الله تعالى أتم على هذه الأمة بالقرآن العزيز الجليل حمله شبيلا اليه مقرونا
 بالحق والادلة الكرم به وسؤلة الأئمة وشاهة صراطه المستدين وقرع العرب
 بالإنسان مثله أو يتعسف منه ان لم يتقدموا على حمله وشاهة باسأسي محمودة وعنه
 معاني غير معدودة وكان شاهة بعد وصيه باحسن الحديث الثاني كما
 قال الله تعالى الله تترك احسن الحديث كما بان متشابهة ثلثي فكان ان ظاهره حجة
 على صحة العرب بنظره بذلك باطنه حجة على صحة العم بحكمه وظهه وكان
 ظاهره منوط بنظم لا يسطر باليه يغيب ذلك باطنه منوط بحلم لا يقع معه
 شاهة لزيب وكان ظاهره بنظمه لوضع فيه خلال لكان للظاهرين فيه مقال وكذلك
 ان وقع في نظره الباطن اعني نظم معانيه والبان للعرضين عن مجاله واليه أشار بقوله
 سبحانه لا يأتون **ب** من يديه والذين خلقوه ارادة الله العلم من حجة تطير
 الباطن ولا يفتن **ب** الله ولكن هذا علم خاص محض الله به من شاهده
 اليه ويوطر به وسيف على منازل شرب به وعنه وهو الذي قال تعالى يا هياكل
 بنيات في ضلوه والذين ادنوا العلم والقرى فلكت شرعت في باب الظاهر ك
 البعثاني فيونه والورث على واحد منها تأملوا الذين به من غيرة وعيونيه وكشف
 اشرف في فضله الى احتياج طالب هذا الباب الى اداب استخراجيه وورثته
 استخراج ذلك معما دونه ومنازبه واجده بعد ذلك ان اشرف على غاياته وورش
 والروا بما عرفت بعد فيل الخرج كما عد حجاب اوله في معانيه والذمانيه عن غاياته



العدد التاسع والعشرون - بيج (٨١٧م - ١٤٣٨هـ)

مستهمل المخطوط رقة رقم ٢ وجه

دراساتهم القرآنية. لأنها لمؤلف مجهول في الأقل أو لأنها مما زيفه جفيري أيضا ناهيكم عن احتواء المقدمة على روايات لا يجوز الاطلاع عليها لأنها تسيئ الى القرآن الكريم، وتدعي الزيادة والنقص والتحريف وغير ذلك في القرآن بأسلوب محكم ذكي اذ ورد الطعن في معرض الدفاع عن القرآن الكريم بطيقة الطعن ثم الدفاع وهي طريق ذكية لنشرها هذه الروايات لتؤدي الى التشكيك.

والحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر والمراجع:

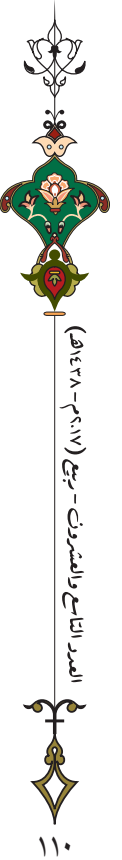
- القرآن الكريم.
- إنباه الرواة على انباه النحاة، الوزير جمال الدين القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٥٥.
- الإيضاح في القراءات: للأندرابي (مخطوط) مصورة من مركز الملك فيصل بالرياض.
- البرهان في تناسب سور القرآن احمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي ٧٠٨ هـ تحقيق د سعيد الفلاح مطابع جامعة

نقلنا هذه الصور من المخطوط للاطلاع على طريقة الكتاب في التفسير واختلاف المضمون عن المقدمة، فضلا عن شكل المخطوط الذي لم نستطع أن نتفحصه جيدا وأن نتحقق من نوع الورق وعصره لاعتمادنا على النسخة الالكترونية.

الخاتمة والتوصيات:

أثار كتاب المباني جدلا بين الدارسين والمحققين وحتى المستشرقين مثل المحقق الفرنسي كلود جاويد وغيره. وكان هذا أحد أسباب الشك لدي في حقيقة مقدمة كتاب المباني. فضلا عن أسباب أخرى ذكرتها في ثنايا البحث. وقد سقت أدلة كثيرة تدل على أن مخطوط كتاب المباني من صنعة بعض المستشرقين ولا سيما المستشرق آرثر جفيري ناشر الكتاب ومحققه. محاولة منهم للطعن في القرآن الكريم وسلبه الاعجاز.

لذلك أدعو الباحثين الى تحقيق التفسير كله لمعرفة المزيد من أدلة التزييف. كما أحذرهم من الاستناد الى مقدمة كتاب المباني واعتمادها في



ونشره مجمع إحياء البحوث الإسلامية في مدينة قم الإيرانية، وصدرت الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ، (علوم القرآن عند كرامية كلود جيليو ترجمة الدكتورة أم عاصم. والترجمة منشورة في موقع ملتقى أهل التفسير.

• غاية النهاية: للحافظ ابن الجزري، تحقيق المستشرق براجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت.

• فتح الباري: للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، دار المعرفة بيروت، ١٣٧٩هـ.

• ((كتاب المباني لنظم المعاني لم يُعدّ مجهول المؤلف)) إعداد د/ السالم محمد محمود أحمد الشنيطي، في جامعة طيبة بالمدينة المنورة ١٤٢٦هـ.

• لسان الميزان: لابن حجر العسقلاني، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

• المباني لنظم المعاني، (مطبوع تحت

الامام محمد بن سعود الإسلامية ١٩٨٨.

• تاج العروس شرح القاموس: للمرتضى الزبيدي، تحقيق إبراهيم التريزي، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٥هـ.

• تاريخ القرآن تيودور نولدكة تعديل فريدريش شفالي ترجمة وتحقيق جورج تامر، دار جورج ألز نيوبيورك ٢٠٠٠ ط ١ بيروت ٢٠٠٠.

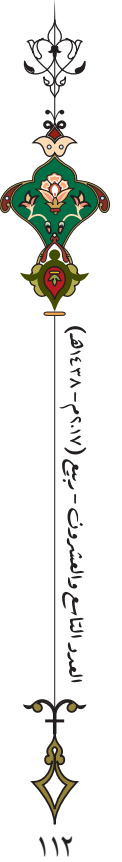
• سير أعلام النبلاء: للحافظ الذهبي، تحقيق الجماعة، مؤسسة الرسالة، ط: السابعة، ١٤١٠هـ.

• شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٧هـ.

• طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين السبكي، تحقيق محمود الطناحي والنجار، دار الحلبي.

• العسل المصفي من تهذيب زين الفتى في شرح سورة هل أتى، هذبه وعلق عليه الشيخ/ محمد باقر المحمودي،

- عنوان: مقدمتان في علوم القرآن). الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
- المستشرقون نجيب العقيقي، الطبعة الرابعة، دار المعارف بمصر.
- مفتاح كنوز السنة، د. فنسك ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي دار القلم بيروت لبنان.
- ملاك التأويل احمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي ٧٠٨ هـ تحقيق د سعيد الفلاح ط ١ دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ١٩٨٣.
- معجم الأدباء: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
- ملاحظات حول النسختين الكراميتين -كاظم رحمتي، البحث منشور مترجم الى العربية في موقع اسمه رحمتي. [http:// rahmati.kateban.com/print/1604](http://rahmati.kateban.com/print/1604)
- و منشور بمجلة الكتب الاسلامية العدد السادس [http:// www.i-b-q.com/ara/06/article/02.htm](http://www.i-b-q.com/ara/06/article/02.htm)
- الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
- المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور: إبراهيم بن محمد الصريفيني، تحقيق خالد حيدر، دار الفكر، ١٤١٤هـ.
- مؤلف التفسير المسمى: كتاب المباني لنظم المعاني)، بحث الدكتور غانم قدوري، مجلة الرسالة الإسلامية (١) ببغداد، في عددين متتاليين هما العدد رقم ١٦٤ والعدد ١٦٥ عام ١٤٠٤هـ. ((ص ٢٤٣-٢٥٥)).
- المواقع الالكترونية: [http:// vb.tafsir.net/tafsir4905](http://vb.tafsir.net/tafsir4905)
- موقع مخطوطات برلين Digitale Sammlungen der Staatsbibliothek zu Berlin: Werkansicht



مبادئ التعايش السلمي

للأفراد والمجتمع

(رؤية قرآنية)

فضيلة الشيخ حسن الصفار

الهفوف - المملكة العربية السعودية

فحوى البحث

لا يغيب عن بال كل متتبع لشؤون المجتمع الاسلامي ان هذا المجتمع يعيش أزمة حادة في علاقة بعضهم ببعض الآخر والذي قد يصل الى حد عدم قبوله مع ادعائه بالتمسك بأهداب الدين وتطبيق تعاليم القرآن الكريم.

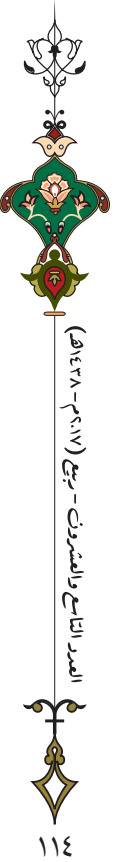
وقد عرض فضيلة الشيخ الباحث لهذه الظاهرة وانتزاع حلولها من نصوص القرآن الكريم الذي يؤمن به كل من يدعي الايمان برسالة النبي محمد ﷺ والذي يدعو الى الشراكة الانسانية والاعتراف بالآخر وسيادة العقل، في بحث موجز اعتمد القرآن الكريم مصدراً وحيداً له.

لكن ذلك لا يبرر أبداً ممارسة الارهاب واستهداف الابرياء، وافتعال معركة دينية وصدام حضاري، فالسياسات الدولية لا تنطلق من منطلق ديني، ولا ترفع شعارات ايديولوجية، وانما تدفعها وتحركها المصالح والمطامع. كما تحتضن المجتمعات الاخرى جاليات اسلامية كبيرة، اصبحت جزءاً من تلك الاوطان، وتتمتع بكامل حقوق المواطنة، وتتاح لها فرص الحياة الكريمة، وممارسة شعائرها الدينية، وقد تكون اوضاع تلك الجاليات افضل من اوضاع بعض المجتمعات الاسلامية في اوطانها الاصلية.

لذلك اصبحت البلدان الغربية مأوى لكثير من المشردين واللاجئين من البلدان الاسلامية، ومهوى للباحثين عن حياة كريمة لائقة، ومن أجل الوصول الى شواطئ تلك البلدان يستهينون بالمخاطر والمصاعب، ويركبون امواج البحر ويتحملون احواله، حتى قضى الالوف منهم غرقاً وهم في طريق الهجرة الى الضفة الاخرى.

تعيش الامة الاسلامية في هذا العصر أزمة حادة في العلاقة مع الآخر المختلف دينياً، بسبب ترعرع تيار في وسط الامة يتبنى الصدام مع الآخر، ويمارس أشد ألوان العنف والارهاب تجاهه، من الخطف والقتل والسبي، وتدمير المنشآت، واستهداف التجمعات المدنية بالتفجير والقتل والارعاب، وكل ذلك يتم باسم الاسلام، وتحت رايات ترفع شعاره. وقد طالت هذه الهجمات مختلف بلدان العالم، وسط ضحاياها آلاف المدنيين الابرياء من الرجال والنساء والاطفال.

صحيح أن المسلمين قد عانوا في الماضي ويلات الاستعمار الاجنبي، وعنف الحملات الصليبية، ولازالوا يواجهون سياسات الهيمنة الاجنبية على بلدانهم، والدعم المفتوح لعدوهم الرئيس (اسرائيل) التي تحتل ارض فلسطين، وتمعن في اذلال الشعب الفلسطيني، وتمارس الغطرسة في المنطقة العربية والاسلامية بدعم غربي.



وكان لا بد وان تؤدي هذه الممارسات الارهابية الى تشويه سمعة الاسلام في اوساط المجتمعات الغربية، وان يصبح وجود المسلمين مصدر قلق وخوف لتلك الشعوب. مما اعطى الفرصة لنمو توجهات يمينية متطرفة تبني التضييق على المسلمين وتشويه صورة الاسلام واهانة مقدساته، فهناك من اعلن القيام بحرق القرآن وهناك من رسم كاريكاتورات السخرية والاستهزاء بالنبي محمد ﷺ، وهناك من انتج افلاماً للتخويف من الاسلام والمسلمين، وهناك من طالب بطرد المسلمين او منع دخولهم الى امريكا واوربا، ضمن الموجة التي يطلق عليها (اسلام فوبيا).

وهكذا تأزمت العلاقة بين الامة وهذه المجتمعات، ولم يقتصر الامر على المجتمعات الغربية المسيحية، بل امتد الى بلدان اسيا وافريقيا، من المجتمعات الهندوسية والبوذية وغيرها.

في الجانب الاخر فان العلاقات داخل الامة وبين مكوناتها الدينية ليست اقل تأزماً من العلاقة مع الخارج،

بل هي اشد واطغر، حيث انفجر الصراع الطائفي بين السنة والشيعة في اكثر من قطر اسلامي، وادى ذلك الى حروب ومعارك، وتهجير واغتيالات وتفجيرات انتحارية ارهابية، استهدفت المساجد والحسينيات والاماكن المقدسة والتجمعات الشعبية المختلفة. وتلبدت كل سماء العالم الاسلامي بغيوم هذا الصراع المقيت.

ان الخطير في تأزم العلاقة مع الاخر الخارجي والداخلي، اتكاء هذه الحالة على تنظير ديني، حيث يروج التيار المتطرف لثقافة تقوم على المفاصلة والصدام مع الاخر، المختلف في الدين او المذهب او حتى في بعض الآراء والافكار ضمن المذهب الواحد، كما رأينا في اقتتال الفصائل (الجهادية) في افغانستان والصومال وسورية.

هذه الثقافة المتطرفة التي تشرعن الارهاب والعنف تدعي الانتساب للدين، وتستدل وتستشهد بنصوص قرآنية، واحاديث نبوية، وافعال صحابة، واقوال فقهاء.

الدينية، والمنهج التشريعي للتعامل مع الآخر الديني.

وتعنى هذه الورقة المتواضعة باستكشاف الرؤية القرآنية بلغة بينة واضحة، عسى ان تسهم في تحصين وعي جمهور الامة من التأثير بثقافة التطرف والتشدد.

١. الشراكة الانسانية:

ما يجب ان يستحضره المؤمن هو ان الآخر مهما كان دينه ومذهبه وعقيدته فهو شريك له في هذه الحياة، ولا بد من التعامل معه على هذا الاساس، ذلك ان الله تعالى هو خالق الكون والحياة، وهو مالك كل شيء من ثرواتها وخيراتها، وقد اعطى حق الحياة والاستمتاع بخيراتها لجميع ابناء البشر، من آمن به ومن كفر، فجميع البشر شركاء على نحو التساوي في فرص الاستفادة من امكانيات الوجود.

ولا يحق لمن يدعي الايمان بالله تعالى ان يصادر حق احد من عباده ولو كان كافراً، في التمتع بشيء من خيرات الحياة، لانه بذلك يكون قد خالف ارادة

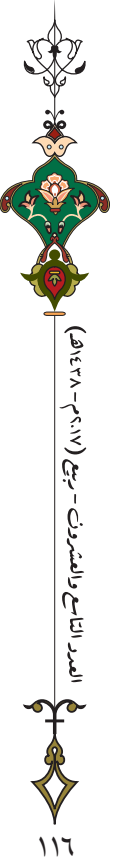
وبعض ما يستشهد به هؤلاء المتطرفون نصوص مختلفة، قد تكون من وضع وعاظ السلاطين، والرواة المرتزقة للحكام المستبدين، من اجل تبرير بطشهم وديكتاتوريتهم.

وبعض النصوص صحيحة لكن يساء فهمها وتفسيرها، بما يخدم توجهات التشدد والتطرف.

وقد تكون بعض النصوص موجهة لظروف وزمن محدد، لكنهم يتعاملون معها على اساس الاطلاق الزمني والمكاني، دون اخذ بيئة وملابسات صدور النص بعين الاعتبار.

من هنا تبدو الحاجة ماسة في ظل هذا الوضع الحساس الذي تعيشه الامة، على صعيد تأزم العلاقات الخارجية والداخلية الى ترسيم المبادئ ووضع القواعد التي تنظم العلاقة مع الآخر، والتعايش بين ابناء الشر وان اختلفت اعراقهم واديانهم ومذاهبهم.

فلا بد من الرجوع الى القرآن الكريم، وهو المصدر الاساس للعقيدة والتشريع الاسلامي، لمعرفة الرؤية



الله، ومارس الظلم والجور.

كان يمكن لله تعالى ان لا يخلق من لا يؤمن به، او ان يسلب نعمة الوجود من الكافرين والعصاة، او يحرمهم من بعض قدرات الحياة وامتيازاتها، ولكن حكمته تعالى شاءت ان تتسع الحياة للجميع، وان يغمر فضله ونعمه الجميع.

وللتأمل نهاذج من الايات الكريمة التي تؤكد هذه الحقيقة:

يقول تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ [سورة البقرة: ٢٨ - ٢٩].

والخطاب في قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ موجه الى البشر مؤمنهم وكافرهم، بدليل سياق الاية مع التي قبلها والتي تخاطب الكافرين.

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ

لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرًا وَبَاطِنًا وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ [سورة لقمان: ٢٠].

وتشير جملة من الايات الكريمة الى ان الله تعالى قد منح الانسان فرصة الجمع بين متع الدنيا وثواب الاخرة، عن طريق الايمان به والالتزام بدينه، لكن من يريد حرمان نفسه من ثواب الاخرة، بالكفر بخالقه، والصد عن دينه، فان فرصته في التمتع بلمذات الدنيا محفوظة له، يقول تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ [سورة هود: ١٥].

ويقول تعالى: ﴿ كَلَّا نُمَدِّ هَتُولَاءِ وَهَتُولَاءِ مِّنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [سورة الاسراء: ٢٠].

فنعم الله تغمر هؤلاء المؤمنين وهؤلاء الكافرين، ولا يحظر على الكافرين شيء من عطاء الله في هذه الحياة.

هذه الايات الكريمة وامثالها كثير في القرآن الكريم، تؤكد على تكافؤ الفرص

التمليك فاشترك فيه المسلم والذمي كسائر اسباب الملكية^(٢).

وهناك قاعدة: (من حاز ملك) فمن استولى على شيء غير مملوك لاحد من خيرات الكون، يصبح ملكاً له، مسلماً كان او غير مسلم.

٢. الاعتراف والاقرار بوجود الآخر:

كما انك موجود فكذلك الآخر موجود، حيث لا يستطيع احد الغاء احد، وكما لا يرضيك ان يتنكر الآخر لوجودك، فانه لا يقبل ان تنكر وجوده.

وهنا يجب ان نفرق بين مشروعية الوجود، وحقانية الوجود، فكل صاحب دين او مذهب يرى الحقانية في عقيدته، وان المعتقدات الاخرى باطلة.

لكنه لا يملك حق الغاء المعتقدات الاخرى، فلها وجودها واتباعها، ومن حقهم ان يعبروا عن ذاتهم الدينية والمذهبية.

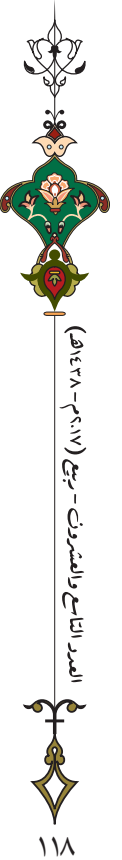
وقد حاول بعض من اتباع مختلف

بين ابناء البشر في هذه الحياة، وانه لا يحق لاحد ان يصادر حق احد في الاستمتاع بخيرات الدنيا مهما كان دينه او عقيدته، مؤمناً كان او كافراً، لان ذلك منحة وعطاء الهي للخلق.

ويمكننا ان نستشهد بقاعدة في الفقه الاسلامي تنبثق من هذه الرؤية وهي قاعدة الاحياء، فمن بادر لارض مهملة غسر مملوكة فاحياها بجهد ونشاطه، ببناء او زرع او ما اشبه من طرق الاستفادة، فانه يملكها.

يقول الفقهاء: (يجوز لكل احد احياء الاموات بالاصل، والظاهر انه يملك به من دون فرق بين كون المحيي مسلماً او كافراً)^(١).

ولا يشترط عند الجمهور (الحنفية والمالكية والحنابلة) كون المحيي مسلماً. فلا فرق بين المسلم والذمي في الاحياء، لعموم قول النبي ﷺ: ((من احيا ارضاً ميتة فهي له)) ولان الاحياء احد اسباب



(٢) الفقه الاسلامي وادلته، د. وهبة الزحيلي، ج ٥، ص ٥٥٩، الطبعة الثانية، دار الفكر - دمشق.

(١) منهاج الصالحين، السيد محمد الروحاني، مسألة ٦٧٣، الطبعة الثانية، بيروت - دار الزهراء.

الديانات والمذاهب ان يصادروا الوجودات الدينية والمذهبية المخالفة لهم، لكن هذه المحاولات غالباً ما تبوء بالفشل، ولا تنتج الا الحروب القذرة، والعنف المتبادل باسم الدين.

ان الدين والمعتقد قد يصبح هوية وجودية للمجتمع، لا يتخلى عنها تحت ضغط التهديد، ولا الخضوع لمنطق الادلة والبراهين.

هذا ما تشير اليه الاية الكريمة:

﴿وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَكْفُرُوا بِمَا آتَيْتَهُمْ وَمَا تَعْبَهُوا قِيلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قَوْلِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قَوْلَ بَعْضٍ﴾ [سورة البقرة: ١٤٥].

ويروض القرآن الكريم نفوس المؤمنين ليتعايشوا مع واقع التنوع الديني فهو قدر البشرية الى يوم القيامة، فلا يتوهم احد امكانية الفصل والحسم بين الديانات في هذه الحياة الدنيا، اذ انها مهمة مؤجلة الى يوم القيامة. وتم بين يدي الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ

هُوَ يَفْصَلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [سورة السجدة: ٢٥]،

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنْتِجُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [سورة المائدة: ٤٨].

وتكريساً لهذا المبدأ يعترف القرآن بوجود اتباع الديانات الاخرى الى جانب وجود اتباعه المؤمنين، في اطار

هوياتهم الدينية يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالصَّخْرِيَّ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصَلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة الحج: ١٧].

٣. الاعتراف والاقرار بوجود الآخر:

غالباً ما يندفع الانسان للتبشير برأيه وعقيدته بدافع وجداني، لانه يؤمن بصحة رأيه، ويرغب ان يشاركه الاخرون الايمان به، ويكسب المزيد من الثقة والاطمئنان برأيه حين تتسع رقعة المقتنعين به.

وقد يكون الدافع للتبشير بالرأي والمعتقد دافعاً مصلحياً، حين يكون وسيلة لاستتباع الاخرين، واخذ موقع التأثير عليهم، والقيادة لهم، بما يحقق اطماع الهيمنة والسيطرة.

وتشجع معظم الديانات اتباعها

ويقول تعالى: ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ
أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ
بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [سورة ال عمران: ٢٠].

لقد شاءت ارادة الله وحكمته ان
يكون الانسان في هذه الدنيا حراً في
قناعاته وافكاره، حتى في مبدأ الايمان
بالله تعالى، حيث لم يفرض الله على خلقه
الايمان به اجباراً واکراهاً، ولم يمنح
لاحد حق هذه الوصاية والممارسة.

يقول تعالى: ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ
شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ [سورة الكهف: ٢٩].

ويقول تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ
مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ
النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة
يونس: ٩٩].

هكذا يؤكد القرآن الكريم احترام
حرية الرأي ولايسمح للمؤمنين به
استخدام العنف والقوة في الدعوة اليه،
حتى اللفظ والكلام غير مقبول عند الله
كاسلوب للدعوة الى دينه، يقول تعالى:
﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ
الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

على التبشير بها ومعتقداتها، انطلاقاً من
حقانيتها، ولان ذلك يجلب رضا الرب
سبحانه.

وقد يؤدي التبشير بالرأي والمعتقد
الى حالة من الصدام والصراع بين اتباع
الديانات والمذاهب والافكار، وخاصة
حين يأخذ منحى الفرض والاکراه.

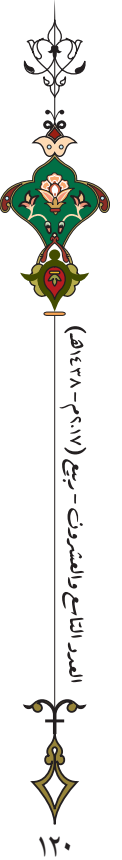
وهنا يؤكد القرآن الكريم على احترام
حرية حرية الرأي والمعتقد، ويفرض اي
محاولة لاکراه الاخرين على تبني معتقد
او قبول رأي. يقول تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي

الدِّينِ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦] ويقول
تعالى ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا
مُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة يونس: ٩٩].

ان الانبياء الذين بعثهم الله برسالاته
وشرائعه، تنحصر مهمتهم في تبين الدين
وتبليغه، ولا يحق لهم ابدأ فرض الدين
او اجبار الناس على اعتناقه. يقول تعالى:

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ
عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴾ [سورة الغاشية: ٢١-٢٢]

ويقول تعالى: ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ
فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ
عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [سورة النساء: ٨٠].



[سورة النحل: ١٢٥] ويقول تعالى:

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٦].

٤. سيادة العدل وحفظ الحقوق:

ان التمايز الديني والمذهبي لا يعطي

لاحد الحق في الاستعلاء على الاخر،

ومصادرة شيء من حقوقه الانسانية،

او النيل من كرامته. فاعتقادك باحقية

دينك وبطلان دين الاخر، لايمنحك

مبرراً للتسلط عليه او امتهان كرامته،

ذلك ان الانسان بما هو انسان وقبل اي

عنوان اخر ديني او عرقي او طبقي،

له قيمته وكرامته التي يجب ان تحفظ

وتحترم في هذه الحياة، اما في الآخرة

فحسابه عند ربه.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [سورة الغاشية:

٢٥-٢٦].

ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ

إِلَهَاءَ آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ

رَبِّهِ﴾ [سورة المؤمنون: ١١٧].

ولتأكيد هذه القيمة الانسانية تحدثت

آيات القرآن الكريم عن مكانة الانسان

وخصائصه الفريدة، فهو الذي جعله

الله خليفته في الارض، وجعل تحت

تصرفه كل موجودات الكون والحياة،

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا

فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة لقمان:

٢٠] وقد خلقه في احسن تقويم، واسجد

له ملائكته، ومنحه الكرامة والقيمة

العالية، يقول تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي

آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَيْ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ

الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا

تَفْضِيلًا﴾ [سورة الاسراء: ٧٠].

كل هذه المكانة والامتيازات للانسان

بما هو انسان، دون النظر الى عرقه او

دينه او عقيدته، كما هو مفاد الاطلاق

في الايات الكريمة، وصحة العقيدة

والدين، والالتزام القيمي يضيف الى

صاحبه في المكانة والاعتبار عند الله، وفي

ثواب الآخرة، اما في الحياة الدنيا فابناء

البشر يتساوون في تلك الميزات الاساس.

يقول السيد محمد حسين الطباطبائي

في تفسيره للآية الكريمة ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا

بَنِي آدَمَ﴾: (يظهر ان المراد بالآية

بيان حال لعامة البشر مع الغض عما

حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴿٥٨﴾
[سورة النساء: ٥٨].

والعدل شرعة عامة لبني البشر،
دون النظر لاعراقهم واديانهم، هكذا
يأمر الله رسوله ﷺ ان يخاطب غير
المؤمنين به، يقول تعالى: ﴿وَأْمُرْتَ بِالْعَدْلِ
بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ
أَعْمَلُكُمْ﴾ [سورة الشورى: ١٥].

ان وجود عداوة او خصومة مع
الطرف الاخر لا يبرر الجور عليه،
وتخطي حدود العدل في التعامل معه،
يقول تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا
يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَا
تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿٨﴾
[سورة المائدة: ٨].

انه لا يجوز النيل من اي حق من
حقوق احد من الناس المادية او المعنوية
يقول تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ
أَشْيَاءَهُمْ﴾ [سورة الاعراف: ٨٥]
وقد تكررت هذه الجملة في ثلاثة موارد
من القرآن الكريم.

هذه مبادئ اساسية يقررها القرآن

يختص به بعضهم من الكرامة الخاصة
الالهية، والقرب والفضيلة الروحية
المحضة، فالكلام يعم المشركين والكفار
والفساق^(٣).

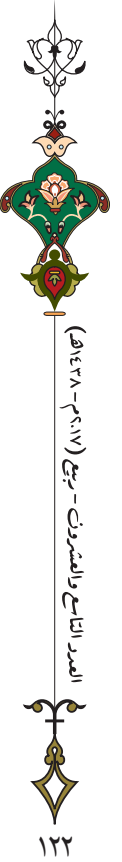
وقال الالوسي البغدادي: ((ولقد
كرمنا بني ادم)) (اي جعلناهم قاطبة
برهم وفاجرهم ذوي كرم، اي شرف
ومحاسن لا يحيط بها نطاق الحصر)^(٤).

ان القرآن الكريم يقرر مبدأ كرامة
الانسان لانسانيته اولاً وقبل كل شيء،
فمن اي عرق انحدر، والى اي دين
وعقيدة انتمى، فهو انسان له كرامته
الذاتية، ويجب ان يتمتع بحقوقه الانسانية
الكاملة.

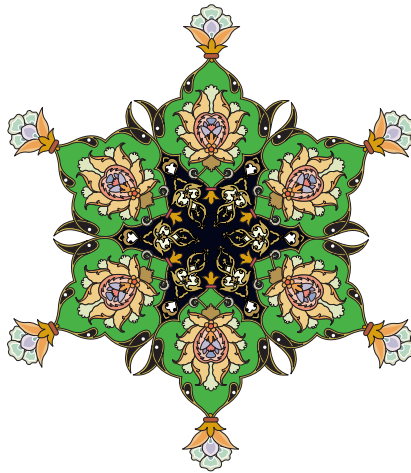
وانطلاقاً من هذا المبدأ يقرر القرآن
الكريم سيادة شرعه: العدل واحترام
حقوق الانسان، كمنهج ونظام للعلاقة
بين بني البشر في هذه الحياة: يقول تعالى
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴿٩٠﴾
[سورة النحل: ٩٠] ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا

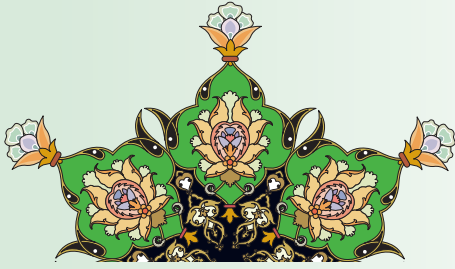
(٣) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٣، ص ١٥٢.

(٤) السيد محمد شكري الالوسي البغدادي،
روح المعاني في تفسير القرآن، ج ٥،
ص ١١٧.

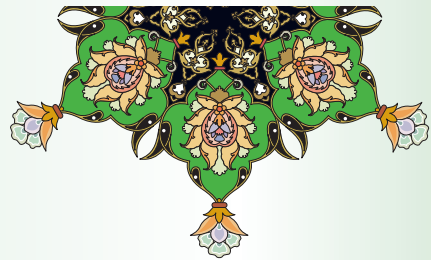


الكريم لتوطيد السلم العالمي، ولتحقيق
 التعايش بين بني البشر، لكن المؤسف
 تجاهل هذه المبادئ في اوساط ابناء الامة
 الاسلامية، بل سيادة توجهات على
 النقيض منها تحت عنوان الجهاد، او
 الولاء والبراء، او مواجهة اهل البدع.
 وما احوج ساحة الامة الى خطاب
 ديني واع يبين هذه المفاهيم، ومصاديق
 تطبيقاتها التي يجب ان لا تتنافى مع
 تلك المبادئ الاساسية التي يقررها
 القرآن الكريم كقواعد حاكمة على سائر
 التشريعات والاحكام.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مُصْطَلَحُ عُلُومِ الْقُرْآنِ

فِي ضَوْءِ عِلْمِ اللُّغَةِ النَّصِيِّ

أ.م.ر. علي جاسب الخزامي

كلية التربية للعلوم الانسانية - جامعة البصرة

فحوى البحث

هذا البحث يسعى إلى قراءة مصطلح علوم القرآن قراءة معرفية لكشف البناء الفكري له. وذلك من خلال تحليله ومقارنته بمفهوم علم اللغة النصي. إذ وجد الباحث في أثناء قراءته الدراسات النصية المعاصرة أن كثيرا من الأفكار والرؤى التي اعتمدها هذا العلم قد كانت تمثل المحتوى المعرفي لمصطلح علوم القرآن. وإنما يقع الفرق بينهما في أن علم لغة النص قد أولاه الباحثون المحدثون عناية خاصة جعلت مبانيه الفكرية أكثر معرفة وبيانا ووضوحا من أطروحة (علوم القرآن).

ثم يتولى هذا البحث بيان المنطلقات الفكرية التي تمثل البناء المعرفي لعلوم القرآن من خلال مقارنتها بمفهوم علم لغة النص لوجود نقاط تشابه عديدة بينهما فقط. وهذا ما سوغ للسيد الباحث إجراء مقارنة بين الاثنين.

المقدمة:

وتصنيفها، ووضع نحو خاص لها))^(١).

يتميز علم النص بمجموعة من السمات، والخصائص التي تمنحه استقلاليته، وفرادته، ومناهجه. ولعل من أهم تلك السمات عنايته بالنص بوصفه أكبر وحدة مفاهيمية، ذات دلالة محددة، والأخرى ما أطلق عليه (التداخل المعرفي)، ويراد منها منح علم النص صفة الشمولية، إذ لا تنحصر إفادته من العلوم الأخرى في علم دون آخر، بل يسعى إلى الاستفادة من كل ما يمكنه أن يشترك في عملية تحليل النص لاستنطاقه، واستخراج دلالاته. ومن هذا المنطلق ((فقد تشعبت المنابع التي استقى منها مفاهيمه، وتصوراتها، ومناهجه))^(٢).

و علم النص في إفادته من العلوم الأخرى، يكون قد جمع بين المعارف المتباينة، والمتفارقة. وهذا ما جعل هذه السمة من علامات السلب في دائرته.

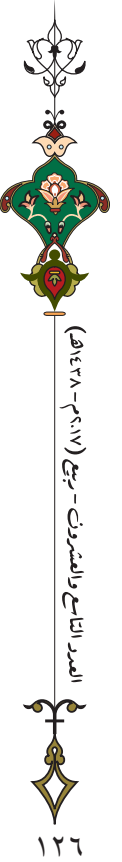
(١) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق الحديث النبوي انموذجا مجلة علوم اللغة مج ٩ العدد ٢ سنة ٢٠٠٦.

(٢) علم لغة النص، د. سعيد بحيري: أ.

مازالت دراسات علوم القرآن الحديثة تعيد ما كتبه القدماء مع التوضيح والشرح، وتكرار الموضوعات المسائل نفسها مع تغير عرضها. ولم تحاول أن تتجه نحو الأسس المعرفية التي بنيت عليها أطروحة علوم القرآن. فلم تبحث في القيمة العلمية لهذا العمل الذي ولد في نهاية الحضارة الإسلامية، فلم ينل نصيبه من الدراسة، وحظه من البحث والتنقيب، وما يكفيه من التطبيق والتمثيل على الرغم من ظهور بعض الدراسات الحديثة التي أخذت تنحو منحى آخر في قراءة أطروحة (علوم القرآن) مثل كتاب (مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن) للدكتور حامد أبو زيد، والنص و(الخطاب، دراسة في علوم القرآن) للدكتور محمد الباسط عيد.

علم اللغة النصي:

علم اللغة النصي ((علم يبحث في سمات النصوص وأنواعها، وصور الترابط والانسجام داخلها، ويهدف إلى تحليلها في أدق صورة تمكننا من فهمها



وهو ما يبدو واضحاً في ((تحديد المجال الذي ينبغي أن يُفهم من إطلاق علم اللغة النصي عليه، فكثير من الأشياء غير المتجانسة تطرح غالباً تحت شعار علم اللغة النصي))^(٣). وان سيره نحو الشمولية^(٤) ((لابد من أن يفضي إلى غموض زائد في مفاهيمه المتخصصة، وفي إجراءاته))^(٥)، لكنَّ علم لغة النص استطاع أن يتجاوز هذا المشكل؛ لأنه تميز ((بقدره فائقة على استيعاب كل ذلك الخليط المتباين، بل وتشكيل بنية منسجمة قادرة على الحفاظ على ذلك التداخل من جهة، وإيراز جوانب التفارق بينه وبين العلوم من جهة ثانية))^(٦).

ولم تقع العلوم التي استقى علم النص منها تصوراته في دائرة واحدة. ففي الوقت الذي يستفيد فيه من العلوم اللسانية وما أفرزته من أفكار، ورؤى

(٣) مدخل الى علم اللغة النصي: ٣. وينظر علم لغة النص: ١٥.

(٤) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات فان دايك ت بحيري: ١٤.

(٥) مدخل الى علم اللغة النصي: ٧.

(٦) علم لغة النص، د. سعيد بحيري: أ.

مختلفة حول دراسة اللغة. فانه أخذ من علوم غير لسانية من أدوات البحث ووسائله ما يسعفه في تحليل النص حتى قيل: ((إنَّه العلم الذي استطاع أن يجمع بين عناصر لغوية وغير لغوية لتفسير الخطاب، أو النص تفسيراً إبداعياً))^(٧). فقد انفتح هذا العلم على ((جملة من المعارف كعلم النفس والاجتماع والسيمايائية والأسلوبية والذكاء الاصطناعي، ونظرية المعلومات، والعلوم اللسانية، والأدبية وغيرها))^(٨).

وقد ولّد التداخل المعرفي الذي ميز علم النص مناطق مشتركة بينه وبين العلوم التي أخذ منها، واستعان ببعض تصوراتها إلى حد أن تكون هناك منفعة متبادلة. فعلم النص أخذ من تلك العلوم ما شكّل مفاهيمه المميزة، وأدواته التحليلية، ثم وهب لتلك العلوم نتائج تحليلاته التي قد توظّفها في حل مشكلاتها المعرفية، ومسائلها الغامضة والمعقدة^(٩).

(٧) علم لغة النص، د. سعيد بحيري: ب.

(٨) المصطلحات الأساسية في لسانيات النص

وتحليل الخطاب، د. نعمان بوقرة: ٢٣.

(٩) ينظر: علم لغة النص، د. سعيد بحيري: ٢.

وتوسيع رقعة علم اللغة في اتجاهات مختلفة))^(١١). فإذا كانت عناية اللغوي بالمعلومات اللغوية في حد ذاتها من أجل ذاتها، لا يعنيه المجال الذي ينتمي إليه نص ما أو قائل هذا النص إلا في حدود معينة، وتحتل المعلومات الأخرى موضعاً هامشياً، فلا تدخل في التفسير إلا بمقدار ما تكون الحاجة إليها ملحة))^(١٢). فان علم النص يوسع من دائرة عمله، يعد هذا العمل قاصراً عن الإحاطة بوظيفة اللغة الحقيقية، فهو يرى ((أن الفهم الحق للظاهرة اللسانية يوجب دراسة اللغة دراسة نصية] و [ليس اجتزاء الجمل والبحث في نماذجها))^(١٣). فاللغة بحسب التصور النصي لا يمكن أن تفهم من خلال نماذج وأمثلة مجتزأة. ومن هذا المنطلق يجب أن تكون ((دراسة النصوص هي دراسة للمادة الطبيعية التي توصلنا إلى فهم أمثل لظاهرة اللغة؛ لأنَّ الناس لا تنطق حين تنطق، ولا تكتب حين تكتب

ولكن التداخل المشار إليه يجب أن يلتزم بحدود معينة، فلا يتجاوزها إلى حد الانفتاح الذي تضيق معه هوية علم لغة النص، فهناك حدود يجب إن يقف عندها هذا العلم عند بحثه في كل منطقة مشتركة مع علم آخر. فمثلاً يجب إن يكون مقدار استفادة علم النص من علم اللغة النفسي بقدر ما يساعده على فهم النص انطلاقاً من أن النصوص ليست في الواقع إلا نتاج عملية نفسية، وانعكاس لما يدور في خلد الإنسان من مشاعر وأحاسيس. ولكن لا ينبغي لعلم النص أن يتعدى مقدار الفائدة إلى الإحاطة التفصيلية بالظواهر النفسية^(١٠).

وقد عمل علم النص على تحقيق سمة التداخل المعرفي بوصفها سمة جوهرية مميزة له عن غيره من خلال أمرين متلازمين، الأول احتواء أهم الأفكار اللسانية في دراسة الظاهرة اللغوية، وإضافة ما لم تكن الدراسات الألسنية تعنى به، وبتعبير آخر أنه عمل على ((تجاوز الحدود اللغوية الصارمة،

(١٠) ينظر: مدخل الى علم اللغة النصي: ١٠.

(١١) مدخل الى علم اللغة النصي: ٧.

(١٢) علم لغة النص، د. سعيد بحيري: ٥.

(١٣) علم لغة النص، د. سعيد بحيري: ٣٦.

جملاً أو تتابعاً من الجمل، ولكنها تعبر عن الموقف اللغوي الحي من خلال حوار معقد متعدد الأطراف مع الآخرين. وكثر في هذه الحال تصادم الاستراتيجيات، والمصالح وتعقد المقامات. ومثل ذلك نراه في حدث الكتابة حيث تتعدد العلاقات بين مكونات الصياغة اللغوية، وترتد أعجازها على صدورها، وتشابك العلاقات في نسيج معقد بين الشكل والمضمون على نحو يصبح فيه رد الأمر كله إلى الجمل، أو نماذج الجمل تجاهلاً للظاهرة المدروسة. ورداً لها إلى بساطة مصطنعة تحل بجوهرها، وتفضي إلى عزل السياقات المقالية والمقامية، والأطر الثقافية، واعتبارها أمراً قائماً خارج النحو وطارئاً عليه^(١٤). فعلم النص احتوى التصورات اللسانية وتجاوزها إلى تصورات لم تكن اللسانيات منها تؤمن بمنفعتها في دراسة الظاهرة اللغوية، فجمع علم النص بذلك بين عناصر لغوية وأخرى غير لغوية.

والأمر نفسه مع علم البلاغة، فقد

(١٤) علم لغة النص، د. سعيد بحيري: ٣٦.

احتوى علم النص أفكاراً بلاغية كثيرة، ثم تجاوزها بإدخالها مفاهيم لم تكن ذات جدوى في الحقل البلاغي، فقد كان هدف البلاغة الرئيس ((ينحصر في توفير القواعد، وإعداد النماذج التي يستطيع المتكلم بمساعدتها إقناع سامعيه بحديثه، وبمقدرته على تحقيق إثارة الشيء الذي يدافع عنه، ويمكن وصف الخطاب بأنه متحيز ويقوم على الإقناع. وقد اتسع علم لغة النص في الأساس بضمه تلك القواعد والنماذج والاستراتيجيات المتاحة، وتجاوزها إلى إمكانات أخرى، توفرت له من خلال الامتداد المعرفي، واتساع الأفق، والتداخل التصوري، ومكنته نظرتة الشمولية من تخطي الامتداد الأفقي إلى أبعاد دلالية وإشارية وإحالية وإيحائية تستعصي على النظر المحدد، بل استعانت بما يدور فيما وراء اللغة في التحليل، والتفسير حين وضع في الاعتبار مستويات القراءة وأحوالهم النفسية، والاجتماعية، تعدد القراءة وأشكال التواصل ودرجات الفهم والاستيعاب، وطرق التذكر والاستعادة

وأكثر اتساعاً من غيرها^(١٧). وما دفع النصيين إلى اعتماد فكرة التداخل المعرفي أمران مهمان هما:

أولاً: إن اشتراك مجموعة من المعارف والعلوم المختلفة في مادة بحثها التي يبنى عليها التحليل والتفسير والفهم يمكن أن يكون هو نفسه مادة أساسية لعلم جديد يُعنى ببحث مواضيع الاتفاق وملامح التشابك المعرفي بين تلك العلوم، وقد أطلق على هذا الاتجاه الجديد ((علم لغة النص)) أو ((علم اللغة النصي))، أو ((علم النص)) وظيفته احتواء التداخل المعرفي بين تلك العلوم^(١٨). فهو يُعنى أيضاً بالنص لكن غايته تختلف عن غايات وأهداف العلوم التي تداخل معها معرفياً^(١٩).

ثانياً: تطور العلوم الحديثة، وإمكان الاستفادة منها في تفسير الظاهرة اللسانية وتحليلها انطلاقاً من الاعتقاد بان ((الوقوف عند الجانب الفعلي للغة مهم،

وإمكانات التأليف، و كفيات الترابط الذهني، وغير ذلك من أدوات وإجراءات وعمليات لم يتح لعلم من قبل أن ينظم بينها ويفيد منها كما اتيح لعلم لغة النص))^(١٥).

فالتحليل النصي يقوم في الأساس على الاحتواء والإضافة، فيحتوي ما أسسته البلاغة أو الأسلوبية، لكنه ما يلبث أن يُدخل في عملية التحليل ما لا تعتقد البلاغة بقيمة اللغوية، والاختلاف بين التحليل البلاغي، والتحليل النصي يمثل جوهر التمايز بين العلمين الذي من أمثلته ((إنَّ الأول لا يُعنى إلا بتلك الأشكال المتجاوزة لمستوى اللغة العادية، أو الأشكال المنحرفة... أما التحليل اللغوي النصي فيُعنى بكل أشكال اللغة في الأساس، يتجه إلى المعنى أو ما يُطلق عليه المغزى سواء تحقق في صورة عادية أو صورة منحرفة))^(١٦).

وهذا يعني أن دائرة البحث النصي

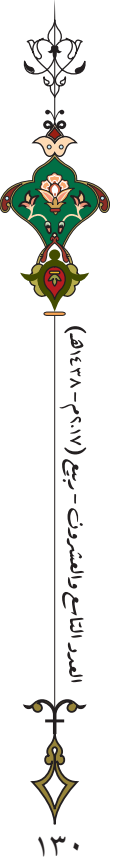
(١٧) ينظر: علم لغة النص، د. سعيد بحيري:

(١٨) علم لغة النص، د. سعيد بحيري: ٩٩.

(١٩) علم لغة النص، د. سعيد بحيري: ١٠٠.

(١٥) علم لغة النص، د. سعيد بحيري: ٩.

(١٦) علم لغة النص، د. سعيد بحيري: ٦٠.



ولكنه غير كافٍ))^(٢٠) لإتمام عملية تحليل النصوص واستنطاقها، والاقتصار على ما تمنحه الدراسات اللسانية من أفكار يجعل تفسير النص محصور ومحدود في إطار الرؤية اللسانية. لذلك اتجه العلماء النصيون إلى ((ما يمكن أن يعينهم على تقديم فهم وتفسير معقولين إلى حد ما لتلك الظواهر))^(٢١). فهم يعتقدون أن ((عزل مستويات النص بعضها عن بعض قد أدى إلى نتائج مبتورة. وبما أن النص وحدة كلية كبرى، فإن دراسة أصواته، وصرفه، ونحوه، ودلالته ليس كافياً بل يجب أن تراعى العلاقة الجوهرية بين تلك المستويات، ومفاهيم السياق، والمقام والاتصال، والمغزى))^(٢٢). بل إن (فان دايك) احد ابزر مؤسسي هذا العلم يرى أن التطور الذي حصل في العلوم التي تُعنى بدراسة النصوص هو الذي دفع بشكل صريح إلى تشكيل معرفي جديد في إطار علم متدخل الاختصاصات يسمى

علم النص^(٢٣).

وعلم النص بهذا الوصف صار ((بديلاً عن النقد الأدبي النظري والتطبيقي، والنقد النوعي (نقد الشعر، القصة، الرواية، المسرحية، المقال، النقد، وعلم جمال الأدب، وعلم اجتماع الأدب، وعلم نفس الأدب... انه علم جامع... انه علم العلوم في الدراسات الأدبية والنقدية واللغوية. يضم تحت لوائه عشرات العلوم الحديثة، والعلوم القديمة))^(٢٤). ومن هذا المنطلق يجب على العالم النصي أن يكون متابعاً لتطورات العلوم التي يمكن أن يستثمرها في عملية تحليل النص، وتفسيره^(٢٥).

مصطلح علوم القرآن:

يذهب الباحثون في علوم القرآن إلى أن هذا المصطلح له دالتان، الأولى لغوية تركيبية تاريخية، والثانية اصطلاحية

(٢٣) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، فان دايك: - بحيري: ١١ و١٥.

(٢٤) علم النص دراسة جمالية، : ١٣.

(٢٥) علم النص دراسة جمالية، : ١٦.

(٢٠) علم لغة النص، د. سعيد بحيري: ٩٧.

(٢١) علم لغة النص، د. سعيد بحيري: ٩٧.

(٢٢) علم لغة النص، د. سعيد بحيري: ٩٨.

شائع عند استعمال مصطلح (علوم القرآن) في بداية الأمر لذلك وصفناه بالمعنى التاريخي (٢٩).

الثاني: وهو المعنى الاصطلاحي للمصطلح، ومفهومه الذي استقر عليه عند المتأخرين من العلماء والمحدثين، ويعرّف بـ ((مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابه وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ودفع الشبه عنه ونحو ذلك. وموضوعه القرآن الكريم من أية ناحية من النواحي المذكورة في التعريف. بخلاف علوم القرآن بالمعنى الإضافي فإن موضوعه هو مجموع موضوعات تلك العلوم المنضوية تحت لوائه. وموضوع كل واحد منها هو القرآن الكريم من ناحية واحدة من تلك النواحي. فعلم القراءات مثلاً موضوعه القرآن الكريم من ناحية لفظه وأدائه وعلم التفسير موضوعه القرآن الكريم من ناحية شرحه ومعناه وهلم

(٢٩) ينظر: مناهل العرفان: ٢٣- ٢٥.

هي الوارث الحقيقي للدلالة الأولى. فمصطلح (علوم القرآن) بحسب المعنى الأول: يعني مجموع العلوم التي تتصل بالقرآن وتتخذ منه موضوعاً لها لكنه يختلف من جهة وسائل البحث، ومنهجه وأدواته مثل علم التفسير، والقراءات، الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول والفقهاء والأصول والمعجم والصرف والنحو والبلاغة (٢٦)، وبعضهم أدخل علم الهيئة والهندسة، وعلم الطب مثل السيوطي (٢٧).

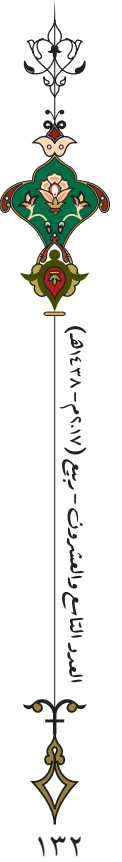
وهذا المعنى مأخوذ من الدلالة اللغوية لكلمة (علوم) وما تعنيه بعد إضافة لفظ (القرآن) إليها (٢٨). وهو المفهوم المتداول عند القدماء، وما هو

(٢٦) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزرقاني: ١ / ١٩. ومورد الظمان في علوم القرآن للشيخ صابر محمد: ٦، وعلوم القرآن الكريم، د. نور الدين زعتر: ٧، ونفحات من علوم القرآن، محمد أحمد معبد: ٧. ومعجم علوم القرآن، ابراهيم محمد الجرمي: ٦.

(٢٧) ينظر مناهل العرفان: ١ / ١٩.

(٢٨) ينظر مناهل العرفان: ١ / ١٩، وعلوم

القرآن الكريم، د. نور الدين زعتر: ٧.



جرا))^(٣٠). وتعبير آخر، فإن المفهوم الاصطلاحي لعلوم القرآن هو: ((علم واحد يجمع ضوابط تلك العلوم المتصلة بالقرآن من ناحية كلية عامة، أما علوم القرآن بالمعنى اللغوي، فإن كل علم منها يدرس القران كله من زاوية اختصاصه آية آية دراسة تفصيلية))^(٣١). فدلالته الاصطلاحية تعني أن هذا المصطلح أصبح ذا مفهوم مختلف عما كان عليه؛ لأنَّه صار علماً على المباحث الكلية الجامعة التي تتعلق بالكتاب الكريم... هو خلاصة علوم كثيرة لها اتصال بالقرآن الكريم من جوانب متعددة تجمعت تحت مسمى واحد))^(٣٢).

فالدلالة الاصطلاحية لمصطلح علوم القرآن تشير إلى أهم سمة يتميز بها هذا اللون من المعرفة وهو العلمية، فعلى الرغم من استعمال صيغة الجمع في المصطلح إلا أن المراد منه الأفراد،

أي أن المقصود هو (علم القرآن)، وهو علم يُعنى بالنص المقدس حصراً، إذ يمثل موضوعه، ومحل عنايته، واشتغاله. والغرض منه فهم النص القرآني وإيضاحه، وادراك معانيه بصورة صحيحة^(٣٣). ويضيف بعضهم غاية أخرى تتمثل في الدفاع عن النص المقدس حينما تعترضه شبهة ما أو مشكل معين^(٣٤).

ومن سماته الأخرى التي أشار إليها التعريف الاصطلاحى، شموليته، وكليته، وهي سمة توافرت له بسبب احتواء خلاصة علوم أخرى مستقلة بذاتها ومناهجها وأدواتها البحثية^(٣٥)، فهو يأخذ من تلك العلوم بقدر حاجته، وما يحقق بغيته المتمثلة بفهم النص المقدس فهماً محكماً وجيداً. ومن ثم لا تعنيه التفصيلات التي يُعنى بها كل علم؛ لأنَّه يأخذ خلاصة كل مسائل من تلك

(٣٠) مناهل العرفان: ١ / ٢١.

(٣١) علوم القرآن الكريم: ٧.

(٣٢) ينظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم: ٢٤،

وعلوم القرآن بين البرهان والاثقان دراسة

مقارنة، د. حازم سعيد حيدر: ٢٦.

(٣٣) ينظر: مورد الظمان في علوم القرآن: ٧.

(٣٤) ينظر: مناهل العرفان: ١ / ٢٢. مورد

الظمان في علوم القرآن: ٧.

(٣٥) ينظر: مباحث في علوم القرآن، د. حسين

صالح حمادة: ١ / ١٢٢.

إليه في بيان موقع المفردة من السياق لكنه لا يتدخل في عمل النحويين ليناقتشهم في مسألة توافر هذه المفردة وأشباهاها على اعرابين، وكذلك لا يُعنيه وجود تشابه نحوي بين هذين المفهومين (الصفة والبدل)، فهذا من شأن النحاة لا من شأن علم القرآن أو علوم القرآن. ومن جانب آخر، فإن علوم القرآن لا يرتضي وجود اعرابين لهذا المفردة فيستعين بعلم الكلام وعلم الاستدلال والعقيدة الإسلامية لترجيح احد الاحتمالين على الآخر، وقبوله (٣٧).

ومن الخصائص الأخرى لعلوم القرآن أنه علم ولد بعد أن تجاوزت المعارف والعلوم التي استقى منها أصوله ومبانيه، وأخذ أفكاره، وقواعده مرحلة التكوين والاستقرار. وأصبحت علوم ناضجة إلى درجة كبيرة ((فان بدء الكتابة، والتأليف في كل علم من علوم القرآن كان سابقاً لجمع أطراف هذه

(٣٧) ينظر: تشابه المفاهيم النحوية وأثره في تعدد اعراب المفردة القرآنية، د. علي جاسب الخزاعي (مخطوط).

العلوم، بل يلاقح بين أفكارها عندما يستعين بها. فمثلاً يستعين علم إعراب القرآن الكريم بقواعد النحو التي قررها النحويون لبيان الموقع الإعرابي للمفردة القرآنية، ولكن قد يتعارض المعنى النحوي الذي يحدده الإعراب مع فكرة أخرى يستمدتها علم القرآن من علم أخرى مثل العقيدة الإسلامية، أو علم الكلام. فمثلاً في إعراب (عالم) في قال تعالى: ﴿ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ (١١) عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة المؤمنون: ٩١].

فان علم إعراب القرآن الكريم يعربه اعرابين، إذ يرى أبو البقاء العكبري أن: ((قوله تعالى ﴿ عَلِيمِ الْغَيْبِ ﴾ يقرأ بالجر على الصفة أو البدل من اسم الله تعالى)) (٣٦). ومن ثم يأخذ إعراب هذه المفردة احتمالين نحويين كل احتمال يستند إلى مفهوم نحوي مقرر في بابه. ومن ثم فان علوم القرآن أخذ من النحو ما يحتاج (٣٦) التبيان في إعراب القرآن: ٩٦٠.

العلوم))^(٣٨) في علم واحد، أو تحت مسمى واحد.. ومن ثم يمثل مرحلة متأخرة لم تكن لو لم تقطع تلك العلوم شوطاً كبيراً في بحوثها ودراساتها. أي أن التطور المعرفي والعملي لها هو ما دفع لتأسيسه وتكوينه علماً مستقلاً عنها بموضوعه وأبحاثه، متخذاً من نتائجها أدواته في تحليل النص القرآني وتفسيره.

ومن سماته الأخرى أنه علم تأسس لوجود جامع مشترك بين معارف وعلوم متعددة في مشاربه واتجاهاتها ومناهجها، وأدواتها وغاياتها تجسد في النص القرآني، فكل علوم القرآن بحسب المدلول اللغوي تتخذ من النص القرآني مادتها الأساسية. ومن ثم أصبح من الضروري أن يكون هناك علم جامع لتلك العلوم وظيفته أن يقدم فهماً واضحاً وجيداً للنص القرآني من خلال تحليله وتفسيره بالاعتماد على جميع العلوم. فكل علم منها عند اشتغاله بالنص المقدس لا بد أن يكون قد أولى المعنى القرآني في سياقه

عناية خاصة من زاويته. ومن ثم كانت الحاجة ملحة لتكوين علم يجمع رؤى تلك العوم في رؤية واحدة يستطيع من خلالها أن يقدم فهماً متناسب مع مكانة هذا النص العظيم. وتعبير آخر، فإن النص القرآني نفسه هياً أرضية تداخل تلك العلوم بعدما فرض واقعه على متلقيه في أن يؤسس علومه التي تعين على فهمه^(٣٩)، فمثل النص القرآني منطلقاً لعلوم عديدة ما سهّل أن تدمج تلك العلوم التي اشتغلت على النص بعلم واحد أُطلق عليه مصطلح (علوم القرآن).

مصطلح علوم القرآن في ضوء

مفهوم علم النص:

ما استعرضناه من سمات جوهرية تميز بها علم النص، وعلم القرآن يبين لنا درجة التقارب العلمي بينهما لوجود تشابه كبير، ومجموعة من المسائل التي اشتراكا في اشتراطها للتحقق العلمي. ولعل أول السمات المشتركة هو

(٣٨) علوم القرآن واعجازة وتاريخ توثيقه، د. عدنان محمد زرزور: ١٩١.

(٣٩) علم النص، دراسة جمالية، د. مدحت الجيار: ٤٧-٤٨.

هذه المعارف قد تتناقض في ما أنتجته من أفكار.

وهذا التداخل مبني على أساس الفائدة الحاصلة من تلك العلوم فقط، فليس من شأن هذين العلمين الكليين أن يتدخلا في عمل العلوم التي تمدهما بالقواعد والأفكار. فهما يأخذان ما ينفعهما في فهم النص وتحليله. ويتركان ما لا يرتبط بهذه المسألة الجوهرية. فهما يتدخلان في مناقشة تفصيلات المسائل التي هي من شأن تلك العلوم وتخصصها.

وإذا كان علم النص لساني المولد والنشأة، فإن علوم القرآن ولد كذلك من رحم الدراسات اللغوية. فتنفسير القرآن الكريم بوصف أهم تلك العلوم نشأ لغوياً نحوياً تمثل في تفسير مفردات الكتاب الكريم تفسيراً لغوياً، ثم ما لبثت كتب معاني النحو التي جعل التفسير النحوي، والإعراب محوراً الأساس أن استقامت فرعاً من الفروع الممهدة لنشأة علوم القرآن تاريخياً. ومثلما تشكل البلاغة جزءاً كبيراً بقواعدها وأصولها

مبدأ التداخل المعرفي. فكلاهما بوصفهما علمين قاما على أساس التداخل المعرفي. أن علم لغة النص سعى إلى الاستفادة من كل ما يمكنه أن يشترك في عملية تحليل النص لاستنطاقه، واستخراج دلالاته. ومن ثم عمل على الجمع بين المعارف المتباينة، والمتفارقة لتحقيق ذلك الغرض، وقد استطاع أن يتجاوز مشكل اختلاف العلوم بقدرته على استيعاب كل ذلك الخليط المتباين، بل وتشكيل بنية منسجمة قادرة على الحفاظ على ذلك التداخل المعرفي. والأمر نفسه مع علوم القرآن، فإنما سمي بهذا المصطلح؛ لأنه اتجه إلى الأخذ من كل علم خلاصة قواعده، وأفكاره التي تساعد على فهم لنص المقدس، وتحليله. والعلوم التي اعتمد عليها لم تكن في باب واحد، ولا في دائرة واحدة بل كانت متعددة مختلفة متباينة ما قد يكون بين بعض أفكارها تناقض. إذ اعتمد على العلوم النقلية والعلوم العقلية، فجمع بين الرواية والدراية، بل أن السيوطي فيه ادخل علم الطب والهندسة. ولاريب في أن بعض

الذي كان موضوعاً، ومادة أساسية لعلوم كثيرة.

فعلم لغة النص ولد بعد تطور الدراسات اللسانية وغيرها من العلوم

الإنسانية، وكذلك علوم القرآن، فقد تأسست فكرته بعد أن وصلت العلوم

الإسلامية إلى مرحلة نضوجها الفكرية، والنظرية. بل إن بعضها وصل إلى مرحلة

الركود، وعدم الإنتاج بسبب كثرة الدراسات التأسيسية والتنظيرية مثل علم

النحو والبلاغة. ومن ثم يشكل علوم القرآن مرحلة متأخرة من حياة الفكر

الإسلامي، لكنَّ هناك فارقاً أساسياً بين علم النص، وعلوم القرآن. وهو أنَّ

علم النص بدأ نضراً، وما زال يستفيد من الدراسات الحديثة، والمعاصرة. أما علوم

القرآن فقد توقف تطوراتهِ وتطبيقاتهِ التأسيسية والتنظيرية عند كتاب الإتقان

في علوم القرآن للسيوطي، ولم يعمل المحدثون على إكمال ما بدأه سلفهم.

فغدت دراسات علوم القرآن الحديثة تكراراً لما كتبه السابقون وإعادة ترتيب.

إذا ما استثنينا محاولة الشيخ عبد العظيم

في علم النص، فإن علوم البلاغة العربية تمثل ابرز علوم القرآن، إذ تأخذ مساحة

واسعة منها مثلما نطالع الكتب المخصصة لذلك (٤٠).

أما عن الأسباب والدوافع التي شكلت كلا العلمين فتكاد أن تكون

الاسباب نفسها.

فعلوم القرآن إنَّما أصبحت علماً واحداً كلياً جامعاً لمجموعة من العلوم

التي تخدم القرآن على أساس توافر القاسم المشترك بين تلك العلوم، وهو

النص القرآني ما سمح بقيام علماً معتمداً على تلك العلوم مستقلاً عنها في الوقت

نفسه. وهذا العلم قد اتخذ من النص المقدس مادته الأساسية، يسعى إلى

تحليله، وتفسيره اعتماداً على ما تقدمه تلك العلوم من أفكار وقواعد. وعلوم

أخرى، ومادام مصطلح علوم القرآن بهذه السمة، فإنَّه يناظر علم لغة النص

الذي قام مثلما أشرنا إلى ذلك على أساس الحاجة لجود علم يُعنى بدراسة النص

(٤٠) ينظر البرهان في علوم القرآن للزركشي:

والإتقان في علوم القرآن للسيوطي:

له علاقة بهذا النص المقدس من قريب، أو من بعيد^(٤٢). وهذه الرؤية المعرفية التي تقوم عليها هذه الأطروحة التراثية العظيمة تشبه إلى حد كبير مقولات علم النص^(٤٣).

الخاتمة:

يمكن القول في خاتمة هذا البحث إنَّ مصطلح علوم القرآن هو تعبير قديم عن أطروحة حديثة تذهب إلى إمكان تأسيس علم نص كلي يجمع مجموعة متعددة من العلوم التي تختلف في رؤاها وعملها ومناهجها وأدواتها البحثية مع احتفاظه باستقلاله العلمي والمعرفي الذي يميزه عن غيره من تلك العلوم، فلا يغدوا احدها بل له ما يفرقه عنها، علم يُعنى بدراسة النص لتحليله وتفسيره. ويأخذ أدواته وأفكاره من تلك العلوم من دون أن يتدخل في بحثها المعرفي.

الزرقاني في كتابه (مناهل العرفان في علوم القرآن). فقد ركز فيه على موضوعات لم تكن محل عناية بالقدر الكافي عند القدماء، وهو موضوعة الدفاع عن القرآن، ورد الشبهات التي تثار حول النص القرآني. وهو موضوع لم يلقَ عناية كافية لبحثه ودراسته.

وهذه المقارنة التي تكشف لنا عن التقارب المعرفي الكبير بين علوم القرآن، وعلم النص. تبين حقيقة أطروحة علوم القرآن، وقيمتها العلمية والمعرفية. ولو أن دراساته قد استفادت من الدراسات الحديثة، وما أثمرته، و أن المحدثين لم يكرروا ما قاله السلف، وبدأوا من حيث انتهوا. لكان لعلوم القرآن من الدراسات والبحوث ما كان لغيره، أو العلوم الإسلامية الأخرى؛ لأنَّ أطروحة علوم القرآن كانت محاولة رائدة، إذ حاولت أن تجمع التراث الإسلامي المرتبط بالنص لترتكز تلك العلوم واختصارها بحيث يمكن استيعابها، واستثمارها في فهم النص القرآني^(٤١). وعملت على جمع ما

(٤١) ينظر: مفهوم النص. دراسة في علوم

القرآن، د. حامد أبو زيد: ١٢.

(٤٢) ينظر: مفهوم النص. دراسة في علوم

القرآن، د. حامد أبو زيد: ١٣.

(٤٣) ينظر: النص والخطاب، قراءة في علوم

القرآن، د. محمد عبد الباسط عيد: ٩.

تعدد اعراب المفردة القرآنية، د. علي جاسب الخزاعي (مخطوط).

٥. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق الحديث النبوي انموذجا مجلة علوم اللغة مج ٩ العدد ٢ سنة ٢٠٠٦.

٦. علم النص دراسة جمالية نقدية، د. مدحت الجيار، القاهرة، الطبعة الاولى، ٢٠٠٥م.

٧. علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، فان دايك، ترجمة وتعليق د. سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب، الطبعة الاولى ٢٠٠١م.

٨. علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد بحيري، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، الطبعة الاولى ١٩٩٧م.

٩. علوم القرآن الكريم، د. نور الدين زعتر، مطبعة الصباح، دمشق، الطبعة الاولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٠. علوم القرآن بين البرهان والاتقان دراسة مقارنة، د. حازم سعيد حيدر، مكتبة دار الزمان، السعودي،

و هذا المقارنة تدلنا على عظم ما فعله القدماء، وجهودهم القيمة التي بذلوا من اجل خدمة العلم، فمصطلح علوم القرآن أطروحة حاولوا من خلالها أن يؤسسوا علم النص القرآني يُعنى بتفسيره، وإيضاحه معتمدا على الأفكار، والقواعد التي انتجه العلوم التي سبقت هذا العلم. وجسّدت أساسه الفكري. وهذا يعني أن القدماء كانوا يؤمنون بإمكان تحقيق مثل هذا العلم خدمة للنص القرآني.

مصادر البحث:

١. الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ٩١١هـ، دار الفكر للطباعة، والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢. البرهان في علوم القرآن تاليف للامام بدر الدين أبي عبد الله محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي المتوفى ٧٩٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الاولى، ٢٠٠٦م.

٣. التبيان في إعراب القرآن: ٩٦٠.

٤. تشابه المفاهيم النحوية وأثره في

- د. ط، ١٤٢٠هـ. للكتاب العالي، عمان الاردن،
الطبعة الاولى ٢٠٠٩م.
١٦. معجم علوم القرآن، ابراهيم محمد
الجرمي، دار القلم، دمشق، الطبعة
الاولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
١٧. مفهوم النص. دراسة في علوم
القران، د. حامد أبو زيد، المركز
الثقافي العربي، بيروت لبنان، الطبعة
الثامنة، ١٩٩٨.
١٨. مناهل العرفان في علوم القرآن،
عبد العظيم الزرقاني، دار الكتاب
العربي، بيروت، بيروت ١٤١٥هـ-
١٩٩٥م.
١٩. النص والخطاب، قراءة في علوم
القران، د. محمد عبد الباسط عيد،
مكتبة الاداب، القاهرة، الطبعة،
١٤٢٠هـ-٢٠٠٩م.
٢٠. نفحات من علوم القرآن، محمد أحمد
معبد، مكتبة طيبة، المدينة المنورة،
الكعبة الاولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
١١. علوم القران واعجازه وتاريخ
توثيقه، د. عدنان محمد زرزور، دار
الاعلام، الاردن، الطبعة الاولى،
١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
١٢. مباحث في علوم القرآن، د. حسين
صالح حماده، دار المحجة البيضاء،
بيروت لبنان، الطبعة الاولى،
١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
١٣. مدخل الى علم اللغة النصي،
فولفجانج هينه، ترجمة د. فالح
بن شيب العجمي، السعودية،
١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
١٤. المدخل لدراسة القرآن الكريم
والسنة والعلوم الاسلامية. د.
شعبان محمد اسماعيل، دار الانصار
القاهرة. د. ط.
١٥. المصطلحات الأساسية في لسانيات
النص وتحليل الخطاب دراسة
معجمية، د. نعمان بوقرة، جدارا

أهداف ذكر النجوم والكواكب

في القرآن الكريم

م.م. رزاق مهدي صماري

كلية التربية - جامعة بغداد

فحوى البحث

أشار القرآن الكريم الى الكواكب والنجوم، وركزت الآيات المباركة على الشمس والارض والقمر؛ لان الاصل في وجودهما خدمة الانسان، وكشفت الآيات بعض الحقائق العلمية لها، وذكرت آيات اخرى الاهداف من ذكرهما، كمعرفة السنين والحساب، وبينت اخرى اختصاص بعضها بخصائص ومميزات، كاختصاص الارض لسكن الإنسان، وتكلمت الآيات الاخرى عن جملة من خصائص الارض، كسمائها، وسهولها، وجبالها، ومائها، ليلها ونهارها...، وتكرر في القرآن كلمة (سخر) عند ذكر الشمس والقمر، عسى ان يتفكر الانسان في هذا الكون عظيم الخلق، فيقر لخالقه بالعبودية، ويشكر الله على نعمه العظيمة، فالكواكب والنجوم مخلوقات عظيمة الخلق؛ ولعظمتها ذكر سبحانه وتعالى اسماء بعضها كالطارق ونجم الشعرى، وذكر سبحانه باقي الكواكب والنجوم اجمالاً، وقد كرس السيد الباحث حديثه في الاهداف والغايات التي من اجلها شغلت هذا الحيز الكبير من القرآن الكريم، واهاب بالانسان ان يتفكر في هذه النجوم التي ملأت السماء ليصل عن علم الى عظمة الله سبحانه، وان يوقن ان في الكون اسراراً عظيمة ما عليه الا ان يبحث فيها عسى ان يصل الى بعضها منتفعا مما جاء في القرآن من اشارات.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

فقسمت البحث على مبحثين، الاول يتعلق في اهم الاهداف والغايات التي من اجلها ذكر سبحانه الكواكب والنجوم، كالدلالة على التوحيد، وبيان عظمة الله، واظهار الاعجاز العلمي، وتفسير بعض الحقائق العلمية للناس للاعتبار وليزول عنهم الجهل، اما المبحث الثاني فتناولت فيه فوائد النجوم والكواكب للإنسان التي اشارت اليها الآيات المباركة، كاستفادة الناس من النجوم في علم التنجيم، وتعليم الناس النظام والدقة اعتبارا بدقة نظام الكون، واظهار مكانة آل البيت الذين هم النجوم المضيئة في ظلمات الجهل، وذكر فوائد النجوم العظيمة لمعرفة بعض الاحداث المهمة المرتبطة بالوقت، كحلول شهر الصيام والحج اللذين ارتبطا بحركة القمر، وارتباط النجوم بأهم الاحداث المستقبلية، فوقت حدوث القيامة مرتبط بزوال الكواكب والنجوم، التي احدهم علاماتها، واعتمدت في شرح الآيات مصادر التفسير المعتمدة، وبعض كتب الاعجاز العلمي، والله ولي التوفيق.

الكواكب والنجوم من اهم الامور التي شغلت الانسان قديما وحديثا، فكل ما يدور من امور في السماء كان محط خوف واعجاب له، فالإنسان كان يراقب الشهب وهي تُقَدَف في السماء، ويراقب المراحل التي يمر بها القمر، وكيف انه يغيب فجاءة كما تغيب الشمس (الخسوف والكسوف) مما دفع بعض الناس وبتزيين من الشيطان باتخاذ بعض النجوم والكواكب الها من دون الله بدافع الخوف والرجاء، وكان دور الانبياء كبير في اقناع المشركين بترك ما سوى الله، ولم يغفل القران الكريم ذكر النجوم والكواكب فقد ذكرهما كثيرا، وقد علل اغلب الباحثين تكرار ذكرهما في القران الى اظهار الاعجاز العلمي، وتذكير الناس ببعض الحقائق التي تخصهما ولم يركزوا على باقي الاهداف، لذا حاولت في بحثي هذا ان اسلط الضوء على جملة من الاهداف والغايات والاسباب التي من اجلها ذكرهما القران ما استطعت،

المبحث الاول:

اهم الاهداف والغايات الاساسية:

للكلام عن النجوم والكواكب لا بد لنا من معرفة الفرق بينهما، إن الأولى شمس كشمسنا، والثانية عبارة عن أجسام باردة كالأرض، تنعكس عليها أشعة الشمس فتضيء، ويمكن تمييزها على صفحة السماء بثبوت نورها، في حين تكون النجوم متألثة بالنور^(١)، وورد ذكرهما في القران كثير، ويمكننا ان نذكر جملة من الاهداف والغايات لذلك:

التأكيد على ان الله هو الخالق:

اكذ سبحانه وتعالى على انه هو الخالق فقال ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِيعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [سورة الطلاق: ١٢]،

دل على كمال قدرته وأنه يقدر على البعث والمحاسبة ولا خلاف في السماوات أنها سبع بعضها فوق بعض دل على ذلك حديث الإسراء وغيره ثم قال {ومن

(١) تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، (ج ١٩ / ص ٤٦٠).

الأرض مثلهن} يعني سبعا واختلف فيهن على قولين: أحدهما - وهو قول الجمهور أنها سبع أرضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والسماء وفي كل أرض سكان من خلق الله وقال الضحاك: {ومن الأرض مثلهن} أي سبعا من الأرضين ولكنها مطبقة بعضها على بعض من غير فتوق بخلاف السماوات، والأول أصح لأن الأخبار دالة عليه في الترمذي و النسائي وغيرهما وقال أبو نعيم: هذا حديث ثابت من حديث موسى بن عقبة تفرد به عن عطاء روى عن ابن أبي الزناد وغيره وفي صحيح مسلم عن سعيد بن زيد قال: [سمعت النبي ﷺ يقول: من أخذ شبرا من الأرض ظلما فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين] ثم قال {يتنزل الأمر بينهن} قال مجاهد: يتنزل الأمر من السماوات السبع إلى الأرضين السبع وقال الحسن: بين كل سماءين أرض وأمر والأمر هنا الوحي في قول مقاتل وغيره وعليه فيكون قوله: {بينهن}

ذلك، الظالمون المعرضون^(٣)، واقرن ذكر صفة الخلق بصفة القدرة، فهو الذي يدخل الليل بالنهار ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ [سورة الزمر: ٥]، أي هو القادر على الكمال المستغني عن صاحبة والولد ومن كان هكذا فحقه أن يفرد بالعبادة لأنه يشرك به ونبه بهذا على أن له أن يتعبد العباد بما شاء وقد فعل وقوله تعالى: ﴿ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾ قال الضحاك: أي يلقي هذا على هذا وهذا على هذا^(٤).

الاستدلال على التوحيد:

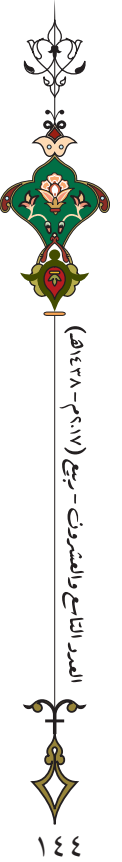
منح سبحانه وتعالى الانسان العقل ليكون الدليل اليه، فالإنسان العاقل حينما يرى اثار عظمة الله في هذا الكون الفسيح لا بد له من ان يقر للخالق بالعبودية، فالمخلوقات صغيرها كالذرة

(٣) ينظر: تفسير السعدي، (ج ١ / ص ١٧٢).

(٤) تفسير القرطبي، (ج ١٥ / ص ٢٠٦).

إشارة إلى بين هذه الأرض العليا التي هي أدناها وبين السماء السابعة التي هي أعلاها وقيل: الأمر القضاء والقدر و هو قول الأكثرين فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى: ﴿ بَيْنَهُنَّ ﴾ إشارة إلى ما بين الأرض السفلي التي هي أقصاها وبين السماء السابعة التي هي أعلاها وقيل: {يتنزل الأمر بينهن} بحياة بعض وموت بعض وغنى قوم وفقير قوم وقيل: هو ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات ويأتي بالليل والنهار والصيف والشتاء ويخلق الحيوانات على اختلاف أنواعها وهيئاتها فينقلهم من حال إلى حال^(٢) اما الغاية من هذا الخلق فهي لأجل أن يعرفه العباد ويعلموا إحاطة قدرته بالأشياء كلها، وإحاطة علمه بجميع الأشياء فإذا عرفوه بأوصافه المقدسة وأسمائه الحسنى وعبدوه وأحبوه وقاموا بحقه، فهذه الغاية المقصودة من الخلق والأمر معرفة الله وعبادته، فقام بذلك الموفقون من عباد الله الصالحين، وأعرض عن

(٢) تفسير القرطبي، (ج ١٨ / ص ١٧٦).



وكبيرها كالمجرة كلها تدل على وجود الصانع الحكيم، واما عظمة الخالق فتظهر ليلا عندما ترى الملايين من النجوم المضيئة في هذا الكون، عندها تخر العاقل ساجدا امام هيبة وعظمة الخالق، وقد اراد ابراهيم عليه السلام ان يصل بقومه الى هذه الحقيقة، ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [سورة الأنعام: ٧٦ - ٧٨]، كان أبوه وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم، وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال^(٥)، قال الرضا عليه السلام: ان ابراهيم عليه السلام وقع على ثلاثة أصناف: صنّف يعبد الزهرة وصنّف يعبد القمر. وصنّف يعبد الشمس، وذلك حين

(٥) الوسيط لسيد طنطاوي، (ج ٥ / ص ١٠٩).

خرج من السرب الذي أخفي فيه، فلما جن عليه الليل رأى الزهرة قال: هذا ربي؟. على الانكار والاستخبار، فلما أفل الكواكب قال: لا احب الآفلين لان الافول من صفات المحدث لا من صفات القديم، (فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي)؟. على الانكار والاستخبار، (فلما أفل قال لئن لم يهديني ربي لأكونن من القوم الضالين) يقول: لو لم يهديني ربي لكنت من القوم الظالمين، فلما أصبح رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر من الزهرة والقمر؟. على الانكار والاستخبار لا على الاخبار والاقرار، فلما افلت قال للأصناف الثلاثة من عبدة الزهرة والقمر والشمس ﴿ يَنْقُومُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ وانما أراد ابراهيم عليه السلام بما قال أن يبين لهم بطلان دينهم ويثبت عندهم ان العبادة لا تحق لمن كان بصفة الزهرة والقمر والشمس، وانما تحق العبادة لخالقها وخالق السموات

أهداف ذكر النجوم والكواكب في القرآن الكريم.....**القصبة**

[سورة النجم: ٤٩]، والشعري نجم كانت قريش وقوم من العرب يعبدونه وهو نجم يطلع في آخر الليل، وهو من أشد النجوم في السماء لمعاناً وإشراقاً وهو معروف بنجم الشعري اليماني، لأنه يقع في جهة جنوب الجزيرة العربية، وحيث أنّ اليمن في جنوب الجزيرة أيضاً فقد أطلق عليه «اليماني»، وكانت طائفة من العرب كقبيلة «خزاعة» تقدّس هذا النجم وتعبده وتعتقد أنّه مبدأ الموجودات على الأرض.. فتأكيد القرآن على أنّ الله ربّ الشعري هو لإيقاظ هذه القبيلة وأمثالها من غفوتها، لئلا يُشْتبه المخلوق بالخالق ويُجعل المربوب مكان الربّ^(٧)، هذا النجم العجيب الخلقة لإشراقه الكثير عدّد ملك النجوم، وله أسرار وعجائب منها: طبقاً للتحقيقات التي أُجريت في المراصد المعروفة في العالم عن «الشعري» ظهر أنّ حرارة هذا النجم تبلغ ١٢٠ ألف درجة سانتيفراد،

(٧) ينظر: تفسير نور الثقلين، (ج ٩ / ص ١٨٤)

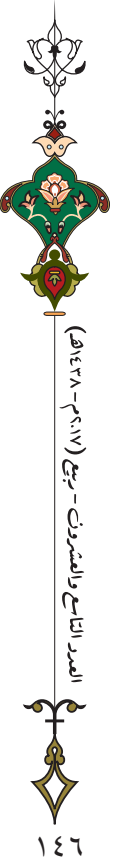
و تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، (ج

١٧ / ص ٢٧٢).

والارض، وكان ما احتج به على قومه ما ألهمه الله وآتاه^(٦) ويمكننا القول ان ابراهيم عليه السلام اراد ان يصل بهم عن طريق الاستتاج الى حقيقتين، الاولى ان ما سوى الله تعالى وان عظم حجمه كالنجوم والكواكب فهي لا تمثل شيء امام الله الذي خلقها، والحقيقة الثانية ان ما سوى الله متغير، منتقل من حال الى حال، بحاجة الى من يمدّه بما يحتاجه، وهذا محال على الله سبحانه، فعظمة الخلق وكبر الحجم ليست معيارا لاتخاذ الربوبية؛ لان كل شيء عاجز امام الخالق العظيم، والانسان الذي عطل عقله هاله عظمة هذه الاجرام السماوية، ودخل قلبه الرعب منها، وظن انها هي المؤثرة في هذا الكون، وان لها الكلمة الطولى في الخلق؛ فاتخذها معبودا له من دون الله، فقد عبد العرب نجم الشعري، فرد القرآن الكريم عليهم، ان هذا النجم العظيم الخلقة ما هو الا مخلوق كسائر المخلوقات، فقد

قال سبحانه ﴿ **وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ** ﴾

(٦) تفسير نور الثقلين، (ج ١ / ص ٧٣٦).



مع العلم أنّ حرارة سطح الشمس لا تتجاوز ٦٥٠٠ درجة سانتيجراد وهذا التفاوت بين الحارّتين بيّن مدى حرارة الشعري بالنسبة إلى الشمس، و الجرم المخصوص لهذا النجم أثقل وزناً من الماء بمقدار خمسين ألف مرّة تقريباً، أي أنّ وزن اللتر من الماء على الشعري يعادل خمسين طنّاً على سطح الأرض!. مع أنّ من بين مجموع المنظومة الشمسية يعدّ كوكب عطارد أكثر الأجرام في وزنه النوعي ولا يتجاوز وزنه النوعي ستة أضعاف الوزن النوعي للماء، فينبغي أن نعرف بهذا الوصف كم هذا النجم مثير للدهشة والعجب، ومن أي عنصر يتألّف حتّى صار مضغوطاً بهذا المستوى، يظهر نجم الشعري - في قرننا - عند فصل الشتاء إلّا أنّ هذا النجم أو الكوكب كان يظهر في عصر منجميّ مصر في الصيف! وهو كوكب كبير يعادل عشرين ضعفاً من كوكب الشمس، ومسافته تبعد عن الأرض أكثر من مسافة الشمس بمقدار كبير وقد ذكروا أنّ مسافة بين الشعري

والأرض تعادل مليون مرّة المسافة بيننا وبين الشمس، ونعرف أنّ سرعة النور في الثانية (ثلاثمائة ألف كيلومتر) وأنّ نور الشمس يصل إلينا خلال ثماني دقائق وثلاث عشرة ثانية مع أنّها تبعد عنّا مسافة خمسة عشر مليون كيلو «متراً».. في حين أنّ شعاع الشعري لا يصلنا إلّا بعد عشر سنين، والآن قدّروا كم هي الفاصلة بين الشعري والأرض، ولكوكب الشعري نجم تابع له يدور حوله وهو من نجوم السماء الغامضة، أوّل من إكتشفه عالم يدعى بسل - b sell عام ١٨٤٤م، إلّا أنّه رُوي عام ١٨٦٢ بالتلسكوب، ويكمل هذا النجم دورته حول الشعري في ٥٠ عاماً، كلّ هذا يدلّ على عمق تعابير القرآن الكريم وانها ذات معنى غزير، وفي طيّات تعابيره حقائق كامنة إذا لم يقدر لها أن تعرف في عصر نزولها فإنّها تتجلّى بمرور الزمان^(٨)، ويمكننا القول ان قوله تعالى ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ﴾ فيه تأكيد منه

(٨) تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، (ج ١٧ / ص ٢٧٣).

سبحانه-: ﴿ نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ

بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾

وقوله: ﴿ وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ ﴾ معطوف

على ما قبله، والتقدير: جعل الشيء

أو الأشياء على مقادير مخصوصة في

الزمان أو المكان أو غيرها ما قال -تعالى

-: ﴿ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ المنازل:

جمع منزل، وهي أماكن النزول، وهي

-كما يقول بعضهم -ثمانية وعشرون

منزلاً، وتنقسم إلى اثني عشر برجاً

وهي: الحمل، والثور، والجوزاء،

والسرطان، والأسد، والسنبلة،

والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي،

والدلو، والحوت، لكل برج منها منزلان

وثلاث منزل، وينزل القمر في كل ليلة

منزلاً منها إلى انقضاء ثمانية وعشرين،

ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين

يوماً، ويستتر ليلة واحدة إن كان الشهر

تسعة وعشرين يوماً، والضمير في قوله:

﴿ قَدَرْنَاهُ ﴾ يعود إلى القمر، كما في قوله-

تعالى -: ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ

كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴾ أي: والله-تعالى -هو

الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً،

تعالى بانه رب لهذا الكوكب العظيم،

الذي امتاز بهذه الصفات العجيبة، التي

اذهلت العلماء، فكان الاخرى عبادة

من منح هذا الكوكب هذه الخصائص

المذهلة.

التأمل والتفكر في خلق الله سبحانه:

خلق الله سبحانه الانسان ووهب

له العقل ليتأمل ويتفكر في خلق الله،

فتفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة،

لذا دعا الله عباده بالتفكر والتأمل في

خلق السماوات والارض ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ

خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ

فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [سورة

نوح: ١٥ - ١٦] وخص الشمس

بالضياء لأنه أقوى وأكمل من النور،

وخص القمر بالنور لأنه أضعف من

الضياء ولأنها إذا تساويا لم يعرف الليل

من النهار، فدل ذلك على أن الضياء

المختص بالشمس أكمل وأقوى من

النور المختص بالقمر، هذا دليل، ومما

يدل على التفرقة بين الشمس والقمر

في نورهما قوله -تعالى -: ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ

فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ وقوله-

وقدر للقمر منازل ينزل فيها في كل ليلة على هيئة خاصة، وطريقة بديعة تدل على قدرة الله وحكمته، قالوا: وكانت عودة الضمير إلى القمر وحده، لسرعة سيره بالنسبة إلى الشمس: ولأن منازلها معلومة محسوسة، ولأنه العمدة في تواريخ العرب، ولأن أحكام الشرع منوطة به في الأغلب^(٩)، ثم دعانا الله سبحانه التأمل في خلق السماوات ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَشْرَكُوا﴾

﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [سورة نوح: ١٥-١٦]، أي واحدة فوق الأخرى كالقباب «و جعل القمر فيهن نورا» قيل فيه وجوه (أحدها) أن المعنى و جعل القمر نورا في السماوات و الأرض عن ابن عباس قال يضيء ظهره لما يليه من السماوات و يضيء وجهه لأهل الأرض و كذلك الشمس (و ثانيها) أن معنى فيهن معهن يعني و جعل القمر معهن أي مع خلق السماوات نورا لأهل الأرض (و ثالثها) أن معنى

(٩) الوسيط لسيد طنطاوي، (ج ١ / ص ٢٠٨٠).

فيهن في حيزهن و إن كان في واحدة منها كما تقول أتيت بني تميم و إنما أتيت بعضهم «و جعل الشمس سراجا» أي مصباحا يضيء لأهل الأرض كما كانت الشمس جعل فيها النور للاستضاءة به كانت سراجا فهي سراج العالم كما أن المصباح سراج الإنسان^(١٠)، ووجه سبحانه المشركين الى التأمل ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَشْرَكُوا﴾ [سورة الأنبياء: ٣٠]، واصبحت الآية المباركة محل تأمل العلماء فخرجوا بثلاث اقوال في تفسيرها^(١١):

١. إن رتق السماء والأرض إشارة إلى بداية الخليقة، حيث يرى العلماء أن كل هذا العالم كان كتلة واحدة عظيمة من البخار المحترق، وتجزأ تدريجياً نتيجة الانفجارات الداخلية والحركة، فتولدت الكواكب والنجوم، ومن

(١٠) تفسير مجمع البيان، الطبرسي، (ج ١٠ / ص ١٣٦).

(١١) تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، (ج ١٠ / ص ١٥٥).

لا شك أن التفسير الأخير شيء يمكن رؤيته بالعين، وكيف أن المطر ينزل من السماء، وكيف تفتق الأرض وتنمو النباتات، وهو يناسب تماماً قوله تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ وكذلك ينسجم وقوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ** ﴾، ويمكننا ان نرجح راي آل البيت بدليل طلب الله سبحانه من المشركين النظر والتأمل، فمن غير المعقول ان يطلب سبحانه من المشركين ان يتفكروا في حقيقة علمية حدثت في الكون منذ ملايين السنين ولم يحيطوا بها علماً، وكيف يخاطب سبحانه اناس جهلة بهذه المسألة العلمية وعقولهم العفنة تدفعهم لعبادة صنم من الحجارة، وكيفنا ان نسلم لروايات اهل البيت حيث ورد عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن محمد بن داود عن محمد بن عطية قال: قال رجل من أهل الشام لابي جعفر عليه السلام يا ابا جعفر قول الله عز وجل: ﴿ **أُولَئِكَ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَا رَتْقًا فَفَنَقَّ نَهُمَا** ﴾ فقال له أبو جعفر عليه السلام فلعلك تزعم انها كانتا رتقا ملتزقتان

جملتها المنظومة الشمسية والكرة الأرضية، ولا يزال العالم في توسع دائم.
 ٢. المراد من الرتق هو كون مواد العالم متحدة، بحيث تداخلت فيما بينها وكانت تبدو وكأنها مادة واحدة، إلا أنها انفصلت عن بعضها بمرور الزمان، فأوجدت تركيبات جديدة، وظهرت أنواع مختلفة من النباتات والحيوانات والموجودات الأخرى في السماء والأرض، موجودات كل منها نظام خاص وآثار وخواص تخصص بها، وكل منها آية على عظمة الله وعلمه وقدرته غير المتناهية.
 ٣. إن المراد من رتق السماء هو أنها لم تكن تمطر في البداية، والمراد من رتق الأرض أنها لم تكن تنبت النبات في ذلك الزمان، إلا أن الله سبحانه فتق الإثنين، فأنزل من السماء المطر، وأخرج من الأرض أنواع النباتات. والروايات المتعددة الواردة عن طرق أهل البيت عليهم السلام تشير إلى المعنى الأخير، وبعضها يشير إلى التفسير الأول.

ملتصقتان ففتقت احدهما من الاخرى؟. فقال: نعم، فقال أبو جعفر عليه السلام: استغفر ربك فان قول الله عز وجل: ﴿كَانَ رَتْقًا﴾ يقول: كانت السماء رتقا لا تنزل المطر، وكانت الارض رتقا لا تنبت الحب، فلما خلق الله تبارك وتعالى الخلق وبث فيها من كل دابة، فتق السماء بالمطر، والارض بنبات الحب^(١٢).

القسم بالنجوم لعظمة خلقتها:

يعتقد العلماء الفلكيون أن النجوم التي تتجاوز المليارات، والتي نرى قسماً منها بالعين المجردة، والقسم الكثير منها لا يمكن رؤيته إلا بالتلسكوبات بل إن قسماً منها لا نستطيع مشاهدته حتى بالتلسكوبات، اللهم إلا بوسائل خاصة نستطيع أن نصورها بها، كل من هذه النجوم تدور في مدارها الخاص، ولا يوجد أي احتمال أن واحدة منها تكون في حقل الجاذبية لنجمة أخرى، أو أن بعضها يصطدم ببعض الآخر، وفي الواقع أن حالة التصادم المفترضة مثل ما لو إفترضنا أن سفينة في المحيط

(١٢) تفسير نور الثقلين، (ج ٣ / ص ٤٢٦).

الهاديء تصطدم مع سفينة أخرى تجري في البحر الأبيض المتوسط وكلّ منها سائرة بموازاة الأخرى وبسرعة واحدة... إن هذا الأمر لو لم يكن محالاً فهو بعيد جداً، كذلك الأمر بالنسبة للنجوم حيث أن كلا منها لها مدارها الخاص بها ولن تصطدم بالأخرى رغم السرعة الهائلة لكلّ منها، وبالنظر إلى هذه الإكتشافات العلمية عن وضع النجوم، تتوضّح أهميّة القسم، قال تعالى ﴿فَلَا أَسْمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [سورة الواقعة: ٧٥]، حول (مواقع النجوم) فقد ذكر المفسرون تفسيرات عديدة لها: هو المعنى المتعارف عليه من حيث مداراتها وأبراجها ومسيرها، والآخر: هو أن المقصود بذلك مواقع طلوعها وغروبها، والثالث: هو سقوط النجوم في الحشر والقيامة، وفسرها آخرون: بأنّ معناه هو غروب النجوم فقط، واعتبرها آخرون إشارة وإنسجاماً مع قسم من الروايات حول نزول آيات وسور القرآن الكريم في فواصل زمنية مختلفة، وذلك لأنّ

عندئذ ستتوضح لنا أهمية هذا القسم القرآني^(١٣)، ويقسم المولى تبارك وتعالى بمواقع النجوم؛ لان القسم بمواقعها يوجه الانتباه إلى أن المسافات بين النجوم تبلغ حدودا لا يتصورها الخيال، فمثلا نجد أن أقرب نجم إلينا في مجرتنا وهى الشمس تبعد عنا بمقدار ٥٠٠ ثانية ضوئية، بينما النجم الذى يليها في القرب يبعد عنا بمقدار أربع سنوات ضوئية تقريبا، والسنة الضوئية تدل على مدى المسافة التي يقطعها الضوء في سنة كاملة علما بأن سرعة الضوء تساوى ٣٠٠ ألف كيلومتر في الثانية، ثم إن هناك مدلولاً علمياً آخر عن مواقع النجوم وهى أن موقع الشمس موقع بالغ الدقة في وضعه لكى تستقيم معه الحياة على كوكبنا الأرضي، لأنها لو تقدمت عن موضعها الحالي لاحتقرت الارض من شدة حرارتها ولو تأخرت عن موضعها لبردت الارض وتجمدت فيها البحار والمحيطات وتصير غير

(١٣) تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، (ج ١٧/ ص ٤٩٥).

«النجوم» جمع نجمة تستعمل للأعمال التي تنجز بصورة تدريجية، وبالرغم من أن المعاني لا تتنافى حيث يمكن جمعها في الآية أعلاه، إلا أن التفسير الأول هو الأنسب حسب الظاهر، وذلك لأن أكثر الناس كانوا لا يعلمون أهمية هذا القسم عند نزول الآيات، بعكس الحالة اليوم، والتي توضح لنا أن لكل نجمة من النجوم مكانها المخصص ومدارها ومسارها المحدد لها بدقة وحساب، وذلك طبقاً لقانون الجاذبية، وإن سرعة السير لكل منها محددة أيضاً وفق قانون معين وثابت، وهذه المسألة بالرغم من أنها غير قابلة للحساب بصورة دقيقة في الأجرام السماوية البعيدة، إلا أن المجاميع الموجودة في المنظومة الشمسية التي تشكل النجوم القريبة لنا، قد درست بدقة وتبين أن نظام مداراتها دقيق إلى حد مذهش، وعندما يلاحظ الإنسان -طبقاً لتصريحات العلماء- أن في (مجرتنا) فقط ألف مليون نجمة، وتوجد في الكون مجرات كثيرة، وكل واحدة منها لها مسار خاص،

صالحة لحياة البشر عليها^(١٤)، وذكر سبحانه هذا القسم عقيب ذكر القيامة الكبرى، وأقسام الخلق فيها، ثم ذكر الأدلة القاطعة على قدرته، وعلى المعاد بالنشأة الأولى وإخراج النبات من الأرض، وإنزال الماء من السماء، وخلق النار ثم ذكر بعد ذلك أحوال الناس في القيامة الصغرى عند مفارقة الروح للبدن، وأقسام بمواقع النجوم على ثبوت القرآن وأنه تنزيله، أن الرب تعالى يقسم بالنجوم وطلوعها وجريانها وغروبها؛ إذ فيها وفي أحوالها الثلاث آية وعبرة ودلالة كما في قوله تعالى ﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْحَنَسِ ۝١٥﴾ الجَوَارِ الْكُنَسِ ﴿ وقال ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ وقال ﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّبِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ ويرجح هذا القول أيضا أن النجوم حيث وقعت في القرآن فالمراد منها الكواكب، كقوله تعالى ﴿وَادْبَرَا النَّجُومِ﴾ وقوله ﴿وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّجُومِ﴾ وعلى هذا فتكون المناسبة بين ذكر النجوم في القسم وبين

المقسم عليه وهو القرآن من وجوه: منها أن النجوم جعلها الله يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وآيات القرآن يهتدى بها في ظلمات الجهل والغي، فتلك هداية في الظلمات الحسية، وآيات القرآن في الظلمات المعنوية، فجمع بين الهديتين مع ما في النجوم من الرجوم للشياطين وفي آيات القرآن من رجوم شياطين الإنس والجن، والنجوم آيات المشهودة المعاينة والقرآن آياته المتلوة السمعية مع ما فيها مواقعها عند الغروب من العبرة والدلالة على آياته القرآنية ومواقعها عند النزول^(١٥)، وعلل بعضهم القسم بمواقع النجوم بانه: لعل الله تعالى في آخر الليل إذا انحطت النجوم إلى المغرب أفعالاً مخصوصة عظيمة، أو للملائكة عبادات موصوفة، أو لأنه وقت قيام المهتجرين والمبتهلين إليه من عباده الصالحين، ونزول الرحمة والرضوان عليهم؛ فلذلك أقسم بمواقعها، واستعظم ذلك

(١٤) القرآن وإعجازه العلمي، محمد اسماعيل ابراهيم، (ج ١ / ص ٦٢).

(١٥) التبيان في أقسام القرآن، (ج ١ / ص ١٣٦).

اختفاؤها تحت ضوء الشمس، ولا شك أن هذه حالة عجيبة وفيها أسرار عظيمة باهرة، القول الثاني: ما روي عن علي عليه السلام وعطاء ومقاتل وقتادة أنها هي جميع الكواكب، وخنوسها عبارة عن غيوبتها عن البصر في النهار، وكنوسها عبارة عن ظهورها للبصر في الليل، أي تظهر في أماكنها كالوحش في كنسها والقول الثالث: أن السبعة السيارة تختلف مطالعها ومغاربها على ما قال تعالى: ﴿ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ [سورة المعارج: ٤٠]، ولا شك أن فيها مطلعاً واحداً ومغرباً واحداً هما أقرب المطالع والمغرب إلى سمت رؤوسنا، ثم إنها تأخذ في التباعد من ذلك المطالع إلى سائر المطالع طول السنة، ثم ترجع إليه فخنوسها عبارة عن تباعدها عن ذلك المطالع، وكنوسها عبارة عن عودها إليه، فهذا محتمل فعلى القول الأول يكون القسم واقعاً بالخمسة المتحيرة، وعلى القول الثاني يكون القسم واقعاً بجميع الكواكب وعلى هذا الاحتمال الذي ذكرته يكون القسم واقعاً بالسبعة

بقوله ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ أو أراد بمواقعها: منازلها ومساييرها، وله تعالى في ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف^(١٦)، كما أقسم سبحانه بنجوم مخصوصة ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ﴾ **الْجَوَارِ الْكُنُوسِ** [سورة التكوير: ١٥-١٦]، أنها النجوم الخنس جمع خانس، والخنوس والانقباض والاستخفاء تقول: خنس من بين القوم وانخنس، وفي الحديث «الشیطان يوسوس إلى العبد فإذا ذكر الله خنس» أي انقبض ولذلك سمي الخناس (والكنس) جمع كانس وكانسة يقال: كنس إذا دخل الكناس وهو مقر الوحش يقال كنس الظباء في كنسها، وتكنست المرأة إذا دخلت هودجها تشبه بالظبي إذا دخل الكناس. ثم اختلفوا في خنوس النجوم وكنوسها على ثلاثة أوجه فالقول الأظهر: أن ذلك إشارة إلى رجوع الكواكب الخمسة السيارة، واستقامتها فرجوعها هو الخنوس، وكنوسها (١٦) الكشاف: (ج/٦ ص ٤٨٧).

معنى تسخيرها للناس: تصيرها نافعة لهم، حيث يسكنون بالليل، ويتغون من فضله بالنهار، ويعلمون عدد السنين، والحساب بمسير الشمس والقمر، ويبتدون بالنجوم. فكأنه قيل: ونفعكم

بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له بأمره^(٢٠) وأشار سبحانه في أكثر من

آية إلى تسخير الشمس والقمر ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ

الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِقَوْلِنَا اللَّهُ فَاتَى يُؤفَكُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٦١] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ

اللَّهُ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ

أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة لقمان: ٢٩]، وهذا يكون في زمن

الصيف يطول النهار إلى الغاية، ثم يسرع في النقص فيطول الليل ويقصر النهار،

وهذا يكون في زمن الشتاء، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾

قيل: إلى غاية محدودة. وقيل: إلى يوم القيامة، وكلا المعنيين صحيح، وقال ابن

أبي الحاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو صالح، (٢٠) الكشاف الزمخشري، (ج: ٣ / ٣٣٩).

القول ان القسم بهذه المخلوقات ليس المراد منه بالدرجة الاساس ذكر خصائصها العجيبة التي تمتاز بها هذه النجوم، انما لظهار عظمة الخالق وعظمة ما اراد سبحانه من القسم لأجله.

تسخير النجوم والكواكب:

كرم الله سبحانه وتعالى الانسان وسخر له ما في السماوات والارض، وكل ما يحيط به، وتظهر هذه الكرامة

جلية في تسخير الاجرام السماوية العظيمة له، فمنها يستمد الضوء

والدفء، ومنها يعرف الوقت والحساب، ومنها يغذي افكاره، فهي

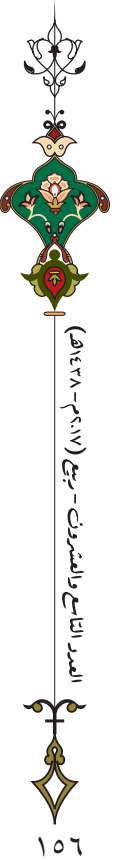
تجعله في بحث مستمر لكشف اسرارها وخفاياها، وتدله على عظمة خلق الله

تعالى، حيث يقف عاجزا امام تلك المخلوقات العظيمة، وتظهر عناية الله

للإنسان بتسخير كل شيء للإنسان ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِي إِنَّ فِي

ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة النحل: ١٢]، قرئت كلها بالنصب على

وجعل النجوم مسخرات أو على أن



حدثنا يحيى بن أيوب، عن ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس أنه قال: الشمس بمنزلة الساقية، تجري بالنهار في السماء في فلکها، فإذا غربت جرت بالليل في فلکها تحت الأرض حتى تطلع من مشرقها، قال: وكذلك القمر^(٢١). وتكرر ذكر التسخير في الآية ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [سورة فاطر: ١٣]، كذلك ما جعل الله في تسخير الشمس والقمر، الضياء والنور، والحركة والسكون، وانتشار العباد في طلب فضله، وما فيها من تنضيج الشار وتجفيف ما يجفف، وغير ذلك مما هو من الضروريات، التي لو فقدت للَحِقَ الناس الضرر^(٢٢)، وهذه النعم العظيمة توجب على الانسان التوجه له سبحانه بالعبودية ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ

تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [سورة الرعد: ٢]، المراد رفع السماوات بغير عمد و أنتم ترونها يعني ليس من دونها دعامة يدعمها و لا فوقها علاقة تمسكها، قال الزجاج و في ذلك من القدر و الدلالة ما لا شيء أوضح منه لأن السماء محيطة بالأرض متبرية منها بغير عمد، او أن يكون ترونها من نعت العمدة فيكون المعنى بغير عمد مرئية فعلى هذا تعمدها قدرة الله عز و جل ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ أي ذللها لمنافع خلقه و مصالح عباده «يدبر الأمر» أي يدبر الله كل أمر من أمور السماوات و الأرض و أمور الخلق على وجه توجيه الحكمة و تقتضيه المصلحة^(٢٣) و يمكننا القول ان تكرر معنى التسخير في الآيات المباركة فيه دلالة على عظم قدر الانسان عند الله تعالى، حيث سخر له هذه الاجرام العظيمة.

(٢٣) تفسير مجمع البيان، الطبرسي، (ج ٦ / ص ٤٤٠).

(٢١) تفسير ابن كثير، (ج ٦ / ص ٣٥٠).

(٢٢) تفسير السعدي، (ج ١ / ص ٦٨٦).

كشف الحقائق العلمية:

(جريان وحركة النجوم والكواكب)

كشف القرآن الكريم للناس حقيقة علمية تخص حركة الشمس والارض والقمر، ولم يبخل القرآن في كشفه للحقائق العلمية؛ لان المشروع الاسلامي مبني على العلم، وهدفه بناء امة متعلمة ﴿ وَسَخَّرْ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۗ وَسَخَّرْ لَكُمُ اَيُّلَ وَالنَّهَارَ ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٣]، ففي هذه الآيات الكريمة إشارات نشير إليها وهي جريان الشمس في نفسها: ﴿ كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ ﴾ ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ ﴾ ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبَيْنِ ﴾ ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ﴾ ﴿ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾ فإن الجريان هو الحركة الدقيقة المنظمة في طول مكان، والدأب هو الجريان المداوم المستمر في أمر مع اهتمام فيه، والدلوك هو إمرار شيء على شيء مع المسح، والإدراك هو الوصول مع الإحاطة، فهذه الآيات الكريمة تصرّح بحركة الشمس خلاف ما يترأى لنا منها من السكون، وقد

اتفق علماء النجوم بأن الشمس تتحرك كباقي الثوابت، وأنها واقعة في المجرة المسماة بالسديم الكبير ومطلق المجرة (كهكشان) وهي ممتدة من ذات الكرسي إلى جانب الجنوب إلى أن تنتهي إلى قنطوروس بعد السماء الأعزل في المسنلة، ويقال إن نجوم المجرة تبلغ إلى عشرات ملايين النجوم^(٢٤)، وسخر لكم الشمس والقمر يتعاقبان عليكم أيها الناس بالليل والنهار لصالح أنفسكم ومعاشكم، (دائبين) في اختلافهما عليكم، وقيل: معناه: أنها دائبان في طاعة الله، عن ابن عباس، في قوله: وسخر لكم الشمس والقمر دائبين قال: دوؤبهما في طاعة الله^(٢٥). ويمكننا القول ان في ذلك تعليم للإنسان الطاعة فاذا كان الجهاد مطيع لله فما بالك بمن يملك العقل، واكد سبحانه على جريان الشمس في اية اخرى ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾

(٢٤) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن

المصطفوي: (ج ٦ / ١١٧).

(٢٥) الطبري: (ج ١٣ / ٢٩٥).

وَالْقَمَرَ قَدَرْنَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ
الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ
الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ
يَسْبَحُونَ ﴿ [سورة يس: ٣٨-٤٠]،

هذه الآية تبيّن بوضوح حركة الشمس بشكل مستمر، أمّا ما هو المقصود من تلك الحركة؟. فللمفسّرين أقوال متعدّدة: قال بعضهم: إنّ ذلك إشارة إلى حركة الشمس الظاهرية حول الأرض، تلك الحركة التي ستستمر إلى آخر عمر العالم الذي هو نهاية عمر الشمس ذاتها، وقال آخرون: إنّ إشارة إلى ميل الشمس في الصيف والشتاء نحو الشمال والجنوب على التوالي، لأنّنا نعلم بأنّ الشمس تميل عن خطّ إعتدالها في بدء الربيع بطرف الشمال، لتدخل في مدار (٢٣) درجة شمالاً، وتعود مع بدء الصيف قليلاً قليلاً حتّى تنتهي إلى خطّ إعتدالها عند بداية الخريف وتستمر على خطّ سيرها ذلك باتجاه الجنوب حتّى بدء الشتاء، ومن بدء الشتاء تتحرّك باتجاه خطّ إعتدالها حتّى تبلغ ذلك عند بدء الربيع. وبديهي أنّ جميع تلك الحركات

في الواقع ناجمة عن حركة الأرض حول الشمس وإنحرافها عن خطّ مدارها، وان كانت ظاهراً تبدو وكأنّها حركة الشمس، وآخرون اعتبروا الآية إشارة إلى حركة الشمس الموضعية بالدوران حول نفسها، حيث أثبتت دراسات العلماء بشكل قطعي أنّ الشمس تدور حول نفسها، وآخر وأحدث التفسير التي ظهرت بخصوص هذه الآية، هو ما كشفه العلماء أخيراً من حركة الشمس مع منظومتها باتجاه معين ضمن المجرة التي تكون المجموعة الشمسية جزءاً منها، وقيل أنّ حركتها باتجاه نجم بعيد جداً أطلقوا عليه اسم «وجا»، كلّ هذه المعاني المشار إليها لا تتضارب فيما بينها، ويمكن أن تكون جملة «تجري» إشارة إلى جميع تلك المعاني ومعاني أخرى لم يصل العلم إلى كشفها، وسوف يتمّ كشفها في المستقبل، وعلى كلّ حال، فإنّ حركة الشمس الذي يعادل مليون ومائتي ألف مرّة حجم الأرض، بحركة دقيقة ومنظمة في هذا الفضاء اللامتناهي، ليس مقدوراً لغير الله سبحانه الذي تفوق

أهداف ذكر النجوم والكواكب في القرآن الكريم.....**الصَّبَاغ** •

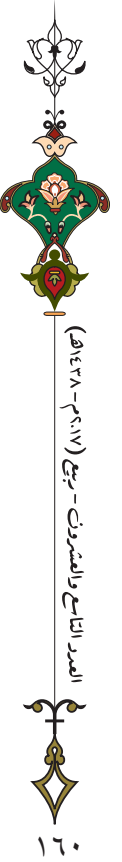
فالبروج كأنها منازل الشمس في دورانها أثناء السنة. وكل ثلاثة منها تؤلف فصلا من فصول السنة، وعدد هذه البروج اثنا عشر وهى: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت، وفي قوله تعالى في وصف الشمس أنها سراج اشارة إلى أنها مصدر الطاقة الحرارية نظرا للتفاعلات الذرية في داخلها، والاشعاع الشمسي المنبعث من هذه الطاقة يسقط على الكواكب والارض والاقمار وسائر اجرام السماء غير المضيئة، أما القمر فينير بضياء الشمس المرتد على سطحه^(٢٧)، ومن مظاهر روعة الخلق تأثير الشمس على الظل ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا** ﴾ [سورة الفرقان: ٤٥]، الم تر الى ربك الم تنظر الى صنعه كيف مد الظل كيف بسطه، عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال الظل ما بين طلوع الفجر الى طلوع

قدرته كل قدرة ويعلمه اللامتناهي، لذا فإن الآية تضيف في آخرها ﴿ **ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** ﴾^(٢٦).
بيان روعة الخلق:

المتأمل في الكون الفسيح يلمس جمال وروعة ما خلق الله سبحانه وتعالى، فالنجوم مضيئة كأنها حديقة غناء، وما يأسر قلبك تلك الظلمة وذلك الهدوء، فاذا تأملت في ذلك دخلت في نفسك السكينة والطمأنينة، وجالت في خواطرك تساؤلات عن هذا الكون البديع في خلقه، وروائع خلق الله نجدها في كل الآيات التي اشارت الى النجوم والكواكب ومنها ﴿ **نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا** ﴾ [سورة الفرقان: ٦١]، يرى سكان الارض نجوم السماء على هيئة مجموعات تكاد تحتفظ بصورها على مر الاجيال، والبروج هي تلك المجموعات من الاجرام التي تمر أمامها الشمس أثناء دورانها الظاهري من حول الارض،

(٢٧) القرآن وإعجازه العلمي، محمد اسماعيل ابراهيم، (ج ١ / ص ٧١).

(٢٦) تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، (ج ١٤ / ص ١٨٤).



الشمس قيل وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الهواء ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة، فقال وظل ممدود ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا من السكنى أو غير متقلص من السكون بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فانه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض الاجرام فلولاها لما عرف الظل ولا يتفاوت الا بسبب حركتها^(٢٨).

الاعجاز العلمي:

اذهل القرآن الكريم العلماء على مختلف تخصصاتهم، ففي كل يوم تُكتشف حقيقة علمية كانت مستورة وغائبة عن عقول الناس، وقد صرح القرآن الكريم قبل اوانها، والكون وما فيه احد اهم تلك الميادين التي طأطأ العلماء رؤوسهم اقرارا بعظمة خلق الخالق وصنعه، ومن الآيات التي اشارت الى ذلك ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾^(٤٧) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ

(٢٨) تفسير الصافي، (ج ٤ / ص ١٧).

الْمَهْدُونَ ﴿ [سورة الذاريات: ٤٧-٤٨]، وردت كلمة السماء والسموات مرارا وتكرارا في القرآن، ويفسر العلم السماء بأنها الكرة الكونية الجامعة لكل الافلاك والنجوم في مجرتنا أي حدود عالمنا المادي، وهذا يوافق تفسير الامام محمد عبده إذ يقول: السماء إسم لما علاك وارتفع فوق رأسك، وأنت إنما تتصور عند سماعك لفظ اسماء هذا الكون الذي فوقك، وفيه الشمس والقمر وسائر الكواكب تجرى في مسالكها وتتحرك في مداراتها، وهذه هي السماء، وقد بناه الله أي رفعه وجعل كل كوكب، منه لبنة من بناء سقف فيه أو جدران تحيط به، وقد تجاذبت هذه الكواكب السيارة بعضها إلى بعض برباط الجاذبية العامة كما تربط أجزاء البناء، الواحد بما يوضع بينها من مواد تتماسك بها، ومما تجدر الإشارة إليه أن السماء تدل على الفراغ اللانهائي في الكون والذي لا يمكن أن يكون خلوا لا يشغله شيء بل يملاه وسط غير مادي اسمه الاثير وفي هذا الوسط غير المادي تنتقل الطاقات غير المادية مثل موجات

لا يدركه عقل، وأنه في اتِّساع دائم إلى اليوم صورة تبين توسع السماء بعد خلق الكون وهذه الحقيقة المكتشفة أكدتها حسابات كل من الفيزيائيين النظريين والفلكيين، ولا تزال تقدم المزيد من الدعم والتأييد لهذه الحقيقة المشاهدة، التي تشكل إعجازاً علمياً رائعاً من إعجاز القرآن، وفي قوله تعالى: ﴿ **وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهَيَّدُونَ** ﴾ إعجاز آخر من إعجاز القرآن؛ حيث كان الظاهر أن يقال: «فَنِعْمَ الْفَارِشُونَ»، بدلاً من قوله تعالى: ﴿ **فَنِعْمَ الْمُهَيَّدُونَ** ﴾. ولو قيل ذلك، لكان بليغاً؛ ولكنه لا يؤدي المعنى المراد؛ لأن الأرض خُلِقَتْ؛ لتكون موضع سكن واستقرار، ولا يمكن أن تكون كذلك إلا إذا مُهَيِّدَتْ بعد فرشها. فاختار سبحانه وتعالى للمعنى الأول لفظ (الفرش)، لما فيه من دلالة على الراحة والاستقرار، واختار للمعنى الثاني لفظ (التمهيد)، لما فيه من دلالة على البَسْط والإصلاح (٣٠)، أما

اللاسلكي أو الراديو والرادار والضوء والحرارة، ويطلق على هذه الطاقات اسم أمواج الاثير (٢٩). أن الله تعالى بنى هذا الكون، وأحكم بناءه بقوة، وأن هذا البناء المحكم، لم يتوقف عند هذا الحد، وإنما هو في توسُّع دائم، وامتداد إلى ما شاء الله تعالى وقدر. دَلَّ على ذلك التعبير بالجملة الاسمية، المؤكدة بـ(إن) و(اللام)، وهي قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ** ﴾، ثم إن في إطلاق الخبر «مُوسِعُونَ»، دون تقييده بالإضافة، دلالة أخرى على ما أراد الله تعالى أن يخبر عنه، وأكدته العلم الحديث. فقد ثبت للعلماء منذ الثلث الأول للقرن العشرين أن هذا الجزء المرئي من الكون مُتَّسِعٌ اتِّسَاعاً، لا يدركه عقل، وأنه في اتِّساع دائم إلى اليوم. بمعنى أن المجرَّات فيه تتباعد عن مجرتنا، وعن بعضها البعض بسرعات هائلة، فقد ثبت للعلماء منذ الثلث الأول للقرن العشرين أن هذا الجزء المرئي من الكون مُتَّسِعٌ اتِّسَاعاً،

(٣٠) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، (ج ١ / ص ١٥٩).

(٢٩) القرآن وإعجازه العلمي، محمد اسماعيل ابراهيم، (ج ١ / ص ٦١).

نجم الطارق فقد اكتشف العلماء حقائق مذهلة توافق ما جاء في القرآن ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿ [سورة الطارق: ١]، ويُعتقد انها النجوم النابضة؛ لأنها تصدر أصواتاً مثل صوت الطرّق، ويؤكد علماء وكالة ناسا أن هذه النجوم تصدر أصوات نبض أو خفقان، يؤكد البروفسور ROTHSCILD RICHARD من جامعة كاليفورنيا أن النجوم النابضة تنتج عن انفجارات النجوم وتنبث كميات هائلة من الإشعاعات التي تعتبر الأشد لمعاناً، وهي تعمل مثل المطرقة التي تدق، فيقول «هذا الانفجار كان شبيهاً بضرب نجم نيوتروني بمطرقة عملاقة، وهذا ما يجعل النجم يدق مثل الجرس»، ويؤكد هذا الباحث أن الضوء الصادر عن مثل هذه الانفجارات عظيم جداً، فقد بث هذا النجم خلال عشر ثانية ما تبثه الشمس خلال ١٥٠٠٠٠٠ سنة من الضوء (٣١)،

ويفسّر القرآن الكريم «الطارق» بقوله: (النجم الثاقب)، بالنجم اللامع الذي مع علوه الشاهق وكأنه يريد أن يثقب سقف السماء، وكأن نوره المتشعشع يريد أن يثقب ستار الليل الحالك، فيجلب الأنظار بميزته هذه، ولكن، أيُّ نجم هو الطارق؟. هل هو الثريا (لبعدها الغائر في عمق السماء)، زحل، الزهرة، أم الشهب (لما لها من نور جذّاب)، أم كل النجوم؟. ثمة احتمالات متباينة في هذا الموضوع، ولكن وجود صفة «الثاقب» لهذا النجم تعطي الإشارة إلى أنّ النجوم المتلائة التي تثقب أنوارها ظلمة الليل، وتجذب الأنظار إليها، هي المرادة وليس كلّ نجم، وفسّرت بعض الروايات «النجم الثاقب» بكوكب (زحل) من المنظومة الشمسية لشدة نوره ولمعانه، وروي أنّ منجماً سأل الإمام الصادق (عليه السلام)، بقوله: فما يعني بالثاقب؟. قال: «لأنّ مطلعته في السماء السابعة، وأنّه ثقب بضوءه حتى أضاء السماء الدنيا، فمن ثمّ سمّاه الله النجم الثاقب» ويعتبر (زحل) من أبعد النجوم

(٣١) ويكيبيديا الموسوعة الحرة. <https://ar.wikipedia.org/wiki>

أهداف ذكر النجوم والكواكب في القرآن الكريم..... (الاصباح)

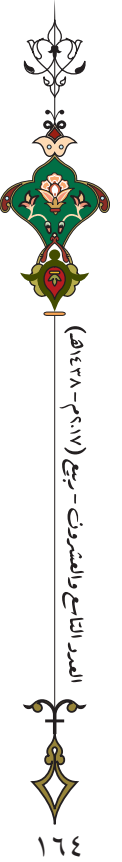
يعتقدون أن هذه الشقوق بقيت بعد المعجزة لتؤكد صدق نبي الإسلام محمد وأنها دليل واضح على أن القرآن نزل من عند الله لأنه يشير إلى شقوق في القمر قبل اختراع التلسكوب بمئات السنين كما أنهم لجأوا للاستشهاد بالصور التي أطلقتها ناسا عن الأخاديد القمرية^(٣٤)، اما الاعجاز في قوله ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يونس: ٥]، فكلمة ضياء يمكن ان تكون جمع ضوء، وهذه الآية تنص على ان ضوء الشمس مركب من عدة اضواء مختلفة، وهو ما قرره العالم الانكليزي اسحق نيوتن بعد نزول القران بنحو الف عام، فقد اكتشف ان الضوء الابيض بعضه احمر، وبعضه اصفر وبعضه ازرق، فاذا اجتمعت هذه الالوان النورية، تولد نور ابيض كنور الشمس، مركب من عدة اضواء

(٣٤) ويكيبيديا الموسوعة الحرة. <https://ar.wikipedia.org/wiki>

أو الكواكب في مجموعتنا الشمسية^(٣٢)، واخبرنا سبحانه عن القمر ﴿أَفَرَأَيْتِ السَّاعَةَ وَالسَّاعَةَ وَالْقَمَرَ﴾ [سورة القمر: ١]، فقد اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ فقالوا إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم رسول الله ﷺ إن فعلت تؤمنون قالوا نعم و كانت ليلة بدر فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين و رسول الله ينادي يا فلان يا فلان اشهدوا و قال ابن مسعود انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين فقال لنا رسول الله ﷺ اشهدوا اشهدوا^(٣٣)، وقد اكتشف قبل ٢٠٠ سنة ثلاثة أنواع من الشقوق على سطح القمر تختلف حسب شكلها النوع الأول من شكله عرف بأنه نتج عن تدفق الحمم على سطح القمر أما النوعين الآخرين فلم يحسم الباحثون الأسباب وراء حدوثها، وبعض الباحثين المسلمين في الإعجاز العلمي

(٣٢) تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، (ج ٢٠ / ص ١٠٤).

(٣٣) تفسير مجمع البيان، الطبرسي، (ج ٩ / ص ٢٨١).



والوان، وهذا القانون الطبيعي اشعر به القران كنبأ غيبي، دون ان يتوصل اليه الناس في عهد النبي ﷺ (٣٥)، اما بخصوص الاعجاز فيمكننا القول ان ما جاء في القران من حقائق علمية تخص الكون متجددة، فلربما وفي أي وقت يصرح العلماء عن اكتشاف علمي جديد بالنسبة اليهم قديم بالنسبة للقران، فمجال التحدي العلمي في القران مستمر، يعود بالفائدة على الناس؛ لأنه يفتح المجال امام العلماء في البحث بأسرار هذا العالم.

توبيخ المشركين:

وصف سبحانه المشركين الذين عطلوا عقولهم بانهم كالأنعام بل ادنى مرتبة؛ لانهم لم ينظروا في خلق الله ﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ (٢٧) رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ [سورة النازعات: ٢٧ - ٣٢]، خطاب توبيخي

(٣٥) ينظر: الموسوعة العلمية القرآنية - لبيب ييضمون (ج٤/ ص١٦).

للمشركين المنكرين للبعث المستهزئين به على سبيل العتاب و يتضمن الجواب عن استبعادهم البعث بقولهم: ﴿يَقُولُونَ أَيْنَا لِمَرُدُّوْنَ فِي الْخَافِرَةِ﴾ (١٠) ﴿أَيْنَا لِمَرُدُّوْنَ فِي الْخَافِرَةِ﴾ [سورة النازعات: ١٠-١١]، بأن الله خلق ما هو أشد منكم خلقا فهو على خلقكم و إنشائكم النشأة الأخرى لقدير، و يتضمن أيضا الإشارة إلى الحججة على وقوع البعث حيث يذكر التدبير العام العالمي و ارتباطه بالعالم الإنساني و لازمه ربوبيته تعالى، و لازم الربوبية صحة النبوة و جعل التكاليف، و لازم ذلك الجزاء الذي موطنه البعث و الحشر، و لذا فرع عليه حديث البعث بقوله: "فإذا جاءت الطامة الكبرى" إلخ، فقوله: "ء أنتم أشد خلقا أم السماء" استفهام توبيخي بداعي رفع استبعادهم البعث بعد الموت، و الإشارة إلى تفصيل خلق السماء بقوله: "بناها" إلخ دليل أن المراد به تقرير كون السماء أشد خلقا، و قوله: "بناها" استئناف و بيان تفصيلي لخلق السماء، و قوله: "رفع سمكها فسواها" أي رفع سقفها و ما

كما يجيء مصدرا ميميا، و اسم زمان و مكان، و المراد بإخراج مائها منها تفجير العيون و إجراء الأنهار عليها، و إخراج المرعى إنبات النبات عليها مما يتغذى به الحيوان و الإنسان فالظاهر أن المراد بالمرعى مطلق النبات الذي يتغذى به الحيوان و الإنسان كما يشعر به قوله: «متاعا لكم و لأنعامكم» لا ما يختص بالحيوان كما هو الغالب في استعماله، و قوله: «و الجبال أرساها» أي أثبتها على الأرض لئلا تميد بكم و ادخر فيها المياه و المعادن كما ينبىء عنه سائر كلامه تعالى (٣٦).

المبحث الثاني:

ذكر فوائد النجوم

يمكننا ان نستشف من الآيات المباركة التي ذكرت النجوم والكواكب جملة من الغايات والاهداف التي تنفع الانسان في حياته، فعن طريق ملاحظته لنظامها الدقيق يتعلم النظام، و من مواقعها يعرف الاتجاهات، كما خص

(٣٦) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج

ارتفع منها، و تسويتها ترتيب أجزائها و تركيبها بوضع كل جزء في موضعه الذي تقتضيه الحكمة كما في قوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتَهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [سورة الحجر: ٢٩]، و قوله: «و أغطش ليلها و أخرج ضحاها» أي أظلم ليلها و أبرز نهارها، و الأصل في معنى الضحى انبساط الشمس و امتداد النهار أريد به مطلق النهار بقرينة المقابلة و نسبة الليل و الضحى إلى السماء لأن السبب الأصلي لها مساوي و هو ظهور الأجرام المظلمة بشروق الأنوار السماوية كنور الشمس و غيره و خفاؤها بالاستتار و لا يختص الليل و النهار بالأرض التي نحن عليها بل يعمان سائر الأجرام المظلمة المستنيرة، و قوله: «و الأرض بعد ذلك دحاها» أي بسطها و مداها بعد ما بنى السماء و رفع سمكها و سواها و أغطش ليلها و أخرج ضحاها، و قيل: المعنى و الأرض مع ذلك دحاها، و ذكر بعضهم أن الدحو بمعنى الدحرجة، و قوله: «أخرج منها ماءها و مرعاها» قيل: المرعى يطلق على الرعي بالكسر فالسكون و هو الكلاء

سبحانه خاصته بعلم التنجيم، ومن فوائدها حفظ السماء من الشياطين وغيرها، ويمكننا اجمال هذه الفوائد بعدة امور:

التنظيم:

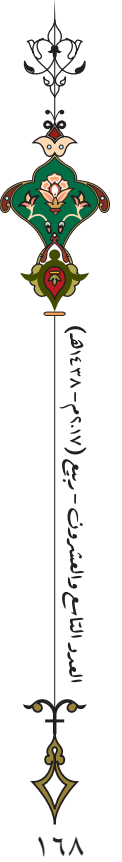
اخضع سبحانه الكون لنظام دقيق جدا، واي خلل فيه يعني انفراط عقد هذا الكون العظيم، ومنه نتعلم ان رقي الامة بنظامها ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِنَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ وَالْحَسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يونس: ٥، يخبر تعالى عما خلق من الآيات الدالة على كمال قدرته، وعظيم سلطانه، وأنه جعل الشعاع الصادر عن جرم الشمس ضياء وشعاع القمر نورا، هذا فن وهذا فن آخر، ففاوت بينها لثلا يشتبها، وجعل سلطان الشمس بالنهار، وسلطان القمر بالليل، وقدر القمر منازل، فأول ما يبدو صغيراً، ثم يتزايد نُوره وجرمه، حتى يستوسق ويكمل إبداره، ثم يشرع في النقص حتى يرجع إلى حاله الأول في تمام شهر، كما

قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۗ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آتِلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [سورة يس: ٣٩-٤٠]. وقال: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦]

وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿وَقَدَرَهُ﴾ أي: القمر ﴿وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِنَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ وَالْحَسَابَ﴾ فبالشمس تعرف الأيام، وبسير القمر تعرف الشهور والأعوام، ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: لم يخلقه عبثا بل له حكمة عظيمة في ذلك، وحجة بالغة^(٣٧)، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [سورة ص: ٢٧]. وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١١٥﴾ فتعالى الله الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [سورة المؤمنون: ١١٥-١١٦]، ويظهر النظام الكوني في قوله تعالى ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ﴾ (٣٧) تفسير ابن كثير، (ج ٢ / ص ٤٢٢).

ثلاثين يوماً، أمّا إذا كان تسعة وعشرين يوماً، فإنّ نفس هذا الترتيب سيبدأ من الليلة السابعة والعشرين ليدخل بعدها القمر في (المحاق)، تلك المنازل محسوبة بدقة كاملة، بحيث أنّ المنجمين منذ مئات السنين يستطيعون أن يتوقعوا تلك المنازل ضمن حساباتهم الدقيقة، هذا النظام العجيب ينظّم حياة الإنسان من جهة، ومن جهة أخرى فهو تقويم سماوي طبيعي لا يحتاج إلى تعلّم القراءة والكتابة لمتابعته. بحيث أنّ أيّ إنسان يستطيع بقليل من الدقّة والدراية في أوضاع القمر خلال الليالي المختلفة، يستطيع بنظرة واحدة أن يحدّد بدقة أو بشكل تقريبي أية ليلة هو فيها، ففي الليلة الأولى يظهر الهلال الضعيف وطرفاه إلى الأعلى، ويزداد حجمه ليلة بعد ليلة حتّى الليلة السابعة حيث تكتمل نصف دائرة القمر، ثمّ تستمر الزيادة حتّى تكتمل الدائرة الكاملة للقمر في الليلة الرابعة عشرة ويسمّى حينئذ «بدرًا»، ثمّ يبدأ بالتناقص تدريجياً حتّى الليلة الثامنة والعشرين حيث يصبح هلالاً باهتاً

كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آتِلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿﴾ [سورة يس: ٣٩ - ٤٠]، أمّا آخر ما قيل في تفسير هذه الآية فهو أنّ تعبير الآية يشير إلى نظام السنّة الشمسية الناشئ عن حركة الشمس عبر الأبراج المختلفة، ذلك النظام الذي يعطي لحياة الإنسان نظاماً وبرنامجاً معيناً يؤدّي إلى تنظيم حياته من مختلف النواحي، لذا فإنّ الآية التالية تتحدّث عن حركة القمر ومنازله التي تؤدّي إلى تنظيم أيام الشهر، فتقول الآية: **﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾**، المقصود بـ (المنازل) تلك المستويات الثمانية والعشرون التي يطويها القمر قبل الدخول في «المحاق» والظلام المطلق؛ لأنّ القمر يمكن رؤيته في السماء إلى اليوم الثامن والعشرين، ولكنه يكون في ذلك اليوم هلالاً ضعيفاً مائلاً لونه إلى الإصفرار، ويكون نوره قليلاً وشعاعه ضعيفاً جداً، وفي الليلتين الباقيتين من الثلاثين يوماً تنعدم رؤيته تماماً ويقال: إنّهُ في دور (المحاق)، ذلك إذا كان الشهر



يشير طرفاه إلى الأسفل، نعم، فإنَّ النظم يشكّل أساس حياة الإنسان، والنظم بدون التعيين الدقيق للزمن ليس ممكناً، لذا فإنَّ الله سبحانه وتعالى قد وضع لنا هذا التقويم الدقيق للشهور والسنين في كبد السماء. «خلق السماوات والأرض بالحق» أي لم يخلقها باطلاً لغير غرض بل خلقها للغرض الحكمي «يكور الليل على النهار و يكور النهار على الليل» أي يدخل كل واحد منهما على صاحبه بالزيادة والنقصان فما يزيد في أحدهما ينقص من الآخر عن الحسن وجماعة من المفسرين و قيل يغشى هذا كما قال يغشي الليل النهار و يولج الليل في النهار عن قتادة «و سخر الشمس والقمر» بأن أجراهما على وتيرة واحدة «كل يجري لأجل مسمى» أي إلى مدة قدرها الله لهما أن يجريا إليها، و قيل إلى قيام الساعة، و قيل لأجل مسمى أي لوقت معلوم في الشتاء والصيف هو المطلع والمغرب لكل واحد منهما^(٣٨) وقال سبحانه ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [سورة

الرحمن: ٥]، أي يجريان بحسبان و منازل لا يعدوانها و هما يدلان على عدد الشهور و السنين و الأوقات، عن ابن عباس و قتادة فأضمر يجريان و حذفه لدلالة الكلام عليه و تحقيق معناه أنها يجريان على وتيرة واحدة و حساب متفق على الدوام لا يقع فيه تفاوت، فالشمس تقطع بروج الفلك في ثلاثمائة و خمسة و ستين يوماً و شيء و القمر في ثمانية و عشرين يوماً فيجريان أبداً على هذا الوجه، و إنما خصهما بالذكر لما فيهما من المنافع الكثيرة للناس من النور والضياء و معرفة الليل و النهار و نضج الثمار إلى غير ذلك^(٣٩).

الزينة و طرد الشياطين:

ازال سبحانه ظلمة الكون المظلم بتلألاً النجوم، ففي ذلك جمال فائق يدخل البهجة في القلب، كما تؤدي النجوم فوائد كحفظ السماء من الشياطين، ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَرَبَّنَا السَّمَاءَ

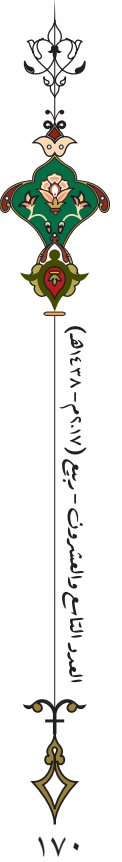
(٣٩) تفسير مجمع البيان، الطبرسي، (ج ٩ / ص

أهداف ذكر النجوم والكواكب في القرآن الكريم..... **المصباح** .

الوجه أوفق للأنظار العلمية الحاضرة (٤٠) ، اما عن طرد الشياطين فقد اكدت الآية ذلك ﴿ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ۝٨﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقَعُدُّ مِنْهَا مَقْعُودًا لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا ﴿ [سورة الجن: ٨ - ٩]، قيل: الفلك اثنا عشر برجاً، كل برج ميلان ونصف. والظاهر أن الضمير في وزيناها عائد على البروج لأنها المحدث عنها، والأقرب في اللفظ. وقيل: على السماء، وهو قول الجمهور، وخص بالناظرين لأنها من المحسوسات التي لا تدرك إلا بنظر العين، ويجوز أن يكون من نظر القلب لما فيها من الزينة المعنوية، وهو ما فيها من حسن الحكم وبدائع الصنع وغرائب القدرة، والضمير في حفظناها عائد على السماء، ولذلك قال الجمهور: إن الضمير في وزيناها عائد على السماء حتى لا تختلف الضمائر، وحفظ السماء هو بالرجم بالشهب على ما تضمنته الأحاديث الصحاح قال رسول الله ﷺ:

(٤٠) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج ١٩ / ص ٣٥١.

الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿ [سورة فصلت: ١٢]، وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿ [سورة الملك: ٥]، المصباح جمع مصباح وهو السراج سمي الكواكب مصابيح لإنارتها وإضاءتها، وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ ﴾ أي وجعلنا الكواكب التي زينا بها السماء رجوما يرمم بها من استرق السمع من الشياطين كما قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴾ [سورة الحجر: ١٨]، و قال: ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَائِقٌ ﴾ [سورة الصافات: ١٠]، قيل: إن الجملة دليل أن المراد بالكواكب المزيّنة بها السماء مجموع الكواكب الأصلية و الشهب السماوية فإن الكواكب الأصلية لا تزول عن مستقرها و الكواكب و النجم يطلقان على الشهب كما يطلقان على الأجرام الأصلية، و قيل: تنفصل من الكواكب شهب تكون رجوما للشياطين أما الكواكب أنفسها فليست تزول إلا أن يريد الله إفناءها، و هذا



«إن الشياطين تقرب من السماء أفواجاً فينفرد المارد منها فيستمع، فيرمي بالشهاب فيقول لأصحابه. وهو يلتهب: إنه الأمر كذا وكذا، فتزيد الشياطين في ذلك ويلقون إلى الكهنة فيزيدون على الكلمة مائة كلمة» ونحو هذا الحديث، وقال ابن عباس: إن الشهب تخرج وتؤدي ولا تقتل، وقال الحسن: تقتل. وفي الأحاديث ما يدل على أن الرجم كان في الجاهلية ولكنه اشتد في وقت الإسلام، وحفظت السماء حفظاً تاماً، وعن ابن عباس: كانوا لا يجبون عن السموات، فلما ولد عيسى منعوا من

ثلاث سموات، فلما ولد محمد ﷺ منعوا من السموات كلها^(٤١)، وأكد سبحانه على تزيين السماء وحفظها في الآية ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ﴾^(١١) وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ^(١٧) إِلَّا مِنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ^(١٨) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رُوسًا وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ

[سورة الحجر: ١٦-١٩]، إن فيهم من

(٤١) تفسير البحر المحيط، (ج ٧/ ص ١٨٩).

كان يصعد السماء فيسمع الوحي من الملائكة، فاذا نزل إلى الأرض اغوى به شياطينه أو ألقاه إلى الكهان، فيغويون به الخلق، فلما بعث الله تعالى نبيه ﷺ منعهم من ذلك، وكان قبل البعثة لم يمنعهم من ذلك تغليظاً في التكليف^(٤٢)، ويتكرر هذا المعنى في الآية المباركة ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾^(٦) وَحَفِظْنَا مِنَ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ^(٧) لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ^(٨) دُحُورًا وَهَلُمَّ عَذَابٌ وَاصِبٌ^(٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ

[سورة الصافات: ٦-١٠].

الاهتداء بالنجوم:

ومن وظائف النجوم الاهتداء بها، فهي المعين له عندما تنقطع به السبل في جوف الليل المظلم، فيها يعرف اتجاه الطرق ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِيَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٩٧]، أي خلق «لكم» لنفعمكم «النجوم

(٤٢) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي،

(ج ٦/ ص ٣٢٠).



أبي زياد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وبالنجم هم يهتدون) قال: هو الجدى لأنه نجم لا تزول وعليه بناء القبلة، وبه يهتدي أهل البر والبحر، و عن اسمعيل بن أبي زياد عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: (وعلامات وبالنجم هم يهتدون) قال: ظاهر وباطن الجدى وعليه تبني القبلة وبه يهتدي أهل البر ^(٤٤).

علم التنجيم:

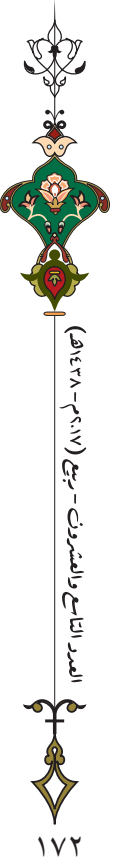
اختلف العلماء في هذا العلم فطائفة تقول: إن علم النجوم ثبوتا أو في حد ذاته حق وهو (علم من علوم الأنبياء) وكان أمير المؤمنين أعلم الناس به، وأن إبراهيم الخليل عليه السلام استعمله كما تدل عليه ظاهر الآية ﴿ **فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ** ﴾ [سورة الصافات: ٨٨]، قيل أنه نظر في النجوم كنظرهم؛ لأنهم كانوا يتعاطون علم النجوم، فأوهمهم أنه يقول بمثل قولهم، فقال عند ذلك «إني سقيم»، فتركوه ظنا منهم أن نجمة يدل على

(٤٤) تفسير العياشي، (ج ٢ / ص ٢٥٦).

لتهتدوا بها» أي بضوئها و طلوعها و مواضعها « في ظلمات البر و البحر » لأن من النجوم ما يكون بين يدي الإنسان، و منها ما يكون خلفه، و منها ما يكون عن يمينه، و منها ما يكون عن يساره، و يهتدي بها في الأسفار، و في البلاد، و في القبلة، و أوقات الليل، و إلى الطرق في مسالك البراري و البحار، و قال البلخي ليس في قوله «لتهتدوا بها» ما يدل على أنه لم يخلقها لغير ذلك بل خلقها سبحانه لأمر جليلة عظيمة و من فكر في صغر الصغير منها و كبر الكبير و اختلاف مواقعها و مجاريها و اتصالاتها و سيرها و ظهور منافع الشمس و القمر في نشوء الحيوان و النبات علم أن الأمر كذلك، و لو لم يخلقها إلا للاهتداء لما كان لخلقها صغارا و كبارا و اختلافاتها في المسير ^(٤٣)، و من فضل الله على الناس ان جعل مواقع بعض النجوم دليلا لهم ﴿ **وَعَلَّمَتْنِي وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ** ﴾ [سورة النحل: ١٦]، فعن اسمعيل بن

(٤٣) تفسير مجمع البيان، الطبرسي، (ج ٤ / ص

.١٢٠).



سقمه، و يجوز أن يكون الله تعالى أعلمه بالوحي أنه سيسقمه في وقت مستقبل، وجعل العلامة على ذلك إما طلوع نجم على وجه مخصوص، أو اتصاله بآخر على وجه مخصوص فلما رأى إبراهيم تلك الأمانة قال «إني سقيم» تصديقا بما أخبره الله تعالى وقيل أن معناه نظر في النجوم نظر تفكر فاستدل بها^(٤٥)، والطائفة الثانية تقول: بعدم جواز الأخذ من المنجمين إثباتا، يعني أن نتعلم منهم أو أن نستهدي بهم إطلاقا، ولذا يقول في بعضها: من صدقك فقد كذب بالقرآن أو أنه قد كذب بما نزل على محمد ﷺ، فالمهم هو عدم جواز التصديق من هؤلاء سواء كان العلم الذي يتخذونه شعاراً لهم صادقا أو كاذبا، ولذا اشتهر: كذب المنجمون ولو صدقوا^(٤٦)، وورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال له سائل: فما تقول في علم النجوم؟

(٤٥) ينظر: ما وراء الفقه محمد الصدر، (ج٣/ص٦٣) و تفسير مجمع البيان، الطبرسي، (ج١/ص٢٧٩).

(٤٦) ينظر: ما وراء الفقه محمد الصدر(ج٣/ص٦٣).

قال: هو علم قلت منافعه وكثرت مضاره، لأنه لا يدفع به المقدور ولا يتقى به المحذور، إن خبر المنجم بالبلاء لم ينجبه التحرز من القضاء، وإن خبره هو بخير لم يستطع تعجيله، وإن حدث به سوء لم يمكنه صرفه، والمنجم يضاد الله في علمه بزعمه أنه يرد قضاء الله عن خلقه، وعن سعيد بن جبیر قال: استقبل أمير المؤمنين عليه السلام دهقان من دهاقين الفرس فقال له بعد التهئة: يا أمير المؤمنين تناحست النجوم الطالعات، وتناحست السعود بالنعوس، وإذا كان مثل هذا اليوم وجب على الحكيم الاختفاء، ويومك هذا يوم صعب قد انقلب فيه كوكبان، وانقذ من برك النيران، وليس الحرب لك بمكان، قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: ويحك يا دهقان المنبئ بالآثار، المحذر من الاقدار، ما قصة صاحب الميزان وقصة صاحب السرطان؟. وكم المطالع من الأسد والساعات في المحركات، وكم بين السراري والذراري؟. قال: سأنظر وأومئ بيده إلى كفه واخرج

منها، فإنَّها تستحيل فوراً إلى رماد وكتلة من الغازات، ولكن... عند حلول وقت نهاية العالم، والإقتراب من يوم القيامة، سيخمد ذلك اللهب المروع، وستجمع تلك الشعلات، فيطفأ نور الشمس، ويصغر حجمها... وهو ما أشير إليه بالتكوير. وكورت الشمس: جمع ضوءها ولف كما تلف العمامة، وقد أيد العلم الحديث هذه الحقيقة، من خلال اعتقاده وبعد دراسات علمية كثيرة، بأنَّ الشمس تسير تدريجياً نحو الظلام والانطفاء، ويأتي المشهد الثاني: (وإذا النجوم انكدرت)، «انكدرت»: من (الإنكدار)، بمعنى السقوط والتناثر، واشتق من (الكدورة)، وهي السواد والظلام، ويمكن جمع المعنيين في الآية، لأنَّ النجوم في يوم القيامة ستفقد إشعاعها وتتناثر وتسقط في هاوية الفناء، كما تشير إلى ذلك الآية (٢) من سورة الإنفطار: (وإذا الكواكب انتثرت)، والآية (٨) من سورة المرسلات^(٥٠)، ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ

الْقَمَرُ﴾ [سورة القمر: ١]، يعني: دنا قيام الساعة، لأنَّ خروج النبي ﷺ كان من علامات الساعة {وانشق القمر} وذلك أنَّ أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ علامة لنبوته، فانشق القمر نصفين. وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ: فانشق القمر نصفين، فرأيت حراء بين فلقتي القمر، أي: شقتي القمر. وعن جبير بن مطعم قال: انشق القمر ونحن مع رسول الله ﷺ بمكة. وروى قتادة، عن أنس قال: سأل أهل مكة رسول الله ﷺ آية فانشق القمر بمكة. وقال بعضهم: {اقتربت الساعة وانشق القمر} يعني: تقوم الساعة، وينشق القمر يوم القيامة. وأكثر المفسرين قالوا: إن هذا قد مضى، وقال عبد الله بن مسعود: ما وعد الله ورسوله من أشراط الساعة كلها قد مضى، إلا أربعة طلوع الشمس من مغربها، ودابة الأرض، وخروج الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج^(٥١)، وأكدت

(٥٠) تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، (ج ١٩ / ص ٤٤٦).

(٥١) بحر العلوم للسمرقندي، (ج ٤ / ص ٢١٨).

﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكُوكُوبُ ﴿٢﴾ انْتَرَتْ ﴾ [سورة الانفطار: ١ - ٢]، (إذا السماء انفطرت): انشقت. (وإذا الكواكب انتثرت): تساقطت متفرقة. (وإذا البحار فجرت): فتح بعضها إلى بعض، فصار الكل بحرا واحدا^(٥٤)، إن هذا الإيجاء يتجه إلى خلع النفس من كل ما تركز إليه في هذا الوجود، إلا الله سبحانه خالق هذا الوجود، الباقي بعد أن يفنى كل موجود. والاتجاه بالقلب إلى الحقيقة الوحيدة الثابتة الدائمة التي لا تحول ولا تزول، ليجد عندها الأمان والاستقرار، في مواجهة الانقلاب والاضطراب والزلزلة والانهيار، في كل ما كان يعهده ثابتاً مستقراً منتظماً انتظاماً يوحي بالخلود!. ولا خلود إلا للخالق المعبود، ويذكر هنا من مظاهر الانقلاب انفطار السماء، أي انشقاقها. وقد ذكر انشقاق السماء في مواضع أخرى: قال في سورة الرحمن: ﴿ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ وقال في سورة الحاقة: ﴿ وَأَنْشَقَّتِ ﴾

(٥٤) التفسير الأصفى، (ج ٤ / ص ١٨٥).

آيات أخرى ان علامات يوم القيامة تشمل النجوم والسماء والجبال ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّفَتْ ﴾ [سورة المرسلات: ٨-١٠]، «إذا النجوم طمست» أي محيت آثارها و أذهب نورها و أزيل ضوءها المرسلات، واستوت مع جرم السماء، أو عبر عن إلحاق ذواتها بالطمس، وهو انتثارها وانكدارها، أو أذهب نورها ثم انتثرت محوقة النور «و إذا السماء فرجت» أي شقت و صدعت فصار فيها فروج «و إذا الجبال نسفت» أي قلعت من مكانها كقوله سبحانه ينسفها ربي نسفا و قيل نسفت أذهبت بسرعة حتى لا يبقى لها أثر في الأرض^(٥٢)، وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ - إلى قوله - أقتت» بيان لليوم الموعود الذي أخبر بوقوعه في قوله: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴾^(٥٣). ويتكرر هذا المعنى في الآية

(٥٢) ينظر: تفسير البحر المحيط، (ج ١٠ / ص ٤١٣) و تفسير مجمع البيان، الطبرسي، (ج ١٠ / ص ٢٠٤).

(٥٣) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، (ج ٢٠ / ص ٨٢).

السَّمَاءَ فِيهِ يَوْمِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١﴾ وقال في سورة الانشقاق: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ...﴾ فانشقاق السماء حقيقة من حقائق ذلك اليوم العصيب، أما المقصود بانشقاق السماء على وجه التحديد فيصعب القول به، كما يصعب القول عن هيئة الانشقاق التي تكون. وكل ما يستقر في الحس هو مشهد التغير العنيف في هيئة الكون المنظور، وانتهاء نظامه هذا المعهود، وانفراط عقده، الذي يمسك به في هذا النظام الدقيق، ويشارك في تكوين هذا المشهد ما يذكر عن انتشار الكواكب. بعد تماسكها هذا الذي تجري معه في أفلاكها بسرعات هائلة مرعبة، وهي ممسكة في داخل مداراتها لا تتعداها، ولا تهيم على وجهها في هذا الفضاء الذي لا يعلم أحد له نهاية، ولو انتشرت كما سيقع لها يوم ينتهي أجلها وأفلتت من ذلك الرباط الوثيق غير المنظور الذي يشدها ويحفظها، لذهبت في الفضاء بدداً، كما تذهب الذرة التي تنفلت من عقالها، وتفجير البحار يمتلئ أن يكون هو امتلاؤها وغمرها لليابسة وطغيانها على

الأنهار^(٥٥). وذهب البعض الى انه حدث خلط بين ايام الله ومنها يوم القيامة وقيام الساعة ويوم الدين ويوم الفصل والايام الاخرى المذكورة في القران ولم يميز المفسرون بين تلك الايام وخصائصها واحوالها اذ زعموا انها اوصاف متعددة ليوم القيامة، فقد كشف المنهج اللفظي لتفسير القران ان هناك مرحلتين تحدثان للنظام الطبيعي: الاولى حوادث تحدث ضمن النظام الكوني الحالي أي قبل ان تقوم القيامة وهي من علامات اقتراب الساعة ومنها ارتجاج الارض وزلزالها قال تعالى ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۝٣﴾ يَوْمِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿ [سورة الزلزلة: ١ - ٤] قال تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوهَا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿ [سورة الحج: ١-٢]،

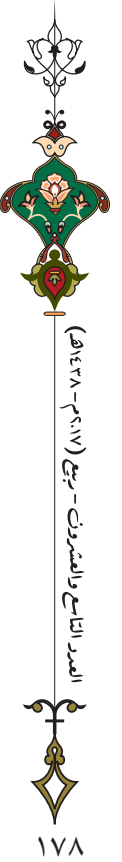
(٥٥) في ظلال القرآن، (ج ٧ / ص ٤٧٦).

أهداف ذكر النجوم والكواكب في القرآن الكريم..... **الْمَصْبَاحُ** •

وَمِنْهَا انشِقَاقُ الْقَمَرِ كَمَا فِي سُورَةِ الْقَمَرِ،
وَمِنْهَا ظِلَامُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ قَالَ تَعَالَى
﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصُرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ
الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [سورة القيامة: ٧-٩]،
أما المرحلة الثانية: حوادث تحدث لتغير
النظام إلى نظام جديد يتلاءم مع الوضع
الجديد للقيامة والبعث والنشور وهي
توافق النفخة الثانية التي يبعث فيها
الخلائق ومن هذه الحوادث قوله تعالى
﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْقَعْنَهَا كَاذِبَةٌ
﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا
﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً
مُتَّبِنًا﴾ [سورة الواقعة: ١-٦] قال
تعالى ﴿وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً
وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [سورة
الكهف: ٤٧] ﴿فَإِذَا نَفَخْنَا فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً
﴿١٣﴾ وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّنَا ذَكَّةً وَاحِدَةً
﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَأَنْشَقَّتِ
السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [سورة الحاقة:

كَتَبَ السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجْلِ لِلْكَتُبِ كَمَا
بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا
كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٤]،
قال تعالى ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ
وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾
[سورة إبراهيم: ٤٨]، وبما أن هذه
الحوادث من المرحلتين تأتي في السور
وراء بعضها بدون فاصل ظن المفسرون
أنها كلها تحدث في يوم واحد وفي مرحلة
واحدة مع أنه يفصل بين بعض حوادثها
والبعض الآخر أحقاب مديدة وهذا
يدعوننا لوضع تسلسل زمني لأطوار
المنتظرة للنظام الطبيعي والكوني شاملا
لكل ما جاء في القرآن في آخر الزمان وفي
يوم البعث والقيامة^(٥٦)، ويمكننا القول
أنه وبغض النظر عن اشرط الساعة
و مراحل يوم القيامة فإن للكواكب
والنجوم الدور الأبرز في التغيرات التي
ستحدث للعالم.

(٥٦) ينظر: النظام القرآني عالم سبيط
النيلي (٢٨٣، ٢٨٨).



الخاتمة:

لمعان النجوم، وتمنى ان يعرف اسرار
هذه الموجودات الكبيرة التي تسبح
في ظلام دامس.

٤. عظمة الخلق لا تقتصر على كون

المخلوق كبير الحجم كالنجوم بل
ان صغيرها وكبيرها يدل على عظمة
الخالق، وان من اعظم ما خلق
سبحانه هو الانسان بدليل قول امير
المؤمنين اتحسب انك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الاكبر.

٥. تسخير الكواكب والنجوم يدل

على منزلة الانسان الرفيعة عند الله
سبحانه، وخير دليل على ذلك ما جاء
في حديث الكساء.

٦. اشارت الآيات المباركة الى النظام

الكوني الدقيق والمنتظم، وهذا
يدفعنا الى ان نكون في غاية الدقة
والنظام في حياتنا الدنيا فلا نهدر
ايام حياتنا، بل علينا ان نعي ونفهم
سبب وجودنا.

بعد المسيرة المباركة في آيات القرآن
الكريم التي تخص النجوم والكواكب في
هذا البحث يمكننا ان نخرج بجملته من
التائج:

١. يجب على الانسان التفكير في خلق
الله سبحانه، فالتفكر في الخلق كفيل
ببناء عقيدة راسخة مبنية على العلم
لا على التقليد.

٢. لم يخلق الله سبحانه وتعالى أي
شيء في الكون عبثا دون حكمة،
فلكل شيء وظيفة ودور يقوم
به، وان هذا الكون الفسيح خلق
ليؤدي دورا في الحياة، وهو كسائر
المخلوقات ولد في رحم السماء
ونمى، حتى ملأت نجومه عتمة
الظلمة الفسيحة.

٣. الاسرار الكونية تدعو وتحفز
الانسان الى البحث المستمر لكشف
التساؤلات التي تجول في صدر كل
انسان رفع راسه الى السماء فأسره

أهداف ذكر النجوم والكواكب في القرآن الكريم..... (الاصباح)

ملحق (صور تبين روعة خلق الله

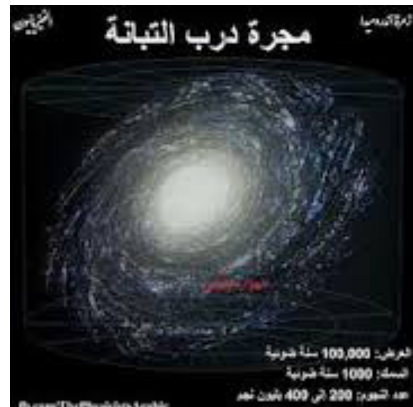
سبحانه) (٥٧).



الصدر التاسع والستون - بزم (٨١١٧م - ١٤٣٨هـ)

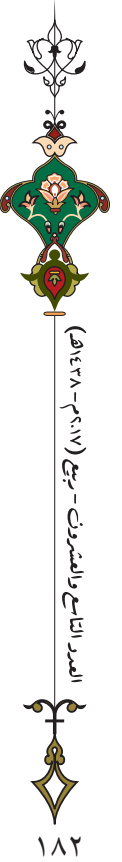


١٨٠



المصادر والمراجع

- القران الكريم.
١. الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، جمع وإعداد علي بن نايف الشحود. <http://shamela.ws/rep.php/book/938>
٢. الامثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي الموقع الرسمي للمؤلف . <http://www.makaremshirazi.org/htm/arabic/books>
٣. التبيان في أقسام القرآن: ابن القيم الجوزية، دار الفكر العربي، بيروت- لبنان، د-ط.
٤. التبيان في تفسير القرآن - الشيخ الطوسي التبيان في تفسير القرآن أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي <http://www.islam-of-u.net/maktaba/uofislam/net/Qran.kotob.htm>
٥. التحقيق في كلمات القرآن الكريم: الشيخ حسن المصطفوي، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ط (١): ١٤١٧.
٦. التفسير الأصفى: الفيض الكاشاني، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي الطبعة: الأولى: ١٤٢٠.
٧. التفسير الصافي: الفيض الكاشاني تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، مكتبة الصدر - طهران، الطبعة: الثانية ١٤١٦:
٨. تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي تحقيق: تحقيق وتصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي: المكتبة العلمية الإسلامية- طهران.
٩. تفسير الميزان - العلامة الطباطبائي، جماعة مدرسي الحوزة، قم - إيران، د. ط.
١٠. التفسير الوسيط: محمد سيد طنطاوي



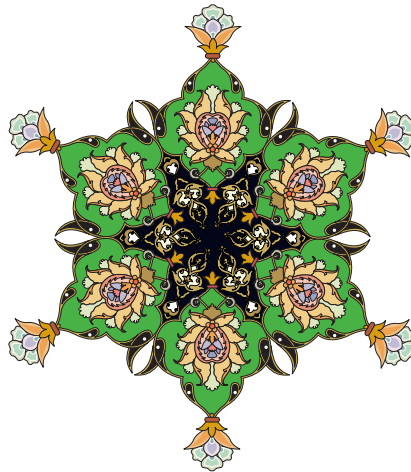
http:// www. altafsir.
com

- لبنان: ١٤١٥-١٩٩٥ م.
١٦. جامع البيان في تأويل القرآن:
محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن
غالب الأملي، أبو جعفر الطبري،
تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة
الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ-
٢٠٠٠م.
١٧. الجامع لأحكام القرآن القرطبي
تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني
دار إحياء التراث العربي-بيروت-
لبنان: ١٩٨٥ م.
١٨. زبدة البيان في أحكام القرآن:
المحقق الأردبيلي تحقيق: محمد
الباقر البهودي: المكتبة المرتضوية
لإحياء الآثار الجعفرية - طهران،
د-ط.
١٩. في ظلال القرآن -ابراهيم بن حسين
الشاربي، دار الشروق، القاهرة -
مصر، ط ١٧، ١٤١٧.
٢٠. القرآن وإعجازه العلمي -محمد
اسماعيل ابراهيم القرآن وإعجازه
العلمي: دار الفكر العربي، بيروت-
لبنان، د-ط.

١١. تفسير بحر العلوم: أبو الليث
السمرقندي تحقيق: د. محمود مطر،
دار الفكر، بيروت -لبنان، د-ط.
١٢. تفسير القرآن العظيم أبو الفداء
إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي
الدمشقي تحقيق: سامي بن محمد
سلامة: دار طيبة للنشر والتوزيع
الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ-١٩٩٩ م.
١٣. تفسير نور الثقلين: الشيخ الحويزي
تحقيق: السيد هاشم الرسولي
المحلاتي، مؤسسة إسماعيليان
للطباعة والنشر والتوزيع -الطبعة:
الرابعة قم -ايران: ١٤١٢.
١٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير
كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر
بن السعدي تحقيق: عبدالرحمن
بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة
الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
١٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن
محمد بن جرير الطبري: دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع -بيروت-

أهداف ذكر النجوم والكواكب في القرآن الكريم..... (الاصباح)

٢١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل المؤلف: الزمخشري: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر: ١٣٨٥- ١٩٦٦ م.
٢٢. ما وراء الفقه: السيد محمد الصدر المحين للطباعة ايران - قم، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٧- ٢٠٠٧ م.
٢٣. مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرازي [http:// www. altafsir. com](http://www.altafsir.com)
٢٤. الموسوعة العلمية القرآنية -ليب بيضون، مؤسسة الاعلمي، بيروت-لبنان، الطبعة الاولى ١٤٣٢-٢٠١١.
٢٥. النظام القرآني عالم سبب النيلى، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة ١، ٢٠٠٦.
٢٦. ويكيبيديا الموسوعة الحرة [https:// ar. wikipedia. org / wiki](https://ar.wikipedia.org/wiki)



سُورَةُ الْفَاتِحَةِ وَأَرْهَاصَاتُ النُّزُولِ قَبْلَ الْبِعْثَةِ وَبَعْدَهَا

أ.م.ر. عادل عباس النصاروي
كلية التربية الأساسية - جامعة الكوفة

فحوى البحث

ابتدأ القرآن بسورة الفاتحة لتكون عنواناً له، ومُفْتَتِحاً من خلالها باباً للولوج إلى ساحة عظمته وقدرته في الدنيا والآخرة، فاستهلها بحمده سبحانه، وهو خير مطلع يُفْتَتِحَ به، وختمها بالهداية إلى دينه والسير في طريق الحق والنجاة، وفي هذا الافتتاح والاختتام قد حاكى ما عليه حال المجتمع العربي من الكفر والإلحاد والخروج عن طريق الهداية، وأنه تعالى أراد أن ينبه إلى ما هو أعظم أثراً في خراب الأمة وتشتتها المتمثل بانحراف العقيدة وخرافة الاعتقاد وتشردم الأمة وتفرق الفكر، وهذا مما يؤيد القول بأن سورة الفاتحة هي من أوائل السور التي نزلت على النبي محمد ﷺ إن لم نقل أولها، ذلك لأنها تمس الواقع العربي والوعي الكامل بما هو عليه، فجاءت تصوّر ذلك الواقع وتضع الحلول لهذا التشردم الفكري والعقدي الذي أضعف العرب، فأطمع فيهم القوى الخارجية من فرس وروم وأحباش.

بسم الله الرحمن الرحيم

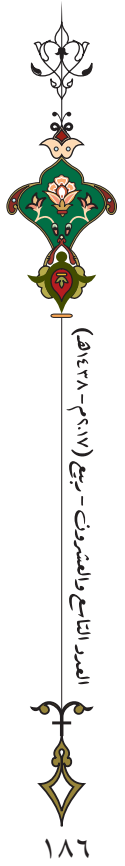
منذ أن خلق الله تعالى الإنسان على الأرض، وهو دائم البحث والتقصي عما يدور حوله من المخلوقات والكائنات والأرض والسماء والكواكب وغيرها مما ذرأ الله وخلق؛ فهو يبحث عن مُشْأ هذه الكائنات ومكوّناتها، والسبب الذي أوجدها؛ ومَنْ أوجدها.

ولعلّ السؤال، عمّن أوجد الكون، هو السؤال الأصعب لديه، فبقي باحثاً عنه في الأرض والسماء، وفي الظلمة والنور وغيرها، فجعل الشمس والكواكب الإله الذي يبحث عنه لأتّها بعيدة، ولا يمكن الوصول إليها، فكان لبُعد المسافات وعدم القدرة في الوصول إليها هما السبيل إلى عبادتها لأنه يعرف كنهها وقد سمى الشمس (آلهة) لارتفاعها؛ ومرة تعلق ذهنه بالنور والظلمة وعدّهما إله وربّاً؛ وفي أخرى آمن بوجود الخالق، وهو الله تعالى، إلّا أنه لقصور في عقله جعل له أصناماً آلهة لتقرّبه إلى الله زلفى ومنهم من آمن بالله الواحد الأحد إلهاً وربّاً وإليه المصير.

ولعلّ هذا التفكير في وجود الخالق أو الإله لهذا الكون يُعدّ نوعاً من التفكير العلمي الذي اتسمت به أغلب شعوب الأرض، ومنهم العرب قبل البعثة النبوية، إذ كانوا متفرقين شيعاً في أديانهم ومعتقداتهم، بسبب من وجود الدعاة أو الغزاة أو الرّحل من أصحاب الديانات الأخرى، أو مجاورتهم لهم؛ وهذا مما فرّقهم على أديان ومذاهب ونحل.

الحياة الدينية عند العرب قبل الإسلام:
إن أجدر المراجع بالثقة وأوثقها ممّا صوّر لنا الحالة الدينية للعرب قبل الإسلام هو القرآن الكريم، فقد عدّد أديانهم ومعتقداتهم حين قال تعالى:
﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰبِغِينَ وَالصَّنِيْذِيْنَ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِتَّكَفَتْ أَلْفَةٌ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنْ أَلَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [سورة الحج: ١٧].

فكان من العرب يهود ونصارى، وفيهم صابئةٌ ومجوسٌ، ومنهم كذلك المشركون، وفيهم أيضاً الموحّدون على ملّة النبي إبراهيم الخليل عليه السلام؛ منتشرين في أصقاع الجزيرة العربية.



وكان بين أهل الأديان والنحل جدال ونزاع، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك، فقد كان أهل الكتاب من اليهود والنصارى يختلفون في معتقداتهم، وذكر سبحانه هذا في قوله:

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ [سورة البقرة: ١١٣]،
وقوله سبحانه: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ [سورة التوبة: ٣٠].

وأما الصابئة فقد جعلوا لهم ما يتوسط بينهم وبين الله تعالى لأجل معرفته سبحانه ومعرفة طاعته وأوامره وأحكامه، وهذا المتوسط يجب أن يكون روحانياً لا جسمانياً وذلك لأجل زكاة الروح وطهارتها وقربها من ربّ الأرباب، فيما كان الجسماني بشرٌ يأكل مما نأكل ويشرب مما نشرب، فهو يماثلهم في المادة والصورة^(١).

(١) ظ: الملل والنحل/ الشهرستاني: ١/ ٢١٠.

فيما كان المجوس ثنوية، أثبتوا للعالم أصلين اثنين مديريّن يقسمان الخير والشر، والنفع والضرر، والصلاح والفساد، ويسمون أحدهما النور والآخر الظلمة^(٢).

أما المشركون فهم طوائف مختلفة، منهم من أنكر الخالق والبعث والإعادة، وصنف أقرّ بوجود الخالق وأثبت حدوث العالم وأنكر البعث والإعادة؛ وطائفة أقرّوا بالخالق وأنكروا الرسل وعبدوا الأصنام، وزعموا أنهم شفعاؤهم عند الله في الآخرة، فحجّوا إليها وقربوا القرابين، وهؤلاء هم الدهماء من العرب^(٣)، وقال فيهم تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة الزمر: ٣].

ومنهم أيضاً من تأثر بالمجوسية،
(٢) ظ: م. ن: ١/ ٩٠، ٢١٢؛ تمهيد لتأريخ الفلسفة الإسلامية/ د. مصطفى عبد الرزاق: ١١٨.

(٣) ظ: تمهيد لتأريخ الفلسفة الإسلامية/ د. مصطفى عبد الرزاق: ١١٨.

وكانت لهم سُنن وشرائع خالد بن سنان العبسي وزيد بن عمرو بن نُفيل وقس بن ساعدة الأيادي وغيرهم^(٥).

فقد ذكرت المصادر أن خالد بن سنان العبسي أطفأ الله به نار الحَرَّتَيْن، وقد قَدِمَت ابنته على رسول الله ﷺ فبسط لها رداءه، وقال: هذه ابنة نبيِّ ضيِّعه قومه وسمعت سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص: ١] فقالت: قد كان أبي يتلو هذه السورة^(٦).

نخلص من هذا العرض لديانات العرب ومعتقداتهم ونحلهم وانتمائهم العقائدي أنه لا يوجد ما يوحدهم دينياً ويأخذ بأيديهم إلى حيث الهدى والنجاة، مع أنهم كلهم أو أغلبهم يؤمنون بوجود خالق لهذا الكون، وهو الله تعالى، غير أنهم فقدوا الوسيلة التي تأخذ بأيديهم إلى الحضرة المقدسة ومعرفته سبحانه وطاعته، فمنهم مَنْ جعل الله ابناً وهم اليهود والنصارى، ومنهم مَنْ قال

(٥) ظ: م. ن.

(٦) ظ: الحيوان/ الجاحظ: ٤/ ٤٧٦ - ٤٧٧؛

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام/ د.

جواد علي: ٦/ ٨٣.

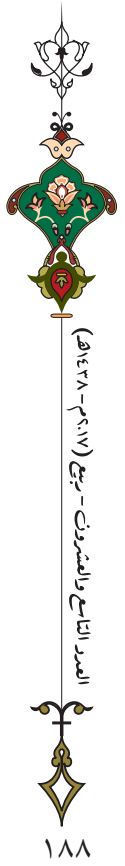
وكانوا يقولون بوجود خالق للكون إلا أنهم انكروا البعث والنشور، وقد قال فيهم تعالى شأنه: قال تعالى ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٨٣]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [سورة الزخرف: ٨٧].

أما من تهوّد من العرب فاليمين بأسرها، وكان أحد حكّامها حمل حَبْرين من أحبار يهود إلى اليمن، فأبطل الأوثان وتهوّد مَنْ باليمن، وتهوّد كذلك قومٌ من الأوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن لمجاورتهم يهود خيبر وقریظة والنضير وتهوّد كذلك قومٌ من بني الحارث بن كعب وقوم من غَسَّان وجذام^(٤).

وأما مَنْ تنصّر مِنْ أحياء العرب فقوم من قريش منهم عثمان بن حويرث بن أسد بن عبد الله بن عبد العزى وورقة بن نوفل؛ ومن بني تميم أمرؤ القيس بن عبد مناة، ومن ربيعة بنو تغلب وغيرهم.

وأما مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر وينبذ الأوثان وينتظر النبوة

(٤) ظ: تاريخ اليعقوبي: ١/ ٢٢٠.



بوجود متوسط بينهم وبين الله من روح، وبعضهم اتخذ الأصنام وسيلة لتقربته إليه زلفى، وبعضهم كان يؤمن بوجود الخالق تعالى شأنه و البعث والإعادة، وهم الذين كانوا على ملة ابراهيم الخليل عليه السلام، ونتيجة لذلك أدركوا ضعفهم في تعدد مذاهبهم وأهوائهم وغلبة الأمم عليهم.

فضلاً عن أنّ هذا الخليط غير المتجانس من المعتقدات والأديان أحدث في نفوس العرب سؤالاً كبيراً، وهم في زمن وعيٍ بذلك؛ وهو لماذا هذا التشتت العقدي، وهل أنّ هذه الفئة قد أصابت ربّها أم تلك؛ فالكلّ يبحث عن إلهه، فيأخذه هواه إلى حيث يريد.

فهكذا تهبّأت العقول لقبول الموحد، أي لا بُدَّ من وجود فكرة تصل بالناس إلى الحقيقة ولا بُدَّ من إله يجمع هذا الشتات الذي أضعفهم، فاستهانت بهم الأمم والممالك المجاورة لهم، فلم يعد لهم مرجعٌ يرجعون إليه، ولا فكرٌ يجتمعون عليه، فاكتشفوا أنهم أشقياء، فبحثوا عن السعادة، واكتشفوا أنهم ضعفاء فطلبوا

القوة، وادركوا أنهم على غير هدىّ فيما هم عليه، فبحثوا عن النور الذي يضيء لهم سبيل نجاتهم في الدنيا وما بعد الموت؛ واكتشفوا أنهم متفرقون فطلبوا من يوحّدهم، فتناولت الأعناق لذلك، فوقع الخلاف مرةً أخرى، وعندها تدخلت السماء لتكون هي المرجع الذي يجمعهم، فنزلت من هناك فكرة التوحيد لتجمع الشتات العقدي المفرّق وحصر العبادة بالله دون غيره سبحانه، والإيمان بالحشر والمعاد؛ وهذه هي الغاية من إرسال الرسول الأعظم محمد ﷺ وإنزال القرآن الكريم، فالإسلام كان قد دعا البشر جميعاً إلى الإيمان بالله وتوحيده قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: ٦٤].

إذن، الأصل في الدعوة عبادة الله تعالى وتوحيده والمصير إليه لأجل لمّ الشتات وقمعاً للفرقة التي رفعت أناساً وخفضت آخرين، ودرءاً للفتنة التي



وانكشفت الظلام بذكره سبحانه. إذ احتوت رموزاً لكل ما في القرآن، ففيها التوحيد والثناء على الله تعالى، وفيها العبادة له والاستعانة به، فضلاً عن الإشارة إلى يوم الدين، والمغضوب عليهم و الضالين ممن لم يهتدوا بهديه سبحانه، وأشار تعالى فيها إلى ملكوته وقدرته، ورأوا فيه من أجل ذلك كله براعة استهلال رائعة للقرآن وعنواناً لمواضيعه^(٨).

وإنما ابتدأ القرآن بها لتكون عنواناً له، ومُفْتِحاً من خلالها باباً للولوج إلى ساحة عظمته وقدرته في الدنيا والآخرة، فأستهلها بحمده سبحانه، وهو خير مطلع يُفْتَحُ به، وختمها بالهداية إلى دينه والسير في طريق الحق والنجاة، وفي هذا الافتتاح والاختتام قد حاكى ما عليه حال المجتمع العربي من الكفر والإلحاد والخروج عن طريق الهداية، ولم يلتفت إلى حالة الأمية وعدم القراءة، وإن كان

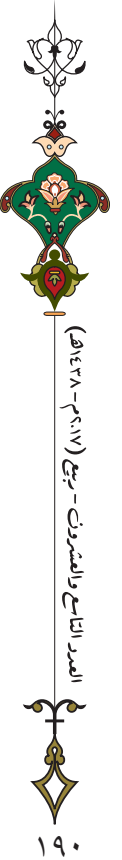
(٨) ظ: التفسير الحديث - التفسير مرتب

حسب النزول / محمد عزة دُرُوزَة: ١ /

أضرت بعقول الأكثرين، مع غياب القانون وتبعثر السلطة؛ فجاء الخطاب الإلهي الذي تمثل بفاتحة الكتاب الذي نزل على النبي محمد ﷺ من العزيز الأعلى إجابة لكل التساؤلات وحلاً لكل الإشكالات ودواء لكل الأدواء، فمجدّ تعالى شأنه نفسه بما يرجع إلى كمال ذاته وأظهر سلطانه يوم الجزاء، ثم حصر به العبادة والاستعانة ولقّن عبيده أن يطلبوا منه الهداية إلى الصراط المستقيم الذي يوصلهم إلى الحياة الأدبية والنعيم الذي لا يزول، والنور الذي لا ظلمة بعده؛ ثم بين أن هذا الصراط خاصٌّ بمن أنعم الله عليهم برحمته وفضله، وهو يغاير صراط من غضب عليهم والذين ضلّوا طريق الهدى^(٧).

فكانت سورة الفاتحة من أولى الإضاءات التي أسسرت طريق السائرين على غير هدى إلى حيث النجاة، ففتحت الأبواب لتصل الأرض بالسماء، فأضاءت الأرض بنور ربّها

(٧) ظ: البيان في تفسير القرآن / الإمام الخوئي:



ذلك من مهمات الرسالة الإسلامية، إلاّ أنّه تعالى أراد أن ينبه إلى ما هو أعظم أثراً في خراب الأمة وتشتتها المتمثل بانحراف العقيدة وخرافة الاعتقاد وتشردم الأمة وتفترق الفكر، وهذا مما يدفعنا إلى القول إنّ سورة الفاتحة هي من أوائل السور التي نزلت على النبي محمد ﷺ إن لم نقل أولها، ذلك لمساسها الواقع العربي والوعي الكامل بها هو عليه، فجاءت تصوّر ذلك الواقع وتضع الحلول لهذا التشردم الفكري والعقدي الذي أضعف العرب، فجعلهم مهمزاً لكل القوى الخارجية من فرس وروم وأحباش، غير أن الظروف الطبيعية التي أحاطت بهم جعلتهم في منأى عن هذه النزاعات.

أسباب النزول

وآلية الكشف عن الدلالة:

لم تُكتب أخبار نزول سور القرآن وآياته على النبي محمد ﷺ في وقت نزولها، ولعلّ ذلك مرجعه إلى ضعف الكتابة وقلة الكتّاب الذين يهتمون بهذا الأمر بالرغم من أهميته، وقد كُتبت

هذه الأخبار بعدما يزيد من قرن من الزمان أي في عهد التابعين أو أتباع التابعين، وهذا الأمر أسبغ على روايات النزول وأخباره لعموم القرآن شيئاً من الغموض وعدم الضبط، بسبب بُعد المسافات الزمنية بين الكتابة ونزول الوحي، فتعددت الروايات واختلفت في الآية الواحدة أو السورة المعينة فرويت بأكثر من رواية أو خبر من راوٍ واحد أو أكثر، فغلب عليها طابع الصنعة والتكلف.

فضلاً عن ذلك، نلمسُ أمراً في هذه الروايات من حيث قبولها أو ردّها وهو مسألة الاعتماد على وثاقة الراوي وشخصيته، والثقة بالراوي مختلفة من مُفسّر لآخر وربما كان ذلك بسبب من تسلّط الحكام ومحاولتهم فرض سلطتهم وتسخير هذا النص المبارك بما يسوّغ لهم أفعالهم وأفكارهم التي تقوّي من نفوذهم فتوجهوا في ذلك إلى الرواة لتمرير ذلك، فاختلّف فيهم من حيث الوثاقة بسبب بعدهم أو قربهم من السلطان فقد نجد راوياً عند بعض المفسرين ثقة، وعند

لذا فإنَّ الدخول في هذه المسألة يُعدُّ أمراً صعباً، ولا بُدَّ من الحذر الشديد في قبول الرواية أو رفضها، وعليه يجب الفحص والتقصي والسؤال واتباع طرق تأخذ بأيدي الكاتب والمحلل إلى منطقة الأمان.

لقد قام المتقدمون في متابعة أسباب النزول من خلال الرواة وترجيح رواية على أخرى، وهذا مما يُعدُّ عاملاً خارجياً، والاكتفاء بهذا العامل الخارجي سوف يُسلِّط ضوءاً كاشفاً غير أنَّه خافت، فلا يضيء كل مناطق النص، غير أنَّ استعمال طرقٍ أخرى من داخل النص ربَّما تكشف عن باقي مكونات النص ودلالاته التي يبغيها واضعه سبحانه، قال نصر حامد أبو زيد: (لقد كانت معضلة القدماء أنَّهم لم يجدوا وسيلة للوصول إلى « أسباب النزول» إلاَّ الاستناد إلى الواقع الخارجي والترجيح بين الروايات، ولم يتجهوا إلى أنَّ في النص دائماً دوال يمكن أن يكشف تحليلها عن ما هو خارج النص، ومن ثمَّ يمكن اكتشاف «أسباب النزول» من داخل النص، كما يمكن اكتشاف دلالة

غيرهم ليس بثقة غير أنَّ بعض العلماء وقد أعطوا مرويات الصحابة الأولوية في الوثاقة، إذ أورد فيها ذكر السبب واضحاً من دون ذكر الحكم أو الدلالة، حتى عدَّوا هذا النمط من المرويات بمرتبة الأحاديث المسندة أو هو بمثابة الحديث المرفوع، قال نصر حامد أبو زيد: (وهكذا صار تحديد «سبب النزول» الثقة بالرواة، وأدخلت مروياتهم أسباب النزول منطقة الأحاديث النبوية، وذلك دون ادراك لمعضلات النقل والرواية ودوافعها، إذا أضفنا إلى ذلك أن عصر التابعين كان عصر الخلافات السياسية والفكرية أدركنا أن تحديد «أهل الثقة» من الرواة تمَّ على أساس «أيديولوجي» انتهى إلى إعطاء سلطة دينية مطلقه في مجال هذه المرويات لبعض التابعين دون بعض)^(٩)، وهذا الامر مما يأخذ بهذه الروايات إلى منطقة وعرة وشائكة ومن يدخلها لا بُدَّ من أن يُصاب بأشواكها وألغامها فيقع في دائرة الكذب أو التدليس فيما يروي ويقول.

(٩) مفهوم النص / د. نصر حامد أبو زيد: ١١.

النص بمعرفة سياقه الخارجي^(١٠)، غير أن في هذا القول قصوراً في استيعاب الأمر، لأن علماء القرآن لم يكتفوا بالترجيح في الروايات بل عمدوا إلى الكشف عما يستبطنه النص، لأن أسباب النزول لم تكن بعيدة عما في النص، لأن قرينة سبب النزول تمثل جزءاً من الدلالة العامة للنص أو هي كل الدلالة فيه بحسب المقتضي السياقي في النص.

لقد فرّق علماء القرآن بين سبب النزول كحادثة لها مساس بنزول النص فضلاً عن دوره في الاعانة على بيان المعنى وازالة الإشكال؛ وبين ما يعني به الراوي لهذا السبب من معنى، فتكون هذه وظيفة مزدوجة لسبب النزول وهذا الأمر عمل رابطاً بين ماهو خارج النص، وبين ماهو داخل النص، لهذا نجد (إن علماء القرآن نظروا إلى النص نظرة لا يفصل فيها داخله عن خارجه؛ فيقدر ما للنص تحقيقاته الداخلية المخصوصة «علاقة النص بداخله» له أيضاً مقتضيات خارجية «علاقة النص

بأبعاده التكوينية» لا يستقيم فهمه بتنحيتها واقصائها، ذلك أن النص يتضمن في ذاته «قوة إحالة» على تلك المقتضيات، وهو يستمد هذه القوة من كونه نصاً نزل لينظم حياة الجماعة المسلمة ويوجهها في كافة مناحيها)^(١١) أي أن في النص وعياً كاملاً للبيئة الاجتماعية التي نزل فيها فضلاً عن تحريكه للدوال التي يكشف من خلال تحليلها عما هو خارج النص، على أن اللغة وأدواتها تمثل محور هذه العملية، فينبغي أن يُفرّق من خلالها السياق ما هو حقيقة أو مجاز، وربّما كان المجتمع الذي نزل فيه النص لا تخفى عليه هذه الخاصية في الشكل، فضلاً عن سبب النزول لذا كانوا على علم ودراية بدلالة النص التي تولدت من خارجه ومن داخله، لذا لم يختلفوا في فهم الدلالة وحدودها ومقتضيات العمل بالقرآن الكريم وعليه فإن الرجوع إلى ذلك المنبع هو الأفضل في الوصول إلى الدلالة المطلوبة.

(١١) النص وآليات الفهم في علوم القرآن/ د.

محمد الحيرش: ١٩٩.

(١٠) م.ن: ١١١.

وقد اختلف الروايات في نزول سورة الفاتحة على عدة أقوال^(١٢):

١. أمّها نزلت في مكة، غير أن الروايات اختلفت في كونها أول ما نزل من القرآن أم كان غيرها أسبق منها.
٢. أمّها نزلت مرتين؛ الأولى في مكة، والثانية في المدينة.
٣. أمّها نزلت في المدينة.

والقول الأول هو الصحيح، وقد تواترت الأقوال في ذلك عن المفسرين وعلماء القرآن، وقد أستدلّ على مكيتها بما يقطع به قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [سورة الحجر: ٨٧] يعني الفاتحة، وسورة الحجر مكية بلا خلاف، فضلاً عن ذلك أن الصلاة شرّعت بمكة، ولم يعهد الإسلام صلاة بلا فاتحة الكتاب^(١٣).

أما القول بأنها نزلت مرتين، الأولى

(١٢) ظ: الاتقان في علوم القرآن/ السيوطي: ٢٥ / ١

(١٣) ظ: أسباب النزول/ الواحدي: ١٢- ١٣؛ الاتقان في علوم القرآن/ السيوطي: ١ / ٢٥؛ البيان في تفسير القرآن/ الإمام الخوئي: ٤٤٢.

أما ما تأخر عنهم في الزمن فإنه سيجد صعوبة في ذلك بسبب من تغير الظروف الاجتماعية والبيئية والسياسية التي ألفت بآثارها على مجمل فهم الدلالة، وربما أضطر بعضهم إلى أن يصطنع أخباراً ليسوق بضاعته وينشرها أو يروج لقضية فيؤطرها بما يراه مناسباً.

أخبار نزول سورة الفاتحة:

بعد أن استقصيتُ الواقع الذي يعيشه المجتمع العربي قبل البعثة الإسلامية وحاجته إلى فكرة توحيدية تجمع شتات الآراء والعقائد الزائفة والمنحرفة، فإن هذا الواقع لا بُدَّ أن تظهر علائمه وأسبابه في الدعوة الإسلامية والقرآن الكريم؛ فلمّا كان الناس مشتتين في ولائهم العقائدي، فإن أول ما يدعو له الإسلام هو التوحيد ولمّ الشتات، من خلال الإيمان بالإله الواحد، والدعوة إلى سلوك الطريق السليم المؤدّي إلى الله تعالى، وعليه فإنّ أنصح صورة لهذا التوجّه أن تكون سورة الفاتحة من أوائل ما ينزل على الرسول ﷺ لتحاكي حالة التشتت الفكري والعقدي وتدعو إلى التوحيد.

بمكة والثانية بالمدينة، وذلك مبالغة في تشریفها وتعظيماً لشأنها^(١٤) لأنها حوت كل ما في القرآن، وأن لا صلاة إلا بها. واما قول مَنْ قال بأنها مدنية، فهو قول ضعيف، فقد نقل الواحدي عن مجاهد قوله: (أَنَّ الفاتحة مدنية، قال الحسن بن الفضل، لكل عالم هفوة، وهذه بادرة عن مجاهد تفرّد بهذا القول، والعلماء على خلافه)^(١٥)، وهذا يُنافي ما عليه الصلاة، فقد قال الرسول ﷺ: (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)^(١٦)، وهذا الحديث مروى عن طرق الخاصة والعامّة.

واختلف في سورة الفاتحة أيضاً في كونها أول ما نزل من القرآن أم هناك ما سبقها؛ فقد وردت عدة أقوال في ذلك:

القول الأول:

إن قوله سبحانه: ﴿ **أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ** ﴾

[سورة العلق: ١] أول ما نزل، وهو

(١٤) الاتقان في علوم القرآن/ السيوطي: ١ / ٢٥.

(١٥) أسباب النزول/ الواحدي: ١٢.

(١٦) شرح صحيح مسلم/ النووي: ٤ / ٧٧-

باب الصلاة - رقم الحديث: ٣٩٤.

ما روي عن عائشة، (أنها قالت: أول ما بُدِيَء به رسول الله ﷺ) من الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حَبَّب إليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنّث فيه، وهو تعبّد الليالي ذوات العدد، ويزوّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ، فقال رسول الله ﷺ: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد، ثم ارسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم ارسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني الثالثة بلغ مني الجهد، فقال: (اقرأ باسم ربك الذي خلق) حتى بلغ ما لم يعلم، فرجع بها يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة... الحديث^(١٧).

وذهب أغلب العلماء إلى صحة هذا

القول^(١٨).

(١٧) أسباب النزول/ الواحدي: ٥؛ الاتقان في

علوم القرآن/ السيوطي: ١ / ٥٠.

(١٨) ظ: معاني القرآن/ الفراء: ١ / ٢٧٨؛

تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير: ١ /

القول الثاني:

الله الأنصاري (٢١).

القول الثالث:

قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ ۖ قُرْ ۙ

فَأَنْذِرْ ۙ﴾ [سورة المدثر: ١]، وهو ما روي

سورة الفاتحة، وهو المروي عن أبي
ميسرة، فقد جاء عن الواحدي قوله:
(حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا اسرائيل
عن أبي أسحق بن ميسرة أن رسول الله ﷺ
كان إذا برز سمع منادياً يُناديه يا محمد فأذا
سمع الصوت انطلق هارباً فقال له ورقة
بن نوفل: إذا سمعت النداء فاثبت حتى
سمع ما يقول لك، قال: فلما برز سمع
النداء «يا محمد» فقال: لبيك، قال: قل:
اشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً
رسول الله، ثم قال: الحمد لله رب العالمين،
الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، حتى
فرغ من فاتحة الكتاب؛ وهو قول عليّ
بن ابي طالب (٢٢)، وجاء في الكشف أن
أكثر المفسرين على أن الفاتحة هي أول ما
نزل (٢٣).

عن جابر عبد الله الأنصاري عندما سئل
عند أول ما نزل من القرآن، فقال: (قال
رسول الله ﷺ: إنِّي جاوَرْتُ بحراءَ شهرًا،
فلما قضيت بجواري نزلت فأستبطنْتُ
بطن الوادي فنوديت فنظرتُ أمامي
وخلفي وعن يميني عن شمالي ثم نظرت
إلى السماء فأذا هو على العرش في الهواء،
يعني جبريل، فأخذتني رجفة فأتيتُ إلى
خديجة فأمرتهم فدثروني ثم صبوا عليّ
الماء فأنزل الله عليّ ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ ۖ قُرْ ۙ
فَأَنْذِرْ ۙ﴾ (١٩) وهذا الحديث رواه مسلم

عن زهير بن حرب عن الوليد بن مسلم
الأوزاعي (٢٠) ورواه الشيخان عن أبي
سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد

٤١٩؛ البحر المحيط/ أبو حيان: ٨ /

٦٩٣؛ تاريخ يعقوبي: ٢ / ٢٢؛ التبيان /

الطوسي: ١٠ / ٣٧٨؛ الاتقان في علوم

القرآن/ السيوطي: ١ / ٥٣؛ المصاحف /

السجستاني: ٨٨.

(١٩) أسباب النزول/ الواحدي: ٥؛ التبيان /

الطوسي: ١٠ / ١٧١.

(٢٠) م. ن.، الاتقان/ السيوطي: ١ / ٥١.

(٢١) ظ: م. ن: ١ / ٥١.

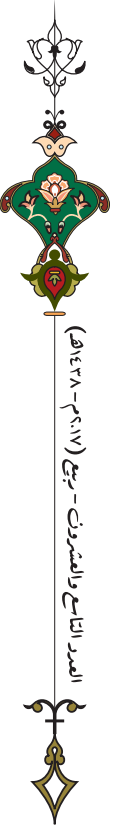
(٢٢) أسباب النزول/ الواحدي: ١٢؛ ظ: مجمع

البيان/ الطبرسي: م / ٥١٤.

(٢٣) ظ: الكشف/ الزمخشري: ٤ / ٧٨١؛

الاتقان في علوم القرآن/ السيوطي: ١ /

٥١.



القول الرابع:

البسمة وهي قوله سبحانه (بسم الله الرحمن الرحيم) فقد روى الواحدي عن أحمد بن محمد بن محمد بن ابراهيم المقرئ عن حدث عنهم، عن عكرمة والحسن قالا (أول ما نزل من القرآن، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فهو اول ما نزل من القرآن بمكة، وأول سورة ﴿أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(٢٤)، وروى أيضاً عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال: (أول ما نزل به جبرائيل على النبي ﷺ قال يا محمد أستعد بالله ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم)^(٢٥)، وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: (كان رسول الله ﷺ لا يعرف ختم السورة حتى ينزل عليه «بسم الله الرحمن الرحيم»)^(٢٦)، وروي أيضاً عن عبد الله بن مسعود، قال: (كلنا لا نعرف فصل بين السورتين حتى نزل بسم الله الرحمن الرحيم)^(٢٧).

وبنظرة تحليلية سريعة على مجمل

(٢٤) أسباب النزول/ الواحدي: ٦.

(٢٥) ظ: م. ن: ١١.

(٢٦) ظ: م. ن.

(٢٧) ظ: م. ن.

النصوص تتضح لنا أمورٌ كاشفة عن الظروف الداخلية والخارجية في النصوص القرآنية التي هي محل خلاف في أيهما أسبق في النزول، فالقول الأول المخصص بنزول قوله سبحانه ﴿أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، فيه دلالة واضحة تقترن مع حالة التحنُّن والتعبُّد التي كان النبي محمد ﷺ يمارسها آنذاك فهو كان يجاور في حراء من كل سنة شهراً، وكان ذلك ممَّا تتحنَّث به قريش في الجاهلية أي يتبرَّر^(٢٨) بمعنى يتعبد ويتنسَّك فكان يُطعم مَنْ جاءه من المساكين، فإذا قضى جواره ﷺ من شهر رمضان، كان أول ما يبتدأ به من منصرفه قبل دخول بيته، يذهب إلى الكعبة فيطوف بها سعيًا أو ما شاء الله من ذلك ثم يرجع إلى بيته^(٢٩).

فكان هذا الحال التعبُّد والتنسَّك أيام الجاهلية هو الابتعاد عن هذه القذارات وعبادة الأوثان ومساعدة الفقراء والمساكين، فلما أراد الله تعالى أن يرسله نبياً إلى الناس كافة ابتداءً بتعليمه آداب

(٢٨) السيرة النبوية/ ابن هشام: ١ / ٢١٨.

(٢٩) ظ: م. ن: ١ / ٢١٩.

ولما كان من معنى القراءة التبعّد والتنسّك، والقراءة مقترنة باللفظ والطلب، فهي بعني الدعاء والطلب من المعبود، أي أن قوله سبحانه ﴿ **اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾ جاء لتأديب الرسول ﷺ وتعليمه أصل العبادة والتنسّك هو الدعاء فجاء جَلَّ ثناؤه أمراً منه تعالى لنبيه محمد ﷺ بذلك.

وأورد نولدكه أن (روايات أخرى نورد: «ما اقرأ» أو «فما اقرأ» أو «وما اقرأ») (٣٢) على سبيل الاستفهام عما يُراد منه قراءته، فهذه الروايات تقرب إلى معنى السؤال عن ما يدعو به ﷺ ربّه جَلَّ جلاله، لا على سبيل نفي علم القراءة.

إذن دلالة (اقرأ) على الدعاء في حالة التحنّث والتنسّك والتبعّد أليق من كونها دعوة إلى القراءة المحضّة التي بمعنى جمع اللفظ إلى اللفظ ثم القائها، مع أن الله تعالى كان عالماً بأمية النبي ﷺ فلا أمر بالقراءة للأمي يكون غير مناسب، فضلاً عن أن الظرف الذي نزلت به الآية لا

الزخشي: ٤٩٩ - قرأ.

(٣٢) تأريخ القرآن/ نولدكه: ١٤.

العبادة، وهو الطلب من خالقه كلّ شيء وأن لا يطلب ذلك من غيره أي أن يتبدأ العبادة بالدعاء فقال له ﴿ **يَتْلُوهَا الْمَدِينَةُ** ﴾ ﴿ **قُرْآنًا ذِكْرًا** ﴾، والقراءة في اللغة من الفعل (قرأ) بمعنى جمع الألفاظ إلى بعضها ثم لفظها، وتأتي كذلك بمعنى العبادة التنسّك، قال الصاغاني (ت ٦٥٠هـ): (يقال: قرأت القرآن: أي لفظت به مجموعاً أي ألقيته... وقرأ تنسّك، وجمع القارئ قراءة؛ مثل عامل عملة، وقراء أيضاً: مثل عابد وعُباد، القراء أيضاً المتنسّك. قال زيد بن تركي أخو يزيد:

ولقد عجبْتُ لكاعبٍ مودونةٍ
أطرافها بالحلي والحناء
بيضاء تصطاد النفوس وتستبي
بالحسَن قلبَ المسلم القراءِ (٣٠)

قال جرير:

يا أيها القارئ المُرخي عمامته

هذا زمانك إنّي قد مضى زمني (٣١)

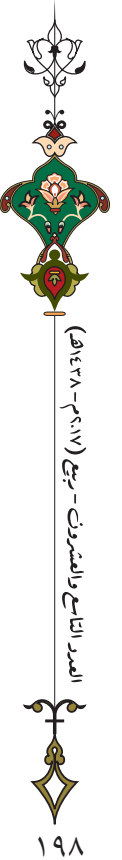
(٣٠) العباب الزاخر / حرف الهمزة: الصاغاني:

١٤٦ - قرأ؛ ظ: أساس البلاغة /

الزخشي: ٤٩٩ - قرأ؛ ظ: لسان العرب /

ابن منظور: ١١ / ٧٩ - قرأ.

(٣١) ظ: ديوانه: ٤٧٤؛ أساس البلاغة /



يأخذ بنا إلى هذا الأمر، كما أخذ بأيدينا حال التعبّد إلى دلالة (اقرأ) على التنسك والعبادة.

إذن قوي ترجيح القول بنزول قوله (اقرأ) أولاً بعوامل جاءت من خارج النص المتمثلة بحالة العبادة للنبي محمد ﷺ في غار حراء وانقطاعه لله وعمله الخيرات، فضلاً عن الدلالة اللغوية للألفاظ وصيغة الأمر المقتضية إلى القيام بفعل الدعاء والابتداء به قبل كلّ عبادة داخل النص.

أما القول الثاني المتمثل بقوله سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [سورة المدثر: ١]، ففيه دعوة لإبلاغ رسالة من دون سابق قول وتوجيه وتوضيح وفي هذا قفزاً على خطوات تسلسل الحدث، فربما يكون حادث الأمر بإنذار الناس إلى دين الحق يكون خطوة تالية بعد ابلاغه ﷺ بالنبوة والبعث ثم الأمر بإبلاغ الرسالة إلى الناس كافة وربّما كان مراد مَنْ قَالَ إِنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ هُوَ مَا نَزَلَ بَعْدَ فِتْرَةِ الْوَحْيِ، لا أولية مطلقة (٢).

أما القول الثالث فلم يقل بالإجماع عليه إلاّ الزمخشري من دون إعطاء دليل على ذلك وصرّح آخرون بأن هذا القول لم يقل به إلاّ عدّد أقل من القليل، وأنّ الحديث مرسل سقط من سنده الصحابي^(٣٣)، فضلاً عن ذلك أن في سورة الفاتحة دعوة إلى التوحيد ونبد الشرك والأيمان بيوم الدين، وهي جزء من ابلاغ رسالة فأصلح ما يكون أن تأتي تالية بعد ابلاغه بالنبوة، والنبوة قبل الرسالة.

فضلاً عن ذلك يشير الدكتور جواد علي إلى قِدَم سورة (اقرأ) على غيرها من السور من خلال دراسته لأسباب النزول وروايتها التي ذكرتها كتب التفسير، فيقول: (ولكننا لو درسنا أسباب النزول المدوّنة في كتب التفسير والحديث بعناية ودقة، نجد باستثناء (اقرأ) تشير في الواقع إلى أن نزولها كان بعد مدة الاستخفاء وبعد تحرّش قريش به وتعرّضها بالإسلام)^(٣٤).

(٣٣) ظ: م. ن: ١ / ٥٢، ٨٩.

(٣٤) تأريخ العرب في الإسلام - السيرة النبوية - / د. جواد علي: ٢٤٠ - ٢٤١.

الإضاءات التي أسرجت طريق السائرين على غير هدى إلى حيث النجاة، ففتحت الأبواب لتصل الأرض بالسماء، فأضاءت الأرض بنور ربها وانكشفت الظلام بذكره سبحانه.

٣. احتوت رموزاً لكل ما في القرآن، ففيها التوحيد والثناء على الله تعالى، وفيها العبادة له والاستعانة به.

٤. لم تُكتب أخبار نزول سور القرآن وآياته على النبي محمد ﷺ في وقت نزولها، ولعل ذلك مرجعه إلى ضعف الكتابة وقلّة الكتاب الذين يهتمون بهذا الأمر رغم أهميته.

٥. اختلفت الروايات في عدد مرات نزول سورة الفاتحة وأسبابها على عدة أقوال وسبب ذلك يعود لعظمة المضامين فيها، وكذلك اختلف في كونها أول ما نزل.

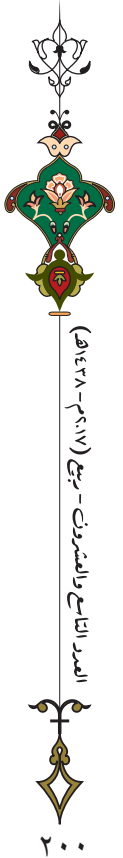
أما القول الرابع، فهو محتمل وقوي لأن فيه ابتداء كل عمل، فما بالك بقول الله جل علا فهو الأوّل أن يفتح به كل سورة من سور القرآن الكريم، ومما يُعزز القول أنّه عند السيوطي من ضرورات نزول السورة نزول البسملة معها، فهي عنده أول آية نزلت على الأطلاق (٣٥).

في ضوء ما تقدّم نرجح أنّ نزول (اقرأ) الأول من القرآن لدلالة الظروف الخارجية فضلاً عما توحىه الدوال الداخلية للنص على ذلك، ولا نعدم نزول سورة المدثر والفاتحة من كونها من أوائل ما نزل من القرآن الكريم مقترنة بالبسملة، لأنها افتتحت كل سورة من سور القرآن، لمساسها بباقي الأحداث الجارية والحال الذي عليه المجتمع العربي، وكما أوضحنا ذلك من قبل.

الخاتمة:

١. إنّ سورة الفاتحة من أولى الآيات التي نزلت على النبي محمد ﷺ في مكة.

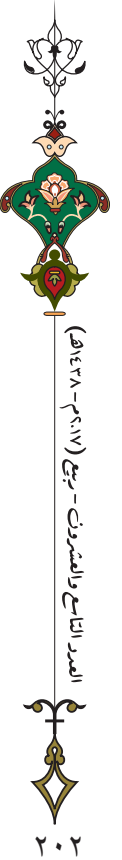
٢. كانت سورة الفاتحة من أولى



إهم المصادر

- القرآن الكريم.
- الإبتقان في علوم القرآن/ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي (المتوفي سنة ٩١١هـ)، ضبطه وصحّحه وخرّج آياته محمد هاشم سالم، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
- أساس البلاغة/ الإمام العلامة جار الله أبي القاسم محمد بن عمر الزمخشري (المتوفي سنة ٥٣٨هـ)، بيروت، دار صادر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
- أسباب النزول، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٥م.
- الأضنام، هشام بن محمد الكلبي، تحقيق أحمد زكي باشا.
- البحر المحيط في اصول الفقه، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ضبط نصوصه وخرّج احاديثه وعلّق عليه الدكتور محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
- بلوغ الأرب في أحوال العرب، محمود شكري الألوسي، مطبعة دار السلام، بغداد.
- البيان في تفسير القرآن، أبو القاسم الخوئي، منشورات دار العلم للإمام السيد الخوئي، النجف الأشرف، مطبعة العمال المركزية، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- تأريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، ارصاد، بيروت.
- تأريخ القرآن، اتودور نولدكه، فريد ريش شفالي، نقله الى العربية وحققه جورج تامر - دار نشر جورج المز، هيلدسهايم، زوريخ، نيويورك، باذن

- دار نشر ومكتبة ديت ريش، فيسادن، م. ٢٠٠٠
- التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، قدّم له الشيخ أغابزرك الطهراني، العراق، النجف، المطبعة العلمية، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م.
- تفسير القرآن العظيم - الحافظ عماد الدين، أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى سنة ٧٧٤هـ)، بيروت، لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٩م.
- الحيوان، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د. ت.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب/ عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
- السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
- شرح صحيح مسلم، بشرح الإمام النووي (٦٣١- ٦٧٦هـ)، بإشراف علي عبد الحميد أبو الخير، دار الخير، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م
- طبقات الأمم، صاعد الأندلسي، تحقيق الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩١٢م.
- العباب الزاخر واللباب الفاخر/ الحسن بن محمد بن الحسن الصاغاني (٥٧٧- ٦٥٠هـ)، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، بغداد، مطبعة المعارف، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.
- مجمع البيان في علوم القرآن/ الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٧هـ.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، منشورات الشريف الرضي.



التَّشْرِيعَاتُ الْاِقْتِصَادِيَّةُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ

د. فوزي خيري كاظم
كلية العلوم - جامعة واسط

فحوى البحث

لم ينزل القرآن الكريم لغرض شرح النظريات والقوانين العلمية وتبيينها، بل إن الهدف الرئيس منه هو الهداية والتربية وسَوْقَ الإنسانية نحو الأهداف العالية التي خلقت لأجلها.

وما جاء في القرآن الكريم -فيما يخص المسائل الاقتصادية- إنما يتعلق في الواقع بالمذهب الاقتصادي لا علم الاقتصاد، بمعنى أن القرآن لم يتحدث مطلقاً عن العلاقات الاقتصادية أو علاقات العرض والطلب والقيمة وغير ذلك.

والبحث يأخذنا الى تأمل الآيات ذات الموضوعات الاقتصادية في سورة البقرة ويرينا بجلاء أن هذه الآيات الكريمة تؤكد على أمور عدة أهمها: التوحيد والإيمان بالغيب، كما الملكية من صفات الربوبية على الوجه الذي أوضحه القرآن الكريم وأسندته في أكثر من آية كريمة، كما تطرق القرآن الكريم في سورة البقرة الى الوجوه التي يستحب فيها الإنفاق بشقيه الواجب والطوعي كالقرض وإمهال المعسر، كذلك الإنفاق على مواطن الجهاد وهو من أهم الموارد التي حث القرآن الكريم المسلمين عليها.

كما وضحت الآيات الكريمة الزكاة وأهميتها في آيات عديدة من سورة البقرة، فضلاً عن تحريم بعض المعاملات المالية التي عدت من النواهي التي أكدت عليه آيات سورة البقرة-تحديداً- كالربا.

المقدمة:

لم ينزل القرآن الكريم - هذا السفر السماوي العظيم - لغرض شرح النظريات والقوانين العلمية وتبسيطها، بل إن الهدف الرئيس منه هو الهداية والتربية وسوق الإنسانية نحو الأهداف العالية التي خلقت لأجلها.

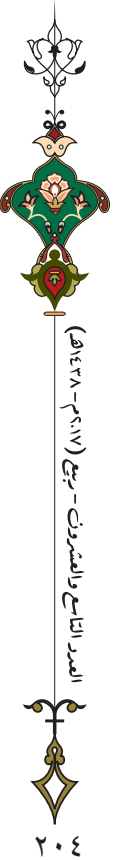
إن ما جاء في القرآن الكريم - فيما يخص المسائل الاقتصادية - يتعلق في الواقع بالمذهب الاقتصادي لا علم الاقتصاد، بمعنى أن القرآن لم يتحدث مطلقاً عن العلاقات الاقتصادية أو علاقات العرض والطلب والقيمة أو علل التضخم والركود الاقتصادي، ذلك لأن مثل هذه المسائل وهي علمية محضة ورهينة بكشف الواقع الخارجي سواء كانت في مجال الطبيعة والفيزياء أو في مجال المجتمع والتاريخ يتم الحصول عليها بواسطة قوة العقل والتجربة الإنسانية.

إن الآيات التي نتعامل معها - من الزاوية الاقتصادية - تتجه في أكثر مواردنا - إلى الكليات الحقوقية

والاتجاهات والأهداف والأسس والمعلم الأساسية للنظام الاقتصادي الإسلامي أما التفصيلات الحقوقية وفروع المباحث الاقتصادية الإسلامية فلا يمكن الحصول عليها كلها من الآيات الشريفة وإنما علينا بهذا الصدد أن نلجأ إلى المصدر الآخر للحقوق الإسلامية أي السنة والأحاديث الشريفة للرسول الأكرم ﷺ والأئمة الطاهرين. وعلى ذلك الأساس جاء تعاملنا في موضوع بحثنا هذا الذي وسمناه بـ (الجوانب الاقتصادية في سورة البقرة)، وسنحاول استعراض أهم ما جاءت به تلك السورة المباركة من تعاليم تخص الجانب الاقتصادي وما تتضمنه من فلسفة اقتصادية لتلك الجوانب المهمة في حياة الفرد والمجتمع بصورة عامة.

الجوانب الاقتصادية في سورة البقرة:

ونحن نتصفح تلك الآيات الكريمة، نجد فيها آيات عديدة يمكن تصنيف مضمونها تحت جانب تنظيم الطلب، وآيات أخرى يمكن تصنيف مضمونها تحت جانب تنظيم العرض، وطائفة ثالثة من الآيات يمكن تصنيف مضمونها



ضمن سياسات تحقيق الاستقرار الاقتصادي، ومن جهة أخرى يمكن تصنيف الآيات الأمرة بفعل أو الناهية عن سلوك معين ضمن سياسات تحقيق الاستقرار الاقتصادي سواء بشكل مباشر أو غير مباشر.

إن تأمل الآيات ذات الموضوعات الاقتصادية في القرآن الكريم، يوضح بجلاء مدى الاستقرار والتوازن الاقتصادي الذي سوف يتحقق في المجتمع فيما لو تم العمل بمضمون هذه الآيات، بل إنه يمكن القول أنه من الممكن استنباط سياسات تحقيق الاستقرار الاقتصادي من آيات القرآن الكريم.

أولاً: التوحيد والإيمان بالغيب:

الغيب: خلاف الشهادة، كلُّ ما غاب عنك، وفي قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾؛ أي يؤمنون بما غاب عنهم، مما أخبرهم به النبي ﷺ من أمر البعث والجنة والنار^(١). وكلُّ ما غاب عنهم مما أنبأهم به فهو غيبٌ؛ وهو كل ما غاب عن

العيون - سواء كان مُحصَّلاً في القلوب أو غير محصل. وغابَ عَنِّي الأمرُ غَيْباً وَغِيَاباً وَغَيْبَةً وَغَيْبُوبَةً^(٢).

أما اصطلاحاً فهو: ما غاب عن الناس مما أخبرهم به النبي ﷺ من الملائكة، والجنة، والنار، والحساب^(٣). يُعد التوحيد والإيمان بالغيب أول معيار ومبنى وأهمها في النظرة الكونية الإسلامية.

ربط القرآن الكريم بين الإيمان بالغيب والصلاة والإنفاق في سبيل الله، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧]، وقد قرن سبحانه الإيمان بالغيب بالصلاة والزكاة، لأنه جعلها من صفات المتقين ومن شرائط التقوى، كما جعل الإيمان بالغيب، وهو الإيمان بالله وبالبعث والنشور وسائر ما لزمنا اعتقاده من طريق الاستدلال، من شرائط التقوى؛ فافتضى ذلك إيجاب الصلاة والزكاة

(٢) الجوهري، الصحاح، ج ١ / ص ١٩٦.

(٣) سعدى ابو حبيب، القاموس الفقهي،

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ١ / ص ٦٥٤.

كثيراً ما يقرن الله تعالى بين الصلاة والإنفاق من الأموال؛ فإن الصلاة حق الله وعبادته وهي مشتملة على توحيده والثناء عليه وتمجيده والابتهاال إليه ودعائه والتوكل عليه، والإنفاق هو من الإحسان إلى المخلوقين بالنعف المتعدي إليهم وأولى الناس بذلك القربات والأهلون والماليك، ثم الأجانف فكل من النفقات الواجبة والزكاة المفروضة داخل في قوله تعالى: ﴿وَمَا زَكَّاهُمْ يَنْفِقُونَ﴾^(٩). وقد ورد على لسان الرسول الله ﷺ أهمية الإنفاق في سبيل الله، بقوله: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت»^(١٠).

والرزق الموصوف بالآية الكريمة لا يكون إلا حلالاً؛ لأن الله تعالى مدح

(٩) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١ / ص ٤٥.

(١٠) احمد بن حنبل، المسند، ج ٢ / ص ٢٦؛ البخاري، الصحيح، ج ١ / ص ٨؛ مسلم، الصحيح، ج ١ / ص ٣٤؛ البيهقي، السنن الكبرى، ج ١ / ص ٣٥٨.

المذكورتين في الآية^(٤)، والغيب هو ما غاب عن العين وهو محضر في القلب، والإيمان في الشريعة يشتمل على الاعتقاد بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان^(٥). وقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: «إن الإيمان هو التصديق بالقلب والعمل بالأركان والقول باللسان»^(٦). والمحافظة على الصلاة بمواقيتها وركوعها وسجودها والتضرع بعدها - أي يديمونها^(٧)، والإنفاق في سبيل الله، والتي ذهب أغلب المفسرين على أنها الزكاة المفروضة^(٨).

(٤) الجصاص، أحكام القرآن، ج ١ / ص ٢٧.

(٥) أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي، ج ١ / ص ٤٩.

(٦) الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ١ / ص ٥٥؛ ابن إدريس الحلبي، إكمال نقصان من تفسير منتخب التبيان، ص ٦٥.

(٧) أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي، ج ١ / ص ٤٩؛ السمعاني، تفسير السمعاني، ج ١ / ص ٤٣.

(٨) الطبري، جامع البيان، ج ٩ / ص ٢٣٩؛ ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج ١ / ص ٣٧؛ البغوي، معالم التنزيل، ج ٣ / ص ٥٠١؛ ابن الجوزي، نواسخ القرآن، ص ٤١.



من أنفق من رزقه، ونحن مُنْهَوْنَ عن الإنفاق من الحرام وأباح ذلك كما جاء بقوله سبحانه: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٥٧]، وتأكيدُه في أكثر من آية كقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ٦٠]، ويقرنه ذلك الرزق بالإيمان، فيقول جل وعلا: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٢]، ويؤكدُه سبحانه كذلك بآية أخرى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٤] فضلاً عما ورد في آيات وسور أخرى عديدة^(١١)، وهذا ما يدل على عدم كون الحرام رزقا لاستحالة أن يكون ما تمدهم بفعله ومدح على التصرف فيه وأباح تناوله هو ما نهى عنه وتوعد عليه؛ ولو كان الحرام رزقا لحل أموال الناس لكل

(١١) كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ﴾ [سورة المؤمنون: ٥١]؛ وقوله: ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [سورة الأعراف: ٣٢]؛ وقوله: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ [سورة النساء: ٣٩] وغيرها الكثير.

غاصب وظالم وسارق وتكون المحرمات أرزاقاً^(١٢). وهذا الإيمان والإنفاق في سبيل الله بما أمر الله به في كتابه، يؤدي بصاحبه إلى تحصيل ثواب الله الذي أعده للمؤمنين والصالحين، فالله سبحانه وعدهم بأن يرد لهم ما أنفقوه أضعافاً مضاعفة في الدار الآخرة، جزاء بما عملوا من خير في الدنيا، وهذا من الإيمان كذلك، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥]، وأكد عز وجل أن الإنفاق في سبيله منوط بالإيمان - وهو الصلاة المفروضة - قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة البقرة: ١١٠]، والنتيجة الحتمية للإيمان وأتباع تعاليمه سبحانه هي الخير في الدنيا

(١٢) ابن شهر آشوب، متشابه القرآن ومختلفه، ج ٢ / ص ٨٩.

في زيادة الأعمار والإصلاح، وبالتالي زيادة التقدم. أما الخبائث فهي تزيد من الفساد والخراب والفوضى وبالتالي تزيد من التخلف. وهذا يعني أن كافة أشكال الخبائث أو الأنشطة الخبيثة المحرمة غير معتبرة في الإنفاق، وذلك لما يترتب عليها من ضرر وفوضى وأزمات تزيد في التقلبات والمشكلات الاقتصادية.

٣- إن الإنفاق في سبيل الله منوط بالإيمان بالله من خلال التأكيد على إقامة الصلاة والتي جاءت مترابطة مع الإنفاق والبذل في أكثر من آية كريمة، وهو بالتالي يؤدي إلى خير عظيم ينتظر المؤمنين الصالحين في الحياة الآخرة.
ثانياً: الملكية:

إن كلمة ملكية في القرآن تسند إلى الله تعالى، إذ أن الملكية من صفات الربوبية على الوجه الذي أوضحه القرآن الكريم وأسنده في أكثر من آية كريمة، منها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّبِيَّ يَتْلُوا فِى حَيْثُ مَا كَانُوا مِنْ حَيْثُ نَزَّلَ عَلَيْهِ السُّورَةُ وَمَا يَفْتَرُونَ مِنْ شَيْءٍ سَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي حَقِّهِ حَسْبًا وَكَفًّا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَاتَّبَعُوا أَمْرًا مُّبِينًا﴾ (سورة البقرة: ١٣٥).
ثانياً: الملكية:

والآخرة، فترك للإنسان حرية اختيار ما يريد، لأن ما يقدمه هو خير لنفسه أولاً وآخرًا. وقد ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) ما يؤكد هذا المعنى بقوله: «إن الله تبارك وتعالى قرن الزكاة بالصلاة فقال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ فمن أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فكأنه لم يقيم الصلاة» (١٣).

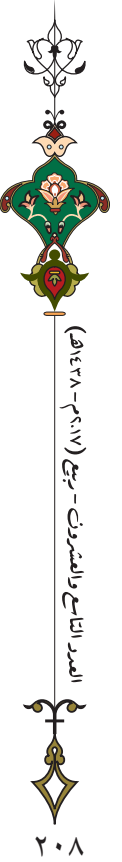
وهذا يوصلنا إلى جملة من النتائج هي:

تأكيد الآية الكريمة على الإيمان بالغيب لأنه الإيمان الحقيقي.

١- تأكيد الآية على الإنفاق في سبيل الله، سواء بالصدقات المفروضة كالزكاة، أو صدقة التطوع.

٢- التأكيد على الرزق الحلال والعمل من أجله، حتى يكون الإنفاق - سواء في سبيل الله أو على النفس والأهل - منه حلالاً لا تشوبه شائبة. فضلاً عن أن الإنفاق لا بد له من ضوابط، فهو إنفاق من الطيبات لا من الخبائث، ومعلوم ما للطيبات من آثار عظيمة

(١٣) الكليني، الكافي، ج ٣/ ص ٥٠٦.



اللَّهِ مِنْ وَلِيِّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿﴾ [سورة البقرة: ١٠٧]، وقوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ [سورة البقرة: ١١٥]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ كُلِّ شَيْءٍ عِلْمَهُ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٧]، وكثيراً ما ترد في الكتاب الكريم كلمة: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة البقرة: ١١٦] أو ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥ و ٢٨٤]، بتأكيد كون الملكية لله سبحانه وتعالى^(١٤).

وعلى هذا فإن الفلسفة الاقتصادية الإسلامية قائمة على إسناد ملكية كل شيء لله تعالى وحده، أما الفرد فنائب موكيل عنها في الانتفاع به، كما صرَّح الله تعالى بقوله: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ

مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ [سورة الحديد: ٧]، «يعني إن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها، وإنه مؤلِّمكم إياها للاستمتاع به وجعلكم خلفاء في

(١٤) وردت هذه الآية بلفظتيها المختلفتين ثمانية وعشرين مرة في جميع سور القرآن الكريم.

التصرف فيها، فليست هي بأموالكم في الحقيقة، وما انتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب، فأنفقوا منها في حقوق الله تعالى وليكن عليكم إلا نفاق منها كما يهون على الرجل إلا نفاق من مال غيره إذا أذن له فيه - أو جعلكم مستخلفين عمَّن كان قبلكم^(١٥). وامتداداً للتصور الإسلامي للملكية نجد أن الإسلام يقرر أن ملكية الأرض له تعالى وحده ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة الشورى: ٤٩]، وأن الله تعالى استخلف الناس في الانتفاع بها، فملكية الأرض في التصور الإسلامي إذاً مقصورة على ملكية الانتفاع دون ملكية الرقبة (خلافاً للرأسمالية)^(١٧).

(١٥) النسفي، مدارك التنزيل، ج ٤/ ص ٢١٥؛ الزمخشري، الكشاف، ج ٤/ ص ٦١.

(١٦) وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في ثمانية مواضع في سورة آل عمران: ١٨٩؛ المائدة: ١٧ و ١٨ و ١٢٠؛ النور: ٤٢؛ الجاثية: ٢٧؛ الفتح: ١٤.

(١٧) صبري محمد خليل، مفهوم الملكية في الفكر الاقتصادي المقارن، بحث منشور على الموقع الإلكتروني www.sudanile.com



المال، وينفقه على نفسه وأهله بالمعروف، وفي سبيل الخير، على شريطة أن يصل إليه عن طريق ما أحله الله، لا عن طريق ما حرم ونهى^(٢٠)، وهذا ما وضحه قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْتَكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٤]، ويؤكد ما هؤلاء-الذين ينفقون في سبيل الله - من أجر وثواب عنده عز وجل فيقول في كتابه الكريم: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٢].

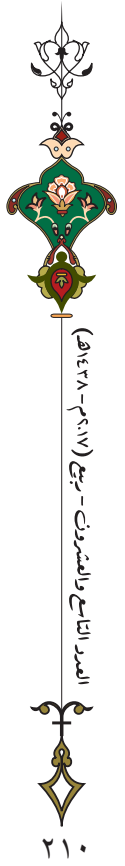
ثالثاً: وجوه الإنفاق في سبيل الله: تطرق القرآن الكريم في سورة البقرة إلى الوجوه التي يستحب فيها الإنفاق بشقيه الواجب والطوعي، فقد ذكر تعالى في محكم كتابه: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَمَلَتْ يَدَهُ وَالْكَتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَعَاقَىٰ الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ

(٢٠) محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف، ج ٢/ ص ٢١٨.

لقد حثَّ الله سبحانه على البذل والإنفاق في العديد، في الكثير من الآيات منها إيماءً إلى أن جميع الأموال ليست ملكاً لمن هي في يده، وإنما هي ملك لله وحده، والإنسان أمين عليها، ومأذون بالتصرف فيها ضمن حدود معينة لا يجوز أن يتعدها، تماماً كالوكيل على الشيء يتبع إرادة الأصيل في جميع التصرفات^(١٨). فالآيات والأحاديث^(١٩) تفيد أن الإسلام لا يقر ملكية الإنسان للمال بشتى معانيها، سواء أكانت الملكية فردية مطلقة، كما هي في المذهب الرأسمالي، أو ملكية مقيدة، كما هي في المذهب الاشتراكي -أو ملكية جماعية- كما هي في المذهب الشيوعي. كل هذه الأنواع للملكية ينفىها الإسلام، ويحصر الملك الحقيقي بالله وحده، ولكنه سبحانه أباح للإنسان أن يتصرف في هذا

(١٨) محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف، ج ٢/ ص ٢١٧.

(١٩) ينظر على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَخَلِّفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [سورة الحديد: ٧].



ذَوَى الْفُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ
السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ
الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ﴿ [سورة البقرة:
١٧٧]، وقال تعالى أيضاً: ﴿ يَسْأَلُونَكَ
مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّذِينَ
وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا
تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [سورة
البقرة: ٢١٥].

١. القرض وإمهال المعسر:

أولى الإسلام القرض اهتماماً كبيراً
لما فيه للناس من فائدة كبيرة هي قضاء
حوائج بعض المحتاجين منهم، ولما فيه
من تآلف وتراحم يسود المجتمع جراء
تلك المعاملات، يبين لنا ذلك أهمية
القرض في الإسلام ومدى حثه عليه،
لما فيه للمسلم في دينه ودينه، وللثواب
العظيم الذي ينال المقرض من عند
الله سبحانه، والقرض فيه فضل كثير
وثواب جليل، وروي انه أفضل من
الصدقة بمثله في الثواب^(٢١). وقد ورد

(٢١) المقصود أن ثوابه يعادل ضعف ثواب
الصدقة. ابن قدامة، المغني، ج٤/
ص٣٥٢.

في القرآن الكريم الحث على الإقراض،
قال تعالى ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَصْعَافًا كَثِيرَةً ﴾
[سورة البقرة: ٢٤٥] والمراد بالإقراض
هنا الإحسان إلى عباده، وقد قال أكثر
المفسرين إن المراد به السلف، وهو
القرض^(٢٢)؛ لأن العلة من تشريع
القرض هو مساعدة المحتاجين، فقد
أولى الإسلام أهمية خاصة لحث المسلمين
على إمهال المستقرض غير المتمكن من
سداد ديونه، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو
عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ
لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة
البقرة: ٢٨٠]، ووردت روايات كثيرة
تؤكد ذلك منها، ما روي: "أن رسول
الله ﷺ صعد المنبر ذات يوم فحمد الله
وأثنى عليه وصلى على أنبيائه (صلى الله
عليهم أجمعين)، ثم قال: أيها الناس ليبلغ

(٢٢) الطبري، جامع البيان، ج٢/ ص٥٩٣؛
ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج٢/
ص٤٦٠؛ القرطبي، تفسير القرطبي، ج٣/
ص٢٣٨؛ ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج١/
ص٣٠٠؛ السيوطي، الدر المنثور، ج١/
ص٧٤٦.

الأفراد في الطاقات والاستعدادات الذاتية والظروف الخارجية؛ فهو يقف بوجه تركز الثروة وتداولها بيد مجموعة معدودة من الأغنياء، ذلك لأن هذا يؤدي إلى اختلال التوازن وإيجاد الفواصل الكبيرة بين فئة الأغنياء الفئات الاجتماعية الأخرى مما يخل بالعدالة الاجتماعية ويتسلسل من خلاله الفقر والحرمان بالتدرج إلى المجتمع ويقوده بالتالي إلى الضياع.

شدّد القرآن الكريم على ضرورة مراعاة الفقراء والمحتاجين، والاهتمام بهذه الشريحة المهمة، والتي تحتاج إلى الرعاية والاهتمام. جاء ذلك من خلال العديد من الآيات المباركة التي حثت المسلمين على مراعاة هؤلاء والإنفاق- الطوعي- عليهم، زيادة في التكامل والتكاتف المجتمعي. قال تعالى: ﴿إِنْ بُدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٧١]، وقال عز وجل: ﴿لِلْفُقَرَاءِ

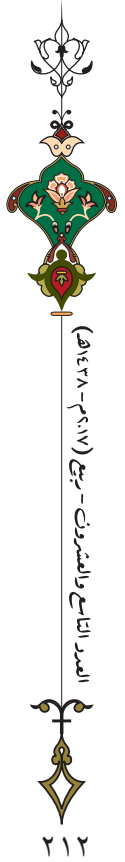
الشاهد منكم الغائب، ألا ومن أنظر معسراً كان له على الله عز وجل في كل يوم صدقة بمثل ماله حتى يستوفيه" (٢٣).

٢. الإنفاق على مواطن الجهاد:

من أهم الموارد التي حث القرآن الكريم المسلمين على الإنفاق عليه، هو مواطن الجهاد في سبيل الله، ولا يقتصر هذا الجانب على الاستعداد للجهاد بالسيف فقط، بل يتعدى ذلك ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٢]، وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٦١].

٣. الإنفاق على الفقراء والمساكين:

في الوقت الذي يقبل فيه الإسلام الاختلافات بين الأفراد من حيث الرزق والدخل ويعدها أمراً طبيعياً بل ضرورياً، ويعتبر منبعها اختلاف (٢٣) الكليني، الكافي، ج ٤/ ص ٣٦.



الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا
يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ
يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ
تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ
إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ

عَلِيمٌ ﴿ [سورة البقرة: ٢٧٣] ، وقوله
تبارك وتعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْمِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يُحْزَنُونَ ﴾ [سورة

البقرة: ٢٧٤] . وتوضح هذه الآيات
الكريمة مدى أهمية مراعاة هذه الشريعة
المحرومة من شرائح المجتمع، وما
للإنفاق من اجر وثواب عظيمين عند الله
سبحانه وتعالى.

رابعاً: الزكاة وأهميتها:

الزكاة ضريبة مالية خاصة
فرضها الله سبحانه وتعالى في أموال
خاصة لأشخاص معينين بشرائط
معلومة، وجعل سبحانه إخراجها عبادة
مشروطة بقصد التقرب^(٢٤)، وعرفت
بأنها: «ضريبة فرضت على الأغنياء

(٢٤) مشكيني، مصطلحات الفقه، ص ٢٨١.

على أموالهم المرصدة للنماء، أما بنفسها
أو بالعمل فيها طهرة لأهلها ومعونة
للمستحقين»^(٢٥)، وعرفت أيضا بأنها:
اسم لما يخرج الإنسان من حق الله تعالى
إلى الفقراء^(٢٦)، وقد وردت الزكاة بلفظ
الصدقة عند أغلب الفقهاء^(٢٧)، فالاسم
عندهم يفترق ولكن يتفق المعنى^(٢٨).

كما عرّفها أحد الفقهاء تعريفاً فقهاياً
بالقول: «هو اسم للحق المعروف عند
أهل الشرع، والمعلوم ثبوته لديهم بنص
الكتاب والسنة المتواترة»^(٢٩).

إلا أن لفظة الزكاة في واقع الحال
أخصّ وأكثر تعيناً من الصدقة، فالصدقة
(٢٥) الأحكام السلطانية، ص ١١٣؛ د.
عطا سلمان جاسم، الفكر الاقتصادي،
ص ٥٨.

(٢٦) سيد سابق، فقه السنة، ج ١/ ص ٢٤٨.
(٢٧) ينظر: ابو يوسف، الخراج، ص ٧٨؛ ابو
عبيد، الاموال، ص ٤٥٢؛ الماوردي،
الاحكام، ص ١٤١؛ الفراء، الاحكام
السلطانية، ص ١١٥.

(٢٨) د. عطا سلمان جاسم، الفكر الاقتصادي،
ص ٥٧.

(٢٩) آغا رضا الهمداني، كتاب الزكاة، مخطوطة
محفوظة في مكتبة آل كاشف الغطاء برقم
١٩٥٧، ورقة رقم ٤.

هو عمل تطوعي وتدل على العطاء والبذل بنوع عام، أما الزكاة ضريبة إسلامية خاصة بالمسلمين وتوزع في المسلمين دون سواهم (٣٠).

وتأتي أهمية الاهتمام بالزكاة لأسباب عدة منها:-

١. إنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بشريحة واسعة من الناس، وأكثرهم من المحتاجين.
٢. إن الاهتمام بها يساهم بخلق نظام اجتماعي تكافلي داخل المجتمع الإسلامي - وهو ما يبغى الإسلام تحقيقه.
٣. فضلاً عن ذلك إنها تعدُّ فرضاً نصَّ عليه القرآن الكريم.

وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن صدقة المؤمن لا تخرج من يده حتى يفك عنها لحيا سبعين شيطاناً، وصدقة السر تطفئ غضب الرب كما يطفئ الماء النار، فإذا تصدق أحدكم فأعطى يمينه فليخفها

عن شاله" (٣١).

ويحذر الإمام عليه السلام من عدم إخراج زكاة الأموال، فقد جاء عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: "وجدنا في كتاب علي عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا منعت الزكاة منعت الأرض بركاتها" (٣٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: "من منع قيراطاً من الزكاة فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً" (٣٣). وعنه عليه السلام أيضاً: "ما من عبد منع من زكاة ماله شيئاً إلا جعل الله له ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار يطوق في عنقه، ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب وهو قول الله عز وجل:

﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

[سورة آل عمران: ١٨٠] قال: ما بخلوا به من الزكاة" (٣٤).

(٣١) القاضي النعمان، دعائم الإسلام، ج ١/ ص ٢٤١.

(٣٢) الصدوق، معاني الاخبار، ص ٢٦٠؛ الكليني، الكافي، ج ٣/ ص ٥٠٥؛ الحر العاملي، الوسائل، ج ٩/ ص ٢٥.

(٣٣) الطوسي، تهذيب الاحكام، ج ٤/ ص ١١٢؛ العلامة الحلي، تذكرة الفقهاء، ج ٥/ ص ١٠.

(٣٤) الكليني، الكافي، ج ٣/ ص ٥٠٥.

٢١٤

الصدر التاسع والعشرون - ربيع (١١٧هـ - ٤٣٨هـ)

٢١٤

(٣٠) فيليب حتي، تاريخ العرب، ص ١٨٨.

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد إذ قال: قم يا فلان، قم يا فلان، قم يا فلان حتى أخرج خمسة نفر، فقال: اخرجوا من مسجدنا لا تصلوا فيه وأنتم لا تزكون» (٣٥).

وورد الأمر بإخراج الزكاة في آيات عديدة من سورة البقرة، ولو اقتصر الأمر على إخراجها دون سواها من أدوات الإنفاق الأخرى، لكان كفيلاً-وحده-بضبط عمليات الطلب بحيث تكون آثارها زيادة في الاستقرار الاقتصادي، فالزكاة تعمل على نقل النقود ذات المنفعة الحدية المنخفضة إلى الفقراء فتصبح ذات طاقة عالية ومنفعة حدية مرتفعة (٣٦).

وتشكل الزكاة تياراً متدفقاً بشكل

(٣٥) العلامة الحلي، تذكرة الفقهاء، ج ٥/ ص ٩.

(٣٦) كمال توفيق حطاب، بعض ملامح الاعجاز القرآني الاقتصادي في معالجة الازمة المالية العالمية، بحث منشور في مجلة الاقتصاد الاسلامي العالمية، العدد ٢/ يوليو ٢٠١٢، ص ١٧.

دائم في كل لحظة على مدار السنة، نظراً لاختلاف حول أدائها من شخص إلى آخر، ففي كل لحظة يحول الحول على أموال مجموعة من المسلمين فيخرجوا الزكاة، وهكذا تشكل الزكاة مصدراً دائماً للإنفاق على الجهات الثمانية التي تمثل مصارف الزكاة المحددة في القرآن الكريم. كما أن الزكاة تعمل على إعادة توزيع الدخل من خلال عملية تصحيحية تتمثل في نقل الأموال الفائضة لدى الأغنياء، التي كانت ستوجه لأغراض كمالية غالباً إلى الفقراء والمساكين وبقية الأصناف الثمانية التي سوف تقوم بتوجيه هذه الأموال لأغراض أساسية كفاية غالباً (٣٧).

فضلاً عن كونها واجبة، فإن الله سبحانه أعد ثواباً عظيماً لمن يؤديها، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٦١].
فضاعف لهم ثوابها سبعمئة مرة، تأكيداً

(٣٧) المرجع نفسه، ص ٢٠.

[سورة البقرة: ٢٦٦]، وقوله تعالى:
**﴿وَلَنْبَلُوَكُمْ إِشْيَاءَ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ
 وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمْرَاتِ وَبَشِيرِ
 الصَّابِرِينَ﴾** [سورة البقرة: ١٥٥].

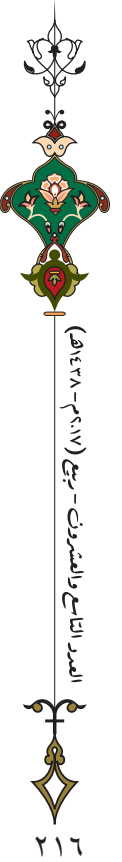
فالله عز وجل يتصرف في ملكه
 كما يشاء، ويبتلي الناس بإمساك رزق
 السماوات والأرض لإظهار إيمانهم أو
 كذبهم، والاقتصاد والمال وما في الكون-
 ومنه الإنسان- ملك لله تعالى خوَّله
 للإنسان لتنميته والعمل للاستفادة منه
 في الدنيا وليكون امتحاناً واختباراً لعمل
 الإنسان الذي يجب أن يكون مطابقاً
 لنظام الاستخلاف في الدنيا وهو شرع
 الله تعالى.

سادساً: تحريم بعض المعاملات المالية:
 نصَّ الله سبحانه وتعالى في كتابه
 الكريم على الكثير من الأحكام التي تتعلق
 بالمال سواء من ناحية مكانته والنظرة إليه،
 أو الأمور المتعلقة بطرق جمعه واكتسابه أو
 تداوله وإنفاقه، وقد وردت مئات الآيات
 التي تبين هذه الأحكام كآيات المتعلقة
 بالزكاة والصدقات والنفقة وإباحة البيع
 والإجارة والرهن والوصية وتقسيم

منه عز وجل على ضرورة الإنفاق في
 وجوه البر، لتآلف القلوب وإشاعة الألفة
 والمحبة بين الناس الذي يعود بالفائدة على
 المجتمع ككل.

خامساً: العقاب والابتلاء الاقتصادي:
 الله تعالى هو المدبر للكون وما فيه
 وهو الذي يوفر مصادر رزق الكائنات
 الحية ومنها الإنسان، ومن قدرته عز
 وجل المطلقة العادلة إمساك رزقه وفضله
 ونعمه عمن أراد عقاباً عن السيئات
 والفساد أو ابتلاء للناس للكشف عن
 حقائق النفوس ومدى إيمانها وصدقها
 وتقواها، أو مدى كفرها ونفاقها.

وقد يعاقب الله تعالى الظالمين بإمساك
 رزق السماوات والأرض، ابتلاءً للناس
 حتى تظهر حقائق أنفسهم مؤمنون
 حقاً أم منافقون، ويعطى كذلك فرصاً
 للتوبة. قال تعالى: **﴿أَيُّدٌ أَحَدُكُمْ أَن
 تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي
 مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ
 وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضِعْفًا فَأَصَابَهَا
 إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ
 اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾**



الإرث، والحث على توثيق الديون بالكتابة والإشهاد ووجوب الوفاء بالعهود والعقود، وحفظ الأمانات وأدائها لأصحابها، ووجوب الاهتمام بأموال اليتامى وتنميتها والمحافظة عليها، وكذا الآيات المتعلقة بتحريم الربا وأكل أموال الناس بالباطل.

ومن أبرز هذه النواهي التي أكدت عليه آيات سورة البقرة -تحديداً- الربا، والربا: من ربا الشيء يربو ربواً ورباء أي زاد ونما، وأربيته: نميته^(٣٨). وكل شيء يربو ربواً إذا زاد^(٣٩). وهو يبيع احد المتماثلين المقدرين بالكيل والوزن بالآخر مع زيادة في أحدهما حقيقة أو حكماً^(٤٠). وقيل أيضاً هو الزيادة على أصل المال، من غير عقد تباع^(٤١). وأيضاً هو الزيادة في مال مخصوص^(٤٢).

وقد شدد القرآن الكريم على النهي

(٣٨) ابن منظور، لسان العرب، ج ١/ ٣٠٤ ص.

(٣٩) المقرئ، المصباح المنير، ج ١/ ص ٢١٧.

(٤٠) المشكيني، مصطلحات الفقه، ص ٢٦٧.

(٤١) فرغلي، البيوع في الإسلام، ص ٢٦.

(٤٢) الفوزان، من فقه المعاملات، ص ٩٠.

عن الربا واعتباره من المحرمات، وأكدها في العديد من الآيات، وللتمثيل على هذه الحقائق من خلال الآيات القرآنية، يمكن تنظيم جانب الطلب الاقتصادي من خلال الالتزام بالعمل بمضمون آيات الإنفاق المبتوثة في القرآن الكريم في سور عديدة. كما يمكن اعتبار آيات تحريم الربا من أبرز الضوابط المنظمة لجانب العرض الاقتصادي، قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٥]،

وقوله تعالى: ﴿يَمَحُقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الضَّالِّينَ أَنَّهُمْ لَا يُجِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَتِيحُ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٦]، وكذلك قوله

سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٨].

وقد شدد القرآن الكريم على

حرمة الربا، ونَبَّه على ضرورة التفريق بين الربا- وهو بيع محرم - وبين البيع- المُحَلَّل- ووضح الفرق بين البيعين بصورة جلية؛ فالربا عند الله عز وجل محقوق البركة ولو كَثُر، والصدقات والإنفاق في سبيل الله - بكل أشكاله- يحمل معه عظيم النفع. وهذه النظرية الاقتصادية مبنية بالكامل على أهمية التكافل الاجتماعي وإنماهه بين أفراد المجتمع الإسلامي، كونه من أهم دعائم إقامة المجتمعات المتساوية والمتألفة والمتحابة.

سابعاً: ضرورة تنظيم الدَّيْن بين المتدينين:

أعطى القرآن الكريم أهمية كبيرة لعملية تنظيم الديون بين المتدينين، لأنها ضمان لحقوقهم على كل وجه، قال تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ [سورة البقرة: ٢٨٢]. ولضمان

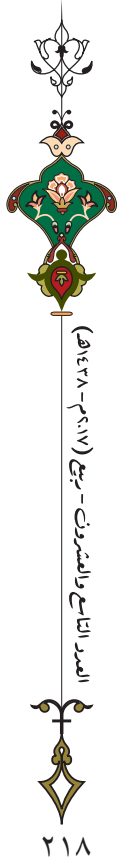
ذلك على أكمل وجه وأحسن صورة، لا بد لإتمام ذلك من شهادة شهود يكونون شهداء على عملية التبائع أو الدين أو أي معاملة أخرى على شاكلتها، وفي ذلك يأتي قوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٢]، وتأكيد عه وعز وجل بقوله: ﴿وَاشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٢].

الخاتمة وأهم الاستنتاجات:

١- نصّ الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم على الكثير من الأحكام التي تتعلق بالمال سواء من ناحية مكانته والنظرة إليه أو الأمور المتعلقة بطرق جمعه واكتسابه أو تداوله وإنفاقه.

٢- ربط القرآن الكريم بين الإيمان بالغيب والصلاة والإنفاق في سبيل الله، أي انه سبحانه ربط الإيمان بالإنفاق، مبيناً أهميتها الكبيرة سواء للفرد أو للمجتمع.

٣- أن جميع الأموال ليست ملكاً لمن هي



في يده، وإنما هي ملك لله وحده، والإنسان أمين عليها، ومأذون بالتصرف فيها ضمن حدود معينة لا يجوز أن يتعداها، تماماً كالوكيل على الشيء يتبع إرادة الأصيل في جميع التصرفات.

٤- تطرق القرآن الكريم في سورة البقرة إلى الوجوه التي يُستحبّ فيها الإنفاق بشقيه الواجب والطوعي، لما فيه من تألف وتراحم يسود المجتمع جراء ذلك وما فيه من فضل كثير وثواب جليل.

٥- ورد الأمر بإخراج الزكاة في آيات عديدة من سورة البقرة، وشدّد على ما فيها من فضل كبير لمُخرجها، فضلاً عن كونها واجبة الإخراج.

٦- بين الله عز وجل أن من قدرته المطلقة العادلة إمساك رزقه وفضله ونعمه عمّن أراد عقاباً عن السيئات والفساد أو ابتلاء للناس للكشف عن حقائق النفوس ومدى إيمانها وصدقها وتقواها أو مدى كفرها ونفاقها، وقد يعاقب الله تعالى الظالمين بإمساك رزق

السماوات والأرض، ابتلاءً لهم. ٧- شدّد القرآن الكريم على النهي عن الربا واعتباره من المحرمات، وأكّدها في العديد من الآيات، وللتمثيل على هذه الحقائق من خلال الآيات القرآنية.

٨- أعطى القرآن الكريم أهمية كبيرة لعملية تنظيم الديون بين المتدينين، لأنها ضمان لحقوقهم على كل وجه.

أهم المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

• آغا رضا الهمداني، رضا بن محمد هادي (ت ١٣٢٢هـ).

١. كتاب الزكاة، مخطوطة محفوظة في مكتبة آل كاشف الغطاء برقم ١٩٥٧.

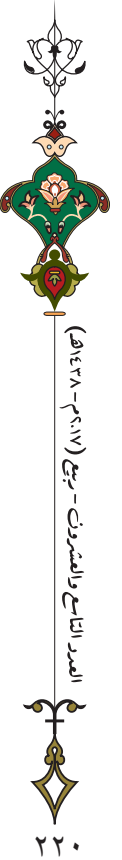
• أحمد بن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ).

٢. المسند، دار صادر، (بيروت د. ت).

• البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦هـ).

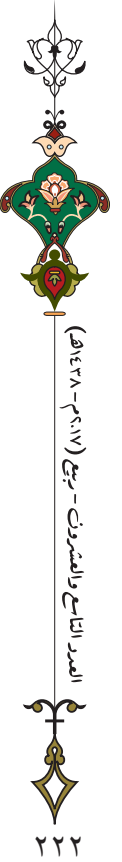
٣. صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت ١٩٨١).

- البغوي، الحسين بن محمود (ت ٥١٠هـ).
- ٤. معالم التنزيل، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، (بيروت د.ت).
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ)،
- ٥. السنن الكبرى، دار الفكر، (بيروت د.ت).
- الجصاص، أحمد بن علي الرازي (ت ٣٧٠هـ).
- ٦. أحكام القرآن، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، (بيروت ١٩٩٥).
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)،
- ٧. نواسخ القرآن، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، ط ١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت ١٩٨٧).
- الجوهرى، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ).
- ٨. تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، ط ٢، دار العلم للملايين، (بيروت ١٩٨٧).
- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ).
- ٩. ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق: عبد الأمير مهنا، ط ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت ١٩٩٢).
- أبو الليث السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد (ت ٣٨٣هـ).
- ١٠. تفسير السمرقندي، تحقيق: محمود مطرجي، ط ٢، دار الفكر للطباعة والنشر، (بيروت د.ت).
- السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد (ت ٤٨٩هـ).
- ١١. تفسير السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، ط ١، دار الوطن، (الرياض ١٩٩٧).
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ).
- ١٢. الدر المنثور، دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت د.ت).
- ابن شهر آشوب، محمد بن علي



- المازندراني (ت ٥٨٨هـ).
١٣. متشابه القرآن ومختلفه، تحقيق وتصحيح: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، (النجف الأشرف ١٩٥٦).
- الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ).
١٤. معاني الأخبار، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (قم ١٣٧٩هـ).
- الطبرسي، الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ).
١٥. مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: هاشم الرسول المحلاتي، دار إحياء التراث العربي (بيروت ١٣٧٩هـ).
- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ).
١٦. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، (بيروت ١٩٨٤).
- الطوسي، محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠هـ).
١٧. التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب، دار إحياء التراث العربي ١٤٠٩هـ.
١٨. تهذيب الأحكام، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، ط ٣، دار الكتب الإسلامية، (طهران ١٣٦٤ش).
- أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ).
١٩. الأموال، تحقيق: محمد عمارة، ط ٣، دار الشروق للطباعة، (بيروت ١٩٨٩).
- العلامة الحلي، الحسن بن يوسف (ت ٧٢٦هـ).
٢٠. تذكرة الفقهاء، ط ١، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث، (قم ١٩٥٢).
- الفراء، أبو يعلى محمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ).
٢١. الأحكام السلطانية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط ٢، دار الكتب العلمية، (بيروت ٢٠٠٦).
- القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد التميمي المغربي (ت ٣٦٣هـ).

٢٢. دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن آل رسول الله عليهم وعليه أفضل السلام، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، (القاهرة ١٩٦٣).
- ابن قدامة، عبد الله بن أحمد المقدسي (ت ٦٢٠هـ).
٢٣. المغني، دار الفكر للطباعة، (بيروت ١٩٨٥).
- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ).
٢٤. تفسير القرطبي، تحقيق وتصحيح: أحمد عبد العليم البردوني ط ٢، دار إحياء التراث العربي، (بيروت ١٩٨٥).
- ابن كثير، إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ).
٢٥. تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت ١٩٩٢).
- الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ).
٢٦. فروع الكافي، تحقيق: محمد جواد الفقيه ويوسف البقاعي، ط ٣، دار الأضواء، (بيروت ١٩٩٢).
- الماوردي، علي بن محمد البصري (ت ٤٥٠هـ).
٢٧. الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد عبد السلام، ط ٢، دار الكتب العلمية، (بيروت ٢٠٠٦).
- مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ).
٢٨. الصحيح، دار الفكر، (بيروت د. ت).
- ابن منظور، أبو الفضل بن مكرم (ت ٧١١هـ).
٢٩. لسان العرب، نشر أدب الحوزة، (قم ١٤٠٥هـ).
- المقرئ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت ٧٧٠هـ).
٣٠. المصباح المنير، ط ٢، المكتبة العلمية، (بيروت د. ت).
- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (ت ٥٣٧هـ).



أَحْلُوكِ الْعَامَّةَ لِمَشَاكِلِ الْمَعَاشِرَةِ

الزَّوْجِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

ر. السخج. هاسم ابو محسنين

جامعة الصطفى العالمية

فحوى البحث

ان هذه الدارسة عبارة عن تفسير موضوعي للقرآن الكريم، ولكنها اختارت موضوعا من الواقع الاجتماعي، وهو المشاكل الزوجية، فحاولت استقراء الآيات القرآنية الكريمة والبحث فيه عن الحلول التي نزل بها الوحي، لكي تخدم الباحثين في الشؤون القرآنية من جهة كما تفيد في رفع الازمات العائلية او التخفيف منها او الوقاية قبل وقوعها.

والهدف من البحث:

تقديم الحلول العامة -لا الخاصة والجزئية- التي تنسجم مع روح الحياة الزوجية القرآنية والاسس العامة لها من وجهة نظر القرآن الكريم بما يتماشى مع حقوق الزوجين.

تمهيد:

ان تجمع الحلول العامة للمشاكل الزوجية وليست الخاصة منها فهي ليست في مقام اعطاء المهارات او التمرينات الحرفية او الحلول التفصيلية والجزئية لجميع مشاكل الحياة الزوجية، فضلا عن الحياة الأسرية والجوانب العائلية المختلفة. فالبحث هذا انما يدرس تلك الحلول التي قدمتها الآيات القرآنية لرفع ما يعكر صفو الحياة الزوجية. كما يلاحظ ان هذه الدراسة لا تمثل الرأي النهائي الاسلامي والذي يصدره عادة الفقيه الذي يجمع بين رأي القرآن والسنة والعقل وغيرها من مصادر الاستنباط. بل هي دراسة تمثل الرأي القرآن فقط.

الأسس والمفترضات التي يبنى

عليها هذا البحث:

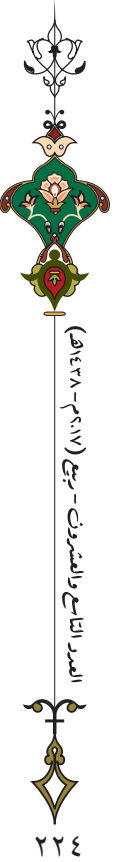
١. ان العلاقة الزوجية علاقة إلهية مقدسة^(١)، ثم ان الله تبارك وتعالى يراقبها ويهتم بها؛ قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا

ان الدراسات القرآنية لا بد ان تساق باتجاه ما يكون جديدا وما هو في خدمة المجتمع، وذلك لطبيعة القرآن والتي هي الهداية ومساعدة البشرية للوصول الى السعادة الحقة، ولان الجديد في التفسير يقتضي النزول على الواقع الاجتماعي لمعرفة المشاكل الموجودة وتبسيط الضوء عليها من خلال الآيات القرآنية ومن ثم تفسيرها بطريقة التفسير الموضوعي ليصل الباحث الى الاجوبة النهائية بعد جمع الآيات وتصنيفها وتفسيرها واستخراج الحلول المفهومة من القرآن عبر استقراء آراء المتخصصين في تفسيره - من المدرستين - وبعيدا عن التحميل على النص القرآن او التعصب المذهبي. فجاءت هذه الدراسة استجابة لدعوة الحرم الحسيني المنور وتلبية حاجة المجتمع المعاصر ولفتح باب في التفسير الموضوعي من خلال تتبع الاجوبة المتاحة في القرآن الكريم.

مجال البحث وحدوده:

هذه المحاولة عبارة عن دراسة تحاول

(١) الخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، ج ٣، ٩١٨ (دار الفكر العربي - القاهرة).



لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ
مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿[سورة الروم: ٢١]

فالدليل على كونها علاقة إلهية هو:
الجعل {وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ}.

٢. إن العلاقة الزوجية هي علاقة من
الداخل ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً
وَرَحْمَةً﴾ [سورة الروم:
٢١]، قبل أن تكون من الخارج. و
قد أقامها القرآن على المودة والرحمة،
فلا بد لها من قاعدة في الروح تنتج
هذين العنصرين الروحيين اللذين
يحميان الحياة الزوجية من الاهتزاز و
الانهيار، و لذلك كان من الضروري
أن يفكر المسلم أو المسلمة بالعناصر
الروحية الداخلية التي تثير الإعجاب
الإيماني والعقلي بالإضافة إلى العناصر
الخارجية^(٢).

٣. من الامور التي تُنعش الحياة
الزوجية-على اساس ان قوامها من

(٢) فضل الله، محمد حسين، تفسير من وحي
القرآن، ج٤، ص: ٢٤١ (دار الملاك
للطباعة والنشر، ١٤١٩، بيروت).

الله -الذكر، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ
عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾
[سورة طه: ١٢٤] والإيمان ﴿إِنَّ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [سورة
مريم: ٦٩].

٤. ان الاصل في الحياة الزوجية هو
وجود المشاكل، لانه اجتماع بين
شخصيتين، لأن كل اجتماع يتوقع
حصول تعارض المصالح فيه^(٣)،
كما ان تقديم الرجل وقيموميته
﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾
[سورة النساء: ٣٤] تعد علامة على
طبيعية واعتيادية وقوع هكذا مشاكل
فجعل الرجل مرجعا و قيموميته
حلا^(٤)، كما ان قوله تعالى: ﴿وَإِنْ
خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ
أَهْلِهِمْ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [سورة

(٣) ابن عاشور، محمد بن طاهر، التحرير
والتنوير، ج٢، ص٣٨٢. (طبعة منقحة،
مؤسسة التاريخ).

(٤) ابن عاشور، محمد بن طاهر، التحرير
والتنوير، ج٢، ص٣٨٢. (طبعة منقحة،
مؤسسة التاريخ).

٧. ان هذا البحث يلاحظ عموم الحياة الزوجية ويضع لها الحلول العامة.

الفصل الاول:

الاطار العام للحياة الزوجية في القرآن

المبحث الاول:

الاسس العامة للحياة الزوجية

في القرآن الكريم

اقصد بالأسس العامة: مجموعة الأصول التي تشكل إطاراً نظرياً للحياة الزوجية، وتحديد غايتها، وتوضيح معايير نجاحها، والتي تضيي نوعاً من التوحد او الاشتراك بين أنشطتها^(٨). او هي المقومات الكبرى للعقيدة القرآنية، التي تقوم عليها الحياة الزوجية^(٩).

(٨) عبد الإله عبدالله المشرف، الأسس العقدية والاجتماعية والنفسية للمناهج الدراسية، ص٤٨، ورقة عمل مقدمة لندوة "بناء المناهج، الأسس والمنطلقات"، كلية التربية، جامعة الملك سعود خلال الفترة من ١٢ - ١٣ / ٣ / ١٤٢٤ هـ الموافق ١٣ - ١٤ / ٥ / ٢٠٠٣ هـ، عن "بكار، عبد الكريم (١٤٢١) عصرنا والعيش في زمانه الصعب. دار القلم، دمشق".

(٩) الشاذلي، سيد قطب بن ابراهيم، في ظلال القرآن، ج٦، ص: ٣٥٤٨. (درا الشروق، ١٤١٢، القاهرة)... نقلنا هذين التعريفين

النساء: [٣٥]، يشير في ان التدخل الخارجي لحل الخلافات الزوجية مشروط وقيد بالخوف من الشقاق والطلاق^(٥)، والا فبقية المشاكل لا يندب اليها القرآن لكي يتدخل الحكمان لانها من الامور الطبيعية في الحياة الزوجية.

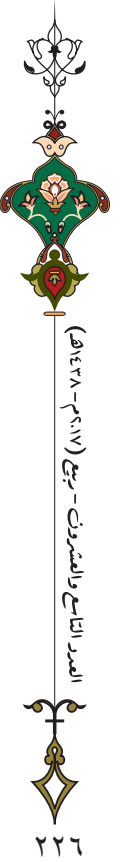
٥. يشير القرآن الكريم الى ان للحياة الزوجية أصولاً وأسساً^(٦) تقوم عليها هي التي ذكرها الله في قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [سورة الروم: ٢١].

٦. ان للزوجين حقوقاً متبادلة بينها الله تبارك وتعالى من خلال الشريعة المقدسة^(٧).

(٥) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج٣، ص١٩٢. (دار أحياء التراث العربي، بيروت).

(٦) المرآغي، احمد بن مصطفى، تفسير المرآغي، ج٥، ص١٧٤. (دار أحياء التراث العربي، بيروت).

(٧) الطنطاوي، السيد محمد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج١، ص٥٢٦. (نهضة مصر، ١٩٣٨).



ثانيا: النكاح حكم و طاعة و عبادة:
الدليل: ويدل عليه طائفة من الآيات
الكريمة مجمعة، منها:

١. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْرِمُوا عُقَدَةَ

النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكَتَبُ أَجَلَهُ﴾

[سورة البقرة: ٢٣٥]، ولا تصححوا

عقدة النكاح في عدة المرأة المعتدة،

فتوجبوها بينكم و بينهن، و تعقدوها

قبل انقضاء العدة^(١٢). فهو من احكام

الله تبارك و تعالى يشهد له قوله

تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة

النساء: ٢٤] هو إغراء بالحفاظ على

هذه الحدود، و التزامها، كما بينها

الله و جعلها عهدا و ميثاقا بينه و بين

المؤمنين به.. بمعنى احفظوا و ارعوا

ما كتب الله لكم و افترض عليكم من

أحكام الزواج^(١٣).

٢. قوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ

و سنعمد الى القرآن الكريم

للحصول على اهم تلك الاسس التي

حكمتها الآيات حول الحياة الزوجية،

محاولين اكتشافها والاستشهاد عليها

بالآيات القرآنية و من كلام المفسرين.

واهم تلك الاسس هس:

اولا: ان النكاح في الإسلام مبني

على أساس عقدي:

الدليل: قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا

الْمُشْرِكِيْنَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَالْأَمَةُ مُؤْمِنَةٌ ۚ خَيْرٌ

مِنَ الْمُشْرِكَةِ ۚ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۚ وَلَا تُنكِحُوا

الْمُشْرِكِيْنَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن

مُشْرِكٍ ۚ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [سورة البقرة:

٢٢١]، فلا يجوز الزواج بالمشركات^(١٠)،

وذلك لعدم وجود اشتراك عقدي بين

الزوجين وهو الاسلام^(١١)، على اقل

تقدير.

بتصرف بما ينسجم مع الموضوع.

(١٠) الصادقي الطاهرين، محمد، البلاغ في تفسير

القرآن بالقرآن، ص: ٣٦. (ط ١، ١٤١٩،

قم).

(١١) الحسيني الشيرازي، سيد محمد، تبين

القران، ج ١، ص ٤٩. (ط ٢، دار العلوم،

١٤٢٣، بيروت).

(١٢) الطبري، ابو جعفر محمد ابن جرير، جامع

البيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٢٣٦.

(١ ط، دار المعرفة، ١٤١٢، بيروت).

(١٣) الخطيب، عبدالكريم، التفسير القرآني

للقران، ج ٣، ص ٧٣٨. (دار الفكر

العربي-القاهرة).

[٢٢٨]، { وَهُنَّ } يعني و للنساء على الأزواج { مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ } يعني للأزواج { بِالْمَعْرُوفِ } و ذلك أن حق الزوجية لا يتم إلا إذا كان كل واحد منهما يراعي حق الآخر فيما له، و عليه فيجب على الزوج أن يقوم بجميع حقها، و مصالحتها و يجب على الزوجة الانقياد و الطاعة له^(١٥). ولعل هذه الاية الكريمة اوجزت اثبات الحقوق والواجبات على الطرفين بش كل بديع ومختصر قانوني جميل وبلوغ.

رابعاً: درجة الرجل وقيمومته على

المرأة:

الدليل:

١. قوله تعالى: ﴿ **وَالرِّجَالُ عَلَيْهِنَ دَرَجَةٌ** ﴾

[سورة البقرة: ٢٢٨]، أي فضيلة

كالطاعة و الرجوع^(١٦)، او زيادة في

(١٥) البغدادي، علاء الدين علي بن محمد،

لباب التأويل في معاني التنزيل، ج ١، ص:

١٦٠. (ط)، درا الكتب العلمية، ١٤١٥،

بيروت).

(١٦) السبزواري النجفي، محمد بن حبيب الله،

إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص،

٤١. (ط)، دار التعارف للمطبوعات،

١٤١٩، بيروت).

وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿ [سورة النور: ٣٢].

و معناه زوجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من أحرار رجالكم و نساءكم و هذا أمر نذب و استحباب و قد صح عن النبي ص أنه قال من أحب فطرتي فليستن بستتي و من ستتي النكاح^(١٤).

وعليه يمكننا ان نستنتج - كما

استنتج المفسرون - مما تقدم، الزواج من

احكام الله وهو امر مستحب فهو عبادة

وطاعة لله.

ثالثاً: للزوجين حقوق وعليهما

واجبات:

اي ان الطرفين متعادلان من حيث

انهما ملزمان ببعض الواجبات، أحدهما

تجاه الآخر ولهما بعض الحقوق على الآخر.

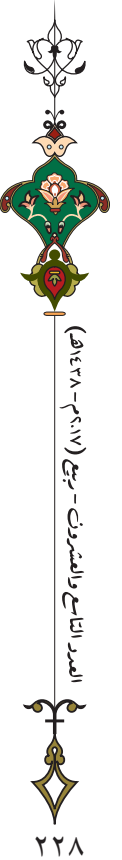
الدليل: قوله تعالى: ﴿ **وَهُنَّ مِثْلُ**

الَّذِي عَلَيْنَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [سورة البقرة:

(١٤) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان

في تفسير القرآن، ج ٧، ص: ٢٢٠ (ط ٣،

منشورات ناصر خسرو، ١٤١٣، طهران).



الحق وفضيلة^(١٧).

لا يمكن أن تعني إلا الزوجين^(١٩).

خامسا: المشورة:

٢. قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى

النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

[سورة النساء: ٣٤]، أي قيمون على

النساء مسلطون عليهن في التدبير

والتأديب و الرياضة و التعليم {بها

فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ} هذا

بيان سبب تولية الرجال عليهن أي

إنها ولأهم الله أمرهن لما لهم من زيادة

الفضل عليهن بالعلم و العقل و

حسن الرأي و العزم^(١٨)، فإن روح

الآية التي وردت فيها و نصّها معا

يسوغان القول إنها في صدد تقرير

قوامة الزوج على الزوجة في الحياة

الزوجية دون الشؤون الأخرى.

و الآية التي تأتي بعد هذه الآية من

الأدلة الحاسمة على ذلك. لأنها تذكر

احتمال الشقاق بينهما. و كلمة {بَيْنَهُمَا}

(١٧) الزمخشري، محمود، الكشاف عن حقائق

غوامض التنزيل، ج ١، ص: ٢٧٢. (ط ٣،

دار الكتاب العربي، ١٤٠٧، بيروت).

(١٨) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان

في تفسير القرآن، ج ٣، ص، ٦٩.

الدليل: قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا

عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾

[سورة البقرة: ٢٣٣].

فان أراد الأبوان فِصَالًا للولد عن

الرضاع و فطامه قبل الحولين {عَنْ

تَرَاضٍ مِنْهُمَا} بأن رضي كلا الأبوين

بالفصال، الأب لأن عليه النفقة، و الأم

لأن لها التربية، فاللازم رضاية كليهما في

الفصال وَ {تَشَاوُرٍ} أي مشورة تؤدي

إلى مصلحة الولد^(٢٠). وكما يدل عليه

اطلاق قوله تعالى: ﴿وَأْمُرُهُمْ سُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾

[سورة الشورى: ٣٨]، و مدح المؤمنين

لذلك^(٢١).

(١٩) دروزة، محمد عزة، التفسير الحديث، ج ٨،

ص، ١٠٥. (دار إحياء الكتب العربية،

١٣٨٣، القاهرة).

(٢٠) الحسيني الشيرازي، السيد محمد، تبين

القرآن، ص: ٤٨. (ط ٢ طن دار العلوم،

١٤٣٢، بيروت).

(٢١) الزحيلي، وهبي بن مصطفى، التفسير المنير

في العقيدة و الشريعة و المنهج، ج ٢، ص:

٣٦٦ (ط ٢)، دار الفكر المعاصر، ١٤١٨،

بيروت دمشق).

هو السكينة:

الدليل: قوله تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا** ﴾ [سورة الروم: ٢١]، أي من

جنسكم و الغاية هي السكينة الروحية و الهدوء النفسي و حيث أن استمرار العلاقة بين الزوجين خاصة، و بين

جميع الناس عامة، يحتاج إلى جذب قلبي و روحاني، فإن الآية تعقب على ذلك مضيضة ﴿ **وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً** ﴾ [سورة الروم: ٢١]. (٢٤)

﴿ **لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا** ﴾ [سورة الروم: ٢١] في أجواء الهدوء النفسي و الطمأنينة الروحية، و الاستقرار الغريزي، و

الهدوء العاطفي، في طبيعة التكامل الإنساني في علاقة الرجل بالمرأة، في ما يحس به كل واحد منهما أن الآخر

جزء من ذاته و قطعة من نفسه، بحيث يعيش في فراغ شعوري هائل عند ما

يشعر بالابتعاد عنه و الحرمان منه، و

(٢٤) مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٢، ص: ٤٩٥. (ط ١، نشر مدرسة الامام علي (عليه السلام)، ١٤١٢، قم).

كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ **وَأَمْرًا**

بَيْنَكُمْ مَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَسَرِّضْ لَهُ أُخْرَى ﴾ [سورة الطلاق: ٦]، فهو

خطاب للآباء و الأمهات، و الافتعال بمعنى التفاعل، يقال: ائتمر القوم و تأمروا بمعنى، قال الكسائي: و المعنى تشاوروا (٢٢).

سادسا: المودة و الرحمة بين الزوجين:

الدليل: قوله تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ**

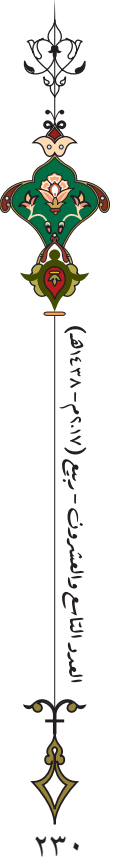
فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الروم: ٢١]. أي: ودادا و تراحما بسبب عصمة النكاح يعطف به بعضكم على

بعض من غير أن يكون بينكم قبل ذلك معرفة فضلا عن مودة و رحمة (٢٣).

سابعا: الهدف من العلاقة الزوجية

(٢٢) الالوسي، السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، ج ١٤، ص: ٣٣٥. (ط ١، دار الكتب العلمية، ١٤١٥، بيروت).

(٢٣) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ج ٤، ص: ٢٥٣. (ط ١، دار ابن كثير، ١٤١٤، دمشق، بيروت).



٣. أن يطعمها ويكسوها من غير تقدير
ولا إسراف: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ
وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا
وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة: ٢٣٣].

٤. أن يعلمها الخير ويأمرها به: ﴿وَأْمُرْ
أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ
رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾
[سورة طه: ١٣٢].

٥. حق الخلع: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ
تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا
أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا
حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾
[سورة البقرة: ٢٢٩].

٦. اذا طلقها ان يكون الطلاق محترماً
وحسن الصورة: ﴿فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ
أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ﴾ [سورة البقرة:
٢٢٩].

٧. حفظ اموالها: قال تعالى: ﴿وَإِنْ
أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ
وَأْتَيْتُمُوهَا قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا
مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِنَّمَا
مُؤْنِنًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى
بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَتْ

ذلك من خلال طبيعة الانجذاب الذاتي
الذي يتحرك في كيان الإنسان من خلال
الفطرة التي فطر الناس عليها، مما يجعل
من المسألة مسألة لا تقتصر على الجانب
الجنسي في حرارة العلاقة المتكاملة، بل
تتعداه إلى سائر الجوانب الروحية و
الشعورية^(٢٥).

المبحث الثاني:

الحقوق الزوجية في القرآن:

وهنا نوجه السؤال الى القرآن الكريم
من احل معرفة الحقوق الزوجية التي
اشار اليها، ولا بد ان نقسم السؤال على
فرعين الاول هو ما هي حقوق الزوجة؟،
والثاني ما هي حقوق الزوج؟. ونحاول
الاجابة عنها من آيات القرآن الكريم.
اولا: حقوق الزوجة في القرآن
الكريم:

١. الصداق: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ
نِحْلَةً﴾ [سورة النساء: ٤].

٢. المعاشرة بالمعروف: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ
بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة النساء: ١٩].

(٢٥) فضل الله، محمد حسين، تفسير من وحي
القرآن، ج ١٨، ص: ١١٥.

٥. عدم الخروج من البيت الا بإذنه:

قال تعالى: ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ** ﴾

[سورة الأحزاب: ٣٣]، ومدح

الحرور العين في الجنان لمكثهن

وعدم خرجهن، قال تعالى:

﴿ **حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْبُيُوتِ** ﴾ [سورة

الرحمن: ٧٢].

الفصل الثاني:

الحلول العامة للمشاكل الزوجية

في القرآن

والان وبعد التعرف على اركان

الحياة الزوجية والهدف من الزواج في

نظر القرآن الكريم -علينا ان نعرف ان

المشاكل التي يمكن ان تحدث فهي اما

ان يكون منشؤها الجهل بتلك الأطر

القرآنية للحياة الزوجية او يكون

منشؤها عدم العمل وعدم تطبيق

الارشادات القرآن العاملة على تدعيم

العلاقة الزوجية وحراستها. فالمشكلة

اما ان تكون من الجهل او من عدم

التطبيق. ولذا قسمنا الفصل الى مبحثين

هما «الحلول المعرفية العلمية» و «الحلول

السلوكية العملية».

مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [سورة

النساء: ٢٠].

ثانيا: حقوق الزوج في القرآن

الكريم:

واما حقوق الزوج على الزوجة في

القرآن فهي كما يلي:

١. حق الطاعة: قال تعالى: ﴿ **الرِّجَالُ**

قَوَامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ

بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ

أَمْوَالِهِمْ ﴾ [سورة النساء: ٣٤].

٢. التمكين وستر عيوبه: قال تعالى:

﴿ **هُنَّ لِيَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لِهِنَّ** ﴾

[سورة البقرة: ١٨٧].

٣. للرجل الحق في اعتماد طريقة في

تقويم هذا النشوز: قال تعالى:

﴿ **وَالَّذِي تَخَافُونَ ذُنُوبَهُمْ فَاعْظُوهُمْ**

وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَصَاحِجِ وَأَضْرِبُوهُمْ

فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ

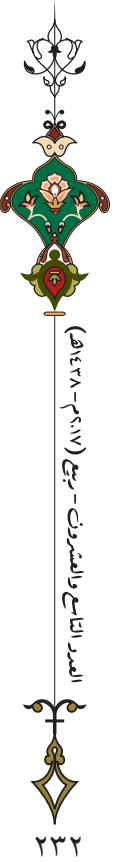
سَبِيلًا ﴾ [سورة النساء: ٣٤].

٤. حفظ الزوج في ماله وعرضه: قال

تعالى: ﴿ **فَالصِّدِّيقَاتُ قَدِنَتْ**

حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾

[سورة النساء: ٣٤].



المبحث الاول:

الحلول العامة المعرفية العلمية

وهذا المبحث يمثل الجنبه القانونية للحياة الزوجية، والتي تتمثل بمعرفة فلسفة الزواج واركانه واسسه والحقوق الزوجية المذكورة في القرآن الكريم. ومن هنا فإن الحلول العامة المقترحة في هذا المبحث عبارة عما يلي:

اولا: التعرف على الاسس العامة للحياة الزوجية في القرآن الكريم.

ثانيا: التعرف على حقوق الزوجة في القرآن الكريم.

ثالثا: التعرف على حقوق الزوج في القرآن الكريم.

رابعا: التعرف على الهدف من العلاقة الزوجية.

خامسا: معرفة شخصية الزوج وكشف شخصيته.

الدليل: قال تعالى: ﴿أَوْمَن يُنْسَوُا﴾

﴿فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ عَيْرٌ مُّبِينٍ﴾

[سورة الزخرف: ١٨]

أي يتربى «في الحلية» الزينة يريد البنات لأنهن يزخرفن بالحلي ليرغب

فيهن^(٢٦)، أي يربى في الحلية و الدعة و النعومة، فلا يقدر على جدال و لا قتال^(٢٧)، «وَهُوَ» جنس البنات «في الخِصَامِ عَيْرٌ مُّبِينٍ» لضعف حالهن^(٢٨).

﴿أَوْمَن يُنْسَوُا فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ عَيْرٌ مُّبِينٍ﴾ [سورة الزخرف: ١٨]: أي ينتقل في عمره حالا فحالا في الحلية، و هو الحلي الذي لا يليق إلا بالإناث دون الفحول، لتزينهن بذلك لأزواجهن، و هو إن خاصم، لا يبين لضعف العقل و نقص التدبر و التأمل، أظهر بهذا لحقوقهن و شفوف البنين عليهن. و كان في ذلك إشارة إلى أن الرجل لا يناسب له التزين كالمرأة، و أن يكون مخشوشنا. و الفحل من الرجال أبي أن يكون متصفا بصفات النساء، و الظاهر أنه أراد بمن ينشؤا في الحلية: النساء. و قال ابن عباس

(٢٦) ملا حويش آل غازي، عبد القادر، بيان المعاني، ج ٤، ص: ٦٥. (١ط)، دار الترقى، ١٣٨٢هـ، دمشق).

(٢٧) الشاذلي، سيد قطب بن ابراهيم، في ظلال القرآن، ج ٥، ص: ٣١٨١.

(٢٨) ملا حويش آل غازي، عبد القادر، بيان المعاني، ج ٤، ص: ٦٥.

الحلول العامة لمشاكل المعاشرة الزوجية في القرآن

• الصَّبَاحُ

الحكومية، والا لانعدمت صبغة السكون والمحبة والالفة، لذا فان القرآن اقرّ الحقوق والقوانين وترك المجال للتسامح والاخلاق والمداراة ووالعفو والتغافل والحنان والتعاطف والمواساة لكي تلقي بظلالها الرحيم، وشفقها اللطيف، ولونها النرجسي وطعمها الحي وجمعها الدافئ فتكون مراكزاً لصناعة السعادة ولبنة سالمة لبناء المجتمع، مفاهيم تنسجم مع معرفة فلسفة الزواج واركانه واسسه والحقوق الزوجية المذكورة في القرآن الكريم. ولكنها اعم واوسع عطاء - فيها تظهر انسانية الانسان ورقة الانوثة وانشاق الآدمية، لزراعة الحب وصناعة الانسان، ومن هنا فإن الحلول العامة المقترحة السلوكية او العملية في هذا المبحث هي عبارة عما يلي:

اولاً: تغليب الجانب العقلي على العاطفي:

الدليل: قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُنَّ سَيِّئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: ١٩]، و هذه لفظة قرآنية توحى للأزواج بالابتعاد

و مجاهد و قتادة و السدي: و يدل عليه قوله: ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾: أي لا يظهر حجة، و لا يقيم دليلاً، و لا يكشف عما في نفسه كشافاً واضحاً. و يقال: قلما تجد امرأة لا تفسد الكلام، و تخلط المعاني (٢٩).

اذن على الزوج ان يعرف حقيقة المرأة وطبيعتها وكذلك على المرأة ان تعرف حقيقة الرجل وطبيعته، لترتفع بذلك جملة من الإبهامات وسوء التفاهم الناشئ من عدم معرفة الشريك. وهذه الامور مر ذكرها ودراستها في الفصل الاول من هذا البحث.

المبحث الثاني:

الحلول العامة السلوكية العملية

وهذا المبحث يمثل الجنبه الاخلاقية للحياة الزوجية والتي هي اعم من القوانين، فالحياة الزوجية وضعت لها القوانين والنظم لا لتكون كالدوائر الرسمية والمحاكم العدلية والرقابة

(٢٩) الاندلسي ابو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، ج٩، ص: ٣٦٣. (تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، ١٤٢٠، بيروت).

عن الاستسلام للمشاعر الطارئة السلبية تجاه زوجاتهم، فليس من المفروض أن تصدق المشاعر، أو تقترب من الواقع فقد تنطلق المشاعر بالكره على أساس حالة انفعالية سريعة، ناشئة من نظرة سوداء أو كلمة حمقاء أو حركة عابرة..، مما يستثير في الإنسان جانب الإحساس الضبابي الغامض الذي يجب عنه جانب الوضوح في الرؤية، فيخيّل له أن الخير شرّ، و أن الشرّ خير، فتختلط لديه المواقف، و تبعد عن طريقه الحكمة..، فيتصرف تصرفا خاطئا بعيدا عن مصلحته^(٣٠).

ثانيا: الصلح:

الدليل: قوله تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ فان المشاكل التي تعرض على العلاقة الزوجية يمكن ازالتها بالرجوع الى نقطة الصفر ومسح كل كل العلامات السالبة تجاه الطرف الزوجي، وعندها يكون الحل من المهارات التي يجب ان يكسبها ويتحلّى بها الزوجان. فهو

(٣٠) فضل الله، محمد حسين، تفسير من وحي القرآن، ج٧، ص: ١٦٤.

خير من التسريح و الفراق، لأن رابطة الزوجية من أعظم الروابط و أحقها بالحفظ، و ميثاقها من أغلظ الميثاق. و عروض الخلاف بين الزوجين و ما يترتب عليه من نشوز و إعراض و سوء معاشرة من الأمور الطبيعية التي لا يمكن زوالها من البشر^(٣١).

ثالثا: الدعاء:

الدليل: قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ، رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ﴾ [سورة الأنبياء: ٨٩ - ٩٠].

نرى ان سيدنا زكريا عليه السلام دعا ربه بالذرية مع العلم ان هناك مشكلة العقبر، لكن الله تبارك وتعالى استجاب له، ثم اكد الله له اصلاح زوجته وهو حل لمشكلة زوجية كبيرة، لكنها عند الله ليست كبيرة فهو مؤسس العلاقات الزوجية ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ

(٣١) المراغي، احمد بن مصطفى، تفسير المراغي، ج٥، ص: ١٧٢. (دار احياء التراث العربي، بيروت).

الحلول العامة لمشاكل المعاشرة الزوجية في القرآن

• الصَّبَاحُ

اللائقة. الأوّل «الإسلام» ثمّ «الإيمان» أي الاعتقاد الذي ينفذ و يترسّخ في أعماق قلب الإنسان. ثمّ حالة «القنوت» أي التواضع و طاعة الزوج. بعد ذلك «التوبة» و يقصد أنّ الزوجة إذا ما ارتكبت ذنبا بحقّ زوجها فإنّها سرعان ما تتوب و تعتذر عن ذلك. و تأتي بعد ذلك «العبادة» التي جعلها الله سبحانه ليظهر بها قلب الإنسان و روحه و يصنعها من جديد، ثمّ «إطاعة أوامر الله» و الورع عن محارمه.

و ممّا يذكر أنّ جماعة من المفسّرين - بل أكثرهم - اعتبروا كلمة «سائح» بمعنى «صائم» و لكن طبقا لما أورده «الراغب» في «المفردات» فإنّ الصوم على قسمين: «صوم حكمي»: و هو الامتناع عن تناول الطعام و الماء، و «صوم حقيقي»:

و هو امتناع أعضاء الإنسان عن ارتكاب المعاصي. و من الجدير بالذكر أنّ القرآن لم يعط أهمية تذكر للباكر و غير الباكر، فإنّه عند ما ذكر الصفات المعنوية للزوجة الصالحة ذكر هذه المسألة بصورة عابرة و من دون أي

﴿ [سورة النحل: ٧٢]، فقلوه تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمُ يَحْيَىٰ﴾ فهو كالتفسير للاستجابة و في تفسير قوله: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أصلحها للولادة بأن أزال عنها المانع بالعادة، و هذا أليق بالقصة (٣٢).

وكما في قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَكَ رِجَالًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٩٠]، وهي تكملة الآية إذ كان الزوجان يدعون الله لحل المشكلة و من الله عليهم برفعها.

رابعاً: التحلي بصفات الزوجة الصالحة:

الدليل: قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَنِيَتٍ تَبَيَّنَتِ عِدَاتٍ سَخِرَتِ لِيُنَبِّتِ وَأَبْكَارًا﴾ [سورة التحريم: ٥].

يضع القرآن الكريم عدّة صفات للمرأة الصالحة التي يمكنها أن تكون أنموذجا يقتدى به في انتخاب الزوجة

(٣٢) فخر الدين الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، ج ٢٢، ص: ١٨٢ (ط ٣)، داراحياء التراث العربي، ١٤٢٠، بيروت).

تركيز (٣٣).

خامساً: التحلي بصفات الزوج الصالح:

الدليل: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الاحزاب: ٣٥].

والاية تكلم الازواج بحسب سياق الآيات السابقة لها من الاية ٢٨ الى ٣٥ من سورة الاحزاب (يانساء النبي...). فلما أمرهن ونهاهن و بين ما يكون لهن و ذكر لهن عشر مراتب الأولى: الإسلام و الانقياد لأمر الله و الثانية: الإيمان بما يرد به أمر الله، فإن المكلف أولاً يقول كل ما يقوله أقبله فهذا

(٣٣) مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٨، ص: ٤٤٦.

إسلام، فإذا قال الله شيئاً و قبله صدق مقالته و صحح اعتقاده فهو إيمان ثم اعتقاده يدعوه إلى الفعل الحسن و العمل الصالح فيقنت و يعبد و هو المرتبة الثالثة: المذكورة بقوله: وَ الْقَانِتِينَ وَ الْقَانِتَاتِ ثم إذا آمن و عمل صالحاً كمل فيكمل غيره و يأمر بالمعروف و ينصح أخاه فيصدق في كلامه عند النصيحة و هو المراد بقوله: وَ الصَّادِقِينَ وَ الصَّادِقَاتِ ثم إن من يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر يصيبه أذى فيصبر عليه كما قال تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾ ثم إنه إذا كمل و كمل قد يفتخر بنفسه و يعجب بعبادته فمنه منه بقوله: وَ الْخَاشِعِينَ وَ الْخَاشِعَاتِ أو نقول لما ذكر هذه الحسنات أشار إلى ما يمنع منها و هو إما حب الجاه أو حب المال من الأمور الخارجية أو الشهوة من الأمور الداخلة، و الغضب منها يكون لأنه يكون بسبب نقص جاه أو فوت مال أو منع من أمر مشتهى فقوله: وَ الْخَاشِعِينَ وَ الْخَاشِعَاتِ أي المتواضعين الذين لا يميلهم الجاه عن العبادة، ثم قال

الدليل: قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [سورة النساء: ٣٥].

في هذه الآية إشارة إلى مسألة ظهور الخلاف و النزاع بين الزوجين، فهي تقول: وَ إِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ليتفاوضا و يقربا من أوجه النظر لدى الزوجين، ثم يقول تعالى: ﴿ إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ أي ينبغي أن يدخل الحكمان المندوبان عن الزوجين في التفاوض بنية صالحة و رغبة صادقة في الإصلاح، فإنهما إن كانا كذلك أعانها الله و وفق بين الزوجين بسببها.

و من أجل تحذير (الحكمين) و حثهما على استعمال حسن النية، يقول سبحانه في ختام هذه الآية: ﴿ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾.

إن محكمة الصلح العائلية التي أشارت إليها الآية الحاضرة، هي إحدى مبتكرات الإسلام العظيمة، فإن

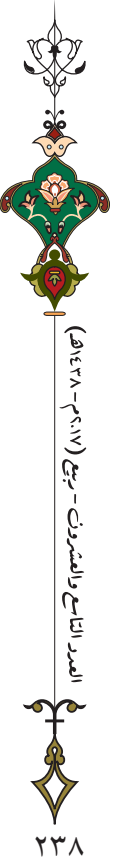
تعالى: ﴿ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ ﴾ أي الباذلين الأموال الذين لا يكتزونها لشدة محبتهم إياها. ثم قال تعالى: ﴿ وَالصَّيِّمِينَ وَالصَّيِّمَاتِ ﴾ إشارة إلى الذين لا تمنعهم الشهوة البطنية من عبادة الله. ثم قال تعالى: ﴿ وَالْحَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَفِظَاتِ ﴾ أي الذين لا تمنعهم الشهوة الفرجية.

ثم قال تعالى: ﴿ وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّكِرَاتِ ﴾ يعني هم في جميع هذه الأحوال يذكرون الله و يكون إسلامهم و إيمانهم و قنوتهم و صدقهم و صبرهم و خشوعهم و صدقتهم و صومهم بنية صادقة لله (٣٤).

فالآية تنص على صفات الزوج الصالح او النموذجي في القرآن كما اشارت الى صفات الزوجة الصالحة كذلك. وما على الازواج الى متابعة القرآن و التمثل بسيرة و اخلاق الزوج النموذجي.

سادسا: المحكمة العائلية:

(٣٤) فخر الدين الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، ج ٢٥، ص: ١٦٩



هذه المحكمة تمتاز بميزات تفتقر إليها المحاكم الأخرى، من جملتها:

١. إن البيئة العائلية بيئة عاطفية، و لذلك فإن المقياس الذي يجب أن يتبع في هذه البيئة، يختلف عن المقاييس المتبعة في البيئات الأخرى، يعني كما أنه لا يمكن العمل في «المحاكم الجنائية» بمقياس المحبة و العاطفة، فإنه لا يمكن -في البيئة العائلية- العمل بمقياس القوانين الجافة. الضوابط الصارمة الخالية عن روح العاطفة، فهنا يجب حل الخلافات العائلية بالطرق العاطفية حدّ الإمكان، و لهذا يأمر القرآن الكريم أن يكون الحكمان في هذه المحكمة ممن تربطهم بالزوجين رابطة النسب و القرابة ليمكنهما تحريك المشاعر و العواطف باتجاه الإصلاح بين الزوجين، و من الطبيعي أن تكون هذه الميزة هي ميزة هذا النوع من المحاكم خاصّة دون بقية المحاكم الأخرى.

٢. إنّ المدعي و المدعى عليه في المحاكم

العادية القضائية مضطران -تحت طائلة الدفاع عن النفس- أن يكشفوا عن كل ما لديهم من الأسرار، و من المسلم أن الزوجين لو كشفوا عن الأسرار الزوجية أمام الأجنبي و الغرباء لجرح كل منهما مشاعر الطرف الآخر، بحيث لو اضطرت الزوجان أن يعودا -بحكم المحكمة- إلى البيت لما عادا إلى ما كانا عليه من الصفاء و المحبة السالفة، بل لبقيا يعيشان بقية حياتهما كشخصين غريبين مجبرين على القيام بوظائف معينة، و لقد دلّت التجربة و أثبتت أنّ الزوجين اللذين يضطران إلى التحاكم إلى مثل هذه المحاكم لحل ما بينهما من الخلاف لم يعودا ذينك الزوجين السابقين.

بينما لا تطرح أمثال هذه الأمور في محاكم الصلح العائلية للاستحياء من الحضور، أو إذا اتفق أن طرحت هذه الأمور فإنّها تطرح في جو عائلي، و أمام الأقرباء فإنّها لا تنطوي على ذلك الأثر السيء الذي أشرنا إليه.

٣. إنّ الحكمين في المحاكم العادية

أغراضها من دون أية تشريفات و في أقل مدة من الزمن. ولا يخفى أنه يجب أن يختار الحكمان من بين الأشخاص المحنكين المطلعين المعروفين، في عائلتي الزوجين بالفهم و حسن التدبير. مع هذه المميزات التي عدناها يتبين أن هذه المحكمة تحظى بفرصة للإصلاح بين الزوجين. إن مسألة الحكمين و ما يشترط فيها من الشروط، و مدى صلاحيتها و ما يحكمان به في مجال الزوجين، قد ذكر في الكتب الفقهية بالتفصيل، منها أن يكون الحكمان بالغين عاقلين عادلين بصيرين بعملهما^(٣٥).

سابعاً: الرضا بعبء الله:

الدليل: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَمَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [سورة النساء: ٣٢].

(٣٥) مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٣، ص: ٢٢٤.

المعارفة لا يشعران عادة بالمسؤولية الكاملة في قضايا الخلاف و المنازعات، و لا تهمهما كيفية انتهاء القضية المرفوعة إلى المحكمة، هل يعود الزوجان إلى البيت على وفاق، أو ينفصلا مع طلاق؟. في حين أن الأمر في محكمة الصلح العائلية على العكس من ذلك تماماً، فإن الحكمين في هذه المحكمة حيث يرتبطان بالزوجين برابطة القرابة، فإن لافتراق أو صلح الزوجين أثرا كبيرا في حياة الحكمين من الناحية العاطفية، و من ناحية المسؤوليات الناشئة عن ذلك، و لهذا فإنهما يسعيان - جهد إمكانهما - إلى أن يتحقق الصلح و السلام و الوفاق و الوثام بين الزوجين اللذين يمثلانها، و أن يعيدا المياه إلى مجاريها كما يقول المثل.

٤. فضلاً عن كل ذلك فإن مثل هذا المحكمة لا تعاني من أية مشكلات، و لا تحتاج إلى أية ميزانيات باهظة، و لا تعاني من تلك الخسارة و الضياع الذي تعاني منه المحاكم العادية، فهي تستطيع أن تقوم بأهدافها و تحقق

{وَلَا تَتَمَنَّوْا}: ما أعطاه الله تعالى بَعْضَكُمْ و ميزه به عليكم من المال و الجاه و كل ما يجري فيه التنافس، فإن ذلك قسمة صادرة من حكيم خبير و على كل من المفضل عليهم أن يرضى بما قسم له و لا يتمنى حظ المفضل و لا يحسده لأن ذلك أشبه الأشياء بالاعتراض على من أتقن كل شيء و أحكمه (٣٦).

فلا بد للانسان من ان يدرك ان الناس متفاوتون بالمواهب والملكات والقدرات والجمال والقوة، فلا يكن هذا التفاوت باعثا على الحزن والحسد والمشاكل.

{وَلَا تَتَمَنَّوْا}: من نعيم الحياة الدنيا فإن تمنى ذلك من الحسد الذميمة الباعث على الشرور. فعن تفسير العياشي عن عبد الرحمن عن الصادق عليه السلام في الآية لا يتمنى الرجل امرأة الرجل و لكن يسأل الله مثلها أقول و لا يخفى ان ذكر امرأة الرجل من باب المثال الذي يتعين فيه ان المنهي عنه هو التمني لعين ما فضل الله به

(٣٦) الالوسي، السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص: ٢٠.

الغير من النعم (٣٧).

ثامنا: عدم التكليف بما لا يُستطاع:
الدليل: قوله تعالى: ﴿لِنُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلِنُنْفِقْ وَمَا ءَانَئِنَّ اللَّهُ لَأَيْكُلِفَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَنهَآ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [سورة الطلاق: ٧].

فلا ينبغي للذين ليس لهم القدرة أن يتشددوا و يعقدوا الأمور، كما أن الذين لا يملكون القدرة المالية غير مأمورين إلا بالقدر الذي تسعه قدرتهم المالية و لا يحق للنساء مطالبتهم بأكثر من ذلك.

و بناء على هذا فالذين لديهم المقدرة و الاستطاعة ثم ييخلون بها فإنهم يستحقون اللوم و التقرير لا الذين لا يملكون شيئا.

و في نهاية المطاف يبشّرهم الله تعالى بقوله: سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا أَي لا تجزعوا و لا تحزنوا و لا يكن الضيق في المعيشة سببا لخروجكم عن الطريق السوي، فإن الدنيا أحوال متقلّبة لا تبقى

(٣٧) البلاغي النجفي، محمد جواد، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٠٠. (ط١)، مؤسسة البعثة، ١٤٢٠، قم).

على حال، فحذار من أن تقطع المشاكل العابرة والمرحلية حبل صبركم.

و كانت هذه الآية بمثابة بشرى أبدية للمسلمين الذين كانوا حينذاك يعيشون ضنكا ماديا و عوزا في متطلبات الحياة، فهي تبعث الأمل في نفوسهم و تبشّر الصابرين^(٣٨).

تاسعا: السعي المشترك من الزوجين لحل المشكلة:

الدليل: قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْأَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٩٠]. حيث كان الزوجان يدعوان الله معا، اي يسعيان معا في حل المشكلة.

عاشرا: التشابه والتكافؤ والتقارب في الصفات:

الدليل: قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْأَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾

(٣٨) مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٨، ص: ٤٢١.

﴿وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٩٠].

فان كلمات "يسارعون" و "يدعوننا" و "خاشعين"، تدل على الاشتراك بين الزوجين في صفاتهم واعمالهم وميولهم و تفكيرهم، وتوجههم الديني واياهم، وهو ما يؤدي الى الانسجام اكثر.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [سورة الأعراف: ١٩١].

إذا رءاها من سنخها، و تذكير ضمير يسكن بلحاظ المعنى و يجوز ان يراد بنفس واحدة، حواء و يكون معنى جعل منها زوجها جعل من سنخها زوجها و هما آدم (عليه السلام) و حواء (عليها السلام)^(٣٩).

(٣٩) الكنابادي، السلطان محمد، تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة، ج٢، ص: ٢٢٢. (ط٢، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٤٠٨، بيروت).

الْعُدُولُ الزَّمَنِيُّ فِي الْقُرْآنِ

مِنَ الْخَبَرِ إِلَى الْأَنْشَاءِ

د. هيدر عودة البصري

فحوى البحث

عمل البحث على دراسة ظاهرة العدول السياقي في القرآن الكريم من (الخبير) الى (الانشاء) جاعلاً من التغيير الدلالي من الخبر الإبلاغي في الانشاء الطالبى المادة الأولية لدراسة حيثية هذا العدول من دون الدخول في التفاصيل.

وبدءاً عرف السيد الباحث (العدول) وما معنى (العدول الزمني) ثم تحدث عن (الخبير) و (الانشاء) و (الجملة الاسمية) و (الجملة الفعلية) ليدخل في صلب الموضوع، متخذاً من القرآن الكريم أمثلة على ما يريد إثباته، ثم ليستنتج جملة أمور، وينتهي بحته بمسرد للمصادر والمراجع.

المقدمة:

جاعلاً التغير الدلالي من الخبر الإِبلاغي إلى الإنشاء الطلبي المادة الأولية لدراسة حيثية هذا العدول من دون الدخول في كل العدول القرآني، كما أن العدول الذي درسته جاء مقيداً بالدلالة الزمنية لهذا العدول، فالبحث - إذاً - تناول الفكرة الزمنية التي ينتجها العدول السياقي من الخبر إلى الإنشاء، ودراسة الهيمنة الكبرى للسياق التركيبي الذي يخضع الصيغ الصرفية ويلزمها بالتخلي عن زمنها الصرفي المزعوم ليضعه بين يدي السياق من خلال الضمائم والقرائن الصارفة التي تصرف الزمن الصرفي إلى الزمن النحوي السياقي، ولذا ففكرة العدول تنطلق من رحم المجاز لأنها خلاف الوضع والأصل اللغوي.

وعلى أية حال فالبحث محاولة لبيان حقيقة المسألة في تعاطي القرآن الكريم مع الفكرة الزمنية المدولة من الأخبار التعبيري إلى الإنشاء الدلالي.

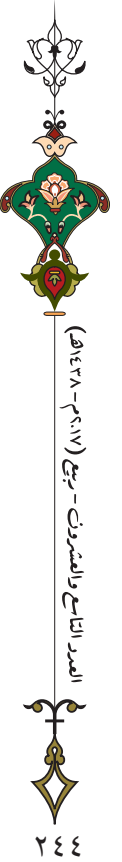
التعريف بالعدول:

دأب علماء اللغة ممن اهتموا بظاهرة العدول السياقي على التوضيح الدقيق

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين... وبعد

يؤلف القرآن الكريم منظومة كاملة من الإجراءات اللغوية وغير اللغوية التي تحدو بالباحثين إلى نشدان ما يمكن أن يفرضه عليهم هذا السفر الخالد والمقدس من المعاني الثرية لكي تمنح الباحثين الغور في أعماق ما تصل إليه العقلية البشرية من دون الولوج في كل ما يحمل في أعماقه من الكنوز، بل يضع بين يدي الباحث والمتأمل ما يتسع ومقدار العقل البشري ليس إلا، ولهذا نجد الدراسات الإنسانية التي تجعل القرآن الكريم ميداناً لعملهم البحثي تكتفي وتقرر ما توصل إليه من النتائج العلمية لها، وهكذا دواليك في معظم مناهج البحث العلمي وغير العلمي في الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

عمل البحث على دراسة ظاهرة العدول السياقي في القرآن الكريم



والعميق لمفهوم العدول فقلماً تجد من بحث الظاهرة ولم يشرع بتعريف المفهوم معجماً واصطلاحاً، ومن هنا سوف لن أقف طويلاً عند التعريف بمفهوم العدول لما ذكرت، ولذا فقد جاء في لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١هـ) في الدلالة المعجمية لمفهوم العدول قوله: (وَعَدَلَ عَنِ الشَّيْءِ يَعْدِلُ عَدْلًا وَعُدُولًا: حَادٍ، وَعَنِ الطَّرِيقِ جَارٌ... وَعَدَلُ الطَّرِيقُ: مَالٌ)^(١)، وذكر الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) في تعريفاته أن العدول في اصطلاح النحويين هو (خروج الاسم عن صيغته الأصلية إلى صيغة أخرى)^(٢)، فمفهوم العدول في ضوء ما تقدم لا يخرج عن الموازنة بين المعنى المعجمي والاصطلاحي، فإن كان يعني الانحراف والميل في دلالاته المعجمية فهو كذلك في المدلول الاصطلاحي.

وعلى أية حال يعد العدول في الدرس اللغوي من الظواهر البلاغية التي هي أشد لصوقاً بالمجاز لا بالدرس

النحوي بل هو مجاز في حقيقته لأنها خروج عن الأصل أو انزياح أو انحراف أو انتهاك أو مخالفة^(٣) وما شئت فعبّر، ولذا يقول ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ): (إن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية، اقتضت ذلك، وهو ما لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطلع على أسرارها، وفتش عن دوائرها. ولا تجد ذلك في كل كلام، فإنه من أشكال ضروب علم البيان، وأدقها فهماً، وأغمضها طريقاً)^(٤)، وهذا النص يؤيد كون العدول من المطالب البلاغية التي يجسدها المجاز بأبهى صورة، ذلك لأن المجاز هو دلالة اللفظ على غير المعنى الموضوع له، والعدول هو الخروج عن الأصل اللغوي للفظ أو للتركيب لإعتبرات بلاغية مقصودة لدى المبدع يراد إيصالها للمتلقي على شكل خطابات مباشرة بتعابير تحمل السامع

(٣) ينظر: الأسلوبية والأسلوب/ الدكتور عبد

السلام المسدي: ١٠١.

(٤) المثل السائر في أدب الكاتب: ٢: ١٨٠.

(١) لسان العرب: ١١: ٤٣٤ (عدل).

(٢) التعريفات: ١٢١.

الحلال بما شئت^(٧).
وتتعدد صور العدول السياقي في القرآن الكريم تبعاً للمستوى الذي يعتمد عليه العدول فهناك العدول الدلالي (المعجمي)، والعدول الصرفي، والعدول الصوتي، والعدول النحوي، والعدول البلاغي، والعدول بالرسم القرآني (العدول الخطي)^(٨)، وثمة عدول آخر يسميه علماء البلاغة بالالتفات، ويعد العدول من الموضوعات التي سجلت حضوراً كبيراً في الدرس اللغوي الحديث وتحديداً في الدراسات الأسلوبية التي تعنى بالنصوص الإبداعية المتوفرة على عناصر الفرادى والجزالة والأناقة في التعبير الأسلوبى، فلا غرو أن تهتم بالعدول السياقي لما يضيفه من جماليات قصدية في التعبير اللغوي لا سيما في الأسلوب القرآني، ذلك كون النص أو الخطاب القرآني يعمل على توظيف آليات التكامل النصي المعن بكل لوازم التأثير

(٧) مفتاح العلوم: ٤٣١.

(٨) ينظر: الإعجاز البياني في العدول النحوي السياقي في القرآن الكريم/ الدكتور عبد الله علي الهتاري: ٢٠-٢٩.

لها على توحي الذوق السليم للحصول على المعنى المقصود، ولعل هذا الخروج البلاغي لا يمكن أن يبلغ مداه الجمالي ما لم يكن مقصوداً لدى المنشأ ومقبولاً لدى المتلقي فهما طرفا العملية الإبداعية بمعنية النص الإبداعي، وما يعضد مجازية هذا الأسلوب البلاغي الذي هو العدول، خلو العربية من البنية الصرفية التي تؤدي معنى الإثبات والطلب في وقت واحد^(٩)، وهذا التداخل والتلاقي بين أساليب العربية في الكلام مظهر من مظاهر الروعة في فنون التعبير^(١٠)، وفي هذا النمط من التغير الدلالي يقول السكاكي (ت ٦٢٦هـ): (واعلم أن الطلب كثيراً ما يخرج لا على مقتضى الظاهر، وكذلك الخبر، فيذكر أحدهما في موضع الآخر، ولا يصار إلى ذلك إلا لتوحي والكلام بذلك متى صادف متممات البلاغة افتر لك عن السحر

(٩) ينظر: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية/ الدكتور خالد ميلاد: ٤٤٦.

(١٠) ينظر: نحو المعاني/ الدكتور علي عبد الستار الجوارى: ١٥٥.

العدول الزمني:

استطاعت اللغة العربية بوصفها القلب الذي تتشكل فيه المفردات اللغوية أن تعبر عن الفكرة الزمنية بصورة تكاد تكون فريدة من نوعها، فظاهرة التزمين اللغوي في التركيبات السياقية ليست حكراً على صيغة معينة أو بنية صرفية، فلا تخضع للتقييد البنائي للصيغ الصرفية، لأن الدرس اللغوي الحديث أثبت القدرة الكبيرة للسياق وما ينطوي عليه من القرائن النحوية للتعبير عن الزمن المقصود، وليس الزمن محكوماً بوثقة البنية الصرفية كما هو عليه الدرس النحوي القديم، ولعل الخطاب القرآني أعطى غاية الوضوح في الهيمنة النصية للسياق كي يعبر عن الزمن المقصود، ولذا ينبغي أن يكون النص هو ما يختار الزمن الذي يريد من دون التحجيم الصرفي للظاهرة الزمنية في مبان خاصة لا يسمح لأحد بتخطي الزمن الصرفي فيها ما دام الزمن يدرس عندهم على أساس حركة الشمس والقمر والذي هو الزمان الفلسفي لا الزمن النحوي، والحال أن

في المتلقي، إذ يوفر صور التوظيف الفنية في رحاب التشريعات السماوية المتعلقة بحياة الأفراد بالاعتماد على التنوع التركيبي في الخطابات المباشرة من دون أن يشعر المتلقي بالملل أو السأم، ولا تجد اللغة بدأً من أن تسلم ناصيتها للفرادى القرآنية، فلغة النص القرآني تحيل اللغة من علامات إبلاغية إلى دلالات ومعان معقولة^(٩)، لكنه في كل ذلك ينطلق من قواعد وقوالب قرآنية لا تخضع للتقعيد البشري، لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين لا بنحو عربي مبين^(١٠).

وهذا ما سيدرسه هذا البحث بعد التوكل على الله في تفتيش تجليات النص أو الخطاب القرآني ووسائله الإبداعية في إيصال أوامره ونواهيه الشرعية للمتلقين بوصفهم عناصر الشمول بما يتضمنه الخطاب القرآني وما ينطوي عليه من مصالح ومفاسد.

(٩) ينظر: الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي/ الدكتور مؤيد عبيد آل صوينت:

مباشرة من الخطاب الإلهي الموجه لعامة المكلفين.

الخبر والإنشاء:

ينقسم التركيب السياقي بعمومه على قسمين رئيسين لا غنى للدرس اللغوي عن القبول بهما، هما: الخبر والإنشاء فالخبر هو الجملة التامة التي تحتل الصدق والكذب، في حين أن الإنشاء هو الجملة التامة التي لا تحتل الصدق والكذب، فهما متباينان من حيث الدلالة والمضمون ولا مجال للتداخل بينهما لتباين سنخيتهما، فالإخبار هو الحديث عن أمور معينة وقعت أو ستقع، يكون المتكلم فيها مخبراً ليس إلا، بينما الإنشاء لا مجال لوقوعه قبل لحظة التكلم لأن المتكلم فيه هو المنتج للجملة الإنشائية، إذ لا وجود للجملة الإنشائية قبل مرحلة التكلم، كالجمل الطلبية بأنواعها وغير الطلبية فهي تراكم إنشائية محضة.

ولعل هذا التباين بينهما في السنخية دفع بعض علماء اللغة والأصول إلى الدفاع عن عدم فعلية صيغة الأمر لأنها لا يمكن أن تكون قسيماً ثالثاً لقسمين

الزمن النحوي السياقي ليس محكوماً بنظرية حد السكين الزمانية لما للنص من الهيمنة الكبيرة في التعبير عن الدلالات المتوخاة فيكون حاكماً على الصيغ الصرفية، ولذا سنجد أن النص القرآني لا يعبأ بقواعد التزمين الصرفي القديم المستقاة من الأزمنة الثلاثة وهي الزمن الماضي وزمن الحال والزمن المستقبل، فهم يرون أن الزمن إما قد مضى وانتهى أو زمن أنت فيه أو زمن لم يأت بعد، غير أن النص القرآني تخطى تلكم القواعد كي يكون حاكماً لا محكوماً، فهو يترك لآياته القدرة على اختيار الفكرة الزمنية التي تريد.

ويمكن القول إن ظاهرة العدول السياقي في التزمين القرآني قد بلغت من الكثرة بمكان أنها يمكن دراستها بوصفها ظاهرة خرجت عن النمط المؤلف للدلالة الزمنية الوضعية أو الصرفية، ولعل هذا الأسلوب القرآني يتجلى بصورة واضحة وجلية في الخطابات القرآنية المتضمنة على الأحكام الشرعية لا سيما تلك التي تعطي دلالة

خبرين وهما الفعل الماضي والمضارع كونها من الصيغ الطلبية غير المتوفرة على خصائص الفعلين الآخرين وعليه ينبغي إنكار فعليتها لخلوها من مقومات الأفعال، وهذا ما ذهب إليه الكوفيون^(١١).

وما دمنا في العدول الدلالي السياقي في الفكرة الزمنية، فلا نجد الواقع اللغوي يمنع حالة الحلول السياقي للدلالة الزمنية بين كل من الخبر والإنشاء ذلك لأن البحث يدرس ظاهرة العدول السياقي في الفكرة الزمنية لا في الشكل والهيئة التي عليها المباني الصرفية بل هي دراسة في مرحلة متأخرة من مراحل الإستعمال اللغوي داخل التركيب السياقي، أي هي دراسة في الدلالة السياقية للخطاب القرآني ذي الصلة المباشرة بأفعال المكلفين، في الخطابات التي تنطوي على بيان الأحكام الشرعية للمخاطبين، وذلك حين تكون الجملة الخبرية ذات دلالة خطابية مباشرة تتضمن معنى الأمر أو النهي الإلهيين،

ثم تتخلى في سياق قرآني خاص عن خبريتها كي تعطي بعداً إنشائياً مقصوداً يعتمد على القرائن الساقية المفضية إلى هذه الدلالة الجديدة، كما تتخلى الصيغ الخبرية سواء أكانت ماضوية أو مضارعية عن مدلولها الزمني الوضعي لتقع تحت هيمنة دلالة الإنشاء الطلبي وزمنيتها السياقية المجازية، ولا شك أن هذا التعاور الزمني لا يمكن تصوره في البنية العميقة بل في البنية السطحية لأن التداخل الزمني بين الصيغتين الخبرية والإنشائية يفضي إلى معنى يريده النص يتجلى في البنية العميقة وإن بدا ثمة اختلاف زمني فهو لا يחדش المعاني كونه من مناشئ البنية السطحية، حيث أن المعيار هو مدلول العبارة لا صورتها، فإن كان مدلولها إنشائياً كانت إنشاءً، وإن كان مدلولها خبرياً كانت خبراً، بصرف النظر عن صورة التعبير^(١٢)، وهذا ما سيتضح بعد التفريق الدلالي بين الجملتين الفعلية والاسمية كتوطئة

(١٢) ينظر: الجملة العربية أقسامها وتأليفها/

الدكتور فاضل السامرائي: ١٨١.

(١١) ينظر: الأشباه والنظائر: ٢: ١٤٨.

هي ما دلت على الثبوت والدوام^(١٤)، وهذا ما يحدده السياق النحوي دلاليًا لا الشكل الخارجي حتى حين يقع الفعل خبراً، ذلك لأن الفعل (يُفيدُ وراء أصل الثبوت كون الثابت في التجدد، والاسم، لا يفيد ذلك. وسببه، أن يكون الاسم في صحّة الاخبار به أعمّ وإن كان الفعل فيه أكمل وأتمّ. لأن الاخبار بالفعل، مقتصر على الزمانيات أو ما يقدر فيه ذلك. والاعبار بالاسم، لا يقتضي ذلك)^(١٥) سواء كان الاسم متقدماً أو الفعل فليس للشكل منشأ في حقيقة التفريق لأن الدراسة التي تبني آرائها على الجانب الشكلي ليست بذات جدوى.

ومهما يكن من أمر فقد جاءت الخطابات الإلهية المتعكزة على السياق في بيان حقيقة المعطى القرآني كي تدخل التراكيب الخبرية في أجواء طلبية جاءت لتؤدي هذه الوظيفة الأمرية بتراكيب

(١٤) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه/

الدكتور مهدي المخزومي: ٤٥-٤٦.

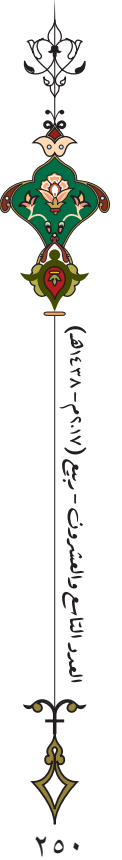
(١٥) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز/ الرازي:

للولوج بمطايي البحث.

الجملة الفعلية والجملة الاسمية:

ذهب ابن هشام (ت ٧٦١هـ) إلى أن المائز الحقيقي بين كل من الجملة الفعلية والاسمية هو ما تصدرته الجملتان فإن تصدرت الجملة بالفعل كانت فعلية وإن تصدرت بالاسم كانت اسمية^(١٣)، وهذا التفريق بينهما- كما يتضح -تفريق شكلي يقوم على الجانب الشكلي لكل منهما من دون مراعاة الجنبه الدلالية، وهذا ما دأب عليه المتقدمون من علماء النحو وبعض المحدثين منهم، لكن الدرس اللغوي الحديث يأبى الاحتكام إلى الشكل الخارجي للتفريق بين النوعين بل يرى أن الدلالة ينبغي أن تكون هي معيار التفريق بينهما بعد دراسة الواقع اللغوي لها، ومن هنا-وبعد مراعاة المدلول الذي تنتجه الجملة الفعلية- فهي الجملة التي تدل على الحدوث والتجدد في حين أن الجملة الاسمية

(١٣) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب:



فعلية وتراكيب اسمية.

العدول عن زمن الأفعال:

ينطوي الفعل في العربية على دالتين يكاد يجمع الدرس النحوي القديم على مدلوليه وهما الحدث والزمن، فالحدث هو ما يدل عليه الفعل بهادته، والزمن يدل عليه بهياته كما أشاروا إلى أنه يدل على نسبة ذلك الحدث إلى فاعل معين وهذه دلالة يمكن أن تضاف إلى دلالة الهياة كذلك لأن المادة لا تدل على غير الحدث المجرد، وقد ذهبوا إلى أن هذا التنوع الدلالي في الفعل يدرس في مرحلة الوضع لا الاستعمال، وبالذات الزمنية المدلول عليها من الهياة صار الفعل ينقسم على ماضٍ ومضارع وأمر، والحق أن التزمين في الأفعال ينبغي دراستها في مرحلة الاستعمال التركيبي أو التضام لا الوضع، لأن ظاهرة العدول الزمني سببت أن الزمن ليس له قالب صرفي يحكمه بل هو وظيفة السياق في الجملة.

١. العدول الزمني عن صيغة الفعل الماضي:

الأجدي في صيغة الفعل الماضي أن

يصار إلى تسميتها بصيغة (فَعَلَّ) ذلك لأن صيغة (فَعَلَّ) غير الفعل الماضي كما أن ليس كل ماضي الصيغة يدل على ماضي الزمن، فينبغي التفريق بين الصيغة وبين الزمن الماضي لأن صيغة (فَعَلَّ) أعم من وجه من الزمن الماضي أي بينهما نسبة العموم والخصوص من وجه، إذ لا مانع من تحلي الصيغة عن دلالتها الماضوية كي تدل على الطلب المحض بصيغة خبرية حيث يرد ذلك في السياق القرآني وغير القرآني من كلام العرب، كما لا مانع من أن يأتي الزمن الماضي في غير صيغة (فَعَلَّ)، وهذا التنوع الاستعمالي بين الصيغة وبين الزمن الماضي يدلنا على حاكمية السياق على الدلالة الوضعية، وكما في قوله:

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾
 ﴿وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [سورة هود: ٩٨]، وكيف ظهرت فيها صيغة (فعل) في الفعل (أوردهم) وقد سلّمت زمنها الصرفي - المقرر من النحاة - إلى الوظيفة السياقية لتدل على زمن المستقبل، إذ سبقت الآية الشريفة للحديث عن يوم

على نسبة طلبية إرسالية بعثية، وهي صيغة (كُتِبَ) المبنية للمجهول، إذ الأمر بصيغة الخبر يكون لفظه وإعرابه هو لفظ الخبر وإعرابه، في حين أن معناه هو معنى الأمر^(١٧).

٢. العدول من زمن الصيغة الماضي- كما قرره النحاة - إلى زمن الأمر، الطلبي المدلول عليه من السياق، وفيها يتضح أن زمان الصيغة الدالة على الطلب غير زمان الإمتثال، ذلك لأن الصيغة تحمل دلالة زمنية هي دلالة الزمن الحاضر المدلول عليها من صيغة الطلب المدولة عن الخبر الماضي كما يقول النحاة بهذه الدلالة، وهناك دلالة أخرى هي دلالة الإمتثال المستقبلي للطلب المأمور به المكلف، وبعبارة أخرى: لدينا في المقام حدث وإحداث، فالحدث يترجمه لفظ (كُتِبَ) بصورة طلب صادر من المتكلم إلى

القيامة والحال التي يأتي بها فرعون ويدخل متقدماً قومه إلى النار.

وهنا تتجلى ظاهرة العدول الزمني في الصيغ الماضية كي تدل على زمن جديد مقصود للنص القرآني، وذلك حين تنتقل دلالة الفعل الماضي ذي النزعة الخبرية إلى دلالاته الإنشائية الطلبية في سياق الأوامر أو النواهي الإلهية، وقد أشار سيبويه (ت ١٨٠هـ) إلى التنوع الدلالي بقوله: (ومثل ذلك: ((اتَّقَى اللهُ أَمْرًا وَفَعَلَ خَيْرًا يَثْبُ عَلَيْهِ)) لأنَّ فيه معنى لِيَتَّقِ اللهُ أَمْرًا وَلِيَفْعَلَ خَيْرًا^(١٦).

فلو دققنا النظر في قوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٣]، لوجدنا أن العدول الحاصل في سياق الآية الشريفة عدولان إثنان وليس واحداً في حقيقة الأمر، وهما:

١. العدول على مستوى الصيغة الصرفية

الإخبارية المتخيلة عن خبريتها لتدل

(١٧) ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين/ الدكتور قيس إسماعيل الأوسي: ٢٠١.

المخاطب، والإحداث هي الفورية التي يطالب المخاطب بإتيان الحدث على أساسها، وهي التي تحمل معنى الزمن^(١٨)، وهي تحمل المكلف في

هذه الخطابات الأمرية المباشرة المعدولة عن الأخبار، حيث يدل الفعل (كُتِبَ) على الطلب، ولا مناص من التنصل عن هذا الأمر الإلهي بالوجوب لفريضة الصوم لا سيما أن السياق القرآني عزز الصيغة الطلبية المعدولة بقوله (عليكم) وهي التي يقوى فيها الأمر الطلبي بدلالة قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ

الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيْرٌ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(١٩)

[سورة آل عمران: ٩٧]، فثمة

قرينتان تدلان على وجوب المبادرة

والإمتثال لفريضة الصوم، وهما

الصيغة الصرفية، وحرف الجر

(على) في قوله: (عليكم) وهي أوكد ألفاظ الوجوب عند العرب، فإذا قال العربي: لفلان عليّ شيئاً فقد أكّده وأوجبه^(٢٠).

٣. ويمكن إضافة عدول آخر أو

تخصيص في الدلالة الخبرية ذلك لأن الأصوليين يرون أن الخبر أوسع من الإنشاء لأن الإنشاء يدل على وجود النسبة والخبر يدل على وجودها والحديث عنها، والسبب أن النسبة الخبرية هي نسبة تامة قابلة للحكاية والإنشاء، في حين أن النسبة الإنشائية هي نسبة خاصة غير قابلة للحكاية لأنها مدلول الطلب والحروف والأدوات^(٢١)، وهذا النوع من العدول يسميه علماء اللغة تخصيص الدلالة أو تضييقها.

ويذهب الزركشي (ت ٧٩٤هـ) إلى

أن العدول بالصيغ الخبرية إلى معنى

(١٨) ينظر: أقسام الكلام من حيث الشكل

والوظيفة/ الدكتور فاضل مصطفى

الساقى: ١٨٠.

(١٩) ينظر: فقه القرآن/ القطب الراوندي: ١:

١٧٢.

(٢٠) ينظر: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما

تضمنه من السنة وآي الفرقان/ القرطبي:

٤: ١٤٢.

(٢١) ينظر: البحث النحوي عند الأصوليين/

الدكتور مصطفى جمال الدين: ٢٧١.

بوصفها صيغة طلبية دالة على الزمن الحاضر، كما هو عليه زمن صيغة الأمر نحوياً.

٢. الحدث المأمور به، المراد امثاله من قبل المخاطب، وهو الحدث المتزامن بالزمن المستقبل، فإذا كون الخطاب الذي تناولته الآية الشريفة هو عبارة عن حكم شرعي لا يلغي زمنية النص القرآني فلو كان النص يخلو من الزمن لما جاءت الآية بقيد (كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) فالنص يعطي بعداً زمنياً، ويلغي فكرة دلالة آيات الأحكام على الأزمنة الثلاثة، لأن دلالة الآية على الأزمنة الثلاث كافٍ لبيان معناها الزمني، فما من داعٍ إلى بيان توضيحي آخر يبين أن الصوم فرض على الأمم السابقة، وهذا ينافي ما ذهب إليه الدكتور بكري عبد الكريم في

قوله: بأن آية ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [سورة البقرة: ٢٧٥]، وآية ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيسَةُ وَالْأَدْمُ وَالْحَمُّ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ

الطلب أدعى إلى الإستجابة من الطلب المباشر بالصيغ الطلبية المعهودة وهي تتضمن معنى الطلب ولا مجال لدالاتها على الإستحباب^(٢٢)، كما يرى بعض علماء اللغة أن الصيغ الطلبية تخلو تماماً من الدلالة على الزمن ولا تدل على غير الطلب المحض لاسيما في المقام فهي قد تخلت عن زمنيها حين استحالت إلى صيغ طلبية لأن الإخبار يتضمن زمناً إلا إذا دلت القرينة على عدم الزمن، والطلب يخلو من الزمن إلا مع القرينة الدالة على زمنيته^(٢٣).

وحاصل القول: أن الصيغ الخبرية الماضوية المعدولة إلى معنى الطلب الإنشائي لا تخلو من الزمن كما يرى بعض علماء اللغة^(٢٤)، بل هي دالة على الحال والاستقبال وهي تتضمن حدثين يمكن بيانها:

١. حدث الصيغة الخبرية المعدولة

(٢٢) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه: ٢: ٢٧٢.

(٢٣) ينظر: الزمن واللغة/ الدكتور مالك المطلبي: ١٢٤.

(٢٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٢٣.

وَالْمَوْفُودَةُ وَالْمَتَرِدِيَّةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا
أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّرْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى
النُّصَبِ وَأَنْ تَسْنَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ﴿٢٦﴾

[سورة المائدة: ٣]، دالتان على الأزمنة الثلاثة^(٢٥)، فلا أدري ما الفائدة القرآنية التي يبتغيها من الزمن الماضي في الخطابات المباشرة المنطوية على الأوامر والنواهي، فالخطاب القرآني يقرّر أمراً يدفع إلى المبادرة له، ويقرر نهياً يدفع إلى اجتنابه، وهذا الأسلوب ينتفي فيه الزمن الماضي لأن الخطاب الإنشائي التي نجّز الأحكام الشرعية في عهدة المكلفين يخص من كان حاضراً حين نزول الخطاب الشرعي ومن سيحضر أو يسمعه إلى يوم القيامة، فأين الزمن الماضي من هذا؟، وقد أشار الرضي (ت٦٤٦هـ) إلى أن الماضي ينصرف إلى الاستقبال في الإنشاء الطلبي^(٢٦).

ويبقى السؤال: كم هي الفترة الزمنية التي ينبغي الإمتثال فيها للخطاب الإلهي؟.

وفي مقام الإجابة عن السؤال أقول: يبحث علماء الأصول في موضوع الأوامر والنواهي مسألة تتعلق بزمن الإمتثال للمأمور به، وهذه المسألة هي مبحث (الفور والتراخي) إذ يدور البحث بينهم في مقدار الفسحة الزمنية التي على المكلف مراعاتها حين الإمتثال فهل يحق له التراخي في الأوامر أم أن الأوامر الصادرة من الشارع المقدس تقتضي الفورية؟، أي هل هو مختار في سعة الوقت كي يمثل للأمر متى ما شاء فيتراخي للإمتثال أم أنه كما هو مأمور بالإمتثال فهو مأمور كذلك بأن يأتي به فوراً حالما علم بالتكليف؟، ومن هنا ذهب معظم الأصوليين إلى أن المأمور كما أنه مكلف بأن يمثل للأمر السماوي فهو مأمور كذلك بالتعجيل به لا التراخي، وأن التراخي خلاف الإمتثال لأنه سيكون مخالفاً وعاصياً إن تخلى عن الفورية بالإتيان لأنه مأمور بهما معاً،

(٢٥) ينظر: الزمن في القرآن الكريم دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه: ٩٧-٩٨.

(٢٦) ينظر: شرح الكافية: ٤: ١٠.

الإِنجاز، حين تقول: محمد أنجز واجبه الآن، أو ينجز واجبه غداً، فهي قرينة سياقية تقييدية لتحديد الزمن المطلوب، ولها استعمالات وأنواع كثيرة ذُكرت في كتب النحو.

ولا يختلف شأن الآيات الدالة على النهي في زمنية الإِمتثال فيها غاية الأمر أن الإِمتثال فيها يكون بترك الفعل لا بالإِتيان به، لأن الأحكام الشرعية تارة تنطوي على المصلحة فتتجلى محبوبة هذه المصلحة على شكل أوامر إلزامية، وتارة تنطوي على المفسدة فتتجلى

مبغوضية هذه المفسدة على شكل نواهٍ إلزامية، كما في قوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ

أي بالامتثال والتعجيل معاً، لا سيما إذا جاء الخطاب الطلبي خالياً من الإشعار بالتراخي الزمني أو كان مقيداً بفورية الإِمتثال، كما يرون أن العدول عن الصيغ الخبرية للدلالة على معنى الطلب يستلزم الفورية أشد من استلزامه عندما يأتي بالصيغ الطلبية المباشرة (٢٧).

ولعل هذا المبحث قريب إلى حد كبير من مبحث الجهة النحوية ذات العلاقة بالتزمين اللغوي، إذ تعمل الجهة على تقريب المسافة الزمنية من الزمن الحاضر، فهي عبارة قرائن سياقية تؤدي وظيفة التقريب الزمني بين الماضي أو المستقبل حين تقربه من الزمن الحاضر، فقولنا في حال الإِخبار: محمد أنجز واجبه، تحتمل الإيغال في الزمن الماضي، فليس ثمة ما يشعر السامع بقربها أو بعدها الزمني عن وقت التكلم، أي الزمن الحاضر، ومن هنا تأتي الجهة النحوية بوصفها قرينة سياقية زمنية كي تضع السامع أما الوقت المحدد لزمن

(٢٧) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه: ٢:

وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ
سَلَفَتْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣﴾
[سورة النساء: ٢٣]، وقوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيْكُمْ أَمْيَئَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا
أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا
عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾
[سورة البقرة: ١٧٣].

كما أن صيغة (فعل) يمكن أن
تعطي دلالة الزمن المستقبل حين تحمل
معنى الدعاء الطلبي إذ فتكون معدولة
للأسلوب الإنشائي الجديد وكما في
قوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ
حَتَّى يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ
الْكُذِبِينَ﴾ [سورة التوبة: ٤٣]،
وقوله: ﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [سورة
عبس: ١٧]، فصيغتا (قُتل، وعفا)
وأشباههما تتضمنان معنى الدعاء
الطلبي لذلك جاء الزمن فيها مغايراً
لما عليه الصيغة الصرفية قبل أن تدخل
في سياق التركيب القرآني، فالزمن في
الدعاء هو زمن المستقبل مما يشعر معنى
الإستجابة^(٢٨)، وليس صواباً ما يذهب
(٢٨) ينظر: رد على دعوى يدّعيها اللغويون

إليه الدكتور حامد عبد القادر بخلو
الماضي المستعمل في التعظيم والدعاء من
الزمن^(٢٩)، لأن الداعي حينما يدعو فهو
يطلب تحقق الدعوة في الزمن المستقبل
سواءً أكانت للمدعو له، أو كانت
الدعوة على المدعو عليه.

وليس هذا فحسب بل يمكن لهذه
الصيغة -سياقياً- أن تدل على الزمن
الحاضر حين تأتي في صيغ العقود
الإيقاعية مثل: بعْتُكَ الدارَ، واشترَيْتُ
الكتابَ، فهي تعبيرات إيقاعية لا تدل
إلا على الزمن الحاضر المقترن باللفظ^(٣٠)،
فلا وجود للعقد ولا للزمن قبل التلغظ
بصيغة العقد، لأنها تقترن بزمن الإيقاع
العقدي للكلام، وقد ذهب الدكتور
مالك المطلبي إلى خلو هذه الصيغ من

الغريون تتصل بالزمن في اللغة العربية
(بحث)، الدكتور البدرابي زهران، مجلة
مجمع اللغة العربية، ج٧٢، ص ١٠١،
القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
(٢٩) ينظر: معاني الماضي والمضارع في القرآن
الكريم، الدكتور حامد عبد القادر، مجلة
مجمع اللغة العربية، ج١٠، ص ٧٢،
القاهرة، ١٩٥٨م.
(٣٠) ينظر: همع الهوامع: ١: ٣٧.

زمني الحال والاستقبال ذلك لأن الفعل المضارع (يُصَلِّي) جاء في سياق التزمين الماضي فتخلى عن زمنيته المزعومة للزمن السياقي.

ومن هنا يتعين إما أن يُجعل زمنه مقيداً بالسياق التركيبي أو تسميته -على أقل تقدير- بالفعل المستقبل لأن الصيغة الصرفية التي هي (يفعل) غير الزمن الحاضر والمستقبل -كما سيتضح-، وأما ما سيعتري الصيغة الصرفية من العدول السياقي في الخطابات القرآنية حين تدل على الزمن الحاضر والمستقبل في سياق الطلب، فهو من مناشئ الطلب الإنشائي بعدما تدخل الصيغة في إطار تركيبها خاص متعكزة على القرائن كي تعطيها البعد الدلالي والزمني المقيد بالقرائن والضمائم السياقية، لا من خلال الزمن الصرفي للفعل المضارع لأن الصيغة التي تتخلى عن خبريتها إلى الإنشاء الطلبي لها جدرة أن تتخلى عن زمنها المقرّر لها سلفاً بالأولوية.

وأود أن أشير هنا إلى مسألة مهمة هي هل أن زمن الحال والاستقبال هو

الزمن ولا تدل على غير مدلول العقد أي على حدث العقد المجرد من الزمن^(٣١).

٢. العدول الزمني عن صيغة الفعل المضارع:

الفعل المضارع أشد من قرينه الماضي في كونه لا يخضع لصيغة صرفية معينة، خاصة أن تسميته بالمضارع لم يراعَ فيه البعد الزمني للتسمية بل سمي كذلك لمضارعه لأسم الفاعل، والفكرة الزمنية فيه غير معتبرة حين التسمية، كما أنهم ذهبوا إلى أن الفعل المضارع يدل على زمني الحال والاستقبال وهل يحق لصيغة صرفية أن تدل على زمنين في آن واحد قبل مرحلة الاستعمال والتركيب؟، فلقد أثبت الوجدان أن التزمين في الفعل المضارع هو وظيفة التركيب السياقي عندما يأتي زمن الحال والاستقبال بصيغة (يفعل)، أو عندما تدل صيغة (يفعل) على الزمن الماضي حين تتوفر القرائن والضمائم السياقية المفضية إلى هذا العدول، نحو قولنا: رأيتُ محمداً يصليّ أمس في المسجد، فلا دلالة على

(٣١) ينظر: الزمن واللغة: ١٢٣.

معنى الصيغة الصرفية للأمر المعدول له من الإخبار أن أم أن التعبير السياقي هو الذي أفضى إلى هذه الدلالة الجديدة المقصودة؟، والحق أن السياق لما كان هو المنتج للتعبير الطلبي بالصيغ الخبرية فيكون الزمن كذلك من مناشئ السياق بعدما صار الخبر يقتضي طلباً يُطلب أمثاله مستقبلاً، فالزمن صار مدلولاً عليه من النص كاملاً، لأن النص جيئ به لإحداث هذه الدلالة بأسلوب طلبي وبصيغ خبرية، ففي قوله: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٨]، جاء الخطاب القرآني لبيان عدة المطلقة لا للإخبار ولو كان خبراً لما اتصلت منه إمراة، وبما أن بعض النساء قد لا تخضع لهذا الأمر السماوي ولا تمتثل للعدة المخبر عنها، فهو -إذاً- خطاب يقتضي طلباً أمرياً يلزم النساء المطلقات بالتربص المذكور وللمدة المذكورة، إذ لا يخلو الخطاب القرآني من الخبر والإنشاء فإن لم يكن خبراً فلا ريب من أنه إنشاء طلبي، فهو أمر سيق بتعبير خبري فهم منه الطلب

من خلال السياق كاملاً، (وأصل الكلام: وليربص المطلقات. وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر، وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله، فكأنهن امثلن الأمر بالتربص، فهو يخبر عنه موجوداً^(٣٢)) في الحال والاستقبال، ويذكر الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) دليلاً آخر على أن الآية معدولة للطلب دون الإخبار بقوله: (إن الأمر قد يجيء على لفظ الخبر في التنزيل، ألا ترى إلى قوله: (والمطلقات يتربصن بأنفسهن) ويؤكد ذلك أن ما بعده على لفظ الخبر، وهو قوله: (وعلى الوارث مثل ذلك) والمعنى ينبغي ذلك^(٣٣).

وهكذا بالنسبة إلى العدول في قوله: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْفِخَهُنَّ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٣]، فالخطاب الذي تضمنه النص الشريف لم يرد الخبر لأنه لو أراد الخبر لكانت كل امرأة ترضع ولدها لأن

(٣٢) ينظر: الكشاف/ الزمخشري: ١: ٢٩٨.

(٣٣) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢:

القرآنية - ومن خلال القرائن المقامية - تبين ما يطلبه نبي الله يوسف عليه السلام من أهل مصر لتدارك القحط الحتمي، فكان يطلب منهم الزراعة لسني الوفرة، فالفعل المضارع (تزرعون) المعدول إلى معنى الطلب الإنشائي دال على الزمن المستقبل بلحاظ القصة القرآنية لا بلحاظ الخطاب القرآني حين النزول، لأن الخطاب القرآني في مقام الإخبار لا الإنشاء، أي هو يخبر عن وقوع القصة التي تناولت هذه المحاوره الطلبية من النبي يوسف عليه السلام إلى المأمورين بالزراعة، فليس زمن الخطاب القرآني هو المدلول بل زمن القصة، غاية ما في الأمر أن حوار القصة القرآنية تضمن طلباً إنشائياً بصيغة خبرية فكان الزمان هو زمان حوار القصة كما هو واضح.

ومن العدول الزمني من صيغة الفعل الإخبار إلى الإنشاء، هو قوله:

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجَرِّقِ سُجُومِكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ حَرِّدَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ

المخبر هو الله سبحانه وتعالى، فلا تشذ عنه امرأة واحدة ما دام الخبر قد صدر من الذات المقدسة، لكننا نجد نساءً لا تمارس الرضاعة لأولادها فيتعين كون الخطاب في سياق الطلب الإنشائي^(٣٤)، كما أنه لو كان خبراً لكان كذباً من طريق آخر هو أن الوالدات قد يرضعن أولادهن أكثر من حولين أو أقل من حولين^(٣٥)، ومن هنا فالخطاب القرآني جاء معدولاً عن الخبر إلى الإنشاء الطلبي، والأصل (ليرضعن) كما يقول ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ)^(٣٦).

ومن العدول ذاته قوله: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا نَأْكُلُونَ﴾ [سورة يوسف: ٤٧]، فقد جاء الفعل المضارع (تزرعون) دالاً على الطلب الحالي والاستقبالي بدلالة قوله آمراً) فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ^(٣٧) فالخطاب القرآني كان في مقام الطلب لا الحكاية، لأن القصة

(٣٤) ينظر: أحكام القرآن/ الجصاص: ١:

٤٨٨.

(٣٥) ينظر: فقه القرآن: ١: ١١٩.

(٣٦) ينظر: شرح المفصل: ٤: ٢٧٦.

(٣٧) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢: ٢٨٩.

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ
ذَلِكَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠﴾ [سورة الصف: ١٠-]

١٢]، حيث تصدرت الآيات الشريقات بالجملة الاستفهامية من خلال حرف الاستفهام (هل) والذي صير أسلوب النص القرآني إنشائياً، ويمكن الاستدلال على العدول الزمني السياقي فيها من خلال الآتي:

١. جملة الاستفهام تحمل دلالة الحال والاستقبال الزمنية، فمع عدم قناعة الدكتور تمام حسان بالزمن الصرفي، لكنه ينظر إلى الجملة الاستفهامية بمنظار خاص من خلال قوله: (ولعل الجملة الاستفهامية هي الوحيدة بين الجمل الإنشائية التي تتوافق فيها دلالة الصيغة صرفياً ونحوياً على طول الخط فيدل فيها (فَعَل) على الماضي ويدل (يفعل) على الحال أو الاستقبال بحسب الضمائم والقرائن)^(٣٨)، وذهب الدكتور مالك المطلبي إلى هذا الرأي^(٣٩)، فالآيات

(٣٨) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٤٨.

(٣٩) ينظر: الزمن واللغة: ١٢٦.

برمتها تحمل مدلولاً زمنياً استقبالياً بضميمة الاستفهام الجهمية.

٢. وأما الفعل المضارع (تؤمنون) فهو وإن كانت صيغته صيغة الإخبار لكن سياقه النحوي جاء معدولاً إلى الإنشاء من خلال قرينة الاستفهام السابقة والتي تحمل معنى الندبة إلى ما يريد النص القرآني أن يدل السامع عليه، (وهو استفهام خرج على معنى يشبه العرض والحض والترغيب)^(٤٠). وبناءً على نظرية تضافر القرائن السياقية فثمة قرينة أخرى تؤدي الدلالة الطلبية، هي أن جواب الشرط جاء مجزوماً في قوله: (يَغْفِرْ لَكُمْ) و (وَيُدْخِلْكُمْ) والحال أن ليس هنا مقتضي -على المبنى النحوي- لوجوب الجزم إن كانت الآية تؤدي وظيفة الإخبار، وبما أن جواب الشرط جاء مجزوماً فيتعين كونه واقعاً في جواب الطلب لا الإخبار، أي أن الفعل المضارع (تؤمنون) سيق هنا لتأدية

(٤٠) نحو المعاني: ١١٢.

معنى (آمنوا)^(٤١).

العدول الزمني في الجملة الاسمية:

لقد تبين في دراسة العدول الزمني السياقي أن الزمن هو مدلول السياق الطلبي لا الصيغ الصرفية المعدولة، فلأن السياق يقتضي طلباً في مجمله فهو دال - على كل حال - على الزمن المفترض من القرائن السياقية، وهذا الزمن هو زمن الحال أو الاستقبال، والذي ينبغي ذكره هنا أن الجملة الاسمية لا تختلف عن الذي تقرر في المبحث السابق، مع أن الإجماع اللغوي لدى علماء اللغة من المتقدمين والمحدثين يرون أن الجملة الاسمية ليس لها الأهلية أو الشأنية لتعطي معنى الزمن، لأن الأسماء لا تدل على غير الذات المعينة، ولا دلالة لها على غير ذلك، وإن كانت المشتقات تحمل معنى الحدث والصفة في اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة، أي تدل على موصوف بالحدث، لكن هذه الدلالة لا تمنحها معنى التزمين الصرفي أو الوضعي، لأن الدلالة على الحدث المجرد أو الدلالة على موصوف

(٤١) ينظر: مفتاح العلوم: ٤٣٣- ٤٣٤.

بالحدث غير الدلالة على الزمن التي هي مدلول الأفعال كما قرره، كما أن الجملة الاسمية - على ما يراه الدرس اللغوي الحديث - تدل على الثبوت والدوام غير المتزمن، أي هي دلالة على ما لا يعتريه التغيير والتجدد، كون صفتي التغيير والتجدد من عوارض الأحداث الفعلية لا الاسمية، ولكن هذا الرأي لا يجعلنا نعدم بعض المحدثين من علماء اللغة ممن ذهبوا إلى أن الجملة الاسمية قد تدل على الزمن من خلال القرائن السياقية التي تعطيها هذه الدلالة الجديدة لكنها دلالة ليست مدلولة للجملة الاسمية بوصفها صيغاً صرفية لا تحمل غير معنى الدلالة على الذات، أو أن الاسم - كما يعرفه أمير المؤمنين عليه السلام - هو: (ما أنبأ عن المسمى)، بل الدلالة الزمنية التي تظهر في الجملة الاسمية تأتي من الدخول في إطار سياقي تركيبى أعطاها هذا المدلول الجديد من خلال التضام مع القرائن السياقية^(٤٢)،

(٤٢) ينظر: الزمن واللغة: ٥٥، الدلالة الزمنية في الجملة العربية/ الدكتور علي جابر

أو الجهات الزمنية التي تلبس السياق
الفكرة الزمنية التي تريد، ففي قوله:
﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [سورة الزمر:
٣٠]، تأتي الآية لكي تقرر حقيقة من
حقائق مآل الطبيعة البشرية وهي الموت،
لكنها لم تأت مفرغة من الجانب الزمني
وذلك من خلال ما يأتي:

١. أن الخطاب القرآني جاء مخاطباً النبي
الأكرم ﷺ ولا شك أن النبي كان
موجوداً حين نزول النص القرآني،
أي أنه كان حياً حين نزول النص
الشريف، وهذا يعني أن الدلالة
الماضوية لم تكن معتبرة في الخطاب،
وإذا كان النص خالياً من الزمن أو
أنه يدل على الأزمنة الثلاثة فينبغي
أن يكون المخاطب ميتاً ساعة نزول
النص وما من أحد يقول بذلك.

٢. إن الخطاب الشريف إنما يتحدث عن
المآل الذي سيؤول له حال النبي ﷺ
وحال من كان معه ومن سيوجدون
على مر العصور، ولذلك ذكر علماء
الأصول أن النص الشريف يحمل
الدلالة المجازية لعلاقة الأول

والمشاركة (٤٣).

٣. لا شبهة في أن الخطاب القرآني جاء
ليبين حقيقة الموت للزمن المستقبل،
أي للفترة ما بعد النص القرآني، وهذا
لا يعني أن الحقيقة لم تكن معتبرة في
الزمن الماضي وغير متحققة بل أن
هذه الحقيقة لم تكن مقصودة للنص
الشريف في زمن ما قبل النزول، ذلك
لأنها خاطبت النبي ﷺ، والواقع أن
النبي ﷺ كان ما زال حياً آنذاك.

٤. جاء النص القرآني معقّباً على استقبال
هذه الحقيقة بقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصُمُونَ﴾
[سورة الزمر: ٣١]، فهو يؤكد أنه
إنما كان يعني النبي ﷺ ومن سمع
الخطاب القرآني، حين وجّه الكلام
لهم مباشرة بقوله (إِنَّكُمْ).

٥. يذكر الزمخشري في تفسيره قوله:
﴿وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [سورة البلد:
٢]، بقوله: (فإن قلت: أين نظير قوله:

(٤٣) ينظر: أصول الفقه/ محمد الخضري:
١١٥-١١٦، والمفيد في شرح أصول
الفقه/ إبراهيم إسماعيل الشهركاني: ١:
١٣٨.

بدون القرائن، وقد فهم الوجوب فيها من لام الملك التي في لفظ الجلالة (الله)، ومن خلال كلمة (عليكم)^(٤٥)، الدالة على الوجوب كذلك، بل هي أكثر ألفاظ العربية تأكيداً على معنى الوجوب كما يقول القرطبي (ت ٦٧١هـ)^(٤٦)، وأما قيد الاستطاعة فقد جاء به الخطاب القرآني بلفظ الماضي مع أن الوجوب كان مطلقاً وموجهاً لمن سيكونون قادرين على أداء الفريضة، وذلك لأنه اعتبر قيد الاستطاعة مفروض الوجود، فجاء به بصيغة الماضي كي يدل على مفروضية وجود الاستطاعة عند وجوب الحج^(٤٧).

وقد يأتي الأمر في الجملة الاسمية في سياق الشرط القرآني المتضمن معنى الأمر حين يكون جواب الشرط عبارة عن جملة اسمية تتضمن معنى الأمر وغير معتبر فيها شرط الإسناد النحوي لشمولها على واحد من عناصر

(٤٥) تفسير الرازي: ٨: ١٦٦.

(٤٦) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من

السنة وآي الفرقان: ٤: ١٤٢.

(٤٧) ينظر: تحريرات في الأصول/ السيد

مصطفى الخميني: ٣: ٧١.

(وَأَنْتَ حِلٌّ) في معنى الاستقبال؟.

قلت: قوله عز وجل: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ

وَأَيُّهُمْ مَيِّتُونَ﴾، ومثله واسع في كلام

العباد^(٤٤)، فقد أثبت أن الزمن

المستقبل مقصود في هذا الخطاب

الخبري المعدول إلى الطلب.

ومن خلال ما تقدم ظهر أن الجملة

الاسمية حين تدخل في سياقي زمني

يمكن تزمينها كي تنتقل في عدول سياقي

مجازي إلى الدلالة على الحدث الزمني

حين تنتقل دلالتها الخبرية إلى معنى

الطلب المستقبلي، كما في قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى

النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾

[سورة آل عمران: ٩٧]، فلأن الخطاب

القرآني جاء طلبياً أمراً للناس كي يقصدوا

بيت الله الحرام فهو -إذاً- لا يخلو من

المدلول الزمني الذي جاء مع العدول

الطلبية بصيغة الجملة الاسمية ذات

التعبير الإخباري والدلالة الإنشائية،

فقد دلت الآية الشريفة على معنى

الوجوب المفهوم من السياق الطلبي لأن

الجملة الاسمية لا تعطي معنى الوجوب

(٤٤) الكشاف: ٤: ٧٥٨.

الجملة الاسمية المعدول إلى معنى
الطلب الأمري وذلك في قوله: ﴿فَمَنْ
شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ
مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ
أُخَّرَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٥]، فقد
جاءت لاصقة الفاء الواقعة في جواب
الشرط متضامة مع جواب الشرط
الاسمي وهو: (عِدَّةٌ) الدالة على ترك
الصوم عند المرض والسفر، وهي دلالة
تم إيصالها إلى ذهن السامع بما تنطوي
عليه من معنى الندبة أو الوجوب بلا
تكلف وعناء التأويل التي مارسها
النحاة على هذه الآية وأمثالها، حيث
يرون فيها أن الأصل (فعليه عدة)^(٤٨)،
كي تأتي منسجمة متناغمة مع قاعدة
الإسناد الجملي في التركيب النصي، ولذا
يرى الدكتور أحمد عبد الستار الجواري
أننا لسنا مضطرين إلى التقدير في مثل
هذه الأساليب الشرطية ما دام المعنى قد
وصل تاماً فما من داع إلى التأويل لتدعيم
نظرية الإسناد التي يقول بها النحاة،
لأن الألفاظ تعبر عن المعاني الدلالية لا

شكل الجمل^(٤٩)، إذ يكفي أنها دلت على
الزمن المطلوب والحكم الشرعي كذلك
في سياق الشرط الذي يعطي معنى الحال
والاستقبال لأن (الحال والاستقبال
هما معنى الأمر بالصيغة والأمر باللام
والعرض والتحضيض والتمنّي
والترجّي والدعاء والشرط)^(٥٠).

ولا يقف العدول الزمني في الجملة
الاسمية عند حدود الأوامر الإنشائية
بل يمكن تلمسه في النواهي الإنشائية
كذلك وكما في قوله: -مخاطباً الناس
ليبان بعض أحكام الحج -: ﴿الْحَجُّ
أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا
رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا
تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرُوهًا
فَإِنَّ خَيْرَ الْخَيْرِ النَّقْوَى ۖ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي
الْأَلْبَابِ﴾ [سورة البقرة: ١٩٧]، فقد
صيغ النهي عن إتيان النساء والفسوق
والجدال في الحج بطريقة النفي الإخبارية
من خلال استعمال (لا) النافية للجنس
ذات السياق الخبري، في حين أن النص

(٤٩) ينظر: نحو القرآن: ١٨ - ٢١.

(٥٠) اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٥٠ - ٢٥١.

(٤٨) ينظر: الكشاف: ١: ٢٥١.

- الخبرية المعدولة إلى الطلب .
٣. زمن الصيغ الخبرية غير زمن الدلالة
الطلبية الإنشائية.
٤. صيغ الطلب الأمرية المعدولة من
الخبر تدل على الزمن الحاضر لكن
زمن الإمتثال هو الزمن المستقبل
المطلوب إمتثاله.
٥. الجهة النحوية تشبه إلى حد كبير
مبحث الفـور والتراخي الذي
يُدرس في علم الأصول، لبيان أن
الطلب المأمور به من الشارع المقدس
هي يقتض الفورية في الإمتثال أو
التراخي به.

٦. الجمل الاسمية الخبرية المعدولة
إلى الطلب الإنشائي لا تختلف
عن الجمل الفعلية في كونها تحمل
الدلالة الزمنية الجديدة بعد العدول
ما دامت تتضمن طلباً، فهي والجملة
الفعلية سواءً في الدلالة الزمنية
المعدولة.

القرآني جاء متعكزاً على هذه الطريقة
كي يدل على معنى النهي عن ممارسة
هكذا أعمال حينما يكون الحأج محرماً،
ولذا يقول الجصاص (ت ٣٧٠هـ) في
تفسيره للآية الشريفة: (وإن كان ظاهره
الخبر، فهو نهي عن هذه الأفعال، وعبر
بلفظ النهي عنها لأن النهي عنه سبيله
أن يكون منفيًا غير مفعول) (٥١) وهذا
المعنى المعدول يبدو واضحاً كونه شاملاً
للزمن ما بعد نزول النص الشريف فهو
حكم شرعي وجد بوجوب الفريضة،
ولا وجود له قبل وجوب الحج فزمنيته
مقرونة بزمنية وجوب الفريضة.

الخاتمة:

في ضوء ما تقدم أمكن القول
بالوصول إلى النتائج التالية:

١. ينبغي التفريق بين الصيغة الصرفية
للفعل الماضي (فعل) وبين الزمن
الماضي، لأن ماضي الزمن غير ماضي
الصيغة - كما تبين -.

٢. تعاون السياق والطلب في دلالة
الزمن الحاضر والمستقبل للصيغ

أهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أحكام القرآن، احمد بن علي الرازي الجصاص (ت ٣٧٠هـ)، ضبط نصّه وخرّج آياته: عبد السلام محمد علي شاهين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، الدكتور قيس إسماعيل الأوسي، (د. ط)، المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٨٨.
- الأسلوبية والأسلوب، الدكتور عبد السلام المسدي، ط٣، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٢م.
- الأشباه والنظائر، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، وضع حواشيه: غريد الشيخ، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٢٠٠٧م.
- أصول الفقه، محمد الخضري بك، ط٦، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
- الإعجاز البياني في العدول النحوي السياقي في القرآن الكريم، الدكتور عبد الله علي الهتاري، (د. ط)، دار الكتاب الثقافي، أربد-الأردن، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، الدكتور فاضل مصطفى الساقى، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية، الدكتور ميلاد خالد، ط١، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- البحث النحوي عند الأصوليين، الدكتور مصطفى جمال الدين (ت ١٤١٧هـ)، (د. ط)، منشورات وزارة الثقافة والإعلام-الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م.
- البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله



- الشافعي الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، قام بتحريره عبد القادر عبد الله العاني، وراجعه الدكتور عمر سليمان الأشقر، ط ٢، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ١٤٢٣هـ- ١٩٩٢م.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، (د. ط)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د. ت).
- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تح: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، شارك في التحقيق محمد رضوان عرقسوسوي، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- الجملة العربية تأليفها وأقسامها، الدكتور فاضل صالح السامرائي، ط ٢، دار الفكر ناشرون وموزعون، الأردن، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م.
- الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، الدكتور مؤيد عبيد آل صويت، ط ١، مكتبة الحضارات، بيروت-لبنان، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- تحريات في الأصول، مصطفى الخميني (ت ١٣٩٨هـ)، حققه وصححه السيد محمد السجادي، ط ١، مؤسسة الطبع والنشر، قم، ١٤٠٧هـ.
- التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- رد على دعوى يدعيها اللغويون الغربيون تتصل بالزمن في اللغة العربية (بحث)، الدكتور البدرائي زهران، مجلة مجمع اللغة العربية، ج ٧٢، القاهرة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- الزمن في القرآن الكريم دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه، الدكتور بكري عبد الكريم، ط ٢، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة -مصر، ١٩٩٩م.

- الزمن واللغة، الدكتور مالك يوسف المطليبي، (د. ط)، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.
- الدلالة الزمنية في الجملة العربية، الدكتور علي جابر المنصوري، ط١، الدار العلمية الدولية ودار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان -الأردن، ٢٠٠٢م.
- شرح كافية بن الحاجب، محمد بن أحمد الاستراباذي (ت٦٨٦هـ)، وضع هوامشه: د. إميل يعقوب، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت-لبنان، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- شرح المفصل، يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت٦٤٣هـ)، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه الدكتور أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- فقه القرآن، قطب الدين أبو الحسن سعيد بن هبة الله الراوندي (ت٥٧٣هـ)، تح: السيد أحمد الحسيني، باهتمام السيد محمود المرعشي، ط٢، مكتبة آية الله العظمى النجفي المرعشي، قم، ١٤٠٥هـ.
- في النحو العربي نقد وتوجيه، الدكتور مهدي المخزومي، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٥م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري (ت٧١١هـ)، (د. ط)، نشر أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥هـ.
- اللغة العربية معناها ومبناها، الدكتور تمام حسن، ط٤، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- كتاب سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمير الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت -لبنان، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.





وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

جَرَسُ الْقُرْآنِ

دِرَاسَةٌ فِي ظَاهِرَةِ التَّأْثِيرِ فِي السَّامِعِ

م. ر. عباس صادق عبد الصّاحب

كلية التربية الاساسية - جامعة المنى

فحوى البحث

هذا البحث يؤسس لمبدأ يرى أنّ الإعجاز القرآنيّ إعجاز كامن في نغمه، والمتتبع للروايات الواردة في تراثنا العربيّ بشأن تأثير القرآن في المتلقين، يرى بوضوح أنّ سبب دخول كثير من العرب في الإسلام يعود إلى هذا الجرس الموسيقيّ الذي لا يقاوم، بل يصل الى أن يكون هذا الأثر الموسيقيّ سبباً في موت بعض من استمع له، وليس هناك نصّ عند العرب أو سواهم له هذا الأثر العجيب في المتلقين.

وقد رأى الباحث أن يكون المنهج الذي يعتمده هنا في دراسة هذا الأثر الموسيقيّ، منهج يبحث عن المظهر للوصول إلى الجوهر، وقد كانت آراء مارتن هيدجر الضوء الذي أنار له السبيل للوصول الى النتائج التي اثبتت الباحث فيها أن الإعجاز القرآنيّ إعجاز نغمي، وأن أكثر من دخلوا الاسلام، كانوا بسبب جمالية هذا النص الإلهي الذي لا يقاوم.

والبحث مقسم على مدخل وسبعة مباحث. وقد قامت هيئة التحرير بتعديل

العنوان ليكون أكثر تطابقاً مع الموضوع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

أما بعد:

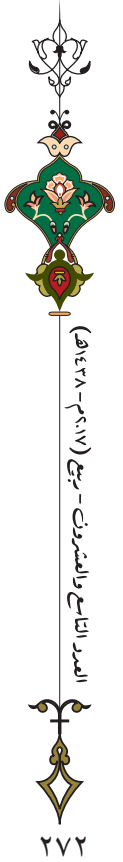
على الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت النّصّ القرآنيّ، إلّا أنّ من يريد أن يتصدّى لدراسته، يحسّ أنّه في أرض خصبة لا تستنفدها كثرة ما يزرع فيها. و في كلّ وقت يجد الدّارس أنّ هناك موضوعاً جديداً يستحقّ الدراسة، وأنّ هناك شِعْباً لم تطأه قدم أحد من النّاس.

في هذه الدّراسة أسلّط الضّوء على موضوعة الجرس القرآنيّ، والجديد هنا أنّي أرى أنّ الإعجاز القرآنيّ إعجاز نغميّ؛ وقد وجدت من كثرة الروايات في تراثنا الإسلاميّ أنّ معظم من دخلوا الإسلام، كان بسبب جماليّة هذا النّغم الذي لا يُقاوم.

والجديد أيضاً في هذه الدّراسة أنّي درست ظاهرة النّغم القرآنيّ دراسة (مظهرية)؛ لأنّي وجدت أنّ هذا المنهج هو المنهج المناسب، وقد اعتمدت رؤية مارتن هيدجر، وهي رؤية تتأسس على مبدأ السّماع، فهيدجر يرى أنّ الوجود

كلام محض، وليس على الإنسان إلّا أن يُصنعي لهذا الكلام. واللافت للنظر أنّ رؤية هيدجر الظاهراتيّة قريبة من الرّؤية الصّوفيّة الإسلاميّة.

قسّمت هذه الدّراسة على مدخل وسبعة مباحث. حمل المدخل عنوان «في المنهج»، بيّنت فيه المنهج الظاهراتيّ، ورؤية مارتن هيدجر التي اعتمدها في دراستي. أمّا المبحث الأوّل فحمل عنوان «ظاهراتيّة الوحي القرآنيّ» بيّنت فيه ظاهرة الوحي، وتأثير هذه الظاهرة على ملايين البشر. وأمّا المبحث الثّاني فحمل عنوان «شعريّة اللّغة القرآنيّة» بيّنت فيه كيف كان تلقّي الجاهليّين للنّصّ القرآنيّ، فقد نظروا إليه أنّه شعر؛ لأنهم وجدوا لغته مكثّفة تكثيفاً جماليّاً. وأمّا المبحث الثّالث فحمل عنوان «سحر الكلمة» بيّنت فيه كيف نظرت الكتب المقدّسة والحضارات الشّرفيّة القديمة إلى الكلمة، فقد وجدوا فيها سرّ الوجود، وأنّها مبدأ خلق وإيجاد. وأمّا المبحث الرّابع فحمل عنوان «الغناء والقرآن» بيّنت فيه كيف وظّف المسلمون الغناء في قراءة النّصّ القرآنيّ. وأمّا المبحث



الخامس فحمل عنوان «جرس القرآن» بينت فيه أن إعجاز القرآن يعود إلى جهة الجرس. وأمّا المبحث السادس فحمل عنوان «التكرار القرآني» بينت فيه كيف وظف القرآن التكرار من أجل خدمة جرسه. وأمّا المبحث السابع فحمل عنوان «الفاصلة القرآنية» بينت فيه الأثر الصوتي الذي تحدثه الفاصلة.

المدخل: في المنهج

«Phenomenology» كلمة ذات أصل لاتيني تعني علم الظواهر، وترجم إلى اللغة العربية بـ«الظاهراتية»، ويُقصد بها العلم الكلي الذي يكفي بدراسة الظواهر المتبدية في الشعور. وهذا المصطلح استعمله (كانت) في القرن الثامن عشر حين فرّق بين ظاهر الشيء وباطنه، واستعمله بعده (هيجل) في القرن التاسع عشر وأطلقه على علم فلسفي خاص به هو "علم ظواهر الروح"، كان فيه مثاليًا إلى أقصى الحدود، ثم استعمله (إدموند هوسرل) في القرن العشرين وجعله اسمًا لفلسفته^(١).

(١) ينظر: المذاهب الفلسفية المعاصرة. سماح

والظاهراتية باختزال شديد تعني الوصول إلى الجوهر عبر المظهر^(٢). وخير من مثل هذه النظرة إلى اللغة الفيلسوف الظاهراتي مارتن هيدجر الذي لم ير في اللغة وسيلة اتصال، بل وجد فيها الوسط الذي تتحرك فيه حياة الإنسان، وعندما تكون هناك لغة يكون هناك عالم، فاللغة تسبق الإنسان، بل إنّ الحقيقة تتكشف من خلال اللغة؛ وهذا ما حدا بهيدجر أن يبحث على الاستسلام لسرّ الوجود، وعلى الاستماع للنجوم والسموات والغابات والأرض؛ من أجل أن يتجه الوجود إلينا^(٣). فيقول

في دراسته القيمة عن شعر هولدرن وتراكل: « فاللغة ليست مجرد أداة، من بين أدوات أخرى، يمتلكها الإنسان. بل هي، بشكل عام وقبل كل شيء، ما يضمن إمكان أن يجد الإنسان نفسه في قلب تفتح

رافع محمد. مكتبة مدبولي. ط١. ١٩٧٣. ٩٥-٩٦.

(٢) ينظر: اتجاهات التأويل النقدي من المكتوب... إلى المكبوت. محمد عزّام. وزارة الثقافة السورية. دمشق. ٢٠٠٨. ٧٩.

(٣) ينظر: مقدّمة في النظرية الأدبية. ٧١-٧٢.

صوفياً خالصاً، وفي ضوء هذه النظرة الهيدرجية ستكون الدراسة.

المبحث الأول:

ظواهرية الوحي القرآني

لم يخلُ زمان من الأزمان من الإيـان بظاهرة الوحي، وأستطيع أن أعدّها «حقيقة الحقائق»، فليس هناك ظاهرة لها ما لها من قوّة التأثير على الجنس البشريّ، وليس هناك ظاهرة شغلت ذهن الإنسان كما شغلته هذه الظاهرة، فهي «في كلّ مكان وزمان، إن لم تكن في كلّ شيء»^(٧).

وعلى الرّغم من أنّ العالم الحديث يعيش في ضوء سلطان العقل، وقد تجرّأ بعض فلاسفة الغرب التّويريين فأنكروا الوحي، ورفضوا الدّين جملة وتفصيلاً، وأنكروا وجود الله، إلّا أنّهم عجزوا أن يجعلوا النّاس ينادون بفكرهم عن هذه الظّاهرة، حتّى أنّها لتتجدّد مع ولادة كلّ جيل، تجدّداً قوياً، ويمكن ملاحظة ذلك من غزارة التّأليف في هذا المجال. وهذا

(٧) المتخيّل والقدسيّ في التّصوّف الإسلاميّ. د.

الميلوديّ شغموم. دار الحوار. سورية. ط ٢. ٢٠١١.

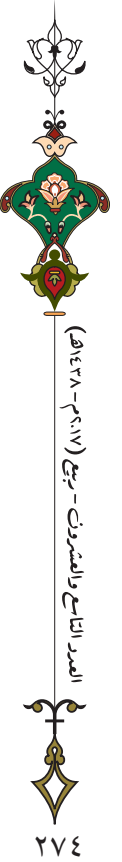
الوجود. ولا يكون العالم إلا حيث تكون اللّغة»^(٤). فاللّغة عنده كشف للمحتجب وهي تنطق الوجود^(٥)، ثمّ يرتفع درجة فلا يرى في هذا الكون إلّا اللّغة متخلّصاً من ثنائية اللّغة والوجود، فيقول: «إنّ الكائن البشريّ يتكلّم. وهو يتكلّم في حالة اليقظة وفي الحلم. إذن نحن نتكلّم باستمرار حتّى عندما لا نتفوّه بأيّ كلام، وحين نكون منصرفين إلى الاستماع أو القراءة. ولكن ما ينبغي أن نوضّحه هنا هو أنّ التّكلّم لا ينتج عن رغبة في الكلام سابقة على الكلام نفسه»^(٦)؛ ذلك لأنّ الكلام قبل كلّ شيء، وليس هناك إلّا الكلام، وما علينا إلّا الاستماع لهذا الكلام الأزيّ.

ولا يخفى أنّ هيدجر هنا يتّجه اتّجهاً

(٤) إنشاد المنادى قراءة في شعر هولدرن وتراكل. مارتن هيدجر. تلخيص وترجمة: بسّام حجار. المركز الثقافي العربيّ. بيروت. لبنان. ط ١. ١٩٩٤. ٥٨.

(٥) ينظر: الفلسفة المعاصرة من المكاسب إلى الإخفاقات. جمال مفرج. الدار العربيّة للعلوم ناشرون بيروت. منشورات الاختلاف الجزائر. ط ١. ٢٠٠٩. ٧٨.

(٦) إنشاد المنادى. ٧.



ما يؤكّد أنّ هذه الظّاهرة تضغط على فكر الإنسان، إلى أن تصبح شغله الشّاغل.

ويمكن الاستدلال على كون هذه الظّاهرة حقيقيّة عن طريق ابتداء مفهوم «الظّهور الدائم للفكرة»، فهذا المفهوم وسية للردّ على شبهة من يخالف هذا الرّأي، وهو وسيلة لإثبات أيّ حقيقة، فلولا أنّ ظاهرة من الظواهر حقيقيّة لما ظهرت بشكل دائم، ولظهرت مرّة واختلفت مرّات، وربّما لاندثرت مع من تبنّاها إلى الأبد.

إنّ الظّهور الدائم لفكرة الوحي هو الدليل على إثبات الوحي، ومن ثمّ يمكن تشبيه الوحي بالظواهر الطّبيعيّة: الرّياح والمطر والبرق والرّعد والزلازل والبراكين في تأثيره بملايين البشر كما يقرّر ذلك محمّد أركون^(٨). والظّاهراتيّة لا تهتمّ بالوحي بذاته وإنّما بتأثيره على البشر،

وطريقة تلقّيه، فيكون شكل الوحي هو المطلوب، وليس محتواه، فالمهمّ هو

(٨) ينظر: القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الدينيّ. محمّد أركون. ترجمة وتعليق: هاشم صالح. دار الطليعة. بيروت. لبنان. ط ٣. ٢٠١٢. ٩٨.

الانتقال من درجة غير المؤمن بالوحي إلى درجة المؤمن به لمن لم يكن مؤمناً، وإن كان مؤمناً فما يحدثه الوحي من رهبة وخشوع وبكاء وربّما يصل الحال إلى الموت كما سيأتي.

وما يهّمّ ليس المعاني التي ينطوي عليها الوحي القرآنيّ، مهما كانت سامية، وإنما ظاهر القرآن، أي لغته، وعلى وجه الخصوص نغمه الذي لا يقاوم. وهذا الظاهر العجيب ينبئ عن قدسيّته؛ لارتباطه بالله، فالمقدّس «... تقدّس لقرابته من الله»^(٩)، فالله تجلّى لمحمّد بهيأة النغم، كما تجلّى لموسى بهيأة النّار. والله لا يمنح نفسه إلا عبر تجلّياته وآثاره الخارجيّة؛ لاستحالة معرفته من حيث هو هو؛ لذلك نكون أمام تأثيره في الأشياء التي يتجلّى لنا عن طريقها: كالصّخر والشّجر والماء والنّجوم^(١٠).

(٩) الوحي والقرآن والنّبوة - في السيرة النبويّة. هشام جعيط. دار الطليعة. بيروت. لبنان. ط ٤. ٢٠٠٨. ١٠٧.

(١٠) ينظر: الوحي بين شروط وجوده وتحولاته. عائشة عجيبة. منشورات الجمل. بغداد. بيروت. لبنان. ط ١. ٢٠١٥. ١٦.

شيئاً ممّا يألفه النَّاسُ، «إِنَّ التَّشْكِيلاتِ الإيقاعيّةِ في -القرآن- ليست نتيجة يفرضها الوزن، لأنّه وببساطة لا يخضع للوزن ولا للقافية، وليست وليدة تيّارات فنيّة أدّت إلى ظهورها، وإنّما هي نابعة أساساً من طبيعة النّصّ القرآنيّ في غنائيّة الإعجازيّة، وفي ظلال مفرداته الوارفة، على الرّغم ممّا قد يتماسّ هذا النّصّ المقدّس مع النّصوص الأخرى ذات التّشكيلات الموسيقيّة التي نمّتها الفاعليّة الفنيّة العربيّة»^(١٣)، ولفرادة هذا النّغم القرآنيّ كان تأثير القرآن بالمتلقّي، «ويأخذ ترتيل النّصّ من الإنسان المسلم البسيط المنفعل في الحسّ الإيمانيّ أيّما مأخذ، حيث يشعر برهبة النّصّ المسموع لكونه النّصّ الإلهيّ الوحيد في وعيه، فيتناغم مع إيقاعاته نفسياً، ويشعر بالبشّر والفرح حينما تحمل الآيات المقروءة المشتملة على معنى البشريّ بطريقة فيها إجماع عالٍ، ويشعر

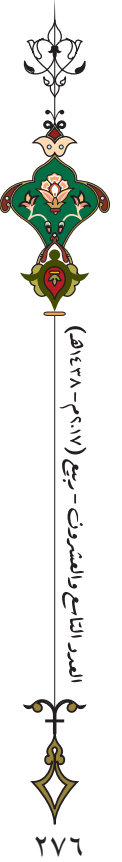
(١٣) جماليّة التّلقيّ في القرآن الكريم أدبيّة الإيقاع الإعجازيّ نموذجاً. شارف مزارى. اتّحاد الكتاب العرب. دمشق. ٢٠٠٩. ٩٣.

والله هو الأصل الذي انبثق منه كلّ شيء، وكلّ شيء يحنّ إلى العوده إلى أصله، والمخلوق يحنّ إلى أيّ شيء يذكّره بأصله، ولا تجد شيئاً يذكّر المخلوق بأصله كما النّغم، فهو يذكّره بالصّوت الأوّل بـ «كن فيكون»، والنّغم يُلغّي عن المخلوق وطأة المكان، ويجعله كائناتاً زمنيّاً،... والزّمانيّة هي عين الوجود»^(١١) كما يرى هيدجر. فيعيش المخلوق لحظته الماضيّة لحظة السّماع الأوّل، واللّحظة الماضيّة تجمع الذّكريّ والحنين، فسماع النّغم عوده لصوت قد فقدناه، وها هو يترجّع في آذاننا من جديد^(١٢).

إنّ النّغم القرآنيّ نغم فريد لا يُشبهه

(١١) الفلسفة الغربيّة المعاصرة صناعة العقل الغربيّ من مركزيّة الحدائث إلى التّشفير المزدوج. إشراف وتحرير: د. عليّ عبّود المحمداويّ. تأليف: مجموعة من الأكاديميّين العرب. تقديم: عليّ حرب. منشورات ضفاف بيروت. منشورات الاختلاف الجزائر. دار أوما بغداد. ط ١. ٢٠١٣. ج ١. ٧٢٣.

(١٢) ينظر: روح الموسيقى. سمير الحاجّ شاهين. المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر. بيروت. لبنان. ١٩٨٠. ٤٦.



القارئ أو السامع بعظمة الله حينما تنغم الآيات المشتملة على الفكرة بطريقة توحى بذلك، وحينما ينغم القارئ آيات الوعد والوعيد بطريقة مغايرة تتفق وموضوع الوعد والوعيد يشعر السامع بمزيد من الخوف...»^(١٤)، «وتتجلى فعالية الموسيقى القرآنية في أن السامع ينجذب نحو ما هو أبعد من الموسيقى، إلى تقديس النصّ وتعظيم الإيذان بالمعنى الذي يقدمه، فالخشوع لم ينبن على لحظة المعقول في النصّ، وإنما على الخوف وعلى سحر الموسيقى، وهذا ما يفسّر التّفاوت بين استسلام المسلم للقراءة المجوّدة للنصّ وبين تدبّر النصّ»^(١٥).

إنّ الاستماع إلى الموسيقى القرآنية يثير الانفعال والعاطفة، أمّا تدبّر النصّ فهو أمر عقليّ، والعاطفة مشتركة بين الناس، أما العقل فكلّ إنسان له نصيب منه قلّ أو كثر، وربّما وصل إنسان إلى معنى من المعاني، بينما إنسان آخر لا قدرة له على

(١٤) حاسّة السّمع في الخطاب الدّينيّ. جمال أبو الرّبّ. منشورات الجمل. بغداد. بيروت. ط. ١٤٤٠. ٢٠١٤.

(١٥) حاسّة السّمع. ١٤٩ - ١٥٠.

الوصول إلى هذا المعنى، وربّما نفذ إنسان بعقله إلى الأعماق السّحيقة، بينما آخر يبقى واقفاً عند السّطح. ويبقى المشترك الذي لا تفاوت فيه على نحو كبير هو الجانب العاطفيّ؛ لذلك كان التّركيز عليه هنا.

المبحث الثّاني:

شعريّة اللّغة القرآنيّة

مما لا شكّ فيه أنّ اللّغة القرآنيّة كانت أشبه شيء بالصّاعقة التي نزلت على العرب، فعلى الرّغم من أنّ العرب امتلكوا ناصية البلاغة، ولم يكن لهم إبداع إلا في مجال اللّغة ولا سيّما الشعر، الذي كان يمثّل عندهم اللّغة العليا، والشّاعر عند الجاهليّين كان يحظى بمنزلة قريبة من منزلة النبيّ عند الأمم الكتابيّة: اليهود والنّصارى، إلا أنّهم اعترفوا بعجزهم أمام هذه اللّغة الرّبّانيّة.

وتلقّى الجاهليّين للنصّ القرآنيّ دليل على عجزهم واعترافهم بتفوق لغته، ويمكن الاستدلال على ذلك من الرّوايات الواردة في هذا المجال. وسأذكر هنا مجموعة من الرّوايات:

ذلك، فأقام معه، فقال: ألا تحدّثني ما الذي أقدمك؟.

قال: إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت. ففعل، فأخبره. فقال: فإنه حقّ، وهو رسول الله ﷺ، فإذا أصبحت فاتبعني، فإنّي إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كأني أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني حتّى تدخل مدخلي.

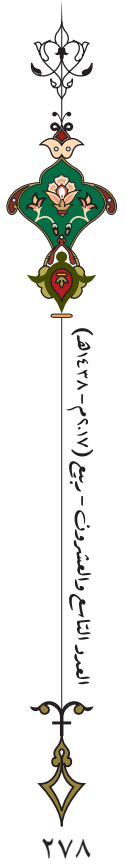
ففعل، فانطلق يقفوه، حتّى دخل على النبيّ ﷺ، ودخل معه، فسمع من قوله، وأسلم مكانه» (١٦).

الرّواية الثانية: عن أبي بكر وكيف كان المشركون يتخوّفون من تلاوته للقرآن، فقد قالت قريش لابن الدغنة: «مر أبا بكر، فليعبد ربّه في داره، فليصلّ فيها، وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلن به، فأنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا.

فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربّه في داره، ولا يستعلن بصلاته، ولا يقرأ في غير داره، ثمّ بدا لأبي بكر فاتبنتى مسجداً بفناء داره، (١٦) صحيح السيرة النبويّة. ٦١.

الرّواية الاولى: ما ورد في إسلام أبي ذرّ، قال ابن عباس: «ما بلغ أبا ذرّ مبعث النبيّ ﷺ قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي، فاعلم لي علم هذا الرّجل الذي يزعم أنّه نبيّ يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله، ثمّ اتّني. فانطلق الأخ حتّى قدمه وسمع من قوله، ثمّ رجع إلى أبي ذرّ فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاماً ما هو بالشّعور. فقال: ما شفيتني ممّا أردت.

فتزوّد، وحمل سنة له فيها ماء، حتّى قدم مكّة، فأتى المسجد، فالتمس رسول الله ﷺ ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه، حتّى أدركه بعض الليل (اضطجع) فراه عليّ فعرف أنّه غريب، فلمّا رآه تبعه، فلم يسأل واحد صاحبه عن شيء حتّى أصبح. ثمّ قام احتمال قربته وزاده إلى المسجد، وظلّ ذلك اليوم، ولا يراه النبيّ ﷺ حتّى أمسى، فعاد إلى مضجعه، فمرّ به عليّ فقال: أما أن للرّجل أن يعلم منزله؟. فأقامه، فذهب به معه، لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء، حتّى إذا كان يوم الثالث فعاد عليّ على مثل



وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فيتقدّف عليه نساء المشركين وأبنائهم يعجبون منه، وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفرغ ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم، فقالوا: «إنّا كنّا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربّه في داره، وإنّا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانه، فإن أحبّ أن يقتصر على أن يعبد ربّه في داره فعل، وإن أبا إلا أن يعلن بذلك فسله أن يردّ إليك ذمتك، فإنّا قد كرهنّا أن نخفرك، ولسنا بمقرّين لأبي بكر الاستعلان»^(١٧).

الرّواية الثالثة: وبلغ من تأثير القرآن أن آمن به التّجاشيّي عندما سمع من جعفر بن أبي طالب آيات منه، فعن أمّ سلمة زوج النّبيّ وقد كانت من بين المسلمين الأوائل المهاجرين إلى الحبشة أنّ التّجاشيّي قال لجعفر: «هل معك ممّا جاء به عن الله شيء؟». قالت: فقال له جعفر: نعم، قالت: فقال التّجاشيّي: فاقرأه، فقرأ عليه صدرًا من (كهيعص) قالت: فبكى

(١٧) صحيح السّيرة النّبويّة. ٩١.

التّجاشيّي، حتّى أخضل لحيته، وبكت أسافقته، حتّى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم. ثمّ قال التّجاشيّي: إنّ هذا والذي جاء به موسى لينخرج من مشكاة واحدة»^(١٨).

وقد قدّر لهذه اللّغة القرآنيّة أن تكون هي المعجزة التي خصّها الله نبيّه محمّداً، كما خصّ كلّ نبيّ بمعجزة، فقد خصّ موسى بالعصا التي تتحوّل إلى حيّة تسعى، وخصّ عيسى بإحياء الموتى، وكانت هذه المعجزات تتلاءم مع ثقافة الأمة التي يبعث الله لها نبيّاً، فقوم موسى اشتهروا بالسّحر، وقوم عيسى اشتهروا بالطّب، ومن هنا كان لزاماً أن تكون معجزة محمّد اللّغة، لأنّ اللّغة هي كلّ ما يتقنه العربيّ. قال أبو حيان التّوحيديّ متحدّثاً عن العرب: «وكان ولوعهم بالكلام أشدّ من ولعهم بكلّ شيء، وكلّ ولوع كان لهم بعد الكلام فإنّما كان بالكلام»^(١٩).

(١٨) صحيح السّيرة النّبويّة. ٧٥.
(١٩) مثالب الوزيرين. أبو حيان التّوحيديّ (٤١٤هـ). تحقيق: إبراهيم كيلانيّ. دار الفكر. دمشق. ١٩٦١. ٢٧٤.

المشرك سوى هذه اللغة. وقد وصل تأثيرها إلى الحد الذي لا يمكن لمخلوق - مهما كان جنس هذا المخلوق ونوعه - مقاومتها، كما ذكر القرآن: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة: ٦]، ﴿قُلْ أُوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [سورة الجن: ١]، ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [سورة الحشر: ٢١].

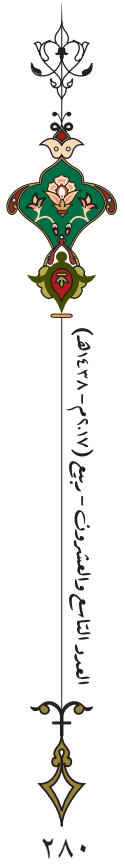
إن اللغة القرآنية بجماليتها المكثفة دليل على الذوق الفني العالي الذي كان يمتاز به العربي، كما يذكر زكي مبارك قائلاً: «ولنقيّد هنا أنّ القرآن في بلاغته إنّما كان يخاطب قومًا يفهمونه ويتذوّقونه. وفهم القرآن وتذوّقه لا يمكن أن يقع اتّفاقاً وبلا استعداد، بل لا بدّ من أن تكون عند الجماهير التي سمعته وتأثّرت به واعتنقت دينه ثقافة أدبيّة خاصّة»^(٢١)؛ لأنّ المستمع «... لا يستشعر

(٢١) النثر الفني في القرآن الرابع. زكي مبارك. ج ١. ٥٥-٥٦.

إنّ العربيّ كان يمتلك حسّاً لغويّاً مرهفاً، وكانت البلاغة تتفجّر من لسانه كما يتفجّر الماء من نبع؛ لذلك لم يكن دخول كثير من العرب في الدّين الجديد بسبب الحجج والبراهين التي ساقها النّبّي، ولا بسبب مواعظه ولا شخصيّته المحبّية، بل كان بسبب الانبهار باللّغة القرآنيّة، وكثيراً ما نقرأ في الروايات أنّ النّبّي عندما كان يشرع بقراءة القرآن يعلن الخضم إسلامه^(٢٠).

فاللغة القرآنية هي التي يعزى إليها دخول العرب في الدّين الجديد؛ لذلك كان المشركون يتخوّفون من الاستماع لهذه اللّغة المؤثّرة، كما ينقل القرآن ذلك: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْءَانَ وَالْعَوَّا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ [سورة فصلت: ٢٦]. فالغلبة المرجوة تكون بمقدار الابتعاد عن الاستماع إلى هذه اللّغة القرآنيّة، فلم يكن هناك ما يُخيف

(٢٠) ينظر: بلاغة النور جماليات النصّ القرآني. نفيذ كرمانيّ. ترجمة: محمّد أحمد منصور وآخرون. مراجعة: سعيد الغانميّ. منشورات الجمل. بغداد. بيروت. ط ١. ٣٨.٢٠٠٨.



حلاوة الأساليب ولا يدرك ما فيها من جمال إلا إذا كان صاحب ذوق رهيف، له بالأساليب الجميلة مودة وإلف من طول معاشرته وصحبة» (٢٢).

فلا غرابة في أن ينظر الجاهلي إلى القرآن بأنه شعر؛ لأنه لم يكن عنده جنس أدبي أعلى من جنس الشعر، ولم تكن عنده لغة أعلى من لغة الشعر، فالشعر عنده يعلو ولا يُعلَى عليه، قال أبو هلال العسكري: «وليس شيء من أصناف المنظومات يبلغ في قوة اللفظ منزلة الشعر» (٢٣). «أما مزاعم خصوم محمد بأن القرآن شعر على حد قولهم فليست من قبيل الجدال فقط، إذ لا بدّ أنّها قد عكست شعور الكثيرين بذلك. ليس لأنّ القرآن كان في نظر جمهور التلقي مطابقاً للشعر ولكن لأنّ الشعر (وغيره من أنواع

(٢٢) البلاغة الصوتية في القرآن الكريم. د. محمد إبراهيم شادي. مطبعة الرسالة. الدقي. مصر. ط. ١٩٨٨. ٦٣.

(٢٣) الصناعتين الكتابة والشعر. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (٣٩٥هـ). تحقيق: عليّ محمد الجاويّ ومحمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية. بيروت. ط. ٢٠٠٦. ١٢٦.

الخطاب الإلهامي) كان هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يُردّ إليه القرآن، أو عبارة أخرى فإنّ هذه الأنواع من الكلام هي أقلّ الأنواع اختلافاً عن القرآن» (٢٤).

فالتّظرة الجاهلية إلى القرآن بأنّه شعر لم تستبطن غضّاً من شأنه، ولا تعني أنّ النّصّ القرآنيّ كأبي قصيدة من القصائد، ولا تعني أنّ محمّداً كأبيّ شاعر من الشعراء، بل لم تخلّ من نظرة إعلاء من شأن القرآن، واعترافاً باختلافه عن أساليب الشعراء، «وما من عالم أو بليغ إلا وهو يعرف ذلك ويعدّ خروج القرآن من أساليب النّاس كافّة دليلاً على إعجازه» (٢٥).

ويبقى الأمر الجوهريّ في الاعتراف بخصوصية اللغة القرآنية، وبأنّها أمر إلهيّ، هو الاختلاف الواضح بينها وكلام النبيّ الذي لا يفترق كثيراً عن كلام النّاس على الرّغم من بلاغته، وهذه النّقطة من أقوى الأدلّة على الإعجاز، ومن أكثر النّقاط إبهاماً، ولا جواب لها عند جمهور

(٢٤) بلاغة النور. ١٤٢.

(٢٥) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. مصطفى صادق الرافعيّ. المكتبة التجارية الكبرى. مصر. ط. ١٩٦٥. ٢٢٩.

أَنَّ الخلق يكون بالكلمة: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ: إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة يس: ٨٢].

ومن هنا كان اللقاء بين الشعر والسحر في النظرة العربية القديمة، في منابع الموهبة ومصادر الإلهام، فكل من السّاحر والشّاعر شخص ملهم يوحى إليه ويستمدّ سلطانه من قوى غير منظورة، ويعيش على شفا عالمين: عالم الجنّ وعالم الأنسن، عالم الغيب وعالم الشّهادة، يشاركها هذه المنزلة طرف ثالث هو الكاهن، وعلى الرّغم من الالتباس الكبير أحياناً بين هذه الأطراف الثلاثة التي قد يجمعها الشّخص نفسه، والتي يكتنفها عالم عجيب مليء بالتهديد والإثارة السّحرية، فإنّ مصادر الإلهام تختلف: فملهم السّاحر "جنّي" وملهم الشّاعر "شيطان" وملهم الكاهن "رئي" (٢٨).

تعلّق الشعوب الشّرقية أهميّة كبرى على معرفة الأسماء، وعلى معرفة كيفية

(٢٨) ينظر: الشعر والسحر. الدكتور مبروك

المناعي. دار الغرب الإسلامي. بيروت.

ط١٠٤.٢٠٠٤.٦٥.

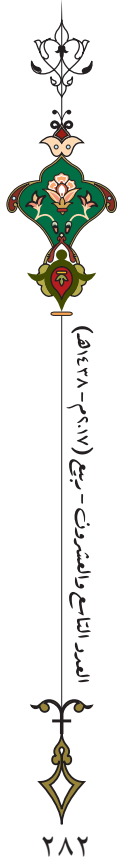
المستشرقين، «إن الاختلاف بين لغة النبيّ الخاصّة به التي كان يستعملها عندما يدعو النّاس إلى الإسلام وبين لغة القرآن في المصادر الأولى هو أمر غريب مثير، فلا تُنسب صفة الجمال على نحو جليّ إلاّ للقرآن» (٢٦). فلم يكن التّحدّي بكلام الرّسول، وإنّما بكلام الوحي الذي لا علاقة للنبيّ به إلا من حيث كونه واسطة لنقله إلى النّاس.

المبحث الثالث: سحر الكلمة

لم يُنظر إلى اللّغة عند الشعوب القديمة نظرة نفعيّة، على أساس كونها أداة لتحقيق التّواصل الاجتماعيّ، بل نظروا إليها نظرة تقديسيّة، فالكلمة عندهم أداة خلق وإيجاد، والاعتقاد في أنّ الكلمة أداة خلق روّجت له الكتب السماويّة، فالكلمة أصل كلّ شيء ومبدؤه، والله - وهو القوّة الخالقة - إنّما هو كلمة، وفي أولى آيات الإنجيل نقرأ: «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله» (٢٧)، وفي القرآن

(٢٦) بلاغة النور. ٤٤.

(٢٧) إنجيل يوحنا. الإصحاح الأوّل. ١.



استعمالها وذكرها، فالأسماء في اعتقادهم لها قدرات سحرية، وهي ضرورية لكل من الأحياء والأموات على السواء. واعتقدوا بأنه لو عرف إنسان اسم إله أو شيطان، فناداه به، فإن الله أو الشيطان سيستجيب لأوامره، كذلك معرفة إنسان ما، تجعل الجارّ مثلاً قادراً على فعل الخير أو الشر لصاحب الاسم، فالاسم الذي هو موضوع اللعنة، يجلب الشر لصاحبه، والاسم موضوع البركة أو صلوات الخير، يمنح صاحبه الطيبات^(٢٩).

وفي ضوء هذه النظرة تكون الكلمة موجودة وجوداً مستقلاً عن الإنسان، فليس الإنسان هو الذي أوجد اللغة، بل اللغة هي التي أوجدت الإنسان وسواه، أي أنّ دور اللغة في هذه الحال ليس تسمية الأشياء، وإنما إيجادها، فالكلمة تُشير بنحوٍ من الأنحاء إلى القدرة المطلقة، والشعر يعني وفقاً لهذه النظرة: «المثول دائماً في حضرة الألهة والإحساس بالقرب

(٢٩) ينظر: السحر في مصر القديمة. وليس بدج. ترجمة: د. عبد الهادي عبد الرحمن. سينا للنشر لندن. الانتشار العربي بيروت. ١٤٣.١٩٩٨. ١٤٣.

الجوهري للأشياء»^(٣٠)، وليس الشعراء: «... إلا ناطقين باسم الألهة»^(٣١)

ولرسوخ هذه النظرة التقديسية للكلمة لم يستطع الفكر النقدي الحديث أن يتخلص منها، فكان هناك صراع بين نظرتين متناقضتين، «وأنّ الذي يتصدى اليوم إلى البحث في الشعر بحثاً نظرياً لا بدّ له من أن يستخدم نتائج اللسانيات - وهي نتائج ذات صبغة علمية وصفية - كان البحث المؤدي إليها مستنداً إلى نظرة لا تقول "بقداسة" اللغة و "نجاعة" الكلمة واتّحاد اللفظ والمعنى. ولكنّ في البحث النظري والنقدي في الشعر، حتّى في خضمّ ازدهار البحث اللساني وبعده، مشادة واضحة وازدواجاً - في التّصوّر وفي الخطاب معاً - بين نمطين من التّناول ومن التّفكير نمط "وصلي" ونمط "فصلي": النمط الوصلي يرى أنّ اللفظ لا يُحيل على شيء خارجه بل يتهاهى بالشّيء

(٣٠) إنشاد المنادي. ٦٤.

(٣١) الأنطولوجيا هيرمينوطيقا الواقعية. مارتن هيدجر. ترجمة وتقديم وتعليق: د. عمارة الناصر. منشورات الجمل. بغداد. بيروت. ط ١. ٢٠١٥. ٤١.

أَلَيْتَهَا وَالشَّعْرُ مِنْ عُقْدِ السَّحْرِ
إِلَى أَنْ أَجَابَتْ لِلوَصَالِ وَأَقْبَلَتْ

على غيرِ ميعادٍ إِيَّيَّ مع العصر^(٣٤)
لذلك لا غرابة في أن يصف الوليد
بن المغيرة أعلم أهل قريش بفنون الكلام
القرآن بأنه سحر؛ لأثره الذي لا يقاوم،
فعن ابن عباس: «أنَّ الوليد بن المغيرة جاء
رسول الله ﷺ، فقرأ عليه القرآن، فكأنه
رقد له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال:
ياعمم، إنَّ قومك يريدون أن يجمعوا
لك ما لا فقال: لم؟ قال: ليعطوكه، فإنك
أتيت محمداً لتعرض ما قبله.

قال: قد علمت قريش أني من أكثرها
مالأ.

قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك إنك
منكر له.

قال: وماذا أقول؟ فوالله ما منكم
رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم
برجزه، ولا بقصيده مني، ولا بأشعار
الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من

(٣٤) ديوان أبي نواس، تحقيق: عبد المجيد

الغزالي. دار الكتاب العربي. بيروت.

٢٦٤. ١٩٨٤.

تماماً فيصير وإياه واحداً ومن ثم يفقد
طابعه الاعتباطي التواضعي وتتفني
المسافة بينه وبين المرجع الذي يُحيل عليه
فإذا هو هو. أمّا النمط الفصلي فيقول
باعتباطية العلامة اللغوية وبطابعها
التواضعي ويكون التمايز بين الكلمة
ومرجعها أمراً مفروغاً منه^(٣٢).

تشترك اللغة السحرية مع اللغة
الشعرية بمجموعة مشتركات، «ومناط
اللقاء بين الخطابين السحري والشعري
في هذا المستوى أن كليهما يستخدم
الصدى الصوتي في تحقيق الانسجام بين
الدوال والمدلولات ويُعوّل على كثافة
اللغة وضباب العبارة عبر استهلاك
الإرادة في الحدث اللغوي المنظم بحسب
إجراءات معيّنة^(٣٣). والجانب الصوتي
هو المعوّل عليه هنا؛ لأثره الذي لا يمكن
التغافل عنه، وربّما لهذا الأثر الصوتي
العجيب كان يُشير أبو نواس، فيشبهه
الشعر بـ «عقد السحر»:

فما زلتُ بالأشعارِ في كلِّ مشهدٍ

(٣٢) الشعر والسحر. ١١.

(٣٣) الشعر والسحر. ٤٠.

هذا، والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، معدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه.

قال: قف عني حتى أفكر فيه، فلما فكر، قال: إن هذا إلا سحريوثر^(٣٥). فلم يجد الوليد بن المغيرة شيئاً يليق بالقرآن من شبهة السحر، لأنَّ السحر يُفَرَّقُ به بين المرء وزوجه، وبين الولد ووالديه، ويؤثر في النفوس، وهذا أقرب شيء إلى لغة القرآن التي تجعل من مستمعها مسلوب الإرادة، فارغ الفؤاد.

المبحث الرابع: الغناء والقرآن

الغناء في اللغة «من الصوت: ما طرَّبَ به»^(٣٦)، وفي الاصطلاح «انتظام الأصوات في زمن معين ومسافات

(٣٥) صحيح السيرة النبوية. ٥٨.

(٣٦) القاموس المحيط. العلامة محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروزبادي (٧١٨هـ). تحقيق وتقديم: د. يحيى مراد. مؤسسة المختار. القاهرة. ط ١. ٢٠٠٨. مادة (غني). ١٢٦٤.

متوازنة»^(٣٧). و الرابطة بين الشعر والغناء رابطة وثيقة، وفي مجال الغناء إن أمكن الاستغناء عن الآلات الموسيقية فلا يمكن الاستغناء عن الكلمات بأي حال من الأحوال، فالشعر هو الأساس الذي يرتكز عليه الغناء، «فمنذ أديون وأرفيوس وحتى عزرا باوند وجون بيريمان يظلُّ الشاعر منتجاً للأغاني ومغنياً للكلمات»^(٣٨).

وقد كان الغناء أيضاً منظوراً إليه نظرة عجائبية مرتبطة بالجن، وكان الشعر عند العرب -كرقى السحرة- إنشاداً، ومن المعلوم أنَّ للإنشاد أثراً في إحداث الظواهر النفسية وتحرير المشاعر والانفعالات المكبوتة وتحريك البواطن، والغناء ضروري في احتفالية السحر والشعر والاحتفالات الروحية، ويُطلق المكبوت. والمشارك بين السحر والشعر في هذا المستوى هو ذلك الأثر العجيب

(٣٧) جمالية الموسيقى في النص القرآني. د. كمال أحمد غنيم و أ. رائد الداية. مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية. المجلد العشرون. العدد الثاني. ٢٠١٢. ٢٠١٢. (٣٨) بلاغة النور. ٢٤٤.

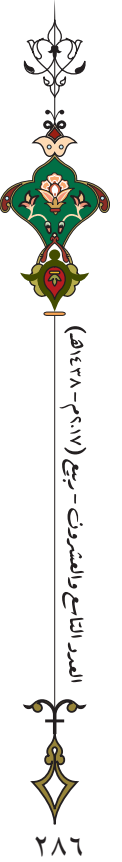
(والتطريب) وهو أن يترنم بالقرآن ويتنغم به فيمدّ في غير مواضع المدّ ويزيد في المدّ إن أصاب موضعه. (والتحزين) وهو أن يأتي بالقراءة على وجه حزين يكاد يُكي مع خشوع وخضوع، ثمّ (التريد) وهو ردّ الجماعة على القارئ في ختام قراءته بلحن واجد على وجه من تلك الوجوه^(٤١). ويقترّب القرآن المجوّد من فنّ الموسيقى الكلاسيكيّ في استعمال سلّمه الموسيقيّ وفي بناء محطّاته وتلحينها المتنوع، وكذلك في رؤيته التلحينيّة ذات النبر والنغمة المنظّمة دون أن يتطابق معها. وقد نتجت الفروق بينه وبين الغناء الدنيويّ من التقديس الدنييّ الخاصّ بالقرآن الكريم، فهو يؤدّي إلى تطابق سليم واضح لكلّ مقطع على حدة ومراعاة قواعد النطق الخاصّة بالقرآن كذلك التي تختصّ بالسواكن وإمكانية دمجها مع حرف آخر، في حين أنّ مغني الأغنية الفنيّة تكون له الحرّيّة في أن يُعيّر بعض حروف النصّ مراعاة للنغمة والوزن المقصود لدرجة أن النصّ

(٤١) إعجاز القرآن. ٥٩.

الذي يمارسه الخطاب الشفاهي المنغم، والذي يجعل البيان سحراً^(٣٩). والغناء ممّا تحنّ إليه كلّ نفس، ولم يغفله الوحي، وهذا ما يجده كلّ من يقرأ القرآن، أو يستمع له، «ولم يستغرب من الجمع أحد من أنّ التغمّي فيه كائن حقّاً، لأنهم جميعاً مدركون أنّ كلماته المنظومة مرصوفة، وموزونة بجرسها، ومرصوفة بصوتها، وتناسب حركاتها، وقد سُمعت ولها في القلب مكان...»^(٤٠)؛ لذلك راح المسلمون يتفنّنون بقراءة القرآن، على طريقة الأغاني، «ومّا ابتدع في القراءة والأداء، هذا التلحين الذي بقي إلى اليوم يتناقله المفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم ويقراءون به على ما يُشبه الإقناع وهو الغناء التقيّ.. ومن أنواعه عندهم في اقسام النغم (التريد) وهو أن يردد القارئ صوته. قالوا كأنه يرعد من البرد أو الألم... (والتريص) وهو أن يروم السكوت على الساكن ثمّ ينقر مع الحركة كأنه في عدو أو هرولة؛

(٣٩) الشعر والسحر. ٥٣.

(٤٠) جماليّة الموسيقى في النصّ القرآني. ٣.



قد يُصبح غير مفهوم. ولكن أصول علم التجويد تؤكد على أن النّص المقدّس لن يغرق ويزوب في هذا التّلحين البشريّ، كما أنّه يشترط في الوقت نفسه نعمة معيّنة تتمكّن من الصّمود باستقلال أمام الاعتبارات التّلحينية الأخرى وهي غير موجودة في فنّ الغناء^(٤٢).

إنّ لقراءة القرآن على طريقة الغناء وقعها المؤثر في نفس المستمع، وفي كثير من الأحيان يحدث هذا الأثر من غير أن يكون المستمع متنبهاً إلى المعاني القرآنيّة، وهذا شبيه بمن يُصغي إلى أغنية أجنبيّة لا يعرف لغتها، ولكنّه يتأثر بموسيقاها ولحنها، وشبيه بحالة الطّفل الرّضيع الذي يُصغي إلى صوت أمّه وهي تقصّ عليه الحكايا، فيُصغي لصوت أمّه ويغفو، ولا يفقه شيئاً من الحكايا. والبعد الظّاهراتي في الموسيقى القرآنيّة أنّ هذه الموسيقى لا تُشبه شيئاً ممّا يألّفه النّاس، فهي موسيقى تستلب الرّوح استلاباً، وتنفذ إلى القلب من غير استئذان، وتجعل الخيال ينداح في سياحة

(٤٢) ينظر: بلاغة النور. ٢٥١-٢٥٢.

مُلذّة، ولا يملك الإنسان قدرة على دفعها؛ وربّما لهذا السّبب كان الجاهليّ يتخوّف من الاستماع إلى هذا القرآن؛ لأنّه ما أن يُصغي إليه يجد نفسه قد وقع أسير حبّه، بعد أن كان قالياً له.

المبحث الخامس: جرس القرآن

الجرس لغة هو الصّوت والتّغم والحروف كلّها مجروسة إلا أحرف اللّين^(٤٣)، وهو كذلك في المصطلح التّقدي^(٤٤). والجرس كما يكون في الشّعْر يكون في التّثر أيضاً، ويمكن أن يضبط بالسّماع والدّوق^(٤٥). والجرس هو الأساس في المفاضلة بين الألفاظ عند العرب كما يقول الدّكتور جميل سعيد:

(٤٣) أساس البلاغة. جار الله الزّخشي (ت٥٣٨هـ). دار إحياء التّراث العربيّ. بيروت. لبنان. ط١. ٢٠٠١. مادة (جرس). ١٠٠.

(٤٤) ينظر: جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغيّ والتّقديّ عند العرب. الدّكتور ماهر مهديّ هلال. دار الرّشيد للنّشر. ١٩٨٠. ١٣.

(٤٥) ينظر: جماليّات الصّوت. عبد العزيز إبراهيم. كتاب الأفلام. بغداد. العراق. ط١. ٢٠١٥. ٣٦.

وما أشبه ذلك، ممّا لا تعلق له بصريح اللفظ»^(٤٨). وإلحاق عبد القاهر على جانب المعنى وإغفاله جرس الألفاظ لا مسوّغ له، ويخالف الواقع وإجماع الأدباء ونقاد الأدب، كما يقول الدكتور إبراهيم أنيس: «فجمال الجرس في الألفاظ أمر معترف به بين أهل الأدب ونقادهم في كلّ الأمم»^(٤٩).

هناك فرق بين مصطلح الفصاحة ومصطلح البلاغة عند العرب، فمصطلح الفصاحة يرتبط باللفظ، أمّا مصطلح البلاغة فيرتبط بالمعنى. قال أبو هلال: «ومن الدليل على أنّ الفصاحة تتضمن اللفظ، والبلاغة تتناول المعنى أنّ البيغاء يُسمّى فصيحاً، ولا يُسمّى بليغاً، إذ هو مقيم الحروف وليس له قصدٌ إلى المعنى الذي يُؤدّيه»^(٥٠). وقال ابن سنان:

(٤٨) دلائل الإعجاز. عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ). قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمّد شاكر. مطبعة المدني. القاهرة. مصر، ٣. ١٩٩٢. ٤٦.

(٤٩) موسيقى الشعر. د. إبراهيم أنيس. مكتبة الأنجلو المصرية. ط ٢. ١٩٥٢. ٣٠٦.

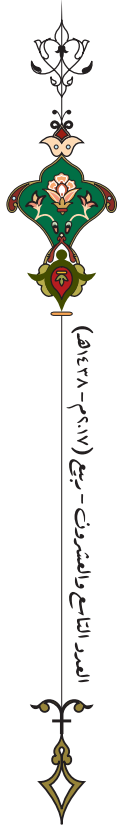
(٥٠) الصناعتين. ١٤.

«وقد جعلوا المفاضلة بين لفظة وأخرى ممّا يخصّ الفصاحة، لأنّ المفاضلة بين لفظتين إنّما تكون في جرسهما أو صوتهما لا في دلالتها على المعنى»^(٤٦).

إلا أنّ عبد القاهر الجرجاني رأى عكس ذلك، فقال: «إذا رأيت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعراً أو يستجيد نثراً، ثمّ يجعل الثناء عليه من حيث اللفظ فيقول: حلو رشيق، وحسن أنيق، وعذب سائغ، وخلوب رائع، فاعلم أنّه ليس ينبئك عن أحوال ترجع إلى أجراس الحروف»^(٤٧). وقال في كتاب آخر: «فقد اتّضح إذن اتّضحاً لا يدع للشكّ مجالاً، أنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأنّ الفضيلة وخلافها، في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها،

(٤٦) دروس في البلاغة وتطوّرها. الدكتور جميل سعيد. مطبعة المعارف. بغداد. ١٩٥١. ١٠٧.

(٤٧) أسرار البلاغة. عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ). قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمّد شاكر. مطبعة المدني. القاهرة. مصر. ط ١. ١٩٩١. ٥-٦.



ونحوها، مما هو بلاغة الصّوت في لغة الموسيقى»^(٥٣).

ويعلي الرّافعيّ من شأن الصّوت إلى درجة أنّه يجعل من كلّ شيء صوتاً، ويقسم الأصوات على ثلاثة أنحاء:

١. صوت النّفس: وهو الصّوت الموسيقيّ الذي يكون من تأليف النغم بالحروف ومخارجها وحركاتها ومواقع ذلك من تركيب الكلام ونظمه على طريقة متساوقة وعلى نضدٍ متساوٍ، بحيث تكون الكلمة كأنّها خطوة للمعنى في سبيله إلى النّفس، إن وقف عندها هذا المعنى قطع به.

٢. صوت العقل: وهو الصّوت المعنويّ الذي يكون من لطائف التّركيب في جملة الكلام، ومن الوجوه البيانيّة التي يداورُ بها المعنى، لا يخطئ طريق النّفس من أيّ الجهات انتحى.

٣. صوت الحسّ: وهو أبلغهنّ شأنًا، لا يكون إلا من دقة التّصوّر المعنويّ، والإبـداع في تلوين الخطاب،

(٥٣) إعجاز القرآن. ٢٤٥.

والفرق بين الفصاحة والبلاغة أنّ الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ، والبلاغة لا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعاني»^(٥١). وهذا إن دلّ على شيء فإنّها يدلّ على أنّ: «الفصاحة بالمعنى الاصطلاحيّ القديم، كان يُراد بها رنين الألفاظ. وهذا قريب من مرادنا بكلمة الجرس»^(٥٢). «وليس يخفى أنّ مادّة الصّوت هي مظهر الانفعال النّفسيّ، وأنّ هذا الانفعال بطبيعته إنّما هو سبب في تنويع الصّوت، بما يُخرجه فيه مدّاً أو غنة أو ليناً أو شدة، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النّفس من أصولها؛ ثم هو يجعل الصّوت إلى الإيجاز والاجتماع؛ أو الاطناب والبسط، بمقدار ما يكسبه من الحدوة والارتفاع والاهتزاز وبعد المدى

(٥١) سرّ الفصاحة. أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن سعيد بن سنان الخفاجيّ الحليّ (ت ٤٦٦هـ). دار الكتب العلميّة. بيروت. لبنان. ط ١. ١٩٨٢. ٥٩.

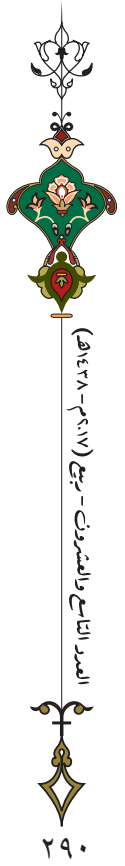
(٥٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها. عبد الله الطيّب. دار الآثار الإسلاميّة. الكويت. ط ٣. ١٩٨٩. ج ٢. ١٣.

بغيره أو اقحم معه حرف آخر، كان ذلك خللاً بيّناً، أو ضعفاً ظاهراً في نسق الوزن وجرس النغمة، وفي حسّ السمع وذوق اللسان، وفي انسجام العبارة وبراعة المخرج وتساند الحروف وإفشاء بعضها إلى بعض»^(٥٥).

إنّ جماليّة الجرس القرآنيّ هي نقطة الاستهواء، فالسامع لا تشدّه المعاني كثيراً، بل ربّما تنفّره، لا سيّما إذا كانت هذه المعاني تتناقض مع عقائده التي يتبناها، فالقرآن طرح عقيدة التوحيد، في حين كان العرب المشركون يؤمنون بتعدّد الآلهة، والقرآن طرح عقيدة البعث، في حين كان العرب المشركون لا يؤمنون إلا بالحياة الدّنيا، ويعدّون الموت فناً، لكنّهم انجذبوا إلى القرآن من جهة الصّوت لا المعنى، حتّى إذا أخذ القرآن بمجامع قلوبهم نفذوا بعد ذلك إلى المعاني القرآنيّة، وتأملوها مليّاً. وسأذكر هنا مجموعة من الروايات وردت في كتاب أصول الكافي تبين أثر الجرس القرآنيّ في المتلقّي، وتبين منزلة

ومجاذبة النّفس مرّة وموادعتها مرّة، واستيلائه على محضها بما يُورّد عليها من وجوه البيان، أو يسوق إليها من طرائف المعاني، يدّعها من موافقته والإيثار له كأنّها هي التي تُحاول أن يتّصل أثرها بالكلام، إذ يكون قد استحوذ عليها وانفرد منها بالهوى والاستجابة»^(٥٤).

بل إنّ الرّافعي يُصرّح بأنّ جرس القرآن هو مكنن الإعجاز فيه، يقول: «وهذه هي طريقة الاستهواء الصّوتيّ في اللّغة، وأثرها طبيعيّ في كلّ نفس، فهي تشبه في القرآن الكريم أن تكون صوت إعجازه الذي يخاطب به كلّ نفس تفهمه، وكلّ نفس لا تفهمه، ثمّ لا يجد من النّفوس على أيّ حال إلا الإقرار والاستجابة؛ ولو نزل القرآن بغيرها لكان ضرباً من الكلام البليغ الذي لا يُطمع فيه أو في أكثره، ولما وجد فيه أثر يتعدّى أهل هذه اللّغة العربيّة إلى أهل اللّغات الأخرى، ولكنّه انفرد بهذا الوجه للعجز، فتألّفت كلماته من حروف لو سقط واحد منها أو أبدل



الصَّوت الجميل، وبأيّ نعمة يجب أن يقرأ القرآن:

الرّواية الأولى: «عن الزّهريّ قال: قال عليّ ابن الحسين عليه السلام: لو مات من بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي. وكان عليه السلام إذا قرأ «مالك يوم الدين» يكرّرها حتى كاد أن يموت» (٥٦).

الرّواية الثّانية: «قال حفص: فما رأيت أحداً أشدّ خوفاً على نفسه من موسى بن جعفر عليه السلام ولا أرجأ الناس منه وكانت قراءته حزناً، فإذا قرأ فكأنه يخاطب إنساناً» (٥٧).

الرّواية الثّالثة: «عن أبي عبد الله قال: إنّ القرآن نزل بالحزن فاقرؤوه بالحزن» (٥٨).

الرّواية الرّابعة: «عن محمّد بن حسن

(٥٦) الأصول من الكافي. أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكلينيّ الرّازيّ (٣٢٨هـ). صحّحه وعلّق عليه: عليّ أكبر الغفاريّ. دار الكتب الإسلاميّة. طهران.

١٣٨٣هـ ش. ج. ٢. ٦٠٢.

(٥٧) الأصول من الكافي. ج. ٢. ٦٠٦.

(٥٨) الأصول من الكافي. ج. ٢. ٦١٤.

بن شمون قال: حدّثني عليّ بن محمّد النوفليّ، عن أبي الحسن عليه السلام قال: ذكرت الصّوت عنده فقال: إنّ عليّ بن الحسين عليه السلام كان يقرأ فرّبما مرّ به المارّ فصعق من حسن صوته وإنّ الإمام لو أظهر من ذلك شيئاً لما احتمله النّاس من حسنه، قلت: ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يصليّ بالنّاس ويرفع صوته بالقرآن، فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يحمل النّاس من خلفه ما يُطيّقون» (٥٩).

الرّواية الخامسة: «عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى موسى ابن عمران عليه السلام: إذا وقفت بين يديّ فقف موقف الدّليل الفقير وإذا قرأت التّوراة فاسمعنيها بصوت حزين» (٦٠).

الرّواية السّادسة: «عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لم يُعط أمّتي أقلّ من ثلاث: الجمال والصّوت الحسن والحفظ» (٦١).

الرّواية السّابعة: «عن أبي عبد الله عليه السلام

(٥٩) الأصول من الكافي. ج. ٢. ٦١٥.

(٦٠) الأصول من الكافي. ج. ٢. ٦١٥.

(٦١) الأصول من الكافي. ج. ٢. ٦١٥.



إذا ذكروا شيئاً من القرآن أو حدثوا به صعق أحدهم حتى يرى أن أحدهم لو قطعت يده أو رجلاه لم يشعر بذلك؟. فقال: سبحان الله ذاك من الشيطان ما بهذا نعتوا إنما هو اللين والرقة والدمعة والوجل» (٦٧).

ولمنزلة الصوت الجميل ورد في الحديث: «الله أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة إلى قينته» (٦٨)، «أي أن الله لا يستمع لشيء كما يستمع إلى الصوت الجميل، وإذا كان الله يُعجب بالصوت الجميل فمن باب أولى أن ينذهل المخلوق إذا ما استمع إلى كلام الخالق» (٦٩)، ومن هنا روي أن الله تعالى قد خاطب «... الذرّ في الميثاق الأوّل بقوله: أأنت

(٦٧) الأصول من الكافي. ج ٢. ٦١٦-٦١٧.
(٦٨) السماع لابن القيسراني (ت ٥٠٧)، تحقيق: أبو الوفاء المرعشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، ٢٠٠٣. ص ٤٠-٤١.

(٦٩) المعنى الشعري عند محيي الدين بن عربي في ترجمان الأشواق. د. عباس صادق عبد الصّاحب. دار ومكتبة البصائر بيروت. دار المدينة الفاضلة بغداد. ط ١. ٢٠١٤. ٢٨١.

قال: قال النبي ﷺ: إن من أجمل الجمال الشعر الحسن ونغمة الصوت الحسن» (٦٢).

الرواية الثامنة: «عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبي ﷺ: لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن» (٦٣).

الرواية التاسعة: «عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما بعث الله عز وجل نبياً إلا حسن الصوت» (٦٤).

الرواية العاشرة: «عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان علي بن الحسين صلوات الله عليه أحسن الناس صوتاً بالقرآن وكان السقّاءون يمرّون فيقفون ببابه يسمعون قراءته، وكان أبو جعفر عليه السلام أحسن الناس صوتاً» (٦٥).

الرواية الحادية عشرة: عن أبي جعفر عليه السلام: «... إن الله عز وجل يحب الصوت الحسن يرجع فيه ترجيعاً» (٦٦).

الرواية الثانية عشرة: «عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: إن قوماً

(٦٢) الأصول من الكافي. ج ٢. ٦١٥.
(٦٣) الأصول من الكافي. ج ٢. ٦١٥.
(٦٤) الأصول من الكافي. ج ٢. ٦١٦.
(٦٥) الأصول من الكافي. ج ٢. ٦١٦.
(٦٦) الأصول من الكافي. ج ٢. ٦١٦.

بربكم، واستفرغت عذوبة سماع ذلك الكلام الأرواح.. فلذلك كانت تطرب وتحرك كلما سمعت أمراً مطرباً، لأنه يُذكرها بالسماع الأول»^(٧٠). والسماع عند الصوفيّة على ضربين «فطائفة سمعت الكلام فاستخرجت منه عبرة وهذا لا يُسمع إلا بالتمييز وحضور القلب، وطائفة سمعت التّغمة وهي قوت الرّوح فإذا ظفر الرّوح بقوته أشرف على مقامه وأعرض عن تدبير الجسم فظهر عند ذلك من المستمع الاضطراب والحركة»^(٧١).

وقد جعل الله هذا الطّريق -أي طريق الجرس -معبراً لبلوغ الحقائق الإلهية، «فلا سبيل إلى انكشاف المرتبة الإلهية إلا بعد سماع صلصلة الجرس»^(٧٢).

(٧٠) الأنوار القدسيّة في معرفة قواعد الصّوفيّة، عبد الوهّاب الشّعرايّ (ت ٩٧٣)، تحقيق: طه عبد الباقي سرور و السيّد محمّد عيد الشّافعيّ، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ١٩٨٨. ج ٢، ص ١٧٩.

(٧١) التّعرف لمذهب أهل التّصوّف. الإمام أبو بكر محمّد بن إسحاق البخاريّ الكلاباذي (٣٨٠هـ). تحقيق: آرثر جون آربري. السورّاق. بغداد. ط ١. ٢٠١٠. ٢٤٤.

(٧٢) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر

وقد كان الوحي يأتي إلى النبيّ في مثل صلصلة الجرس، فعن عائشة زوج النبيّ أن الحارث بن هشام سأل النبيّ فقال: «يارسول الله كيف يأتيك الوحي؟». فقال رسول الله ﷺ: أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني، وقد وعيت ما قال»^(٧٣)، فصلصلة الجرس تؤدّي إلى الانتباه بعد غفلة، وإلى التّيقّظ بعد نوم، وإلى الاهتمام بعد ضلالة، وهي القنطرة لبلوغ الحقائق الإلهية.

المبحث السادس: التّكرار القرآنيّ

للتّكرار أهميّة بالغة في الشّعْر، ولا يمكن الاستغناء عنه، وهو أحد مقومات الإيقاع فيه، و «... تعلق الشعراء بهذا الصّرب من فنون الكلام كان لأمر يحسّه الشاعر في ترجيع ذات اللفظ وما يؤدّيه هذا التّرجيع من تناغم الجرس وتقويته»^(٧٤). «ومن المعلوم أن للتّكرار

والأوائل. الشّيخ عبد الكريم

الجيليّ (٨٠٥هـ). منشورات الجمل. بغداد،

بيروت، ط ١. ٢٠١٣. ١٦٣.

(٧٣) صحيح السيرة النبويّة. ٥٢.

(٧٤) جرس الألفاظ. ٢٦٣.

التكرار، في حقيقته، إلحاح على جهة هامة في العبارة يعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها. وهذا هو القانون الأول البسيط الذي نلمسه كامناً في كل تكرار يخطر على البال. فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها» (٧٦).

القانون الثاني: قانون التوازن، فتقول عنه: «وثاني قاعدة نستخلصها هي أن التكرار يخضع للقوانين الخفية التي تتحكم في العبارة، وأحدها قانون التوازن. ففي كل عبارة طبيعية نوع من التوازن الدقيق الخفي الذي ينبغي أن يُحافظ عليه الشاعر في الحالات كلها. إنَّ للعبارة الموزونة كياناً ومركز ثقل وأطرافاً، وهي تخضع لنوع من الهندسة اللفظية الدقيقة التي لا بد للشاعر أن يعيها وهو يدخل التكرار على بعض مناطقها» (٧٧).

وفي القرآن نجد التكرار حاضراً

(٧٦) قضايا الشعر المعاصر. نازك الملائكة. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان. ط ١٤. ٢٠٠٧. ٢٧٦.

(٧٧) قضايا الشعر المعاصر. ٢٧٧-٢٧٨.

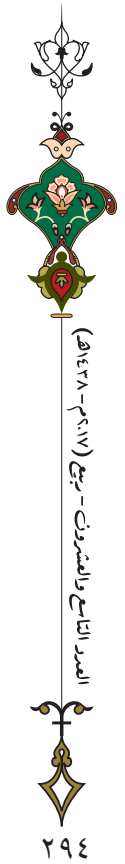
أهمية قصوى في عمل الشعر مطلقاً: فهو من أبرز مقوماته الفنية والمعنوية، ثم إن له فيه - فيما يتصل بزاوية النظر التي ننظر منها إلى الشعر في مقامنا هذا - قيمة بالغة تتصل بكونه، شأنه شأن جميع أشكال الانتظام البشري، لا يستمد دلالاته إلا من السياق المعقد الذي يندرج ضمنه. هذا السياق ينيط به في تجربة الشعر العربي، على ما يبدو لنا، وظيفتين على الأقل: إحداهما وظيفة تأكيد وإلحاح... أما الوظيفة الثانية للتكرار، في المقام الذي نحن فيه، فهي وظيفة التعزيز أو الرقية اللفظية، وهي وظيفة يضطلع التكرار الشعري في نطاقها بإثارة الأشياء والأشخاص والظواهر بغية حملها على الانصياع للعزم الذاتي المعلق على الشعر» (٧٥).

تضع نازك الملائكة قانونين لأي تكرار هما:

القانون الأول: قانون الإلحاح،

فتقول عنه: «إنَّ أبسط قاعدة نستطيع أن نصوغها بالاستقراء ونستفيد منها هي أن

(٧٥) الشعر والسحر. ٤٨.



بشكل ملحوظ، الأمر الذي يؤدي إلى تكوين جوٍّ موسيقيٍّ محبّب، ففي سورة «الصفّات» يكرّر القرآن كلمة «سلام» خمس مرّات، فالقرآن حين يستعرض قصص النّبیین يختم القصّة بالسلام على النّبّي صاحب القصّة، بدءاً من نوح، ففي الآية التاسعة والسبعين يختم الله القصّة بـ ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾، ثمّ يتناول القرآن قصّة إبراهيم، وفي الآية التاسعة بعد المائة يختم القصّة بـ ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ إِبراهيمَ﴾، ثمّ يتناول القرآن قصّة موسى وهارون، وفي الآية العشرين بعد المائة يختم القصّة بـ ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾، ثمّ يتناول القرآن قصّة إلياس، وفي الآية الثلاثين بعد المائة يختم القصّة بـ ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ إِيلِيَّاسِينَ﴾، ثمّ يتناول القرآن قصّة لوط من غير أن يختم قصّته بالسلام عليه، ثمّ يتناول القرآن قصّة يونس من غير أن يختم قصّته بالسلام عليه، ثمّ يذكر المرسلين ذكراً مجملًا، ويختم الحديث عنهم بقوله ﴿وَسَلِّمْ عَلَيَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ في الآية الحادية والثمانين بعد المائة. ولا ريب في أن التسليم هنا

على الرّغم من إيقاعيّته المحبّبة، قد أدّى وظيفة دلاليّة، فقد منح الله النّبیین احتراماً خاصّاً، وجعلهم خطأ واحداً في كونهم دعاة إلى الله الواحد، وهذا الخطّ قد ختم بمحمّد الذي لم يكن بدعاً في ذلك، وهذا ما ينفي التّعجب في كون الله قد بعث نبياً، فإرسال النّبیین سنّة إلهيّة، وهذا ما أراد إيصاله لنا هذا التكرار.

وفي سورة "القمر" نجد أنّ القرآن يكرّر عبارة (فهل من مدّكر) خمس مرّات. ولا يخفى أنّ التكرار هنا يأتي لخدمة قضية مهمّة هي الاعتبار، فالتكرار هو تأكيد وإلحاح على معنى محوريّ قد لا ينتبه إليه السّامع للوهلة الأولى، فالسّامع قد يكون مأخوذاً بالأجواء الموسيقية للنصّ، لكنّه بعد لأيٍ سينتقل إلى التّفاد إلى المعاني.

وفي سورة "الرّحمن" يكرّر القرآن آية ﴿فَإِنِّي آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكَذَّبَانِ﴾ إحدى وثلاثين مرّة، وهذا التكرار هو الأقوى في السّور القرآنيّة، فليس هناك تكرار في القرآن بلغ هذا المقدار من الإلحاح والتّوكيد كما نجده في سورة الرّحمن.

مستهجناً، ولو لم يكرّر كان متوعداً على بعض دون بعض»^(٧٨).

والتكرار يمتدّ بامتداد السور القرآنيّة، وحضوره لافت للنظر، وهو يخدم الموسيقى، ولا يخفى أنّ الموسيقى - أيّ موسيقى في الشعر وغيره - تتخذ من التكرار مقوماً رئيساً لها.

المبحث السابع: الفاصلة القرآنيّة

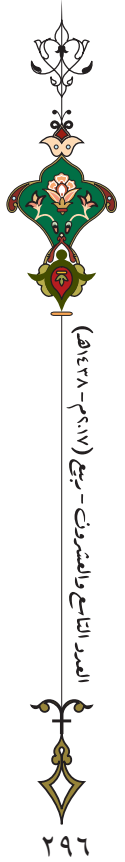
لقد وظّف القرآن في إيقاعيّته معظم تقنيّات الشعر، لكن بطريقته الخاصّة به، فقد وظّف القافية توظيفاً جميلاً، فلم يتقيّد بها تقيّداً تامّاً، كما هو الحال في القصيدة التي تنتهي أبياتها بقافية واحدة لا تتغيّر أبداً؛ بسبب وظيفتها و «وظيفتها ضبط الوزن»^(٧٩). وهذا التغيّر الذي سلكه القرآن من أجل إبعاد كون القرآن شعراً، ورفع الرّتبة عن المستمع،

(٧٨) أسرار التكرار في القرآن الكريم. تاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرمانيّ (النصف الثاني من القرن السادس). دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا. دار الاعتصام. مصر. ٢١٣.

(٧٩) موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع. دكتور شعبان صلاح. دار غريب. القاهرة. ط٤. ٢٠٠٥. ٣٩٣.

وهذا التكرار هنا له وظيفتان الأولى: جماليّة من حيث خلق موسيقى خاصّة لم يألفها المستمع، وهذا التردّد للأية أشبه شيء بما يحدث في الأغنية، فالمطرب يعود بين مدّة وأخرى إلى فقرة معيّنة من الأغنية؛ ليشدّ من انتباه السامع، وهذا ما حدث بالضبط في السورة القرآنيّة. والثانية: دلاليّة من أجل الضّغط على انتباه السامع ليُدرك المعنى، والمعنى الذي يُريد أن يوصله الله إلى المستمع هو التذكير بالنعم الإلهيّة، هذه النعم التي يتغافل عنها الإنسان في خضمّ مشاغله الدنيويّة، وفي خضمّ تبنّيه للأفكار الفاسدة التي تجعله ينأى بفكره بعيداً عن الفطرة السليمة، فالتكرار هنا مثل الحبل الذي يشدّ المستمع حتّى لا ينفرد عقده، ويضيع في متاهات الدروب.

وفي سورة "المرسلات" يكرّر القرآن آية ﴿ **وَلِئَلَّ يُؤْمِدَ لِلْمُكَدِّبِينَ** ﴾ عشر مرّات، وإيقاعيّة هذا التكرار تخلق الرّهبة في المنكرين، وليس هذا التكرار لغواً لا فائدة وراءه؛ «لأنّ كلّ واحد منها ذكرت عقيب آية غير الأولى، فلا يكون تكراراً



ولمتابعة الموسيقى المعنى. يقول الرَّافعي: «وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صور تامّة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متّفقة مع آياتها في قرار الصّوت اتّفاقاً عجيباً يلائم نوع الصّوت والوجه الذي يُساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب، وتراها أكثر ما تنتهي بالتّون والميم، وهما الحرفان الطبيعيّان في الموسيقى نفسها؛ أو بالمدّ، وهو كذلك طبيعيّ في القرآن، فإن لم تنته بوحدة من هذه، كأن انتهت بسكون حرف من الحروف الأخرى، كان ذلك متابعة لصوت الجملة وتقطع كلماتها، ومناسبة للون المنطق بما هو أشبه وأليق بموضعه، وعلى أنّ ذلك لا يكون أكثر ما أنت واجده إلا في الجمل القصار، ولا يكون إلا بحرف قويّ يستتبع القلقلّة أو الصّفير أو نحوهما مما هو ضروب أخرى من النّظم الموسيقيّ»^(٨٠). و«الفاصلة لها أثر في نسق الكلام، واعتدال المقاطع، وتجعل موقعه حسناً في النّفوس، وتؤثّر فيه تأثيراً لا ينكر، وتناسب الأطراف،

(٨٠) إعجاز القرآن. ٢٤٦.

وتماثل الحروف، ممّا يريح السّامع، ويجذب انتباهه»^(٨١).
 أنّ معظم السّور القرآنيّة تركّز في فواصلها على حرفي التّون والميم لا سيّما الطّويلة منها ك«البقرة» و«آل عمران» و«الأعراف» وسواها من السّور، وهما حرفان كثيراً ما يستعملان في قوافي القصائد والأغاني، ويخلقان جواً موسيقيّاً حزيناً، ويتناسبان مع طول النّصّ الذي قد يولّد بعض السّأم؛ لذلك يعمل هذان الحرفان «... على مدّ الصّوت بغرض تحقيق نوع من التّنغيم الطّروب»^(٨٢).
 ولا يعني هذا أنّ السّور القصيرة لا تستثمر هذين الحرفين، ففي سورة الحمد» مثلاً:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ① الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③ مَلِكِ يَوْمِ
 الدِّينِ ④ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤
 اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
 عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿١﴾

(٨١) الفاصلة القرآنيّة. د. عبد الفتّاح لا شين. دار الميّخ. الرّياض. ١٩٨٢. ٢٢.
 (٨٢) جماليّة التّلقي في القرآن الكريم. ٩٩.

وأعجب السور عندي سورتا
«الفلق» و «الناس»، فسورة «الفلق»:
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ مِنْ شَرِّ مَا
خَلَقَ ۝٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣
وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤
وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾

هذه السورة تنبني انبناءً موسيقياً
عجيباً على وفق الشكل الآتي:

... ق... ق

ب..... ب

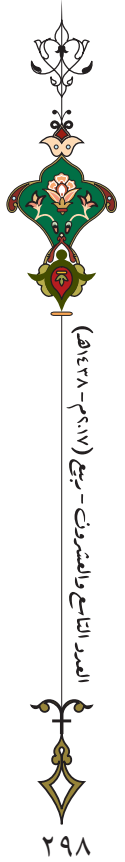
... د... د

فهناك فاصلتان تنتهيان بصوت
«القاف»، ثم تأتي فاصلة تنتهي بصوت
«الباء»، ثم تأتي فاصلتان تنتهيان بصوت
«الدال». والفاصلة «وقب» أشبه ما تكون
بالقطع، وقد صوّرت ولوج الليل خير
تصوير، وكأنّ الليل سارق يقتحم المكان
من دون أن يلحظه أحد بخفة ومهارة.
وهذه السورة على الرّغم من استعمالها
ثلاثة أصوات مختلفة في فواصلها، إلا
أنّ هذه الأصوات اشتركت في أنّها جميعاً
من أصوات القلقلّة. والسورة ركّزت
على موضوعي القلق والخوف، وقد

هذه السورة التي يتلوها المسلم عشر
مرّات في صلواته، تتراوح الفاصلة فيها
بين حرفي الميم والتّون، وهذه السورة
هي مناجاة بين العبد وربّه، وكلّ كلام
هو مناجاة؛ لأنّ «... المنفرد هو الذي لا
يمكن أن يكون وحيداً بمعنى أنّه ليس
منفصلاً، معزولاً، ولا صلوات له» (٨٣).
وحيث يكون المصليّ مستغرقاً في مناجاته،
وهو يكرّر هذين الحرفين اللّذين يكونان
مسبوقين بجرف المدّ الياء الذي يخرج
بنفس عميق، يستشعر الحزن، وتنهمر من
عينه الدّموع، فتشتدّ آصرة القرب بينه
وربّه؛ لذلك لا عجب أن يصرخ وسط
السورة بـ «إيّاك نعبد وإيّاك نستعين»،
دلالة على القرب الشّديد بينه وربّه،
ودلالة على أنّه أضحى لا يرى سوى
محبوبه؛ فيعيش قارئ سورة «الحمد»
جواً حالمًا، بعيداً عن قسوة الواقع؛ لأنّ
إيقاع السورة «الصدى الحالم» كما يسمّيه
الصّغير (٨٤).

(٨٣) إنشاد المنادى. ٥١.

(٨٤) ينظر: الصّوت اللّغويّ في القرآن الكريم.
د. محمّد حسين عليّ الصّغير. دار المؤرّخ
العربيّ. بيروت. ط ١. ٢٠٠٠. ١٧٦.



السورة على صوت السين جعل التنفس إيقاعياً منتظماً، والتنفس الإيقاعي يعث الراحة والسكينة، وهو علاج نفسي^(٨٦)؛ لذلك كان لهذا الصوت قدرة على تنويم الإنسان، وإبعاد القلق والهموم عنه، وهو من الأصوات البريئة التي نسمعها عندما يعم الهدوء، وعندما يبدأ الصباح بزقزقة العصافير.

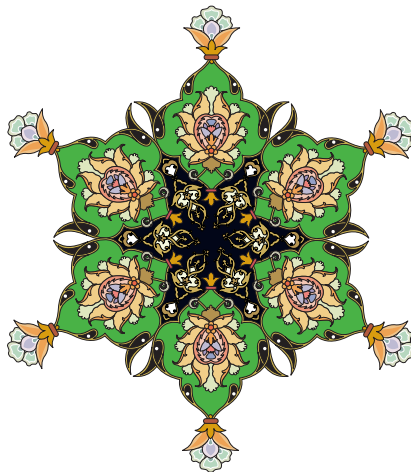
كانت الموسيقى بارعة في تصوير هذين الموضوعين.

أما سورة الناس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَهِ النَّاسِ ۝٣ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

على عكس سورة «الفلق»، فهي تمتاز بموسيقى مهدئة للأعصاب، وهذا الهدوء لم يكن ليتّم إلا بفضل استعمال الفاصلة التي تنتهي بصوت السين، و «صوت السين رخو مهموس»^(٨٥)، وتركيز

(٨٥) الأصوات اللغوية. الدكتور إبراهيم أنيس. مكتبة الأنجلو المصرية. ٢٠٠٧. ٧٤.

(٨٦) ينظر: جدلية الزمن. غاستون باشلار. ترجمة. د. خليل أحمد خليل. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر. بيروت. ط ٤. ٢٠١٠. ١٧١.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي يُرِيهِمْ
آيَاتِهِ لَعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ



الرؤية القرآنية لمقامات النبي الخاتم (دراسة تفسيرية)

م.ر. محمد كاظم حسين الفتلاوي

كلية التربية - جامعة الكوفة

فحوى البحث

من المعلوم ان المقامات النبوية لا تمثلها أوراق محدودة، ولا يعرف
كنها لسمو صاحبها الذي شرفه الله سبحانه بالنبوة الخاتمة، فالنبي
محمد ﷺ هو الحقيقة الكبرى، ومقاماته كبيرة وعظيمة، منسجمة مع ما
وهب الله سبحانه له من المقام المحمود، ولتجلي هذه المقامات المائز له
كان هذا البحث، وكذلك للوقوف على عظمة نبينا الأكرم ﷺ واستلها
الدروس التربوية السامية، ومما ينتفع منها في سبيل الدعوة إلى الله
تعالى، ونظراً لما في الروايات من أخذ ورد فقد اختصر بيان الحقيقة
المحمدية في القرآن الكريم، فعكف الباحث على إجلاء هذا الفهم لآيات
القرآن الكريم مستعيناً بالمفسرين في كشف المراد وتقيداً بعنوان البحث
دون غيره من موارد تلك المقامات، فكان البحث من مقدمة ومطلبين.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين...
أما بعد... إن من سنة الله سبحانه في خلقه، أن فاضل بين المخلوقات كلها، ففضل المؤمنين من بني الانسان على غيرهم، ثم فاضل بين المؤمنين من الآدميين على جميع مخلوقاته، وفاضل سبحانه بين المؤمنين، ففضل الأنبياء على سائر المؤمنين، وفاضل بين الأنبياء ففضل محمداً ﷺ عليهم.

والبحث في خصائص النبي محمد ﷺ القرآنية مما يتشرف المرء في تناولها، إذ يقف على عظمة النبوة المتجلية فيه ﷺ، مما يتبين من الرؤى الحقيقية للخصائص المحمدية، ومما ينتفع منها في سبيل الدعوة إلى الله تعالى، فالإصلاح الكبير الذي حققه ﷺ في جزيرة العرب في سنين قلائل والذي لا يمكن تحقيقه إلا خلال آمداد طويلة وعقب تطورات متوالية، من البراهين القوية الدالة على عظمة خصائص النبوة المحمدية، وعلى أنه أعظم الناس طراً، بل أعظم عظماء

التاريخ ومن ابرز عطاء التاريخ هم الأنبياء قاطبة.

وكذلك ما لحظناه من عدم إفراد المقامات النبوية القرآنية ببحث مستقل يستقضي معطياتها التفسيرية. مع تضخم واسع في كتب المقامات والخصائص والمعجزات -وهذا ما أكده أيضاً الباحث صالح أحمد الشامي- وذلك عائد إلى (تساهل معظم كتّاب السيرة في قبول الأحاديث الضعيفة بل والضعيفة جداً، بل وأعلنوا ذلك صراحة..^(١)، من هنا كان أيضاً سبب اختيار البحث وعنوانه الذي اختصر خصائصه ﷺ في القرآن الكريم دراسة تفسيرية والمائزة عن الناس عموماً في مطلبه الأول، وخصائصه المائزة عن سائر الأنبياء والرسل في المطلب الثاني.

أما أهمية البحث ففضل الحبيب محمد ﷺ في آيات الذكر الحكيم كالشمس في رابعة النهار، إلا إن في هذه الآيات رؤى للمفسرين في فهم معناها،

(١) من معين الخصائص المحمدية، المكتب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ١٤.

ومن ثم أخذت هذه الآيات فهماً آخرًا على حساب المقامات المحمدية، مستعيناً بما ينسجم مع معطيات البحث في المدونة التفسيرية وقوفاً على ماتم إظهاره فيها من عناية بهذه المقامات واستقصائها.

أما الدراسات السابقة فهي كثيرة مما يصعب إحصائها، إلا إن الذي قد تيسر للباحث الاطلاع عليها قبل شروعه في بحثه دفعه إلى الولوج في مضامين البحث، ومن هذه المصادر كان على سبيل المثال: السيوطي/ كفاية الطالب

الليبي في خصائص الحبيب^(٢)، أبو حفص عمر بن علي الأنصاري الشهير بابن الملقن/ غاية السؤل في خصائص الرسول ﷺ^(٣)، وعلي الافتخاري/ خصائص النبي في القرآن^(٤)، وسعيد

حوى، محمد الخصائص والشمائل والمعجزات^(٥)، والسيد رضا الصدر/

(٢) دار الكتب العلمية، بيروت، ٣، ٢٠٠٣م.

(٣) تحقيق: عبد الله بحر الدين عبد الله، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٩٣م.

(٤) مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم، ٢٠٠٣م.

(٥) دار السلام، بيروت، ٢٠٠٩م.

محمد في القرآن^(٦)، السيد محمد باقر الحكيم/ الرسول الأعظم^(٧)، الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)/ مع المصطفى ﷺ^(٨)، ورسول جعفریان/ محمد ﷺ جامع المحامد كلها^(٩)، وغيرها من المصادر القديمة أيضاً، وكذلك لما لاحظته الباحث فيها من الابتعاد عن المنهجية الأكاديمية، وكذلك لم يلحظ الباحث دراسة تفسيرية خاصة بمقامات النبي الخاتم ﷺ التي اطر الباحث فيها بحثه هذا.

خطة البحث: احتوى بحث (الرؤية القرآنية لمقامات النبي الخاتم ﷺ - دراسة تفسيرية -) على مطلبين، المطلب الأول كان عنوانه المقامات المائزة عن سائر البشر، وكانت محاوره هي: مقامه ﷺ

(٦) مركز النشر التابع لكتب الإعلام الإسلامي، قم، ٢، ١٤٢٠هـ.

(٧) مؤسسة شهيد المحراب للتبليغ الإسلامي، النجف الأشرف، ١٤٢٤هـ.

(٨) دار الكتاب العربي، بيروت، ٣، ١٩٨٣م.

(٩) نقله إلى العربية: د. علي هاشم الاسدي، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد المقدسة، ٣، ١٤٢٨هـ.

أشد رأفة منهم، فالنبي ﷺ إنسان في (مشاعره الحلوة الرقيقة التي تنساب بالحنان والعاطفة على الناس من حوله فيضّم المؤمنين إليه في حرص كبير وخوف شديد من ان يمسهم سوء، أو عرض لهم مكروه)^(١١)، وهذه النفس الرؤوفة نلتمس تميزها عن سائر الناس في وصف القرآن المجيد لهذه الخصيصة المحمدية (الرأفة) في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ١٢٨].

فنجد في هذه الآية الكريمة إن (من) أوصافه يشق عليه ضرركم أو هلاككم وأنه حريص عليكم جميعاً من مؤمن أو غير مؤمن، أنه رؤوف رحيم بالمؤمنين منكم خاصة)^(١٢). وذلك لميزة الإيثار التي فيها رضا الله سبحانه وتعالى، بالناس عامة رجاء الأيثار منهم، ومن (١١) محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، ١١ / ٢٥٢.

(١٢) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٩ / ٣٦٣.

على الخلق بالرأفة، مقامه ﷺ بأنه رحمة للعالمين. والمطلب الثاني فقد كان عنوانه المقامات المائزة له ﷺ على الأنبياء والمرسلين، وكانت محاوره هي: مقامه ﷺ على الأنبياء والمرسلين بختم الرسالة، مقامه ﷺ عليهم بعموم الرسالة، مقامه ﷺ بكثرة المعجزات ودوامها، مقامه ﷺ بخصال لم تعط لنبي قبله، ثم عقب هذين المطلين بخاتمة وقائمة لمصادر ومراجع البحث، وعلى النحو الآتي:

المطلب الأول:

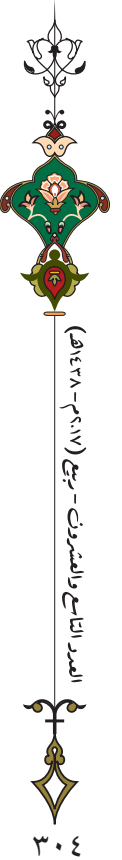
المقامات المائزة عن سائر البشر.

تميز الحبيب محمد ﷺ عن سائر البشر بمقامات كثيرة نلتمسها في نصوص القرآن المجيد، سيحاول الباحث بيانها بقدر مستطاعه، وعلى النحو الآتي:

أولاً: مقامه ﷺ على الخلق بالرأفة:

امتياز النبي محمد ﷺ على سائر الخلق بأنه ذو (رأفة)^(١٠) ورحمة بالناس أجمعين، مع أنه من جنسهم إلا إنه

(١٠) جمع رؤفَاء: صفة مشبهة تدل على الثبوت من رؤف ب: عطوف حنون.



ثم تحققت نجاتهم من الهلاك الدنيوي والعذاب الآخروي.

إذن مقامه بالرأفة واضح في دلالة الآية الكريمة، وكذلك عموميتها في كونه رؤوف بالناس عامة، وبهذا لا يتفق الباحث مع من ذهب من المفسرين بأن هذه الخصيصة (الرأفة) خاصة بقوم النبي ﷺ وعشيرته، بعد إن فسر قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنْفَسِكُمْ﴾، بأنه ﷺ من العرب خاصته، ومن ثم يترتب عليه أن تكون الرأفة خاصة بالعرب دون غيرهم، فكان إن فسر محمد رشيد رضا هذه الآية وخصها في (طهارة نسبه ﷺ) وفضل قومه وأصفيائه من خيارهم^(١٣)، مع إن الآية تخاطب الناس جميعاً، وتوضح أنه ﷺ (ليس من فصيلة غير فصيلة البشر، ولذا فإنه يعيش أحاسيسكم ومشاعركم وأفكاركم في روحية من الانفتاح والامتداد والشمول)^(١٤).

ولا ريب في ان نسب النبي محمد ﷺ

(١٣) تفسير المنار، ١١ / ٨٢.

(١٤) محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، ١١ / ٢٥٣.

أشرف وأطهر نسب، وهذا مما لا خلاف فيه ولا جدال، وسلسلة آباء النبي ﷺ واضحة في امتدادها العقائدي، وصلتها الإيمانية بالله تعالى^(١٥)، إلا ان تمييز العرب دون غيرهم لا دليل عليه في الآية المتقدمة، وان ساق محمد رشيد رضا جملة من الخصائص لأمة العرب، بعد أن عجز غيره من العلماء الذين ذهبوا إلى رأيه في تفسير الآية المتقدمة، كما وضح هو ذلك في قوله: (ولم أر لأحد من العلماء بياناً لمعنى هذا الاصطفاء بم كان؟)^(١٦).

إن لهذا التفسير سلبات يقع فيها المفسر في فهم النص القرآني وعالميته وعدم ورود المخاطبات القرآنية خاصة بقوميه دون أخرى، وبهذا يؤيد الباحث ما ذهب إليه الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في انكاره لمن ذهب الى تخصيص رأفة النبي بقومه فقط، إذ

(١٥) للتوسعة ظ: أحمد الواحدي، سلسلة آباء النبي، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩١م.

(١٦) تفسير المنار، ١١ / ٨٢، ظ: الرازي، مفاتيح الغيب، ١٦ / ١٨٧.

جنس او مصلحة او اعتبار غير اعتبار الإنسانية والإيمان؛ خصيصة انماز بها النبي محمد ﷺ على سائر البشر بما أشار إليها القرآن المجيد وأنها عامة شاملة لجميع الناس دون قومية أو أخرى وهذا من انفراداته ﷺ وخصوصياته.

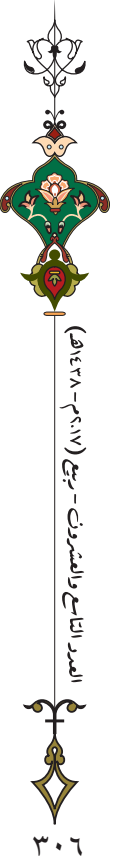
ثانياً: مقامه ﷺ بأنه رحمة للعالمين.

أرسل الله تعالى نبيه محمد ﷺ إلى البشرية كلها بعد فترة من الرسل منقذاً لها من ضلالات الكفر، وظلمات الجهل، وتخبط الناس في وحل الرذائل، فكان ﷺ بعيداً عن كل البعد عن مساوئ الاخلاق كبيرها وصغيرها، لين الجانب سهل العريكة، فقال عنه الله تعالى: ﴿ **فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا آَلَقَلْبِ لَآنْفَضُوا مِّنْ حَوْلِكَ** ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩]، وكان ﷺ رحمة للعالمين كافة، وفي وصف حال الناس قبيل بعثته ﷺ وجهده ﷺ في إنقاذ الناس من هذا الحال ما نلاحظه في قول الإمام علي عليه السلام إذ قال: (بعثه والناس ضلال في حيرة، وخابطون في فتنة، قد استهوتهم الأهواء، واستزلتهم الكبرياء، واستخفتهم الجاهلية

قال: (إن هذا هو أسوء تفسير ذكر لهذه الآية، لانا نعلم أنّ الشي الذي لم يجر له ذكر في القرآن الكريم هو مسألة الأصل والعرق، ففي كل مكان تبدأ خطابات القرآن بـ (ياأيها الناس) و(ياأيها الذين آمنوا) وأمثالها، ولا يوجد في أي مورد (ياأيها العرب) و(ياقريش) وأمثال ذلك) (١٧).

إذن فالخطاب عام لجميع الناس، وأن خصيصة الرأفة غير منحصرة بقوم دون قوم، فهي عامة، والى هذا المعنى ذهب السيد محمد حسين الطباطبائي، إذ قال: (إن المراد به أنه بشر مثلكم ومن نوعكم إذ لا دليل يدل على تخصيص الخطاب بالعرب أو بقريش خاصة، وخاصة بالنظر إلى وجود رجال من الروم وفارس والحبشة بين المسلمين في حال الخطاب) (١٨)، فخصيصة الرأفة على الناس كافة من غير الانحياز لقومية او

(١٧) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٦/ ١٩٥، وقريب من هذا المعنى ط: محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، ١١/ ٢٥٢.
(١٨) الميزان في تفسير القرآن، ٩/ ٣٦٢.



ونلاحظ إن خصيصة الرحمة المحمدية في الخلائق على ضربين:
أولاً: ضرب في الدنيا، وينقسم على قسمين:

القسم الأول: الرحمة العامة في الدنيا:

جعله الله تعالى ببعثته رحمة للبشرية كلها، حيث انه حجب عنها الخسف والمسخ والدمار، الذي كان يحل بالأمم السابقة عندما تعاني وتكذب أنبيائها كما إذ رفعت الرحمة في الدنيا بحدوث الطوفان والغرق بقوم نوح، مع وجود نبي الله ﷺ، وهو الواضح في قوله تعالى:
﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ (٢١)
[سورة المؤمنون، ٢٧]، يقول الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ): (اخبر الله تعالى انه لما جاء أمره بإهلاك قوم نوح ﷺ لاستحقاقهم ذلك بالكفر) (٢٢)، وكذلك قوم هود وصالح بالرياح السامة، والصيحة المهلكة وقوم شعيب بنار يوم الظلة، وقوم لوط بالخسف، وقوم موسى

الجهلاء حيارى في زلزال من الأمر، وبلاء من الجهل، فبالغ ﷺ في النصيحة، ومضى على الطريقة، ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة) (١٩).

وبهذه الخصيصة التي صرح بها القرآن المجيد في أوضح تعبير إذ قال الله تعالى:
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾
[سورة الأنبياء: ١٠٧]، فنلاحظ ان من اسباب الإرسال الإلهي له ﷺ هو شمول رحمته بكل ما تحمل دعوته من رحمة في الدين وفي الدنيا؛ (أما في الدين فلأنه ﷺ بعث والناس في جاهلية وضلالة، وأهل الكتابين كانوا في حيرة من أمر دينهم لطول مكثهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم فبعث الله تعالى محمداً ﷺ حين لم يكن لطالب الحق سبيل إلى الفوز والثواب فدعاهم إلى الحق وبين لهم سبيل الثواب) (٢٠) ليحققوا في ذلك العدل المفضي إلى الرحمة في الدين والدنيا من خلال الأحكام الشرعية ومبادئها.

(١٩) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ١/ ١٨٦.
(٢٠) الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٢/ ١٩٩، ظ: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٤/ ٢٨٥.

(٢١) [سورة هود: ٤٠].

(٢٢) البيان في تفسير القرآن، ٥/ ٤٣٧.

[٣٣] والمعنى (أي وما كان من شأن الله تعالى وستته، مقتضى رحمته وحكمته، أن يعذبهم وأنت أيها الرسول فيهم إنما أرسلناك رحمة للعالمين ونعمة لا عذاباً ونقمة)^(٢٥) فالله سبحانه اظهر خصيصة الرحمة النبوية وفضله على الخلائق كلها فما كان (عز وجل) لينزل عليهم العذاب الذي كان يحل بالأمم السابقة ما دام فيهم نبيه محمد ﷺ وذلك لعلو مقامه عنده سبحانه، وفضله وشرفه ﷺ .

القسم الثاني: الرحمة الخاصة في الدنيا.

وهي رحمته ﷺ لأمته إذ إن الله سبحانه جعل مع وجوده في الدنيا ﷺ أمراً آخرأ إكراماً للنبي ﷺ وهو الاستغفار قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ** **اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ** ﴾، فلولا هذا الاستغفار الذي فتح لهذه الأمة إكراماً للنبي ﷺ وبما هدى الله به ﷺ من هذه الجماعة أمة يستغفرون الله سبحانه، لكان العذاب نازلاً بها، إذ المعلوم إن (عذاب الله إنما يهبط من السماء بعد فراغ قلوب

(٢٥) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ٩ / ٥٦٤ .

بالمسخ، إلى قردة وخنازير، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾^(٢٣) .

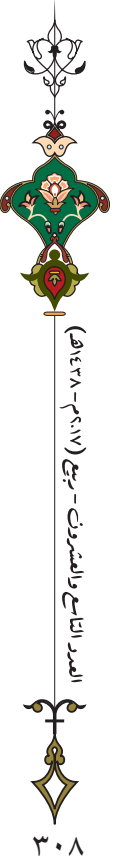
ونلاحظ إن هذه الآية الكريمة صيغت بأبلغ نظم إذ أشتملت بوجازة ألفاظها على مدح الرسول ﷺ ومدح مرسله تعالى ومدح رسالته بان كانت مظهرة رحمة الله تعالى للناس كافة وبأنها رحمة الله تعالى بخلقه.

فالنبي ﷺ (رحمة لأهل الدنيا من حيث الآثار الحسنة التي سرت من قيامه بالدعوة الحققة في مجتمعاتهم مما يظهر ظهوراً بالغاً بقياس الحياة العامة البشرية اليوم إلى ما قبل بعثته ﷺ)^(٢٤) .

وأيضاً من رحمة النبي ما تتلمسه في قوله تعالى لنبيه: ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ** ﴾ [سورة الأنفال:

(٢٣) وهذه الآية (تشتمل على أربعة وعشرين حرفاً بدون حرف العطف الذي عطفت به ذكر فيه الرسول، ومرسله، إليهم، والرسالة وأوصاف هؤلاء الأربعة، مع إفادة عموم الأحوال واستغراق المرسل إليهم..). بن عاشور، التحرير والتنوير، ١٧ / ١٢١ .

(٢٤) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٤ / ٢٨٤ .



المجتمع تماماً عن الإيمان، وبعد خروج أو انعدام الصالحين تماماً^(٢٦).

ثانياً: ضرب في الآخرة وهي على قسمين:

القسم الأول: الرحمة العامة في الآخرة: وهذه الرحمة تشمل البشر كلهم حيث يشفع النبي ﷺ في الناس لقيام الحساب فيهم، بعد أن عانوا من أهوال المحشر وشدائده، حتى ذهبوا لأولي العزم من الرسل يتوسلون إليهم أن يشفعوا عند ربهم، ولم يكن هذا نافعاً لهم في أمرهم حتى توسلوا بالحبيب محمد ﷺ. وحين ذاك استجاب لنبي الرحمة ﷺ في الخلائق جميعاً، يقول الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): (يلجم الناس يوم القيامة العرق، فيقولون أنطلقوا بنا إلى آدم يشفع لنا عند ربك، فيقول إن لي ذنباً وخطيئة فعليكم بنوح، فيأتون نوحاً فيردهم إلى الذي يليه حتى ينهون إلى عيسى فيقول عليكم بمحمد رسول الله ﷺ - وعلى جميع الأنبياء - فيعرضون أنفسهم عليه

(٢٦) محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ٣/ ١٩٠.

ويسألونه فيقول: أنطلقوا، فينطلق بهم إلى باب الجنة ويستقبل باب الرحمن ويخر ساجداً فيمكث ما شاء الله فيقول الله عز وجل: أرفع رأسك وأشفع تشفع وسل تعط...^(٢٧).

القسم الثاني: الرحمة بأمتة في الآخرة.

لا ريب من كان رحمة لغير متبعيه من الأولى أن تكون رحمته شاملة لمتبعيه الذين آمنوا به واهتدوا بهديه، فهؤلاء لهم رحمة خاصة، وهذه الرحمة الخاصة من خصوصياته ﷺ عليهم، فقد كان ﷺ بقلبه الرحيم حريص على المسلمين في الحياة الدنيا مع ملاقاه منهم من اعراض او ممن غرر به منهم قبل اسلامهم - إلا من احدث منهم بعد رحيل النبي عن الدنيا-، فكان يلتمس لهم العذر ويناجي ربه سبحانه ان يعفو عنهم فيقول ﷺ: (اللهم اغفر لقومي إنهم لا يعلمون)^(٢٨).

(٢٧) المجلسي، بحار الأنوار، ٨/ ٣٥، ظ: البخاري، صحيح البخاري، ٤/ ١٠٦.
(٢٨) المجلسي، بحار الأنوار، ٩٥/ ١٦٧، ظ: احمد بن حنبل، مسند احمد، ١/ ٤٢٧.

في الأيمان من هذه الأمة الذين دخلوا النار ولا يوجد في قلوبهم إلا الرذاذ من الأيمان فيسعى بالشفاعة لهم، قال الإمام الحسين عليه السلام: (إن النبي قال في جواب نفر من اليهود سألوه عن مسائل، أما شفاعتي في أصحاب الكبائر ما خلا أهل الشرك والظلم)^(٣١)، فنلاحظ إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشفع بالذين ليس في أعمالهم شرك أو ظلم، وكان فيها لم من الذنوب.

ثانياً: الحوض:

ان من دواعي رحمة الله تعالى لهذه الأمة بنبيها، ان أكرمها الله تعالى بالحوض ينتظرهم نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم عليه يوم القيامة ليشربوا منه شربةً بيده لا يظمأون بعدها أبداً، وذلك بعد إن يشتد بهم العطش في ارض المحشر كما قال صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة حجة الوداع: (أنا فرطكم على الحوض، ولأنازعن أقواماً ثم لأغلبن عليهم فيقال: انك لا تدري ما أحدثوا بعدك)^(٣٢)، أي انه تقبل كل هذه الأمة

(٣١) الصدوق، الخصال، ص ٣٥٥.

(٣٢) المجلسي، بحار الأنوار، ٧ / ٢٣٩، ظ:

احمد بن حنبل، مسند احمد، ١ / ٢٥٧،

البخاري، صحيح البخاري، ٧ / ٢٠٦.

ومن مظاهر رحمته لأمته صلى الله عليه وآله وسلم في الآخرة:

أولاً: الشفاعة:

وهذا بيان لبعض المواقف التي يكون فيها شفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمته:

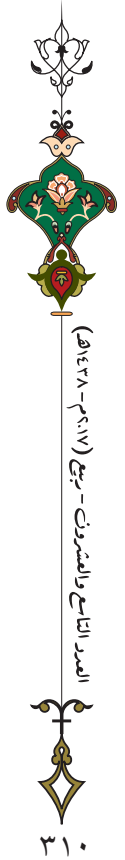
وهب الله سبحانه وتعالى انبياءه دعوة مستجابة في الدنيا، ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم كسائر الانبياء بل هو اكرمهم قد أعطي في الدنيا دعوة مستجابة ايضاً، إلا ان سائر الانبياء استعجلوا بالدعاء بها في الدنيا ولكنه صلى الله عليه وآله وسلم رحمة بأمته أدخرها ليشفع لأمته بها يوم القيامة، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله أعطاني مسألة فأدخرت مسألتني لشفاعة المؤمنين من أمتي يوم القيامة ففعل ذلك)^(٢٩).

ثم انه صلى الله عليه وآله وسلم بين من هم المحتاجون لشفاعته من هذه الأمة وركز على أن تكون لهم الشفاعة، فقال: (أنا شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)^(٣٠).

ثم انه صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن يفرغ من شفاعة أهل الكبائر من الأمة، يبحث عن المقلين

(٢٩) الطوسي، الامالي، ص ٣٦.

(٣٠) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٣ / ٣٧٦.



على الحوض فيطرد منهم أقواماً بدلوا وغيروا في دينهم، وفي نهج نبيهم وما ذلك الطرد إلا نتاج السير وراء سراب الضلالات في الدنيا.

وهذه التخصیصة نلاحظها في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ [سورة الكوثر: ١]. فمن ابرز مصاديق الكوثر هو الحوض^(٣٣) إذ ملك سبحانه وتعالى حبيبه محمد ﷺ هذا الحوض يوم القيامة يسقى منه المؤمنین، يقول الشيخ الطوسي: (الإعطاء إخراج الشيء إلى أخذ له، وهو على وجهين: إعطاء تمليك وإعطاء غير تمليك، فإعطاء الكوثر إعطاء تمليك كإعطاء الأجر، وأصله التناول من عطا يعطوا إذا تناول)^(٣٤).

وعن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) في

(٣٣) قيل في تفسير الكوثر آراء كثيرة، ولكن هذه التفاسير تبين غالباً المصاديق البارزة لمعناها الواسع وهو الخير الكثير، للتوسعة في هذا الآراء ظ: الرازي، مفاتيح الغيب، ٣٢ / ١٣٣، ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢٠ / ٣٨٥، واختار الباحث هنا ما يناسب البحث.

(٣٤) التبيان في تفسير القرآن، ١٠ / ٣٥٠.

معنى الكوثر قال: (نهر في الجنة أعطاه الله تبيّه عوضاً عن ابنه)^(٣٥)، فهذه خصیصة انفرد بها النبي محمد ﷺ مع خصائصه الأخرى عن الخلق أجمعين، فهذا إعطاء من رب العالمين إليه، إكراماً لنبیه ﷺ وتعظيماً له، إذ أن (افتتاح الكلام بحرف التأكيد - في بداية السورة - للاهتمام بالخبر، والإشعار بأنه شيء عظيم يتتبع الإشعار بتنويه شأن النبي ﷺ، وضمير العظمة مشعر بالامتنان بعباء عظيم)^(٣٦).

ثالثاً: المقام المحمود يوم القيامة:

ومن خصائص النبي يوم القيامة ﷺ في الآخرة هو المقام المحمود، وهذا ما صرح به النص المبارك قال تعالى: ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾

[سورة الاسراء: ٧٩]، فهذا المقام مقام تشريف وتعظيم للنبي محمد ﷺ على سائر الخلق، إذ إن المقام: (محل القيام، والمراد به المكان المحدود لأمر عظيم، لأنه من شأنه أن يقوم الناس فيه ولا

(٣٥) القمي، تفسير القمي، ص ٧٧١.

(٣٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٠ / ٥٠٢.

منه حصل له بعد ذلك إلى الناس وما ذاك إلا شفاعته عند الله^(٣٩) تعالى، فهذا المقام المحمود هو الشفاعة الكبرى، وهذا المقام خصيصة أنفرد بها النبي ﷺ دون سائر الخلق أجمعين بنص القرآن الكريم.

رابعاً: شهادته ﷺ على جميع الخلائق: إن من عدل الله (عز وجل) على جميع الخلائق يوم القيامة، أن يشهد بعضهم على بعض، حتى لا يكون لأحد حجة على الله، فيجعل لكل أمة شهيداً عليها، من نفسها وهو نبيها الذي أرسل فيها، قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [سورة النساء: ٤١]، يقول الشيخ الطوسي: (والشهادة تقع يوم القيامة من كل نبي بأنه بلغ قومه ماتقوم به الحجة عليها من مراد الله)^(٤٠).

وبما أن مقام الشهادة على الأعمال من أعظم مقامات النبي ﷺ في أمته، فإذا

(٣٩) الرازي، مفاتيح الغيب، ٢١ / ٢٦، ظ: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٩ / ٦٤، كمال الحيدري، الشفاعة، ص ٣١٨.

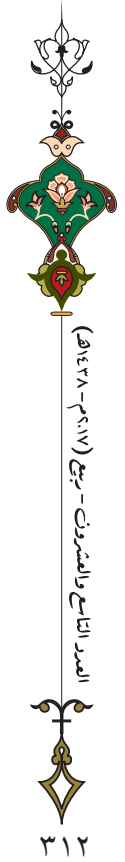
(٤٠) التبيان في تفسير القرآن، ٣ / ١٩٤.

يجلسوا، وإلا فهو المجلس^(٣٧). ويوضح الشيخ الطبرسي أهمية هذا المقام واختصاص النبي الأكرم به، فيقول: (معناه يقيمك ربك مقاماً محموداً يمدك فيه الأولون والآخرون، وهو مقام الشفاعة تشرف فيه على جميع الخلائق، تسأل فتعطى، وتشفع فتشفع، وقد أجمع المفسرون على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة، وهو المقام الذي يشفع فيه للناس، وهو المقام الذي يعطي فيه لواء الحمد، فيوضع في كفه ويجتمع تحته الأنبياء والملائكة فيكون: أول شافع وأول مشفع)^(٣٨).

ونلاحظ إن كلمة محمود وردت بشكل مطلق، فهي -ظاهراً- تشير إلى إن حمد الأولين والآخريين يشمل الحبيب محمداً ﷺ، وما يكون هذا الحمد للنبي ﷺ من الناس يوم القيامة إلا لوجود (الإنعام الذي لأجله يصير محموداً إنعاماً سيصل

(٣٧) بن عاشور، التحرير والتنوير، ١٤ / ١٤٦. لم يجد الباحث بحسب تتبعه معنى المقام الذي تعنيه الآية الكريمة في مصادر اللغة.

(٣٨) مجمع البيان، ٦ / ٢١٤.



لم يطعه شخص في الدنيا فإنه في الآخرة شهيد عليه^(٤١)، وفي هذه الخصيصة النبوية الواردة في الآية مبالغة في الحث على الطاعة واجتناب المعصية والزجر عن كل ما يستحيي منه على رؤوس الإشهاد، لأنه يشهد للإنسان وعليه يوم القيامة شهود عدول لا يتوقف في الحكم بشهادتهم، ولا يتوقع القدرح فيهم^(٤٢).
خامساً: مقام ﷺ بالتوجيه القرآني إلى الأدب في خطابه ﷺ:

لقد خاطب الله تعالى نبيه الخاتم ﷺ تشريفاً له بالنبوة والرسالة، ولم يخاطبه باسمه كما خاطب بقية الأنبياء والرسل، وهذا واضح في نصوص الذكر الحكيم منها في قوله تعالى: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [سورة البقرة: ١٤٣]، وفي قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [سورة النساء: ٨٠]، وفي قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الانفال:

(٤١) محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ٢/

[٦٤]، وغيرها الكثير من النصوص التي تؤكد هذا المقام السامي للنبي الخاتم ﷺ.

في حين نلاحظ ان في القرآن الكريم آيات كثيرة يخاطب الله بها الأنبياء بأسمائهم، منها ما نلاحظه في قوله تعالى: ﴿يَبْعَثُ خِزْفًا لِكُلِّ قَوْمٍ﴾ [سورة مريم: ١٢]، وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبُ إِنِّي جَاعِلُكَ كَافَّةً﴾ [سورة آل عمران: ٥٥]. وغيرها من الآيات التي خاطبت الأنبياء والرسل الكرام بأسمائهم.

إذن من باب الأولى ان تحث النصوص القرآنية المؤمنين على الالتزام بأداب معينة عند تعاملهم فيما بينهم اثناء ممارسة نشاطهم في حياتهم اليومية، والنبي ﷺ كسائر المؤمنين ممن يشمله الخطاب القرآني في تعامله مع الناس، إلا أننا نلاحظ ان الحث على الالتزام بهذه الآداب التي وجه به القرآن الكريم الناس في تعاملهم مع النبي ﷺ ان تركها مقرون باحباط الأعمال.

فكانت هذه الآداب هنا مقام

النبي الأكرم ﷺ .
ثانياً: مقامه بعدم رفع الصوت في حضرته ﷺ، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [سورة الحجرات: ٢]، فهذه الخاصية انفراد بها ﷺ على سائر البشر، فكان أن تحبط الأعمال وتخرج مرتكبها من حيز الإيمان (إن قصد بها الإساءة والإهانة لشخص النبي ومقامه الكريم فذلك موجب للكفر، وإلا فهو إيذاء له وفيه إثم أيضاً..)(٤٥).

وان الأمر لا يقف في هذه الخصوصية على كونه بين ظهرانيهم، بل حتى عند قبره الشريف، يقول القرطبي: (وقد كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره ﷺ، وكره بعض العلماء رفع الصوت في مجالس العلماء تشريفاً لهم؛ إذ هم ورثة

القرآن، ٢١ / ١٣٦. ظ: الألويسي، روح المعاني، ٢٦ / ٤٠٠.

(٤٥) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٦ / ٣٧٣. ظ:

الألويسي، روح المعاني، ٢٦ / ٤٠٢.

اختص به الحبيب محمد ﷺ، وان التارك لهذه الآداب آثم قلبه، فمما اختص به ﷺ من دون الناس هو:

أولاً: مقامه في عدم التقدم بين يديه ﷺ في الاقتراح عليه، وان ذلك الالتزام الأدبي والأخلاقي نابع من الإيمان به وان له خصوصيته التي انفراد بها على سائر البشر، وهذا واضح جلي فيما ألزمتنا القرآن الكريم من الخلق الواجب، فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٤٣) [سورة الحجرات: ١]، فنلاحظ (إطلاق النداء للناس من خلال

صفة الإيمان، يوحي بأن هذا التعليم ينطلق من مضمون الإيمان في حركته الروحية والسلوكية)(٤٤) التي انفراد بها

(٤٣) ذكر المفسرون لنزول الآية أسباب منها: حين أراد النبي ﷺ أن يتوجه إلى خيبر رغب في أن يخلف شخصاً معيناً مكانه في المدينة وينصبه خليفة عنه، فاقترح عمر شخصاً آخر، فنزلت الآية وأمرت أن لا تقدموا بين يدي الله سبحانه ورسوله. ظ: القرطبي (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، ٩ / ١١٧.

(٤٤) محمد حسين فضل الله، تفسير من حي

الأنبياء(٤٦).

دالة على الإيذان بنص القرآن الكريم، فكان مما انفرد ﷺ بها على سائر البشر لما فيها من دلاله لا تقبل الشك بان تارك الاستئذان منافق أيضاً.

ثالثاً: مقامه باستئذانه عند الانصراف عنه ﷺ: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤٧) [سورة النور: ٦٢]، وهنا

رابعاً: مقامه بأدب مناجاته ﷺ: وما انفرد به النبي الأكرم هو ما فرضه الله سبحانه من حكم شرعي على الناس عند مناجاته ﷺ، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة المجادلة: ١٢].

نلاحظ بوضوح وجوب الاستئذان حين الانصراف من مجلسه ﷺ، وإن عدم الاستئذان علامة داله على إن فاعله منافق، وإن روحه قد امارت فيها الإيذان، فكان أن (نعى الله عليهم فعلهم هذا وأعلم بمنافاته للإيذان وأنه شعار النفاق)(٤٨)، فخاصية الاستئذان هنا

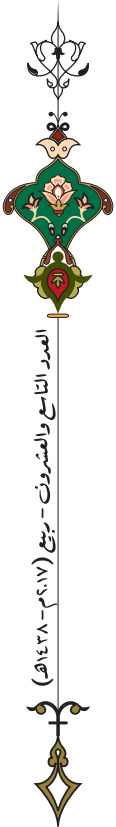
وهذه الآية وإن كانت منسوخة بقوله تعالى: ﴿أَن تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ يَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٤٩) [سورة المجادلة:

(٤٩) وفي هذه الآية خصيصة لأمر المؤمنين علي عليه السلام لم يشاركه فيها أحد قط، وذلك هو الواضح من سبب نزل هذه الآية الكريمة هو إن الأغنياء (كانوا يأتون النبي ﷺ فيكثرن مناجاته، حتى كره رسول الله ﷺ ذلك من طول جلوسهم ومناجاتهم، فانزل الله تبارك وتعالى هذه الآية، وأمر بالصدقة عند المناجاة، فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئاً، وأما أهل اليسرة فبخلوا)، قال الإمام

(٤٦) الجامع لأحكام القرآن، ٩ / ١٢١.

(٤٧) ويستدل بهذه الآية على التفويض له ﷺ من قبل الله سبحانه، يقول القاسمي: (استدل بالآية على أن بعض الأحكام مفوضة إلى رأيه ﷺ. وتسمى هذه المسألة مسألة التفويض)، محاسن التأويل، ٧ / ٣٠٥٩.

(٤٨) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٨ / ٢٤٥.



أرادها الله سبحانه لنبيه الخاتم وتميزه عن سائر الناس، وهي مع كونها تأديب لهم فهي أيضاً لفت نظر إلى الحقيقة المحمدية العظمى.

المطلب الثاني:

المقامات المانزة له ﷺ على

الأنبياء والمرسلين.

من المعلوم إن من تمام الإيمان بالعقيدة الإسلامية هو الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، والتصديق بهم جميعاً، وإن هؤلاء الأنبياء والرسل الكرام قد فضل بعضهم على بعض، وذلك لخصائص امتاز بعضهم على بعض، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا

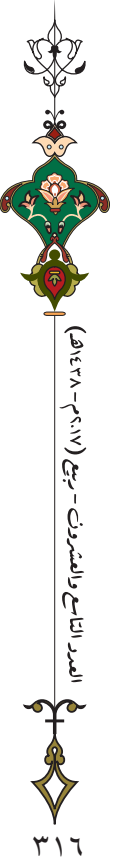
بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٣].
والله سبحانه خص نبينا محمد ﷺ بخصائص ميزته على جميع الأنبياء والمرسلين، وذلك ما يصرح به في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَإِنْ تَوَجَّهْتَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَمِنْهُمْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٧]، فتقدّم النبي محمد ﷺ في

[٣]، وذلك لأجل ابراز معانٍ سامية منها احتراماً لوقت النبي ومصلة الجماعة على الفرد، فالقرآن المجيد (يعلمهم أدباً آخراً في علاقتهم برسول الله ﷺ،...، فشاء الله أن يشعرهم بهذه المعاني بتقرير ضريبة للجماعة من مال الذي يريد أن يخلو برسول الله ﷺ. ويقدمها في صورة صدقة قبل أن يطلب المناجاة) (٥٠).

فلنحظ إن هذا التشريع الأدبي في المناجاة وغيرها كان خاص بالنبي الأكرم دون سائر البشر، وفيه دلالة واضحة على رفعة مقامه ﷺ وسمو الهيبة التي

علي ﷺ: (إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي - فذكر الآية أعلاه - كان لي دينار فبعته بدرهم وكنيت إذا ناجيت الرسول تصدقت بدرهم حتى نفذ، فأنسخت بالآية الأخرى: ﴿ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤنُكُمُ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾). الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ)، أسباب النزول، ص ٢١٣ - ٢١٤، ظ: الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ٢٨ / ١٥، المجلسي، بحار الانوار، ٢٩ / ١٧.

(٥٠) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٦ / ٣٥١٢.



الذكر هو تقديم بالرتبة إذ (بدأ في هذه الآية بالخاتم لشرفه صلوات الله عليه، ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله عليهم) (٥١).

ولبيان مكانة هذا الشرف في القرآن المجيد - بحسب إمكان الباحث - قسمنا هذا المطلب على المحاور الآتية: أولاً: مقامه ﷺ على الأنبياء والرسل بختم الرسالة:

من المقامات المائزة للحيب محمد ﷺ على من اصطفاهم الله عز وجل لحمل رسالاته إلى الناس وكرمهم بما امتازوا به على الناس من صفات وشئائل أهلتهم لهذا الشرف العظيم، فكان ان جعل سبحانه نهاية مطاف هذا الشرف عند نبيه محمد ﷺ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الخصيصة في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٤٠].

وبهذه الخاتمية تكمن خصيصة التكامل إذ (إن كل واحد من الأنبياء (٥١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣/ ٤٧٦.

السابقين قد مهّد جانباً من مسير التكامل ليكون الإنسان قادراً على سلوك هذا الطريق الصعب نحو التكامل وینال الأهلية لاستقبال منهج كامل وجامع لهذا الطريق على يد آخر نبي أرسل من قبل الله تعالى) (٥٢).

فمن البديهي انه مع استلام الخريطة الكاملة والمخطط الجامع سوف لا تكون هناك حاجة الى مخطط آخر، وهذا في الحقيقة هو التعبير الذي ورد في الروايات الدالة على كونه ﷺ خاتماً، والتي عدت نبي الإسلام آخر لبنة، أو واضع آخر لبنة في قصر الرسالة البديع المحكم، وكل ذلك يؤكد عدم الحاجة الى دين جديد وشريعة مستحدثة.

ومن هذه الأحاديث الدالة على ما تقدم قوله ﷺ: (مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها، ويقولون: لولا موضع اللبنة، قال رسول الله ﷺ: فأنا موضع

(٥٢) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٣/ ٣٠٤.

﴿ **وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا** ﴾ [سورة

الاعراف: ٧٣]، فنجد إن ارسال الانبياء والرسول كان الى قوم معينين وفي مناطق جغرافية محددة، وهذا لم نلاحظه في الرسالة المحمدية، فهي عامة.

فكان ان انفرد النبي ﷺ عن سائر الأنبياء بخصيصة عظيمة تليق مع الاستعداد الذي حظي به ﷺ ومكانه سابقة، وهي عموم رسالته، فقد دلت النصوص على عموم رسالة النبي محمد ﷺ للثقلين الإنس والجن وليس للعرب خاصة، قال تعالى:

﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** ﴾ [سورة الفرقان: ١]،

إذ إن (المراد بالعالمين عند جمع من العالمين الإنس والجن ممن عاصره ﷺ إلى يوم القيامة..) وإرساله ﷺ إليهم معلوم من الدين بالضرورة فيكفر منكروه، وكذا الملائكة ﷺ) (٥٤).

(٥٤) (الآلوسي، روح المعاني، ١٨ / ٥٧٢، وذهب ابن عاشور الى القول في العالمين: هو (جميع الأمم من البشر)، وهذا لا يصمد أمام الدليل إذ إن لفظ (العالمين) أوسع في مدلولها على البشر فقط، يقول الجرجاني:

اللبنه جئت فختمت الأنبياء) (٥٣).

ثانياً: مقامه ﷺ على الأنبياء بعموم الرسالة:

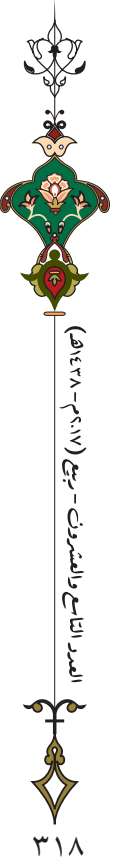
وخصيصة علمية الرسالة المحمدية وعموميتها في قبال خصوصية الرسالات السابقة منصوص عليها قرآنيًا، وذلك من خلال تقييد الرسالات السابقة بأقوامها، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا** ﴾ [سورة الروم: ٤٧]، وقوله تعالى:

﴿ **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ** ﴾ [سورة يونس: ٤٧]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ [سورة يونس: ٤٧].

وقال تعالى بخصوص رسالة النبي عيسى ﷺ: ﴿ **وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾ [سورة آل عمران: ٤٩]، وغيرها من الآيات التي تنص على محدودية الابلاغ الرسالي في مهام الأنبياء ﷺ، من ذلك ما نلاحظه أيضاً في قوله تعالى في حق النبي

الشعيب ﷺ: ﴿ **وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا** ﴾ [سورة الاعراف: ٨٥]،

وقوله تعالى عن نبيه صالح قال تعالى: (٥٣) مسلم، صحيح مسلم، ١٥ / ٥٢.



فعالمية رسالة الدعوة المحمدية (نسيج يتغلغل في عمق الإسلام وتتشابك خيوطه بإحكام ويتحرك بفاعلية من خلال كل ثنايا الإسلام وأفكاره)^(٥٥)، فرسالته ﷺ المتمثلة في القرآن المجيد عالمية وإن (كان عربي النص إلا أنه عالمي الدلالة، وهو وإن كان إنساني الرسالة إلا أنه عربي العبارة)^(٥٦)، ومن ثم فهي -العالمية- ليست فكرة عائمة ولا أطروحة عابرة ولا دعوة عاطفية ولا شعاراً يقف على هامش الحياة الإسلامية، بدايتها بداية الإسلام نفسه، وهي قمة هرمه الفكري المتمثل بعقيدة التوحيد التي لم ولن تعرف البشرية ما يناظرها روعة وبهاءً.

(العالم عبارة عن كل ما سوى الله من الموجودات)، كتاب التعريفات، ص ١١٩. (٥٥) عبد الكريم آل نجف، الأبعاد العالمية في العقيدة الإسلامية، مجلة الفكر الإسلامي، السنة ٢، العدد ٨، ١٤١٥هـ، ص ١٧٥.

(٥٦) د. محمد حسين الصغير، البعد العالمي في القرآن، بحث منشور ضمن أعمال الندوة المتخصصة تحت شعار: (عالمية القرآن)، كلية التربية/ جامعة الكوفة، الذكري العاشرة لتأسيس جامعة الكوفة، ٥ / ١ / ١٩٩٨م.

ومن عموم رسالة النبي محمد ﷺ يتضح ما يأتي:

١. انه ﷺ بخصيصة العموم أفضل الأنبياء والمرسلين، وذلك انه كلما توسعت مهمة أي عامل في مكان عمله، فهو بيان نجاحه وفضله على من هو أدنى منه، وكذلك كلما توسعت رسالة نبي عن محيطها فهي علو شأن لصاحب هذه الرسالة، فما دامت رسالة محمد ﷺ قد خرجت عن محيطها التي بُعثت فيه وهي مكة، حتى عمت العالم بأسره، فهو بيان لعلو شأن صاحب هذه الرسالة ﷺ، وخاصة ان رسالته شملت الإنس والجن.

٢. إن أمته أفضل الأمم، ففضل الأمة بفضل المبعوث فيها، وما دام هو أفضل الأنبياء، فمن الطبيعي ان يكون شرفها من شرف نبيها ﷺ.

٣. إن حاجة أهل الكتاب لرسالته، لا تقل عن حاجة العرب وعباد الأصنام لها، فهم بحاجة لتجديد شريعتهم التي حُرِّفت ودخلها الكثير من

حسية، وان من أهم ما يميز نبينا محمد ﷺ في معجزاته، وفضله بها على الأنبياء انه ما من نبي سبقه، إلا كانت له معجزة أو بعض المعجزات الحسية فقط، أما نبينا محمد ﷺ فقد عُرف بالمعجزات الحسية والمعنوية معاً^(٥٩).

ونلاحظ ذلك فيما يلي:

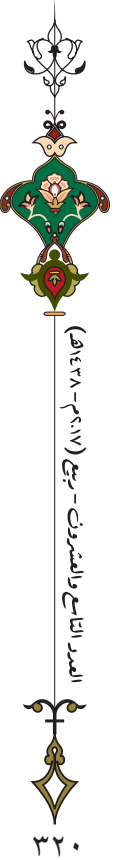
١. المعجزات المعنوية: وتكاد أن تنحصر في القرآن الكريم؛ فإنزال القرآن من أعظم المعجزات، وأبهر الآيات، وأبين الحجج الواضحات، لما اشتمل عليه المعجز الذي تحدى به الإنس والجن، أن يأتوا بمثله، فعجزوا عن ذلك مع توافر دواعي أعدائه على معارضته، وفصاحتهم وبلاغتهم حتى تحداهم بعشر سور منه، فعجزوا، ثم تنازل إلى التحدي بسورة واحدة من مثله، فعجزوا عنه، وهم يعلمون عجزهم وتقصيرهم عن ذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا

الضلالات، والتي ذكرها القرآن المجيد.

ثالثاً: مقامه ﷺ بكثرة المعجزات ودوامها:

المعجزة - كما عرفها الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ): هي (أن يأتي الإنسان بشيء يعجز خصمه عنه ويقصر دونه فيكون جعله عاجزاً عنه)^(٥٧)، وعرفها السيد الخوئي (ت ١٤١٣هـ): (أن يأتي المدعي لمنصب من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره شاهداً على صدق دعواه)^(٥٨)، وبهذا الإعجاز يكون النبي مؤيد من السماء وبحجة دامغة دلالة على صدق اتصاله برب العالمين.

والمعجزات تختلف في حجمها وقوتها وكثرتها، من نبي إلى نبي آخر، فكل نبي كانت معجزته موافقة لطبيعة القوم الذين بُعث فيهم، من ناحية عنادهم وما اشتهروا به من فنون، وتنقسم المعجزة على قسمين: معجزة معنوية، ومعجزة



(٥٩) ظ: السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ٢/

(٥٧) مجمع البيان في تفسير القرآن، ٤/ ١٦٧.

بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ
كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿سورة

الاسراء: ٨٨.﴾

وفي هذه الآية الكريمة (دليل قاطع وبرهان ساطع على صحة ما جاء به الرسول وصدقه، حيث تحدى الله الإنس والجن ان يأتوا بمثله واخبر أنهم لا يأتون بمثله ولو تعاونوا كلهم على ذلك لم يقدروا عليه)^(٦٠)، والتحدي مستمر إلى ان يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، يقول سيد قطب: (وهذا التحدي ظل قائماً في حياة الرسول ﷺ وبعدها، وما يزال قائماً إلى يومنا هذا وهو حجة لا سبيل إلى المماحكة فيها... وما يزال القرآن يتميز من كل كلام يقوله البشر تميزاً واضحاً قاطعاً وسيظل كذلك أبداً)^(٦١).

والقرآن معجزه فيما أبدع من ثورة علمية وثقافية في ظلمات الجاهلية الجهلاء، وقد أرسى قواعد نهضته على

(٦٠) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المتان، ص ٥٠٠.

(٦١) في ظلال القرآن، ١ / ٤٨.

منهج علمي قويم، فحث على العلم وجعله العامل الأول لتسامي الإنسان نحو الكمال اللائق به، فهو معجز في كل جوانب الحياة، ولم يختص بفن من دون آخر، وان الأجيال القادمة سوف تكشف لنا ما عجزنا نحن عن إدراكه، إذ الإعجاز القرآني (يظل مطروحاً على الأجيال تتوارد عليه جيلاً بعد جيل، ثم يبقى أبداً رحب المدى سخى المورد، كلما حسب جيلٌ أنه بلغ منه الغاية، امتد الأفق بعيداً وراء كل مطمح، عالياً يفوت طاقة الدارسين)^(٦٢).

٢. المعجزات الحسية: وهي كثيرة اختص بها النبي ﷺ من دون سائر الأنبياء ﷺ، يكتفي الباحث منها بذكر معجزتين، وعلى النحو الآتية:

أ. انشقاق القمر إلى نصفين: وهذا

نلاحظه في قوله تعالى: ﴿أَقْرَبَتْ

السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [سورة

القمر: ١]، وذلك إن القمر (انفصل

(٦٢) د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، الإعجاز البياني للقرآن، دار المعارف، مصر،

١٩٧١م، ص ١٣.

من القرب الإلهي ما لم يبلغه نبي مرسل، أو ملك مقرب، وإذا كان الله تعالى كلم موسى ﷺ تكليماً بالواد المقدس طوى، كما هو الواضح في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ

مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [سورة النساء:

١٦٤]، ومكان وقوع الكلام نلاحظه في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ

نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾

[سورة طه: ١٢]، وقد اجتمع أهل

العلم ان هذا الواد مهما كان شأنه وقداسته فهو على هذه الأرض^(٦٥).

أما الحبيب محمد ﷺ فقد اختص

بالكلام مع رب العزة في السموات

العلی، والقرب الإلهي، قال تعالى: ﴿مَا

كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ (١١) ﴿فَتَمَرُّونَهُ عَلَىٰ مَا بَرَأَى

١٢﴾ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ**﴾ (١٣) **عِنْدَ سِدْرَةِ**

الْمُنْتَهَىٰ﴾ [سورة النجم: ١١ - ١٤]،

والسدرة شجرة في السماوات^(٦٦)، وهذا

المكان لم يصل إليه نبي مرسل أو ملك

(٦٥) الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن،

١٦ / ١٦٨.

(٦٦) ظ: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٩ /

٣٤٠.

بعضه عن بعض فصار فرقتين شقتين -والآية تشير - إلى آية شق القمر التي أجراها الله تعالى على يد النبي ﷺ بمكة قبل الهجرة اثر سؤال المشركين من أهل مكة، وقد استفاضت الروايات على ذلك، واتفق أهل الحديث والمفسرون على قبولها كما قيل^(٦٣).

وبهذا لا خلاف من اختصاص

النبي ﷺ بهذه المعجزة العظيمة على سائر

الأنبياء ﷺ، فلم يذكر لنا القرآن المجيد،

وكتب السير والتاريخ ان احداً من

الأنبياء الكرام قد اشترك مع النبي ﷺ

بهذا الإعجاز، وبهذا يبقى (انشقاق

القمر من آيات رسول الله ﷺ ومعجزاته

النيرة)^(٦٤).

ب. القرب من سدرة المنتهى: بلغ ﷺ

(٦٣) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير

القرآن، ٥١ / ١٩، وقد ذهب الحسين

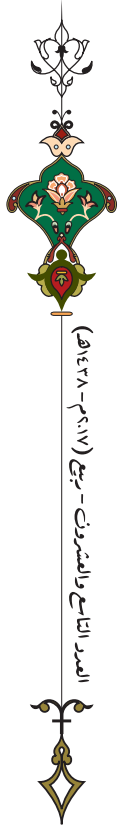
وعطاء والبلخي إلى إن هذا الإعجاز يكون

عند قيام الساعة، وهذا خلاف المشهور

والقرائن، للتوسعة. ظ: ناصر مكارم

الشيرازي، الأمثل، ١٧ / ٢١٧.

(٦٤) الزمخشري، الكشاف، ٤ / ٤٣١.



مقرب، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام في حديث طويل: (.. فلما انتهى به عليه السلام إلى سدرة المنتهى تخلف عنه جبرائيل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: في هذا الموضع تخذلني؟.

فقال: تقدم أمامك فو الله لقد بلغت مبلغاً لم يبلغه أحد من خلق الله قبلك فرأيت من نور ربي وحال بيني وبينه السبحة.

قلت: وما السبحة جعلت فداك؟. فأومى بوجهه إلى الأرض وأومأ بيده إلى السماء وهو يقول: جلال ربي ثلاث مرات(٦٧).

ونلتمس هذا القرب المحمدي إلى الذات الإلهية، وانفراده بهذه الخصيصة من دون سائر الأنبياء والرسل عليهم السلام وتأكيده ما نلاحظه في كلام الإمام علي بن الحسين (السجاد) عليه السلام، إذ قال في أهمية هذه المعجزة: (أنا ابن من علا فاستعلى فجاز سدرة المنتهى فكان من ربه قاب قوسين أو أدنى)(٦٨).

رابعاً: مقامه عليه السلام بأن رفع له ذكره:

إن من أهم خصائص النبي صلى الله عليه وآله القرآنية عند ربه ان رفع سبحانه له ذكره على الخلائق، ولم يحظ نبي مرسل بهذه الخصيصة، فقال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [سورة الانشراح: ٤].

وفي بيان معنى رفع الذكر، يقول السيد الطباطبائي: (رفع الذكر إعلاؤه عن مستوى ذكر غيره من الناس وقد فعل سبحانه به ذلك، ومن رفع ذكره ان قرن الله اسمه صلى الله عليه وآله باسمه فأسمه قرين اسم ربه في الشهادتين اللتين هما أساس دين الله، وعلى كل مسلم ان يذكره مع ربه كل يوم في الصلوات الخمس المفروضة)(٦٩).

وبهذا يرى الباحث إن الله سبحانه خص النبي محمد صلى الله عليه وآله بمقام الرفع والذكر بأفضل ما كان قد أعطى الأنبياء والرسل عليهم السلام، فإن كان الله تعالى اسجد ملائكته لأدم عليه السلام فهي لم تكن إلا سجدة واحدة ما تكررت ثانية، ولكن القرآن المجيد يذكر ان الله سبحانه يصلي على

(٦٩) الميزان في تفسير القرآن، ٢٠ / ٣٠٦، ط: الرازي، مفاتيح الغيب، ٣٢ / ٦.

(٦٧) المجلسي، بحار الأنوار، ١٨ / ٣٧٣.

(٦٨) المصدر نفسه، ٤٥ / ١٧٤.

يا لوط يا عيسى، فقد نادى حبيبه محمداً ﷺ بأشرف الألقاب والرتب وخصه بها، فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [سورة المائدة: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ﴾ [سورة الطلاق: ١]، فنلحظ أيضاً انه ﷺ (خوِطب بلفظ الجماعة تعظيماً وتفخيماً) (٧٢).

وان كان الله سبحانه قال لإبراهيم إِذْ نَالِ النَّاسِ، فإن الله تعالى أمر المؤمنين في العالم بأسره ان يأذنوا باسم الله ومعه اسم محمد ﷺ، وان كان الله تعالى إذا ما اشتد الأمر بأحد الأنبياء اقسام له بنفسه المقدسة، انه سيفعل كذا وكذا، فإنه (عز وجل) قد أقسم لمحمد ﷺ بعمره حباً له وإجلالاً له، قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ

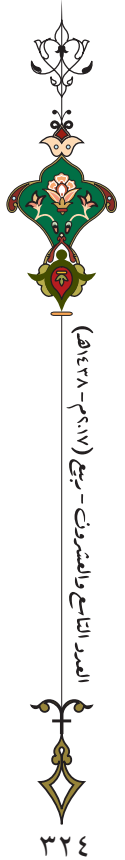
إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [سورة الحجر: ٧٢]، ومعنى ذلك أي (قسماً بحياتك يا رسول الله، وأنت يا من تتلو القرآن إن قوم لوط ﷺ قد فقدوا أبصارهم بسبب سكره الشهوات، والعمرُ والعمرُ بمعنى

(٧٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٩ / ٤٥٥.

النبي محمد ﷺ وأمر ملائكته والناس أجمعين ان يصلوا عليه إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٥٦]. ففي هذه الآية نلحظ ان الله سبحانه يصلي عليه ﷺ وأمره تعالى الناس بالصلاة على النبي (إنما هو لإظهار تعظيمه ﷺ، كما ان الله تعالى أوجب علينا ذكر نفسه ولا حاجة له إليه، وإنما هو لإظهار تعظيمه منا شفقة علينا لثبينا عليه، ولهذا قال ﷺ: (من صلى علي مرة صلى الله عليه عشراً) (٧٠) (٧١).

وان كان الله تعالى خاطب كل نبي بأسمه كقوله: يا آدم، يا نوح، يا إبراهيم،

(٧٠) احمد بن حنبل، مسند احمد، ٢ / ٣٧٢، المجلسي، بحار الأنوار، ٩١ / ٦٣.
(٧١) الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٥ / ١٩٦، وأما كيفية الصلاة، فقال ﷺ: (اللهم صل وسلم وبارك على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم انك حميد مجيد)، وقال ﷺ: لا تصلوا علي الصلاة البتراء، وهو ذكره من دون آله ﷺ، ط: احمد بن حنبل، حسن احمد، ٦ / ٣٢٣ البخاري، صحيح البخاري، ٤ / ١٤٦.



واحد ولكن عند الحلف يستخدم عَمْرُ
بالفتح (٧٣).

وبكلمة.. إن الله العظيم المتعال ميز
نبيه محمد ﷺ بخصائص مائزه لحظناها
هنا ارتباط ذكره ﷺ مع رب العزة، وما
ذاك إلا تشريفاً لحبيبة وتعظيماً له، ولا
يوجد تعظيم أعظم من اقتران ذكره
بذكره.

خامساً: مقامه على الأنبياء ﷺ
بالإسراء والمعراج:

إن الله تعالى جعل لكل نبي من
الأنبياء مناجاة، منها ما كان عن طريق
الوحي، وهو ما حدث لأكثر الأنبياء
والرسل، ومنها ما كان من وراء حجاب،
كما حدث لموسى ﷺ في الوادي المقدس
طوى.

أما نبينا محمد ﷺ فمناجاته كانت
مائزة عن سائر مناجاة إخوانه من الأنبياء

(٧٣) محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ٤/
٢٨٨، ظ: الرازي، مفاتيح الغيب، ١٩/
١٦١، وقد ذهب الزمخشري ومحمد حسين
فضل الله إلى إن المخاطب هنا هو نبي الله
لوط، ظ: الكشاف، ٢/ ٥٤٦، تفسير من
وحي القرآن، ١٣/ ١٧٠.

والرسل، فهي خاصة، إذ لم تكن لأحد
من قبله منهم، إذ اختار له ربه عز وجل
مناجاة خاصة في السماء، إذ أرسل له
ملك الوحي جبرائيل عليه السلام فخرج به إلى
السماء، وهناك كانت المناجاة العظمى،
والتي تشرف بها نبينا محمد ﷺ على سائر
الأنبياء والمرسلين.

قال تعالى: ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرٰى

بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى

الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ

السَّمَاءِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة

الإسراء: ١]، فأول ما نلاحظه في هذه

الآية فيما يخص نبينا محمد ﷺ هو إضافة

الضمير المقدس إلى لفظ العبد المعني

به رسولنا الأكرم، وهذه ميزة اختص

بها النبي الأكرم دون سائر الأنبياء

والرسل، إذ لم يرد في القرآن المجيد هذا

التعبير لأحد منهم ﷺ، إذ أضاف ضمير

الغيبية المشار به إلى الهوية، وفي ذلك

من الإشارة ما فيه، ومن تأمل أدنى

تأمل ما بين قوله تعالى: ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي

أَسْرٰى بِعَبْدِهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا

جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [سورة

المتضمنة للإسراء، نرى ان الإسراء بالجسد هو المعنى الظاهر منها، وذلك لما توحى به كلمة (الإسراء) من معاني الحركة والتنقل من مكان إلى مكان، وان كان ظرفه هو الليل دون النهار، وما توحى به كلمة (عبده) من التعبير عن الذات بمعناها المادي والجسدي (٧٧).

إذن اختص النبي محمد ﷺ في الإسراء والمعراج بمقام رفيع، وحظي بمناجاة ربه عند الحضرة القدسية، وهذا الأمر لم يحظ به الأنبياء والرسل فهو تكريم وتشريف عظيم، ان دل على شيء يدل على عظم منزلة الحبيب محمد ﷺ عند الله سبحانه، ومن ثم على علو شأن نبينا ومقامه المعظم من لدن الله تعالى.

سادساً: مقامه ﷺ بخصال لم تعط لنبي قبله:

إن الله سبحانه أعطى أنبيائه عطايا تنسجم مع مقامهم وفضلهم، وكذلك طبيعة رسالته، وقد خص سبحانه نبينا محمد ﷺ بخصال ما أعطاها للأنبياء

(٧٧) محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، ١٠ / ١٤.

الأعراف: ١٤٣]، يظهر له الفرق التام بين مقام الحبيب ومقام الكليم ﷺ (٧٤).

ونلاحظ أيضاً في الآية الكريمة ان القرآن المجيد ذكر نبينا بصفة العبد، ولم يذكره إلا في مقامات خاصة (٧٥) كان أشرفها مقاماً هو مقام الإسراء.

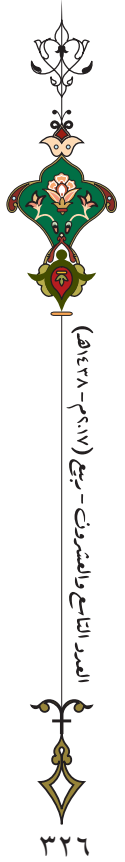
واختلف أهل التفسير في كيفية الإسراء والمعراج، هل هي بالجسد والروح في حال اليقظة، أم هي بالروح فقط في حال النوم؟ (٧٦).

ومهما يكن من أمر فالذي يركن اليه الباحث هو الإسراء بالروح والجسد معاً، وذلك (أننا عندما ندرس الآية

(٧٤) ظ: القاسمي، محاسن التأويل، ٦ / ٢٥٨٠، الألوسي، روح المعاني، ١٥ / ٨، البقاعي، نظم الدور، ٤ / ٣٢٧، الطبرسي، مجمع البيان، ٦ / ١٦٢.

(٧٥) مقام الدعوة، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ [سورة الجن ١٩]، ومقام التحدي: قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ [سورة البقرة: ٢٣].

(٧٦) للتوسعة، ظ: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٣ / ٥، الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٠ / ١١٧، القاسمي، محاسن التأويل، ٦ / ٢٥٨٤.



السابقين سواء من المعجزات، أو من الشرائع، وسنحاول بقدر المستطاع بيان هذه الخصال قرآنيًا، كما يأتي:

١. النصررة بقذف الرعب في قلب أعدائه: وهذه من أفضل ما أعطي رسول الله ﷺ من خصال ما أعطاها لنبي من قبله، وذلك ان سلاح الرعب كان لرسول الله ﷺ سلاحاً فتاكاً يزلزل قلوب أعدائه.

قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [سورة الأنفال: ١٢]، فهذه

الآية تتحدث عن اللحظات الحساسة من واقعة بدر، والألطف الإلهية الكثيرة التي شملت المسلمين لتثير في نفوسهم الإحساس بالطاعة والشكر، ولتعبيد الدرب نحو انتصارات المستقبل، وما ذاك إلا لوقوع الرعب في قلوب المشركين، وما كان هذا الرعب ليكون لولا ان خص الله تعالى نبيه ﷺ بان نصره بوقوع ذلك الرعب في قلب

أعدائه، إذ (من العجب والغرابة ان ينهار جيش قريش القوي أمام جيش المسلمين القليل، وان تذهب معنوياتهم- كما ينقل التاريخ - بصورة يخاف معها الكثير منهم من منازل المسلمين، وحتى أنهم كانوا يفكرون بأن المسلمين ليسوا أشخاصاً مألوفين، وكانوا يقولون بأن المسلمين قد جاؤوكم من قرب يثرب (المدينة) بهدايا يحملونها على أبلههم هي الموت) (٧٨)، وهكذا ينصر الله سبحانه نبيه ﷺ بان يجعل الرعب في قلب أعدائه، ويجعل السكينة في صفوف جيشه مع قلة العدد، وانعدام الناصر، وهذه خصيصة اختص بها ﷺ لم يحظ بها نبي قبله.

٢. جعل الأرض له ﷺ ولأمته مسجداً وطهوراً: وما اختص به سبحانه نبيه الكريم محمد ﷺ ان يسر له ولأمته العبادة، ومن مظاهر التيسير في العبادة، ان يسر لها في صلاتها وطهورها، إذ جعل كل الأرض

(٧٨) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٥ / ٢٥٨.

سائر الأنبياء والرسل هو تخصيص نسبة من الغنائم (الخمس) خالص له ولذريته، وهذا الأمر لم يكن قد امتاز به نبي قبله، قال تعالى:

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَأَيَّتِمَّنَّىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ۗ إِنَّ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ ۖ﴾ [سورة الأنفال: ٤١].

وهذا الخمس تشريف للنبي ﷺ ولبنينا هاشم، إذ إن الله سبحانه قد حرّم الزكاة عليهم تنزيهاً لهم، كان قد فرض لهم سبحانه العطاء من الخمس فقط، يقول السيد محسن الأمين (ت ١٣٩٠هـ): (وحرمة الصدقة على النبي وأهل بيته تنزيه عظيم لهم من الأوساخ اما انه تنزيه من ريبة فلا، والنقصان الذي يلحقهم بحرمانهم من الزكاة نقصان مالي لا نقصان أدبي فجزر بالخمس)^(٨١).

(٨١) الشيعة بين الحقيقة والأوهام، مؤسسة الإعلام، بيروت، ط ٣، ١٩٧٧، ص ٤٢٥.

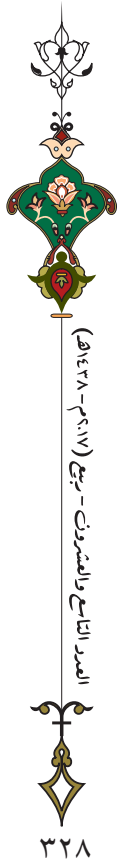
لأمتة مسجداً وطهوراً، فضلاً عن الأمم السابقة التي كانت لا تقبل صلاتهم إلا في كنائسهم ومحاريبهم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْحَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَايِبِ أَوْ لِمَسْتُمْ إِلَيْهَا فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ۖ﴾ [سورة النساء: ٤٣].

وما هذه الخصوصية من الله سبحانه ولنينا محمد ﷺ ولأمتة من دون سائر الأنبياء والأمم، إلا ليسهل عليهم أمر الدين، ويجعل لهم بدل الماء تراباً يطهرون به أنفسهم^(٧٩)، وقد أكد نبينا على خصيصة جعل التراب مسجداً وطهوراً في قوله: (وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)^(٨٠).

٣. احل الله تعالى له ﷺ الغنائم: ومما خص به الله تعالى نبيه ﷺ من دون

(٧٩) ظ: محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ٦٢ / ٢.

(٨٠) المجلسي، بحار الأنوار، ١٦ / ٣٠٨، احمد بن حنبل، مسند احمد، ١ / ٣٠١، البخاري، صحيح البخاري، ١ / ٨٦.



وقد ذهب جملة من المفسرين إلى القول بان الغنائم فقط غنائم الحرب^(٨٢)، ومن المعلوم إن غنائم الحرب محدودة فلا يعيش الإنسان حياته في حروب وسلب وغنم ومع وقوع الحروب لا يمكن استيفاء حاجات بني هاشم مع تعدد طبقاتهم من غنائم الحروب فقط!!.

إذن الخمس تشريف وتكريم للنبي ﷺ وذريته من دون سائر الأنبياء والرسول، وذلك تنزيهاً له من صدقات الناس، وتعظيماً لشأنه.

٤. جعل شرعه ﷺ في معجزته: من المعلوم إن معجزات الأنبياء السابقين جميعهم منفكة ومنفصلة عن تعليمات شرعه التي جاء بها، إذ إن معاجزهم كانت لإثبات صدق رسالتهم ونبوتهم، وليست للتشريع، فلا نجد بين عصا موسى ﷺ وبين التوراة التي أنزلت عليه، ولا نجد علاقة بين معجزة داود ﷺ بتكليمه

(٨٢) ظ: الطبري، جامع البيان، ١٠ / ٦، الرازي، مفاتيح الغيب، ١٥ / ١٣٢، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢ / ٣١٣.

الدواب كلها، والزبور، وكذلك ما وجدنا علاقة بين إحياء الموتى، وإبراء الأكمة والأبرص، في معجزة عيسى ﷺ والإنجيل الذي أنزل عليه.

أما رسولنا الكريم محمد ﷺ فإننا نرى إن أعظم معجزة له هو القرآن المجيد، وان شرع رسالته كلها في هذا القرآن، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴾ [سورة

النساء: ١٠٥]، وقوله تعالى: ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [سورة النحل: ٤٤]،

فلنلاحظ بوضوح إن هذا القرآن المعجز هو عين التشريع، فمعجزته ﷺ منها يستمد أصل التشريع والعقائد فنجد هذه الآية في الحكم بين الناس، في مسائل النزاع والاختلاف، وتلك في تبين جميع الدين وأصوله وفروعه، ويحتمل ان الآيتين كليهما معناهما واحد، فيكون الحكم بين الناس هنا يشمل الحكم بينهم في الدماء والإعراض والأموال



عليهم. وأن الله بعث محمداً ﷺ في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام - وأظنه قال: الشعر- فأتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم، وأثبت به الحجة عليهم؛ قال: فقال ابن السكيت: تالله ما رأيت مثلك قط، فما الحجة على الخلق اليوم؟. فقال ﷺ: العقل يعرف به الصادق على الله فيصدقه والكاذب على الله فيكذبه؛ فقال ابن السكيت: هذا والله هو الجواب (٨٤).

فالقُرآن المجيد معجزة النبي ﷺ مصدر للتشريع الإسلامي في كل تفاصيله العامة، والسنة موضحة لهذه الأحكام، وهذه خصيصة امتاز بها نبينا محمد ﷺ من دون سائر الأنبياء والرسل، إذ لم يجمعوا بين آية معجزاتهم وكتاب تشريعهم لدينهم إلا الحبيب محمد ﷺ.

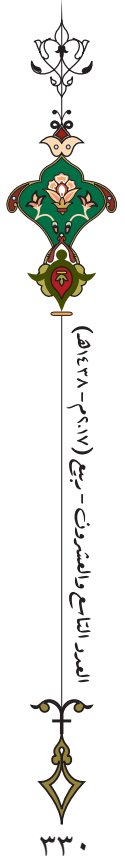
٥. جعل الله تعالى دين محمد ﷺ فوق الأديان كلها: تعهد الله سبحانه لنبيه محمد ﷺ منذ أن كان مستضعف في

(٨٤) الكليني، الكافي، ١/ ٢٤.

وسائر الحقوق وفي العقائد، وفي جميع مسائل الأحكام (٨٣).

وكان الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ أول من نبه إلى هذه الحقيقة العالية فيما رواه ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) قال ابن السكيت للإمام الرضا ﷺ: (لماذا بعث الله موسى بن عمران ﷺ بالعصا ویده البيضاء، وآلة السحر؟. وبعث عيسى بألة الطب؟. وبعث محمداً ﷺ بالكلام والخطب؟. فقال الإمام الرضا: إن الله لما بعث موسى ﷺ كان الغالب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله، وما أبطل به سحرهم، وأثبت به الحجة عليهم، وأن الله بعث عيسى ﷺ في وقت قد ظهرت فيه الزمانات وأحتاج الناس إلى الطب، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيا به الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص بأذن الله، وأثبت به الحجة

(٨٣) ظ: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تفسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص ١٩١، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤/ ٢٤٧، الطوسي، البيان في تفسير القرآن، ٦/ ٣٤٧.



بدين الإسلام^(٨٦)، والله متم نوره ولو
بعد حين.

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة المحمدية في ضيافة
القرآن المجيد، ووفق محاور البحث،
خلص الباحث في خاتمة بحثه إلى:

- ينطلق مفهوم المقامات في عدة اتجاهات بناءً على أساس التغيرات والتمايز بين الأنبياء، إلا أن مقامات النبي الخاتم ﷺ انمازت بوصفها دلائل على التفاضل في كونها دلائل تباين وتمايز.
- إن بعض مقامات النبي الخاتم تنحصر مصداقاً به ﷺ دون غيره نوعاً وكمّاً، كما في الخاتمية والعالمية والتكليم في السماء والاسراء والمعراج.
- الأنبياء والرسل هم الذين اصطفاهم الله تعالى من بني البشر يحملون دعوته لعباده، وان الله فضل بعضهم على بعض بحسب خطر مهمته.

قومه ان يجعل دينه ظاهراً، فجعل
دينه الذي ارتضى له فوق الأديان
كلها، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ
رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ
كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٨٥) [سورة
الصف: ٩].

فهذه شهادة من الله تعالى لهذا
الدين، وهي كلمة الفصل التي ليس
بعدها زيادة، ولقد تمت إرادة الله فظهر
هذا الدين على الدين كله، ظهر في ذاته
كدين، فما يثبت له دين آخر في حقيقته
وفي طبيعته، فأما الديانات الوثنية
فليست في شيء في هذا المجال، وأما
الديانات الكتابية فهذا الدين خاتمها،
وهو الصورة الأخير الكاملة الشاملة
منها، فهو هي، في الصورة العليا
الصالحة إلى نهاية الزمان.

فكان هذا وعد الله تعالى فيما خص
به دين حبيبة على سائر أديان الأنبياء
والرسل، (ولعمري لقد فعل، فما بقي
دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور

(٨٦) الزنجشيري، الكشاف، ٤/ ٥٢٦، ظ: سيد
قطب، في ظلال القرآن، ٦/ ٣٥٥٨.

(٨٥) [سورة التوبة: ٣٣].

- امتاز نبينا محمد ﷺ بخطر رسالته وعظم شأنها، وما كان لأحد من الأنبياء والرسل ان يحل محله ﷺ فضلاً على ان يكون الحامل لها من عامة الناس.
- اتسع مقام الرحمة المحمدية لتشمل في ثناياها الدنيا والآخرة، وكذلك من اتبعه ومن لم يكن من أتباعه من الأمم الأخرى، وقد تجلت رحمته في مظاهر منها: الشفاعة، الحوض، المقام المحمود، شهادته على جميع الخلائق، كما اتضح من خلال هذا البحث.
- مثلت المعجزات المساحة الواسعة في ميدان المقامات سواء كانت معنوية كالقرآن أو مادية مثل انشقاق القمر والاسراء والمعراج، على حين تمثل الباقي بالصفات النفسانية والكمالات الذاتية في شخص النبي محمد ﷺ.
- عموم رسالته ﷺ وعالميتها التي لم تقف عند حدود الجغرافية واللغة، بل شملت حتى الأجناس الأخرى من غير البشر كالجن، وهذه خصيصة لم تكن لنبي قبله ﷺ.
- ومن المقامات النبي الخاتم رفع الذكر واقتترانه تعظيماً وتشريفاً مع ذكر الخالق العظيم.
- اختص نبينا محمد ﷺ بمقام المناجاة الفريدة من نوعها، من دون سائر الأنبياء والرسل، إذ كانت في السماوات العلى.
- كما اختص ﷺ بمقامات لم تعط لنبي قبله، كالنصرة وقذف الرعب في قلب أعدائه، جعل الأرض مسجداً وطهوراً له ولأئمة، وفرض الخمس من الغنائم، ارتباط آية الإعجاز (القرآن المجيد) مع التشريع، إذ كانت معجزته مصدر تشريعه، وكل هذه المقامات امتاز بها ﷺ. كل ذلك يوضح لنا بقدر ما الحقيقة المحمدية في القرآن الكريم.
- توافرت بعض المقامات الأخرى في الذات المحمدية على نحو المصدق الأكمل والتحقق الأتم وإن كانت موجودة في غيره من الأنبياء

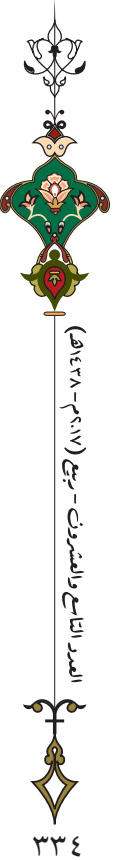
- كالرأفة والرحمة.
٣. البخاري (ت ٢٥٦هـ) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١م.
٤. البقاعي (ت ٨٨٥هـ) بهاء الدين أبي الحسن إبراهيم، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٦م.
٥. الجرجاني الشريف (ت ٨١٦هـ) علي بن محمد، التعريفات، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠٠٣م.
٦. الرازي (ت ٦٠٤هـ) فخر الدين محمد، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٩م.
٧. الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) أبي القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ٢٠٠١م.
٨. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط ٣٤، ٢٠٠٤م.
٩. السيوطي (ت ٩١١هـ) جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، مكتبة
١. احمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، مسند احمد، دار صادر، بيروت، (دت).
٢. الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) أبو الفضل شهاب الدين البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.
- تفرّد القرآن الكريم بتمثيل المعجزة المعنوية في مختلف ابعادها، ولعل أبرز جوانب الاختصاص والانفراد في القرآن الكريم كونه قد جمع بين وصفه رسالة سماوية ووصفه معجزة دالة على صدق الرسالة، على حين كانت سائر النبوات السابقة تختلف رسالتها عن معجزتها، فرسالة النبي موسى عليه السلام مثلاً هي التوراة لكن معجزته هي العصا واليد البيضاء، ورسالة نبي الله عيسى عليه السلام هي الانجيل لكن معجزته إحياء الموتى وإبراء الكمه والأبرص.

قائمة المصادر:

خير ما نبدأ به: القرآن الكريم.

١. احمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، مسند احمد، دار صادر، بيروت، (دت).
٢. الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) أبو الفضل شهاب الدين البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.

- المعارف، الرياض، ط ٢، ١٩٩٦ م.
١٠. الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) محمد بن عبد الحكيم، الملل والنحل، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤ هـ.
١١. صالح أحمد الشامي، من معين الخصائص المحمدية، المكتب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠ م.
١٢. الصدوق (ت ٣٨١ هـ) أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي، من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، (د.ت).
١٣. الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) ابو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان، مكتبة دار المجتبي، النجف الاشرف، ٢٠١٠ م.
١٤. الطبري (ت ٣١٠ هـ) أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).
١٥. الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، ابو جعفر محمد، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العالمي،
- الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٠ م.
١٦. عبد الكريم آل نجف، الأبعاد العالمية في العقيدة الإسلامية، مجلة الفكر الإسلامي، السنة ٢، العدد ٨، ١٤١٥ هـ.
١٧. عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦ هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥ م.
١٨. أبو القاسم الخوئي (ت ١٤١٣ هـ) بن علي اكبر الموسوي قده، البيان في تفسير القرآن، مطبعة العمال المركزية، بغداد ١٩٨٩ م.
١٩. القاسمي (ت ١٩١٤ م) محمد جمال الدين، محاسن التأويل، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٥ م.
٢٠. ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) أبي الفداء عماد الدين، تفسير القرآن العظيم، دار صبح، بيروت، ط ٤، ٢٠٠٧ م.
٢١. المجلسي (ت ١١١١ هـ) محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق: محمد تقي



٢٧. محمد حسين فضل الله تنتش، تفسير من وحي القرآن، دار الملاك، بيروت، ط٣، ٢٠٠٧م.
٢٨. محمد رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ)، تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير المنار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت.).
٢٩. المفيد (ت٤١٣هـ) عبد الله بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، تعليق: فضل الزنجاني، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، ١٩٧٣م.
٣٠. ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.
٣١. الواحدي النيسابوري (ت٤٦٨هـ) أبي الحسن علي بن احمد، أسباب النزول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م.
- اليزدي، محمد باقر البهودي، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٩٨٣م.
٢٢. محسن الاميني (ت١٣٩٢هـ)، الشيعة بين الحقيقة والأوهام، مؤسسة الإعلام، بيروت، ط٣، ١٩٧٧م.
٢٣. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، بيروت، (د.ت.).
٢٤. محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، دار القارئ، بيروت، ط٢، ٢٠٠٨م.
٢٥. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، دار الكتاب العربي، بغداد، ٢٠٠٩م.
٢٦. محمد حسين الصغير (الدكتور)، البعد العالمي في القرآن، بحث منشور ضمن أعمال الندوة المتخصصة تحت شعار (عالمية القرآن)، كلية التربية/ جامعة الكوفة، الذكرى العاشرة لتأسيس جامعة الكوفة، ٥ / ١ / ١٩٩٨م.



وَقَفَّةٌ عِنْدَ قَوْلِهِ - تَعَالَى -

﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾

الشيخ عبد الجليل احمد المراني

الإحصاء - المملكة العربية السعودية

فحوى البحث

ضم البحث في وقفته عند الآية الكريمة، درساً من دروس مكارم الأخلاق في القرآن الكريم بدعوته الى العفو والصفح عن من أخطأ بحق أخيه المسلم من غير إصرار وترصد. وقد احصى البحث معظم الآيات القرآنية الكريمة التي تدعو الى التماس العذر للمسيء، مذكراً المؤمنين بأن الله - سبحانه و تعالى - هو أول العافين عن المذنبين، وانه امتدح اولئك الذين ينتحلون هاتين الصفتين الكريمتين. كما عزز البحث شرف العفو والصفح بالأحاديث الشريفة والأمثلة الأخلاقية، ووصل الى نتائج أثبت فيها بأن العفو والصفح هما دعامة إصلاح المجتمع الاسلامي.

وقفه عند قوله تعالى ((فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره))..... **الصفحة** •

إليه قوله تعالى ﴿ **وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ** ﴾ [سورة الزمر: ٥٥].

فالقرآن الكريم حرص على أن يكفل للفرد والمجتمع التوازن المستمر في سيرة الحياة، جامعاً بين الجانب السلبي والإيجابي، مساوياً بينهما، فأمر بالعتفو والصفح؛ أخذاً باليسر والسماحة ودفع الحرج والمشقة عن الناس في الأقوال والأفعال.

وهذا بلا شك يتطلّب ملكات نفسية تسهّل ممارسته، كسعة الصدر، والحلم، وقدرة التحمّل، وحلّ المشاكل، وتجاوز العقبات؛ وذلك لأنّ العفو ركن مهمّ من الأخلاق الفاضلة التي يسهم معها في بناء المجتمع الإسلامي، فمن أجل السمو بهذا المجتمع يتطلّب من الإنسان المؤمن أن يعدّ فضيلة العفو امتحاناً عملياً يتعرّف من خلاله على حقيقة النفوس التي يتعايش معها في البيئة الواحدة. قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لمالك الأشتر: «فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحته»^(١).

(١) نهج البلاغة، في وصيته لمالك الأشتر.

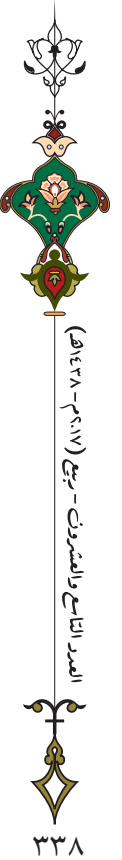
قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ **فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ** ﴾ [سورة البقرة: ١٠٩].

وقال تعالى في كتابه الكريم أيضاً: ﴿ **وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّمٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ** ﴾ [سورة الحجر: ٨٥].

وقال تعالى في كتابه الكريم أيضاً: ﴿ **فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾ [سورة الزخرف: ٨٩].

إنّ العفو والصفح من أصول الفضائل الإنسانية، والآداب الفردية والاجتماعية، والسلوكيات التي حضّ القرآن الكريم عليها؛ لأنّ القرآن نور وهدى، يحتوي على مراحل من التعليم والتربية لا تكون على حد سواء، بل بعضها أرفع من بعضها وبعضها أحسن من بعض، وإن كان الكل ربيعاً حسناً ويرشدك إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ** ﴾ [سورة النحل:

٩٠]، حيث إن الإحسان فوق العدل فمن اعتدى على الظالم بمثل ما اعتدى عليه فهو عادل، وأما من عفى وتجاوز عن مقابلته بالمثل فهو محسن، ولعلّ يشير



لذا أحببنا في هذه الكلمات القليلة أن نلقي بالضوء على هذه السمة الأخلاقية المهمة ودورها في بناء المجتمع، من خلال عرض معناها وذكر نماذج تاريخية تطبيقية منها، مع التطرق إلى الإيجابيات التي تنتج عنها.

العفو والصفح في اللغة والاصطلاح والفرق بينهما

العفو من عفا، أي أزال وأحى. ويقال: عفا أثر فلان والشيء: خفي. وأعفا الله فلاناً: وهب له العافية من العلل والبلايا، وعافاه الله معافاة: أبرأه من العلل.

وعفا في أسماء الله تعالى (العفو)، وهو مفعول من العفو، وهو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه، وأصله المحو والطمس، وهو من أبنية المبالغة. وكلّ مَنْ استحقَّ عقوبةً فتركها فقد عفوت عنه^(٢).

والعفو الكثير العفو، وفي التنزيل

العزیز: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [سورة النساء: ٩٩].

والصفح: من صَفَحَ، وصفح عنه صفحاً: أعرض، وعن ذنبه عفا عنه. ويقال: استصفح فلاناً: طلب منه الصفح، واستصفح فلاناً ذنبه استغفره إياه.

وتقول: أصفح عنه يصفح صفحاً أعرض عن ذنبه، وهو صفوح مصفاح: عفوّ، والصفوح الكريم؛ لأنه يصفح عمّن جنى عليه^(٣).

والصفح -بتسكين الفاء- العفو، والصفوح: الكريم المتسامح.

والعفو هو التفضّل على المخطئ والمسيء بالمسامحة والتجاوز، وعدم معاقبته، أو معاملته بالمثل. وهو من صيغ المبالغة، ومعناه التجاوز عن الذنب وترك العقاب.

والصفح ترك التأنيب، وإسقاط اللوم، وهو في الجنايات إسقاط ولي المقتول القود عن القاتل. وهو أبلغ

(٣) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ٢: ٣٧٢. المعجم الوسيط ١: ٥١٦. معجم اللغة العربية المعاصرة ٢: ١٢٩٩.

(٢) انظر: المعجم الوسيط ٢: ٦١٢/ باب العين. معجم لغة الفقهاء: ٣١٦. لسان العرب ١٥: ٧٢.

وقفة عند قوله تعالى ((فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بامرہ))..... **الصفح** •

من العفو، ولذا قال تعالى: ﴿فَاعْفُوا﴾ [سورة البقرة: ١٠٩] (٤).
والعفو عدم المؤاخذه مع إمكان بقاء أثر ذلك في النفس، أمّا الصفح فهو التجاوز عن الخطأ مع محو أثره في النفس. قد يعفو الإنسان ولكن لا يُصفح.
ويقال: صفحت عنه: أوليته مني صفحةً جميلةً معرضاً عن ذنبه بالكلية.
وهما -العفو والصفح- متقاربان في المعنى.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «كن جميل العفو إذا قدرت، عاملاً بالعدل إذا ملكت» (٨).

فالفارق بين العفو والصفح هو أنّ العفو هو التجاوز عن الذنب، فلا تعاقب عليه، لكن الصفح أن تنساه كلياً وتعفو ولا تعاقبه إطلاقاً. فإذا لم تنس عمله وذنبه لكن عفوت عنه فهذا ليس صفحاً جميلاً.

وورد في كلام العرب ألفاظ مترادفة للعفو منها: الصفح، الإقالة، التغابن،
(٧) الفروق اللغوية (أبو هلال العسكري): ٢٦٢.

(٨) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٠١٤.

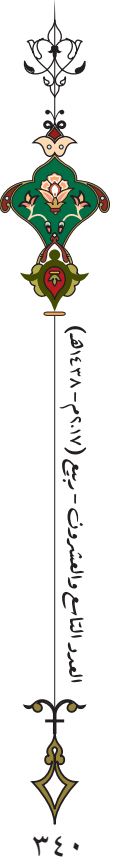
قال الراغب: الصفح: ترك الشرب، وهو أبلغ من العفو، وقد يعفو الإنسان ولا يُصفح (٥).

وقال البيضاوي: العفو ترك عقوبة المذنب (٦)، والصفح ترك لومه، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾، ترقياً في الأمر بكمال الأخلاق من الحسن إلى الأحسن، ومن الفضل إلى

(٤) شرح الأسماء الحسنى (السبزواري) ١: ٦١. تحفة الأحوذى ٦: ١٢١. تاج العروس ١٩: ٦٨٦. التوقيف على مهمات التعاريف ١: ٢١٧.

(٥) المفردات في غريب القرآن: ٢٨٢.

(٦) تفسير البيضاوي ١: ٣٨٣.



يُلَقِّنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقِّنَهَا إِلَّا ذُو
حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ [سورة فصلت: ٣٥].

العفو والصفح

من الأخلاق الإسلامية

العفو والصفح هما صفتان من صفات الله تعالى، وسمتان من سمات منهجه، فهو تعالى -جلّ ذكره- يصف نفسه في كتابه العزيز بقوله: ﴿عَفْوًا وَعَفُوًّا﴾ [سورة النساء: ٤٣]، ﴿عَن كَثِيرٍ﴾ [سورة المائدة: ١٥].

قال الإمام زين العابدين (عليه السلام) «اللهم إنك أنزلت في كتابك العفو، وأمرتنا أن نعفو عن من ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا، فاعف عنا فإنك أولى بذلك منا»^(٩).

لذا فهما من الأخلاق الإسلامية الكريمة التي جاء بها الإسلام وأمر بهما، وحثّ المسلمين عليهما.

فالعفو خلُق العظماء والسادة من الناس، وليس خلُق الضعفاء والعبيد، والصفح عن الآخرين من أعظم المكارم. وهما معاً سرّ الحبّ والوداد المستمر بين المتحابين، وعلاقة حبّ الله للعبد الذي

(٩) الصحيفة السجادية، دعاء أبي حمزة الثمالي.

التغاضي، الغفران، التجاوز، العُتْبَى. إنَّ العفو بمعنى المغفرة، والصفح ترك اللوم والتوبيخ، والذي هو مرحلة أعلى من العفو؛ لأنّه يمكن أن يعفو الإنسان عن الطرف المقابل، إلاّ أنّه لا يترك لومه وتوبيخه أو معاقبته. ولكن بما أنّ الصفحة في اللغة يعني الإعراض بالوجه عن الإنسان المذنب، فيمكن أن يكون إشارة إلى تناسي ذنب المذنب ووضعه في زاوية الإهمال والغفلة ولا يكتفي بترك اللوم فقط، أي لا يترتب أيّ أثر سلبي على العلاقة بين الطرفين.

وهناك مرتبة فوق العفو والصفح، وهي مرتبة الإحسان في التعامل مع الآخرين، يقول تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٩٦].

ويفهم من الآية الكريمة أنّ الرسول والمؤمنين مأمورون بتجاوز حالتهم العفو والصفح والصعود إلى مرتبة أرقى، وهي ردّ السيئة بالحسنة، لكنّه عمل لا يتيسر لأي شخص كان، ولهذا فإنّ الآية التي جاءت في سورة فصلت تقول: ﴿وَمَا

وقفه عند قوله تعالى ((فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بامرهم))..... **الصَّبْرُ** .

هي صفة العفو عن زلات الآخرين

وهفواتهم وذنوبهم، وترك الانتقام

منهم. لذا عمدت مدرسة أهل البيت:

بقيادة الرسول الأكرم محمد ﷺ على

سرد الروايات والأحاديث التي تبين

فضيلة العفو والصفح وذم الانتقام

والأخذ بالثأر، وبثها في المجتمع

الإسلامي، فطفحت سيرة النبي ﷺ

بمثل هذه النماذج من السلوكيات

الأخلاقية والإنسانية؛ إذ إن مثل هذا

السلوك يؤدي إلى انقلاب الطرف الآخر

من موقع الشرّ والعداوة إلى موقع الخير

والمحبة والتجاذب، وتلك هي رسالة

السماء الاجتماعية التي أمر الله تعالى نبيه

في نشرها وسط المجتمع بقوله: ﴿ **خُذِ**

الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

[سورة الأعراف: ١٩٩].

فالآية الكريمة تأمر النبي ﷺ بأوامر

أخلاقية مهمة ثلاثة ترتب بعضها على

بعض، وهي العفو أولاً، والأمر بالعرف

ثانياً الذي هو سيرة الحياة الطبيعية

وما يفهمه أبناء العرف في تعاملهم

وسلوكياتهم مع الآخرين، والإعراض

يتخلق به.

وقد رغب الله تعالى في كتابه العفو

عن الناس والصبر على أذاهم، فقال:

﴿ **الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ**

وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ

النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة

آل عمران: ١٣٤].

فهو شعار الصالحين الأتقياء

ذوي الحلم والنفس الرضية، وهو

عبارة أخرى عن التنازل عن الحق،

وليس التنازل عن الحق شيئاً يسيراً أو

سهلاً، وذلك تراه لا يتّصف بذلك إلاّ

الكرماء؛ لأنّه نوع إثارة للأجل على

العاجل، فالعفو فضل عظيم، وأجر

كبير، فهو أقرب للتقوى، بل هو الكمال

والتقوى، لذا خاطب الإمام الصادق عليه السلام

أحد أصحابه بقوله: (ألا أحدثك

بمكارم الأخلاق؟. الصفح عن الناس،

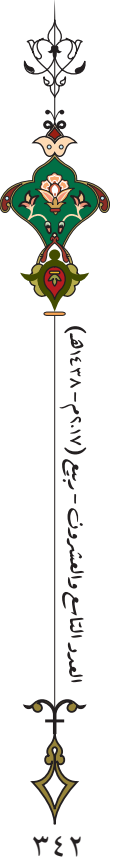
ومواساة الرجل أخاه في ماله، وذكر الله

كثيراً) (١٠).

إنّ من الفضائل الأخلاقية التي لا

يصل الإنسان إلى مراتب الكمال دونها

(١٠) وسائل الشيعة ١٥: ١١٩ / ٢٠٢٧٣.



من الجاهلين ثالثاً، وهي حالة التغاضي وترك ما يرميه الجاهلون من تزييف الحقائق لأجل المساس بالقيم الإسلاميّة النبيلة؛ طمعاً في تحقيق مآربهم.

فيُتَّضح من الآية تكليف الآخرين؛ لأنّها أوامر صادرة من الله تعالى إلى نبيّه الكريم الذي هو القدوة الحسنة لسائر المسلمين، وهي توضّح في مضمونها أهميّة العفو والصفح في دائرة السلوكيات من إلقاء المسؤولية على عاتق القادة الإلهيين؛ لكون الصفح والعفو من الصفات الإلهيّة والإنسانية كما تقدّم. لذا نجد أنبياء الله وأوليائه المتّقين الذين يمثّلون - بصدق - معاني الإنسانيّة يتّصفون بها، وهنا نرى أنّ القرآن الكريم يجعلها من صفات المحسنين، يقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُفِقُّونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبْظِمْينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: 134].

ويتّقل من بعد ذلك إلى ما هو أرقى منه، فهو يحثّ على الصفح بعد العفو، فيقول تعالى: ﴿أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ

وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا﴾ [سورة النور: 22].

وعلى العكس من هذه الصفة الإنسانيّة الانتقام الذي هو من الصفات الحيوانيّة التي اتّسم بها الكافرون والمنافقون والظلمة.

من هنا أودع سبحانه وتعالى رحمته في قلوب المؤمنين من عبادة، فجعلهم يعفون عمّن أساء إليهم أو ظلمهم دون أن يوقعوا العقوبة بهم عند القدرة عليها، ذلك كلّه طلباً لعفو الله تعالى؛ فإنّ العبد إذا فعل ذلك صار أهلاً لعفو الله عنه، فإنّه تعالى هو الذي يعفو ويستر ويصفح عن الذنوب مهما كان شأنها، ويستر العيوب ولا يجب إظهارها، فهو العفو عن المسيء رغم إساءته، كرماً منه تعالى وإحساناً، بل يفتح واسع رحمته فضلاً وإنعاماً حتى يزول اليأس من القلوب، وتتعلّق بخالقها العفو الرحيم.

فإذا ما أيقن العبد المذنب بأنّ الله تعالى كريم يعفو عن السيئات ويعفو عن الكثير فضلاً عن القليل، يلجأ إلى التوبة وطلب السماح منه تعالى وإلى طلب

وقفه عند قوله تعالى ((فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بامرهم))..... **الصَّبَاحُ** •

أسوء الأمور.
يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «قلة العفو
أقبح العيوب، والتسرع إلى الانتقام أعظم
الذنوب»^(١٢).

وعنه أيضاً عليه السلام: «شر الناس من لا
يعفو عن الزلة، ولا يستر العورة»^(١٣).

وقال عليه السلام لما ضربه ابن ملجم المرادي
لعنه الله: ((وصيتي لكم أن لا تشركوا
بالله شيئاً، ومحمد صلى الله عليه وآله فلا تضيعوا سنته،
أقيموا هذين العمودين، وأوقدوا هذين
المصباحين، وخلاكم ذم، أنا بالأمس
صاحبكم، واليوم عبرة لكم، وغداً
مفارقكم، إن أبق فأنا ولي دمي، وإن
أفن فالفناء ميعادي، وإن أعف فالعفو لي
قربة وهو لكم حسنة، فاعفوا ألا تحبون
أن يغفر الله لكم؟. والله، ما فاجأني من
الموت وارد كرهته، ولا طالع أنكرته، وما
كنت إلا كقارب ورد، وطالب وجد، وما
عند الله خير للأبرار))^(١٤).

المغفرة والعفو، إذ العفو - كما يقول علماء
اللغة - أبلغ من المغفرة؛ لأنَّ الغفران
يُشعر بالستر، بينما العفو يُشعر بالمحو،
والمحو أبلغ من الستر.

وعندما يطمئن الإنسان بأنَّ العفو
هو سلم يُرقى به إلى عزِّ الدنيا والآخرة،
وأنَّ الانتقام دركات وانحدارات تهوي
به إلى ذلٍّ ومقت يلاحقانه حتى الممات،
فإنَّ من الطبيعي أن يؤثر العفو على
الانتقام.

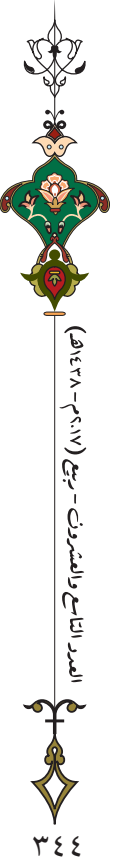
وإذا علم أبناء المجتمع الواحد بأنَّ
العفو يوسِّع دائرة الصدقات والمحاورات
فيصبح المجتمع كالبنيان المرصوص. قال
رسول الله صلى الله عليه وآله: «تعافوا تسقط الضغائن
بينكم»^(١١).

أما إذا حاول البعض الانتقام فهو
في هذه يسعى إلى تفشيِّ العداوات حتى
يصل بالمجتمع إلى الدركات المملوءة
بالوحد الذي إذا ما ارتسم فيه الإنسان
صعب عليه الخروج منه، الأمر الذي
يهزُّ كيان المجتمع ويزعزع استقراره،
فتسود الفوضى والتناحرات، وهو من
(١١) كنز العمال، ج ٣، ص ٣٧٣.

(١٢) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٠١٣.

(١٣) المصدر نفسه.

(١٤) نهج البلاغة: ٢٣.



نماذج العفو عند النبي ﷺ:

إذا كان الإسلام قرّر حقّ المظلوم في معاقبة الظالم على السيئة بمثلها وفق العدل الإلهي، فإنّ العفو والمغفرة من غير تشجيع على الظلم والتماذي فيه أكرم وأرحم، وقد ضرب القرآن الكريم مثلاً رائعاً في قصة نبي الله يوسف عليه السلام مع إخوته، فقد عفا عنهم بعد أن أوقعوا به حسداً منهم له، وهذا في الحقيقة نوع من العفو البشري دلّ عليه الكتاب الكريم في تلك القصة التي ذكرها بالتفصيل.

وأرقى من ذلك هو عفو النبي ﷺ عن أهل مكة بأجمعهم، فقال لهم: ((اذهبوا فانتهم الطلقاء))^(١٥). فقد عفا عنهم، وصفح عن أعمالهم، مع أنّه قادر على الانتقام منهم آنذاك.

هكذا صفح الرسول مع أهل مكة الذين آذوه وحاربوه؛ إذ قد بالغت قريش في إيذائه وأحكمت قبضتها منه حتى أخرجته من بين أهله وعشيرته، ولم يكتفوا بذلك بل قتلوا أصحابه، وكسروا رباعيته، وهو مع ذلك يقول من قلب

(١٥) السنن الكبرى (البيهقي) ٩: ١١٨.

خالٍ من الحقد، ولسان صادق لا يعرف الكذب أو النفاق أو الخيانة: ((اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون))^(١٦).

وهذا مثال رائع وأنموذج راقٍ يقدمه الرسول الأعظم عليه السلام من مجموعة كبيرة من الأمثلة السامية التي ضربها طيلة فترة حياته للإنسانية، فهو يطلب المغفرة عمّن أساء إليه في القول والفعل، فقد عفا عن الكثير، وتجاوز عن الكثير، وأصفح عن الكثير ممّا لاقاه من قريش وحلفائها أيام دعوته إلى الإسلام، لكنّه حين تمكّن منهم لم يعاقب ولم يثأر، بل عفا وسامح وأصفح، وهذه سجيته وصفاته الحميدة، وأخلاقه النبيلة التي مثّل بها الإسلام.

لقد عفا الرسول الأكرم عليه السلام عن وحشي الذي قتل عمّه حمزة بن عبدالمطلب في غزوة أحد، وكان من أعزّ الناس على قلبه. وكذا عفا عن رأس المنافقين أبيّ بن أبي سلول الذي كان يكرهه ويحاربه ويدبّر له المؤامرات، وكذا عفا عن عكرمة بن أبي جهل الذي

(١٦) مجمع الزوائد ٦: ١١٧.

وقفة عند قوله تعالى ((فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره))..... **الصَّبَاحُ** .

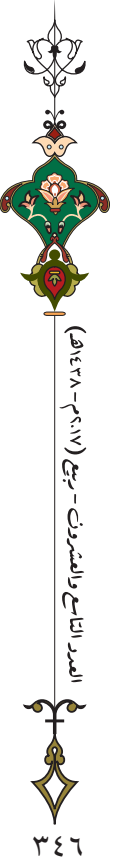
فالعفو كالانتقام ممّا أنزله الله، و لكن العفو أحسن منه، وقد أمرنا القرآن-بالأمر الندي- باتباع ما هو أحسن كما أمرنا بدرء السيئة بالحسنة لا بسيئة أخرى مثلها، ومدح الذين يدرؤن بالحسنة السيئة، حيث قال تعالى: ﴿ **وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أَوْلِيَّكَ لِمَنْ عَفَىٰ أَلْدَارِ** ﴾ [سورة الرعد: ٢٢]، وأثنى على الذين يدفعون السيئة بالتي هي أحسن بأنّ ذلك مقام لا يناله إلا الصابرون، ومنزلة لا يبلغها إلا ذو حظ عظيم، حيث قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾ (٣٤) **وَمَا يُلْمَهُمْ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا أَلَاذُ حَظٍّ عَظِيمٍ** ﴾ [سورة فصلت: ٣٤-٣٥].

و يقول تعالى: ﴿ **وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ** ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٧]، وكذلك قوله: ﴿ **وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ** ﴾ [سورة النور: ٢٢]. وإذا كانت إمطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان، فما بال العفو عن

حاربه أكثر من عشرين سنة. ولا يظنّ البعض أنّ ذلك العفو والصفح قد يؤدي إلى الذلّة والضعف والهوان، فإنّ ذلك غير صحيح، وإنّما هو قمة الشجاعة، وهو غلبة الهوى، ولا سيّما إذا كان عند المقدرة على الانتصار كما هو الحال في عفو رسول الله ﷺ وصفحته، فلقد دخل مكة فاتحاً وكانت قد ثارت عليه وتآمرت على قتله بعد أن نكّلت بأصحابه، فجاءهم من منطلق القوّة والعزّة، فخضعوا له ملقين سلاحهم عاجزين عن مقاومته، فمدّوا إليه أعناقهم ليحكم فيهم، فقد مكّنه الله تعالى منهم، لكنّه ﷺ عفا عنهم رغم مقدرته منهم، ضارباً بذلك للعالم وللأجيال أعلى مثلاً في العفو والصفح، وهو الأسوة الحسنة والقُدوة الصالحة والمثل الأعلى للبشرية.

بين العفو والانتقام

إنّ من عظيم أخلاق المؤمن أن يقبل العذر من المعتدّر، ويصفح عن المتعمد للخطأ في حقّه، وليس ذلك بواجب حتمي، ولكنّه كمال أخلاق المؤمنين.



إنسان، حيث يبدل خوفه أمناً، وضيقة فرجاً، ويأسه أملاً، فهو بذلك يدل على الإيمان ويؤكد فيه ويجدده.

وإذا كان من كمال الأخلاق العفو والصفح عن المذنب والمسيء، فإنه في الوقت نفسه يكون من الكمال، بل من الواجب على مَنْ أخطأ في حق أخيه أن يُبادر إلى الاعتذار له، طالباً منه العفو والصفح، فإنه بذلك يحقق مقاصد للشرع جليلاً من الألفة والمحبة، وإزالة البغضاء والحقد من القلوب، وجعل المحيط المجتمعي ودياً تسوده العلاقة المريحة مع الآخرين، فهو يجعل بذلك العمل العدو صديقاً، وبذلك يصير أقرب إلى ربه مما لو أثر نفسه وأخذته العزة بالإثم وأصر على الاعتداء والخطأ، الأمر الذي يُساعد الطرف الآخر على الانتقام صارفاً نظره عن العفو والصفح.

وفي الاعتذار وطلب الصفح علاج للنفس من داء الكبر والعجب، يقول ابن حبان: الاعتذار يُذهب الهموم ويجلي الأحزان، ويدفع الحقد ويذهب الصد،

والإقلال منه تستغرق فيه الجنايات العظيمة والذنوب الكثيرة، والإكثار منه يؤدي إلى الاتهام وسوء الرأي، فلو لم يكن في اعتذار المرء إلى أخيه خصلة تُحمد إلا نفي العجب عن النفس في الحال، لكان الواجب على العاقل ألا يفارقه الاعتذار عند كل زلة (١٧).

والمسلم يقبل توبة المسيء المتعمد بعد طلبه للصفح والعفو، ولو غلب على ظنه عدم صدقه في اعتذاره، فعلى المخطئ المبادرة إلى التوبة وطلب الصفح بصدق وإخلاص، وعلى المساء إليه أن يصفح ويعفو. قال رسول الله ﷺ: «إذا أوقف العباد نادى مناد: ليقم من أجره على الله وليدخل الجنة، قيل: من ذا الذي أجره على الله؟ قال: العافون عن الناس» (١٨).

وعلى المخطئ المسيء في حق أخيه - العامد وغيره - أن يسلك السبيل الأقوم في الاعتذار لأخيه الذي أخطأ في حقه، ويكون ذلك بتحقيق أمور:

١. المبالغة في الإخلاص لله تعالى في

(١٧) روضة العقلاء: ١٨٦.

(١٨) كنز العمال، ج ٣، ص ٣٧٤.

وقفه عند قوله تعالى ((فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره)).....**الصفح** .

الأشخاص ونوع الإساءة، فهناك موارد يكون العفو والصفح فيها سبباً لجرأة المنحرفين، ولا شك أنّ العفو في كلّ هذه الحالات والموارد لا يكون فضيلة أخلاقية، بل ربّما يكون حفظ نظام المجتمع والنهي عن المنكر والتصدي لمنع وقوع الجريمة يقتضي عدم التساهل مع المجرم وترك العفو.

ومن هذا المنطق ثار الإمام الحسين عليه السلام بوجه يزيد بن معاوية بعد أن رأى الدين الحنيف في خطر، فليس المحل محل عفو وصفح، وإنّما المقام مقام جهاد ومقاومة وردع للظالم عن ظلمه الأمة الإسلامية والتحكّم في مقدّراتها، ونهب ثرواتها، وإذلال المسلمين واستعبادهم. يقول أمير المؤمنين عليه السلام مؤكّداً هذا المعنى: ((العفو يُفسد من اللئيم بقدر إصلاحه من الكريم)) (١٩).

لذا نستطيع القول بعد هذا الكلام بأنّ أفضل الطرق لعلاج صفة الانتقام والصعود إلى أوج العزّة والكرامة هي

(١٩) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد المعتزلي) ٢٠: ٢٧٠.

الاعتذار وجعله خالصاً لوجهه الكريم.

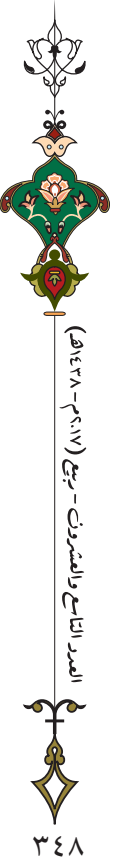
٢. الصدق في الاعتذار.

٣. اختيار المناسب من الأوقات عند أخيه المساء إليه لتقديم اعتذاره.

٤. انتقاء الكلمات والمفردات المؤثرة التي تعبّر عن المبالغة في الاعتذار.

٥. حمل ما تمكن أو تسيّر له من الهدايا على نحو الأفضلية اللائقة بحال المساء إليه ويقدمها له بين يدي اعتذاره، فإن لم يتيسر له ذلك فيكثر من الدعاء له والثناء عليه.

بعد الاعتذار وطلب العفو والصفح يعمل الإنسان المساء إليه الحكيم حكمته لكي يعرف متى يُعاقب بالمثل أو يعفو، إذ ليس دائماً يكون العلاج الصحيح والأنجح هو العفو على الرغم من كونه أحسن الكمالات، ومن فضائل الأخلاق، إلّا أنّ العفو أحياناً يُفسد الأمور بدلاً من أن يُصلحها، فالعفو والصفح يكونان مقدّمين في حال كانت إيجابياتها أكثر من المعاقبة بالمثل أو الاقتصاص، وذلك يختلف باختلاف



في نفسه، فإنّه سيتحرّك نحو علاجها والحدّ من شرّها، وبذلك يتسنى له القضاء على المعلول في القضاء على علته، فيتبدّل الحقد والكرهية وحبّ الانتقام إلى الأخوة والمحبة والعفو والصفح.

آثار العفو الفرديّة والاجتماعيّة:

مّا تقدّم يتّضح أنّ للعفو آثاراً ومعطيات حميدة وكثيرة في حركة الحياة الفرديّة والاجتماعيّة، ويمكن تلخيصها في ما يلي:

١. سلوك طريق العفو والصفح يبذل العدو إلى صديق، وذلك فيما لو كان متزامناً بالإحسان إلى ذلك العدو.
٢. ومما يتفرّع على النقطة الأولى دوام واستمرار الحكومات والقدرة السياسية؛ إذ الحاكم الذي يمارس العفو مع الأعداء يقلّل بذلك حالة العداء والخصومة لدى المخالفين، وهو في الوقت نفسه يزيد بهذا الفعل جماعة الأصدقاء والمحبين. يقول الرسول الأكرم ﷺ: ((عفو الملوك بقاء الملك)) (٢٠).

فضيلة العفو والصفح، وذلك يكون بالتفكير السليم حول معطيات وآثار كلّ من هاتين الصفتين الأخلاقيتين، فعندما يرى الإنسان ما في العفو والصفح من البركات والمواهب والمعطيات الدنيويّة والأخرويّة، وكيف أنّه يتسبّب في زيادة مكانته وعلوّ قدره وعزّته في نظر الخالق والمخلوق، فهو يريح الإنسان من الكثير من المشكلات والمصاعب، فيفتح له أبواب الحياة الكريمة، ويثير المحبة له في قلوب الناس، في حين أنّ الانتقام والردّ بالمثل أحياناً يؤدّي إلى انهدام عناصر الخير في حياة الإنسان، ويعرّض نفسه وماله وسمعته إلى الخطر، فحينئذٍ إذا قارن الإنسان بين هذه المعطيات الإيجابيّة والسلبيّة للطرفين فإنّه سوف يأخذ جانب العفو قطعاً ويرحّجه على جانب الانتقام، ويستمر في سلوك هذه الطريق حتى تحصل لديه ملكة أخلاقيّة لفضيلتي العفو والصفح.

ومن جهة أخرى فعندما يتأمّل الإنسان في جذور الحالة السلبيّة للانتقام والدوافع النفسيّة التي تثيرها هذه الحالة

(٢٠) ربيع الأبرار (الزخمشري) ٢: ١٠٦.



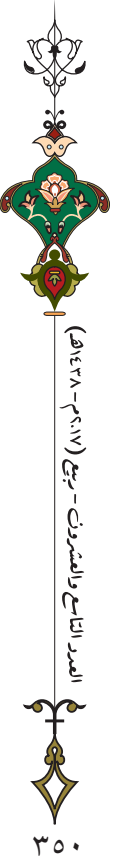
وقفه عند قوله تعالى ((فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره))..... (الصَّبَاحُ) .

ما دخلت المسجد إلا لأستغفرن
لك)) (٢٢).

٤. العفو بمثابة المحطة الأخيرة التي
تقف عندها عناصر الشر، فهو
يقطع تسلسل الحوادث الأخلاقية
من الحقد والبغضاء وغيرها من
السلوكيات الذميمة. وعلى عكسه
الانتقام، فهو يدعو إلى التعامل
بقساوة ويزيد من الكراهية وعناصر
الحشونة ويأجج نار الحقد، وربما
يؤدّي إلى إشعال فتيل الحرب
بين القبائل أو الطوائف، فتسفك
بذلك الدماء، وتصرف الأموال
وتدمر وتهدر الكثير من الطاقات
والأموال والثروات تبعاً لذلك.
يقول الرسول ﷺ: ((تعافوا تسقط
الضغائن بينكم)) (٢٣).

٥. من نتائج العفو طول العمر؛ لأنه
يتسبّب في سلامة الروح، وهدوء
النفس، وتسكين القلب. يقول

٣. زيادة عزة الشخص وتقوية مكانته
في المجتمع؛ لأنّ العفو والصفح
علامة على قوّة الشخصية وامتلاك
القرار وسعة الصدر. وعلى
العكس منه الانتقام الذي يدلّ
على ضيق الأفق وعدم التسلّط على
النفس وامتلاكها. يقول الرسول
الأكرم ﷺ: ((عليكم بالعفو، فإنّ
العفو لا يزيد إلا عزّاً)) (٢١). وحكي
أنّ مالك بن الأشتر رضي الله عنه
كان مجتازاً بسوق وعليه قميص
خام وعمامة منه، فرآه بعض السوقة
فأزرى بزيه فرماه ببابه تهاوناً به
فمضى ولم يلتفت، فقليل له: ويلك
تعرف لمن رميت؟. فقال: لا،
فقليل له: هذا مالك صاحب أمير
المؤمنين (عليه السلام)، فارتعد الرجل ومضى
ليعتذر إليه، وقد دخل مسجداً
وهو قائم يصلي، فلما انفتل انكب
الرجل على قدميه يقبلهما، فقال: ما
هذا الأمر؟. فقال: أعتذر إليك مما
صنعت، فقال: لا بأس عليك فوالله



(٢٢) بحار الانوار، ج ٤٢، ص ١٥٧.

(٢٣) كنز العمال ٣: ٣٧٣. الجامع الصغير

(السيوطي) ١: ٥٠٨.

(٢١) الكافي (الكليني) ٢: ١٠٨.

الرسول ﷺ: ((مَنْ كَثَرَ عَفْوَهُ مُدَّ فِي عَمْرِهِ)) (٢٤).

وعن علي أمير المؤمنين عليه السلام: ((العفو مع القدرة جنة من عذاب الله سبحانه)) (٢٥)، وهذا المعنى عن أمير المؤمنين يُشير فيه إلى نتائج العفو والصفح المعنويّة، وهي الأجر والثواب الأخروي، وهو كثير جداً.

زرع العفو:

في ختام كلامنا عن العفو والصفح نشير إشارة موجزة إلى كيفية تنشأة الأبناء والأولاد وزرع العفو ومعانيه والتسامح وقيمه في نفوسهم، وذلك من خلال ما يلي:

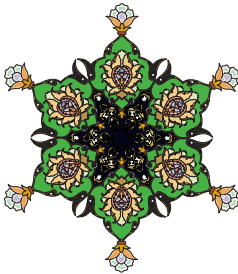
١. أن يكون الأب والأم مثلاً وقدوة للأبناء في ذلك من خلال تعاملهما مع الحوادث اليومية التي لها علاقة بالأبناء وبالأخرين، وذلك كي يشعروا بهذا المعنى.

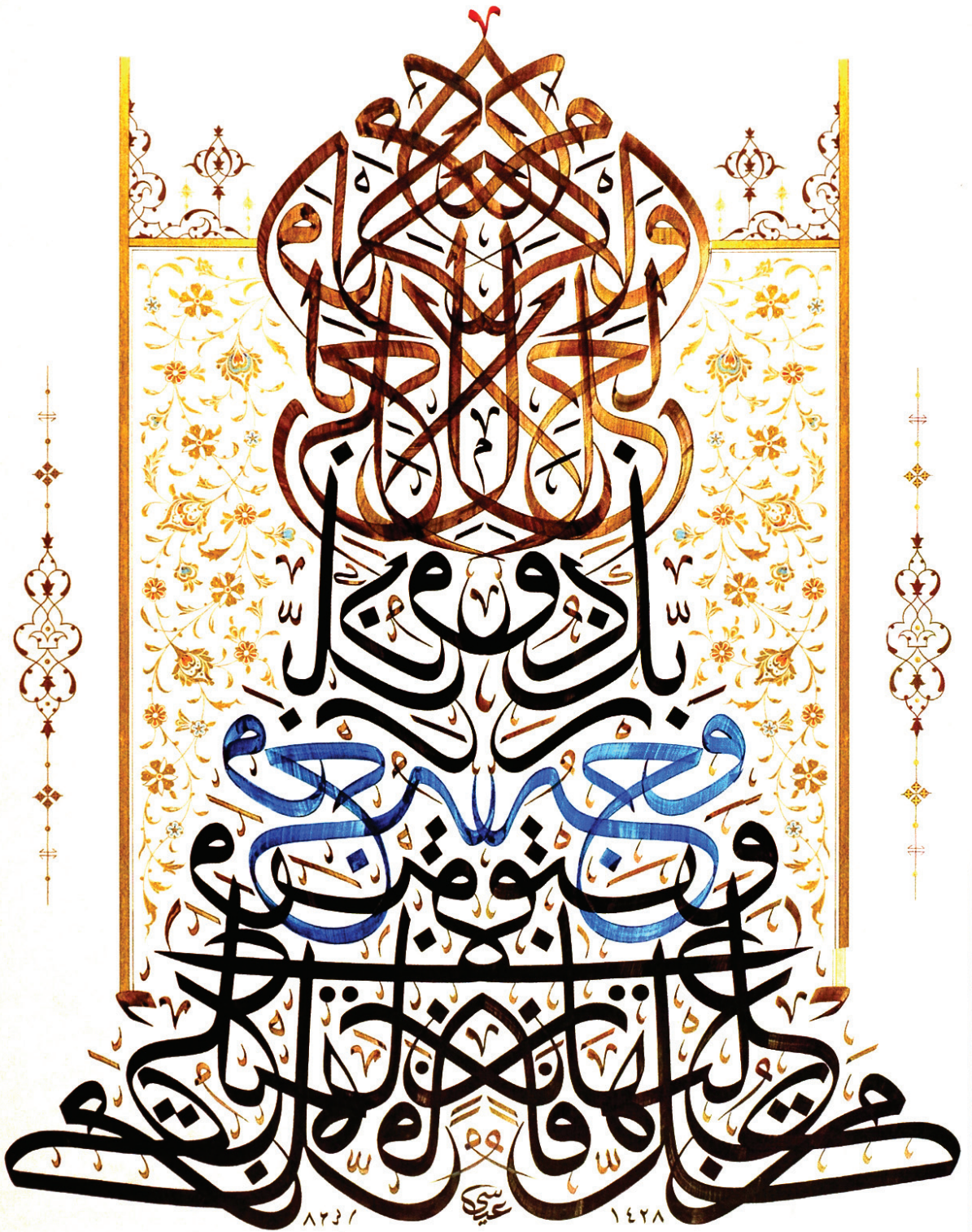
٢. دراسة الآيات الكريمة التي تتحدّث

(٢٤) ميزان الحكمة (محمد الري شهري) ٣: ٢٠١٣.

(٢٥) عيون الحكم والمواعظ (الواسطي): ٢٧.

- عن العفو وتفسيرها وتوضيح معانيها، وكذا الأحاديث الشريفة والحكم، والإكثار من القصص التاريخيّة التي تحمل هذا المعنى، والتي توضّح كيفية العفو والتسامح.
٣. بيان الآثار الإيجابيّة للعفو على النفس وما يتبعه من عظيم الثواب وإن كان مظلوماً.
٤. إكثار الاستماع إلى الذين يتحدّثون عن هذا الأمر سواء العلماء أو الخطباء أو غيرهم.
٥. خلق حالة المنافسة بين الأبناء لأجل تعميق مثل هذا الخلق في نفوسهم، وتعويض المغصوب حقّه عند الشعور منه بالعفو والتسامح على ما غُصِب عليه؛ لأجل تشجيعه على فعل مثل هذه السجّية.





نافذة

المصباح

العرض والنقد والتعريف

المختار

٣٥٤

أ.ر.أحمد مطلوب

تعقيب وتعليق

٣٥٧

أ.ر.عبد القادر سلامي

مُعْجَمُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
لِلرَّاعِبِ الْأَصْبَهَانِيِّ (٥٠٢ هـ)

٣٨٠

أ.م.ر.عبد الكريم نعمّة النفاخ

زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْطَبِيِّ

٣٩٦

م.مصطفى طارق عبد الأمير الشبلي

أرجوزة في سور القرآن العظيم
نظم علي المكتبي العربي

٤١٢

صيدر كاظم الجبوري

الدراسات القرآنية في المجالات النحوية
القسم الرابع

تَعْقِيبٌ وَتَعْلِيقٌ

على بحث:

الحُبُّ.. مُصْطَلَحَاتُهُ وَتَجَلِّيَاتُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

عقب معالي العلامة الاستاذ الدكتور احمد مطلوب رئيس المجمع العلمي العراقي على بحث نشرته مجلة المصباح في عددها السابع والعشرين تحت عنوان الحب وتجلياته في القرآن الكريم للباحثين الجزائريين كلا من الاستاذ الدكتور عبد القادر سلامي والاستاذة زهيرة نقول وللامانة العلمية ولاهمية التعقيب ننشر نصه كما وردنا من معاليه.

في شهر شعبان سنة ١٤٢٨هـ - ٦ أيلول ٢٠٠٧م عقدت (مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الاسلامي) في عمان (الأردن) الدورة الرابعة عشرة للمؤتمر العام، وبوصفي عضوا عاملا في المؤسسة (المجمع الملكي سابقا) ألقيت بحثا بعنوان (لغة الحب في القرآن الكريم) وهو يصب في موضوع (الحب في القرآن الكريم) الذي كان منطلق المؤتمر ومحوره العام.

نشر البحث في الكتاب الذي أصدرته المؤسسة سنة ٢٠٠٩م بعنوان (الحب في القرآن الكريم) ونشرته في كتابي (التشريع اللغوي وبحوث أخرى) الذي صدر سنة ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م بعنوان (لغة الحب).

وأصدر صاحب السمو الملكي (غازي بن محمد بن طلال الهاشمي) سنة ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م (الطبعة الثالثة) كتابه (الحب في القرآن الكريم) تحدث فيه عن الحب وسره، والحب الإلهي، وحب الرسول محمد ﷺ وحب الانسان لله والرسول ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام.

ووقف المؤلف عند أنواع الحب، ومراحلها، وما يتصل به، والجمال، واللقاء، والرضوان، والذوق، وذكر خمسا وثلاثين كلمة من ألفاظ الحب كالغرام والهيام والمحبة والهوى والشغف

والود والوداد.

وفي سنة ٢٠١٦م صدر لي في بيروت كتاب (الحب في اللغة العربية - دراسة ومعجم) وفيه توسعت في بحثي (لغة الحب في القرآن) وأصبح معجماً عاماً، درست فيه الحب ثم قسمت ألفاظه على قسمين:

الأول: ألفاظ دلالة الحب

الثاني: دواعي الحب

كان هذا بالأمس القريب، ويبدو أن الحب في (القرآن الكريم) يظل هاجس الباحثين، ففي العدد السابع والعشرين (السنة السابعة) - خريف ٢٠١٦م - ١٤٣٨هـ - من (مجلة المصباح) التي تصدر عن (العتبة الحسينية المقدسة) بكريلاء نُشر للأستاذة (زهيرة نقول) والأستاذ الدكتور عبد القادر سلامي بحثاً بعنوان (الحب - مصطلحاته وتجلياته في القرآن الكريم) قرأته لأنه في موضوع محبب إلى قلوب المسلمين، فوجدته مستوفياً شروط البحث، وعند التأمل فيه عَنَّت لي ملاحظات عامة:

١- العنوان واسع ويكتفى ب (القرآن الكريم وتجلياته) لأن ألفاظ الحب ليست مصطلحات وإنما هي ألفاظ لغوية دالة مثل أي كلمة عربية تدل على شيء ما.

٢- عبارة أن القرآن "هو كلام الله المنزل على رسوله محمد ﷺ المكتوب في المصاحف" تعريف لكتاب الله - تعالى - أو وصف له وليس معناه اللغوي الذي أُخذ من (قرأ) الفعل العربي ذي الدلالة المعروفة.

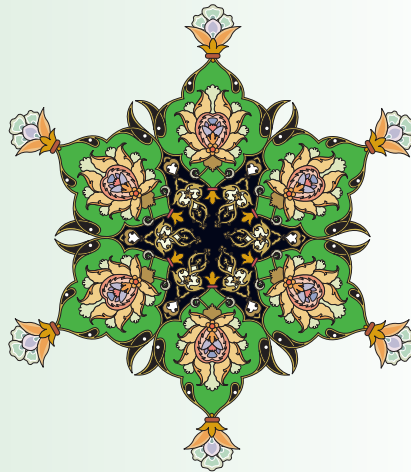
٣- تعريف الحب ناقص، إذ لابد من الوقوف على الجوانب النفسية والخلقية والاجتماعية وما إلى ذلك من أمور.

٤- ما ورد من ألفاظ ليست من المترادف وإنما تمثل مراحل الحب التي ذكرها القدماء قال الكفوي:

"أول مراتب الحب الهوى وهو ميل النفس وقد يطلق ويراد به نفس المحبوب، ثم العلاقة وهي الحب اللازم للقلب وسُميت علاقة لتعلق القلب بالمحبوب، ثم الكَلْفُ (كالكرم) وهو شدة الحب، وأصله من الكُلْفَة وهو المشقة، ثم العشق وهو فرط الحب، وعند الأطباء نوع من (الماليخوليا) ثم الشغف (شغفه الحب أي أحرق قلبه مع لذة يجدها) واللوعة واللاعج مثل الشغف، فاللاعج هو الهوى المحرق، واللوعة حرقه الهوى، ثم الجوى وهو الهوى الباطن وشدة الوجد من عشق أو

حزن، ثم التَّئِيمُ وهو أن يستعبده الحب ومنه قيل: (رجل مُتَيِّم) ثم التَّبَلُّ وهو أن يسقمه الهوى ومنه (رجل متبول) ثم الوَلَه وهو ذهاب العقل من الهوى يقال: (ولهُهُ الهوى) إذا حَيَّرَهُ، ثم الهَيْامُ أي عطاش، والصَّبَابَةُ رقة الشوق وحرارته، والمِقَّةُ المحبة، والواجِقُ المحب، والوجد الحب الذي يتبعه الحزن، وأكثر ما يستعمل في الحزن، والشجن حب يتبعه همٌّ وحزن، والشوق سفر إلى المحبوب، والوَصَبُ ألم الحب ومرضه، والكَمَدُ الحزن المكتوم، والأرقُّ السهر، والخُلَّةُ توحيد المحبة وهي رتبة لا تقبل المشاركة، والود خالص المحبة، والغرام الحب اللازم، والمحبة أمُّ هذه الأسماء كلها".

هذه مراحل الحب ومراتبه لا مترادفات لكلمة (الحب) وقد ذكرها كثير من العلماء غير الكفوي كابن حزم الأندلسي، وداود الأصفهاني، وابن قيم الجوزية، وابن تيمية الحراني والسلطي وغيرهم. أما كلمات الطاعة، والاستحسان، والنفع، والمحسون فهي من دواعي الحب لا من ألفاظه. هذا ما لاحظته وهو لا يقلل من قيمة البحث الذي يدل على أن الباحثين سائران في سبيل الانجاز المثمر.



مَعْجَمُ الْفَآظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِلرَّاعِبِ الْأَصْفَهَانِيِّ (٥٠٢ هـ) (دراسة في المنهج وطرق شرح المعنى)

أ.د. عبد القادر سلاّمي أ. فاطمة نهاربي
كلية الآداب واللغات - جامعة تامسان - جمهورية الجزائر

الملخص:

تتطلع هذه الدراسة إلى إبراز منهج الرَّاعِبِ الْأَصْفَهَانِيِّ في معجمه مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ومحاولة كشف طرق شرح المعنى التي اتخذت شكلا مميزا، إذ كان ينفي الألفاظ الموهومة، ويتبع الألفاظ المستعارة لبيان الفروق بين ما يظن أنه من المترادف، وأنه إذا انتهى من كلمة في بيان فروق مترادفاتهما، انتقل إلى كلمة أخرى لبيان الفروق بين مترادفاتهما. فمعنى اللفظة يتغير تبعا للسياق الذي وردت فيه، لذا يخرج معنى اللفظة عن معناها اللغوي الموضوع له إلى معان مجازية يمكن معرفتها من السياق الواردة فيه، والراغب بصنيعه هذا متميز عن كل من تقدمه ومن جاء بعده، وهو بذلك يقدم لنا ثروة هائلة في هذا الجانب اللغوي، إذ تعدّ طريقة الراغب في كتابه من مبتكرات التصنيف المقصود بها خدمة ألفاظ القرآن وكلماته، سواء الواضحة المعنى، أو التي تعد من غرائب الكلام أو من قليل المتكلم به، فهو يعد معجما لغويا لكن في إطار خاص وفق مراد اللفظة القرآنية و مراد الآية منها، بمعنى أنه خال من إطناب المعاجم اللغوية في الغالب الأكثر في وضع أكثر من معنى للكلمة، فهو إن فعل وذكر أكثر من معنى فذلك لورود هذه اللفظة في أكثر من آية قد تفسر بهذا المعنى في هذا الموطن وقد تفسر بالمعنى الآخر في ذلك.

التقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على محمد النبي الأمين وعلى آله وصحابه
أجمعين، وبعد:

فقد ظهرت أوّل الكتابات العربية الإسلامية لخدمة القرآن الكريم، فكثرت
التصانيف وتعدّدت مجالاتها، ومن هذه الكتب نجد كتب معاني القرآن التي تهدف إلى
شرح مفردات القرآن، تسهيلاً لفهمه، والتأليف في هذا المجال بدأ مبكراً.

ومن الأعلام البارزين في هذا المجال، نجد الراغب الأصفهاني في كتابه «معجم
مفردات ألفاظ القرآن» الذي يعدّ معلماً في المكتبة التفسيرية. ف «الراغب الأصفهاني»
عَلَمٌ مشهور بكنيته ولقبه، تميز بمكانة علمية مرموقة، وقد تحقّق ذلك من خلال تأليفه
في مواضع كثيرة، لغوية وشرعية وفقهية، وغيرها من المؤلفات التي ربما لم تصل إلينا
وكل من قرأ هذه المصنفات يشهد له بالمهارة، والتحقيق، كما يقول الذهبي عند ترجمته
له: «العلامة الماهر، المحقق الباهر، أبو القاسم الحسين محمد المفضل الأصبهاني، الملقب
بالراغب صاحب التصانيف»^(١).

فمن هو الرّاغِب؟ وما الذي هدف إليه في معجمه؟.

١. الراغب الأصفهاني: حياته وثقافته وآثاره وموقع معجمه منها:

أ. اسمه وكنيته ومولده ونشأته:

"الراغب الأصفهاني" عَلَمٌ مشهور بكنيته ولقبه، وقد اختلف في اسمه، فهو:

• الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني)^(٢).

أو: أبو القاسم حسين بن محمد بن المفضل^(٣).

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط. ٣، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م،
ص: ١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٨ و الأعلام، الزركلي، لبنان، بيروت، دار العلم للملايين، ط: ١٥، ٢٠٠٢،
ج: ٢، ص: ٢٥٥.

(٣) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، لبنان، بيروت، دار إحياء التراث

أو: المفضل بن محمد الأصبهاني^(٤).

وقد اختلفت التراجم في اسمه، وهذه الأقوال أصحها وأشهرها، لهذا يعاني كل باحث في حياة الراغب من مشكلة قلة المعلومات المتوفرة عنه، بل إن جميع المصادر التي ترجمت له لا تذكر تاريخ ولادته ولا مكانها. يقول الذهبي: «لم أظفر له بوفاة ولا بترجمة»^(٥).

ويشير الزركلي إلى أنّه «من أهل أصبهان، سكن بغداد»^(٦). ويقول السيوطي عن مذهبه «وقد كان ظني أن الراغب معتزلي، حتى رأيت بخط بدر الدين الزركشي على ظهر نسخة من القواعد الصغرى لابن عبد السلام ما نصه: ذكر الإمام فخر الدين الرازي في تأسيس التقديس في الأصول أن أبا القاسم الراغب من أئمة السنة وقرنه بالغزالي»^(٧).

كانت المعلومات عنه قليلة، ومرد ذلك يرجعه صفوان عدنان الداودي محقق كتاب مفردات غريب القرآن، إلى تواضعه وعدم حديثه عن نفسه وحياته الشخصية في ثنايا كتبه^(٨). وقد قال ذلك هو نفسه: «وأعوذ بالله أن أكون ممن مدح نفسه وزكاها، فعابها بذلك وهجاها، ومن أزرى بعقله لإعجابه بفعله، فقد قيل لا يزال المرء في فسحة من عقله ما لم يقل شعرا أو يصنّف كتابا»^(٩).

العربي، د. ط، د. ت، ج: ٢، ص: ١٧٧٣.

(٤) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط. ٢، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، ج: ٢، ص: ٢٩٧. ومفتاح السعادة، بطاش كبرى زاده، لبنان، دار الكتب العلمية، ط. ١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

(٥) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ص: ١٨.

(٦) الأعلام، الزركلي، ج: ٢، ص: ٢٥٥.

(٧) بغية الوعاة، السيوطي، ج: ٢، ص: ٢٩٧.

(٨) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان الداودي، بيروت، دار القلم، ط. ١، ١٤١٢هـ، ص: ١٤.

(٩) ينظر: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، تح: عمر الطباع، لبنان، بيروت، دار الأرقم بن الأرقم، ط. ١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ج: ١، ص: ١٤.



٢. مكانته العلمية:

تميز الراغب بمكانة علمية مرموقة، وقد تحقق ذلك من خلال تأليفه في مواضع كثيرة، لغوية وشرعية وفقهية، وغيرها من المؤلفات التي ربما لم تصل إلينا وكل من قرأ هذه المصنفات يشهد له بالمهارة، والتحقيق.

وربما الذي ساعده على هذه الغزارة في العلم نشأته في بيئته التي تجل العلم وتعلي من قدره، و أن السبب المباشر الذي أظهر الدراسات اللغوية في العراق، ارتباطها بالدراسات الدينية أو اتحادهما في نشأتهما، وقد اتسع التأليف خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، وكان لعلماء العراق القدرح المعلى في إخراج مؤلفات هي مرجع كل عالم^(١٠).

وقد كانت هناك مدن كثيرة في هذا الإقليم، تميزت بقوة الحركات العلمية والأدبية مثل بغداد والبصرة والكوفة في العراق، والري ومنه «أصبهان» موطن الراغب، التي كانت تسمى «منبع العلماء» لكثرتهم فيها وخراسان وما وراء النهر بنهضة علمية قوية في ذلك العصر^(١١).

قال عنه الزركلي: «اشتهر حتى كان يقرون بالإمام الغزالي»^(١٢) وقال عنه السيوطي: «صاحب المصنفات»^(١٣).

قال محقق كتاب الراغب «محاضرات الأدباء»:

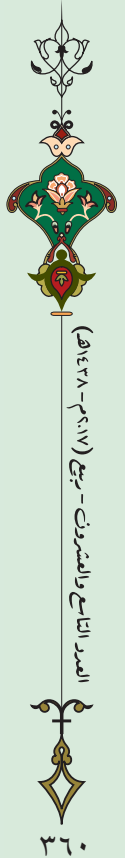
«تعددت ينابيع عرفانه وتنوعت مناهل علومه وموارد آدابه، وتشعبت مذاقاته الفكرية، حتى شملت جملة ثقافات عصره الأصلية والدخيلة، فكان طويل الباع في

(١٠) ينظر: الحضارة الإسلامية دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية، طه عبد المقصور عبد الحميد أبو عبيدة، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط. ١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م، ص: ١٩٦، ١٩٧.

(١١) ينظر: ظهر الإسلام، أحمد أمين، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط. ٤، ١٩٦٦م، ج: ١، ص: ٢١٧.

(١٢) الأعلام، الزركلي، ج: ٢، ص: ٢٥٥.

(١٣) بغية الوعاة، ج: ٢، ص: ٢٩٧.



آداب العربية، مثقفا متوازن الأبعاد الثقافية والفكرية، وكانت شخصيته كمؤلف ذات مرتكزات ثلاثة فهو في الآن نفسه الفقيه والمتكلم والأديب»^(١٤).

٣. وفاته:

كثرت الاختلافات في اسمه كما اختلف في سنة وفاته، لدرجة لا يمكن التوفيق فيها بين الأقوال المتعارضة.

في حين يذكر السيوطي في «بغية الوعاة» أن وفاته كانت في أوائل المائة الخامسة^(١٥) (أي في حدود الفترة من ٤٠٠ إلى ٤١٠ هـ تقريبا). نجد صاحب «كشف الظنون» يذكر أن وفاته كانت في سنة ٥٠٢ هـ ويورد الزركلي^(١٦) وبروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي^(١٧) نفس السنة، ويقول الذهبي بأنه لم أعثر له على وفاة^(١٨).

وفي مثل هذه الحالات التي ينعدم فيها اليقين، تكثر الاجتهادات التي قد تتوصل إلى حلّ وسط، والمتفق عليه في معظم المؤلفات التي تكلمت عنه، والتي صادفتها أثناء بحثي، أن سنة الوفاة هي ٥٠٢ هـ.

٤. آثاره:

خلف الراغب الأصفهاني تراثا علميا لا يستغني عنه أي باحث أو عالم، فهذا الإمام الغزالي يستحسن كتاب «الذريعة إلى مكارم الشريعة»، ويحمله معه في أسفاره. والبيضاوي المفسر، اعتمد في تفسيره للقرآن على تفسير الراغب، واهتم المستشرقون بكتاب «المحاضرات» وجعلوه في مكتباتهم. وجاء في مفتاح السعادة أن كتاب «تفصيل النشأتين» كتاب لطيف لا يمكن أحسن منه في باب، وجامع للفوائد الشريفة، إلى غير

(١٤) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ج ١، ص: ٥، ١٠.

(١٥) ينظر: بغية الوعاة، السيوطي، ج: ٢، ص: ٢٩٧.

(١٦) ينظر: الأعلام، الزركلي، ج: ٢، ص: ٢٥٥.

(١٧) ينظر: تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ترجمة عبد الحليم النجار، القاهرة، دار المعارف، ط. ٥، د. ت، ج: ٥، ص: ٢٠٩.

(١٨) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ص: ١٨.

ذلك من المصنفات. ومن أهم ما وصلينا منها «معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم» موضوع بحثنا، وهو من الكتب التي صحت نسبته إليه.

٥. المعجم وهدف الراغب من تأليفه:

كتاب المفردات للراغب الأصفهاني، كتاب مصنف في الألفاظ القرآنية والدلالات اللغوية. فمعنى اللفظة يتغير تبعا للسياق الذي وردت فيه، لذا يخرج معنى اللفظة عن معناها اللغوي الموضوعة له إلى معان مجازية يمكن معرفتها من السياق الواردة فيه.

ويعد مصنفه من باب إنزال المفردات اللغوية على اختلاف مفرداتها على كل ما يندرج تحتها بين ألفاظ الآيات القرآنية، وفق طريقة لغوية معجمية. فقد قال في مقدمته عن هذا الشأن: «وقد استخرت الله تعالى في إملاء كتاب مستوفى فيه مفردات ألفاظ القرآن على حروف التهجي، فنقدم ما أوله الألف، ثم الباء على ترتيب حروف المعجم، معتبرا فيه أوائل حروفه الأصلية دون الزوائد...»^(١٩).

وذكر في فاتحة مؤلفه أن «أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية: تحقيق الألفاظ المفردة»^(٢٠). تحقيق الألفاظ المفردة من العلوم اللفظية، التي لا بد للدارس أن يفقهها ويحيط بمدركاتها.

درس الراغب المفردات وما لها من صلة بمجال تفسير القرآن في كتابه «المفردات»، كما توخى الدقة في الإبانة عن معاني الألفاظ في سياقها القرآني.

صنّفه محمود فهمي حجازي في كتابه «مدخل إلى علم اللغة» ضمن كتب الغريب، إذ يقول: «كانت كلمات القرآن الكريم مجالا لأعمال معجمية كثيرة، عرفت في حالات كثيرة باسم غريب القرآن وألفاظ القرآن. ومن أهم هذه الجهود: المفردات للراغب

(١٩) معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، لبنان، بيروت، دار الفكر، ط. ١، (١٤٢٦، ١٤٢٧ هـ) ٢٠٦٦م، ص: ٨.

(٢٠) معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص: ٨.

الأصفهاني» (٢١).

واتفقت بعض البحوث الحديثة مع بحوث قديمة على أن المفردات من كتب الغريب وحتى نُذَكَّرَ بمعنى الغريب وندرك مقاصده نقل عن مصطفى صادق الرافعي قوله: «وفي القرآن ألفاظ اصطلاح العلماء على تسميتها بالغرائب، وليس المراد أنها منكرة أو نافرة أو شاذة، فإن القرآن منزّه عن هذا جميعه، وإنما اللفظة الغريبة هاهنا هي التي تكون حسنة مستغربة في التأويل بحيث لا يتساوى في العمل بها سائر الناس» (٢٢).

والحق أن كتاب «المفردات» أشمل وأوسع وأعمق من مجال الغريب بمعناه الشائع، وهذا لما أورده الراغب من غير الغريب. ولم يجد له عنوانا في مقدمة الكتاب وإنما قال: «وقد استخرت الله تعالى في إملاء كتاب مستوفي منه مفردات ألفاظ القرآن على حروف التهجي... والإشارة فيه إلى المناسبات التي بين الألفاظ المستعارات منها والمشتقات حسبما يحتمل التوسع في هذا الكتاب» (٢٣).

قال الراغب كتاب مستوفي منه مفردات ألفاظ القرآن يعني يشمل كل ألفاظ القرآن، ولم يشر إلى غريب أو غيره.

والحقيقة أن الراغب عارف بعلوم القرآن، ومطلع على علم اللغة، فمن هنا ينبغي التفريق بين كون المفردات متضمنا للغريب وهو ما لا يمكن إنكاره، وبين كونه كتابا في الغريب، ومن ذلك أن كتاب المفردات يختلف عن كتب الغريب، كتفسير غريب القرآن لابن قتيبة. فربما ما كان عند غيره غريبا، كان لديه مألوفًا وخاض في مجال اختلف العلماء فيه وهو مجال الترادف حتى يبرز الفروق اللغوية التي تجلي المعنى أكثر لأن المفردة قد تؤدي معنى في سياق ما ومرادفها يؤدي معنى آخر في سياق مغاير، فهو

(٢١) مدخل إلى علم اللغة، محمود فهمي حجازي، القاهرة، الدار المصرية السعودية، ط. ٤، ٢٠٠٦م، ص: ١٨٩.

(٢٢) تاريخ أدب العرب، صادق الرافعي، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ج: ٢، ص: ٤٩.

(٢٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص: ٨.

يقول: «والإشارة إلى المناسبات التي بين الألفاظ المستعارات منها والمشتقات حسبها يحتمل التوسع في هذا الكتاب... وأتبع هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ونسأ في الأجل، بكتاب ينبيء عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينهما من الفروق الغامضة» (٢٤).

وقد اهتدى الراغب إلى مفاتيح النص القرآني، وهي مفردات الألفاظ الني لا يستغني عنها مشغل بكتاب الله تعالى. وهذا يدل على عبقريته في مجال التصنيف والتأليف.

لكل كتاب منهج، فكيف كان منهج الراغب في معجمه؟.

٦. منهج الراغب في معجمه:

يتمثل منهج الكتاب في جانبين، هما: ترتيب المداخل وطرق شرح المعنى. والأحرى بنا أن نعرف المدخل كما عرفه حلمي خليل بقوله: «المدخل عبارة عن الوحدة التي ستوضع تحتها بقية الوحدات المعجمية الأخرى، أو المادة المعجمية التي تتألف - عادة - في المعاجم اللغوية من الكلمات المشتقة وغير المشتقة، وغالبا ما يتكون هذا المدخل في مثل هذا النوع من المعاجم من الجذر الذي يمثل البنية الأساسية للكلمات والمشتقات» (٢٥).

كما يُعرف المدخل بالمادة التي عرفها عبد التواب مرسي الأكرت في كتابه «ابن منظور ومظاهر التضخم في معجمه» بقوله: «المادة المعجمية في المادة الغفل عن الحركة التي سماها ابن فارس بالأصل، وسماها الصغاني بالتركيب، وعند المحدثين تسمى بالجذر، أي المادة الخام، وتسمى عند علماء الصرف بالأصول وهي الحروف التي لا تسقط أثناء تصريف الكلمة، وغالبا ما يدونها المعجميون عنوانا للمادة اللغوية بحروف مفرقة خالية من الشكل والضبط بالحركات التي تندرج تحتها الألفاظ والكلمات المفردة التي تشترك

(٢٤) المرجع نفسه، ص: ٨.

(٢٥) مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، حلمي خليل، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،

ط. ١، ١٩٩٧م، ص: ٢١.

في الحروف الأصول التي وقعت عنوانا للمادة اللغوية أو الجذر اللغوي فيما يشبه أفراد العائلة الواحدة، مما يعطينا الحق في أن نطلق على المادة اللغوية بما تتضمنه من ألفاظ اسم العائلة اللغوية»^(٢٦).

أ. المادة المعجمية هي الجذر أو الأصول التي تسقط أثناء تصريف الكلمة:

أشار الراغب الأصفهاني في عبارة قصيرة إلى نظام الترتيب والشرح بقوله: «وقد استخرت الله تعالى في إملاء كتاب مستوفى فيه مفردات ألفاظ القرآن على حروف التهجي، فنقدم ما أوله الألف ثم الباء على ترتيب حروف المعجم معتبرا فيه أوائل حروف الأصلية دون الزوائد، والإشارة فيه إلى المناسبات التي بين الألفاظ المستعارات منها والمشتقات»^(٢٧).

نستنتج من مقدمة الكتاب النقاط التالية:

- كتاب مستوفى فيه مفردات ألفاظ القرآن.
 - مرتب على حروف التهجي معتبرا فيه أوائل حروفه الأصلية.
 - الإشارة إلى المناسبات التي بين الألفاظ المستعارات والمشتقات.
- ب. طريقته في ترتيب المداخل المعجمية:

يقصد بطريقة الترتيب «ترتيب المداخل، وكذا ترتيب المشتقات في المعاجم اللغوية، تحت الجذر الواحد أو المدخل، ويتمثل ذلك بعد ترتيب المداخل في وضع الكلمات والمشتقات أيها يأتي أولا وأيها يأتي تاليا. ويتفق علماء المعاجم على أن ترتيب المشتقات تحت مدخل ما لا بد أن يخضع لنظام عام في المعجم اللغوي بأكمله، حيث ترتب الأفعال والاسماء والصفات وبقية المشتقات، الفعلية أو الاسمية مثلا طبقا لقاعدة تقول: إنَّ المعاني أو الدلالات الحسيّة تأتي قبل المعاني أو الدلالات المجردة، وأنَّ الكلمات ذات

(٢٦) ابن منظور ومظاهر التضخم في معجمه، عبد التواب مرسي الأكرث، القاهرة، دار البشرى للطباعة والنشر، ١٩٩٨ م.

(٢٧) معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص: ٨.



المعنى الحقيقي تأتي قبل الكلمات المجازية وهكذا، ومعنى ذلك أن الأفعال تأتي قبل الأسماء والصفات بعد الأسماء، وفي جميع الأحوال لا بد أن يخضع الترتيب الداخلي تحت المدخل الواحد لنظام ثابت، مما يسهل على المستعمل للمعجم أن يعثر على ما يريد بسهولة ويسر»^(٢٨).

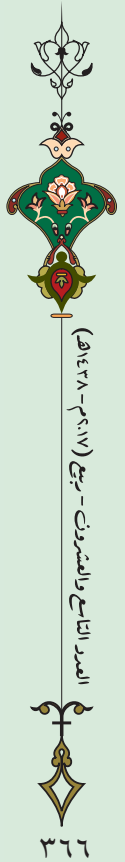
بناء على ما جاء في المقدمة، قسم الراغب المعجم إلى أبواب ثم رتب هذه الأبواب حسب الترتيب الألفبائي مع مراعاة أوائل الأصول.

- يأتي في كل باب بالمفردة الواردة في القرآن، والتي تبدأ بحرفه مجردة من حروف الزيادة.
- يذكر المعنى الدقيق للفظه، ويجاوب التفريق بين دلالتها ودلالة الكلمات المقاربة لها.
- يعنى أولاً بذكر المعنى الحقيقي ثم بعد ذلك بالمعنى المجازي.
- يراعي ترتيب المفردات المتفقة في حرفها الأول، داخل الباب الواحد بالنظر إلى الحرفين الأولين من كل مفردة.

يستشهد بالآيات القرآنية التي ذكرت فيها اللفظة ويبين المعنى المراد حسب ما يقتضيه أصل المعنى ودلالة السياق، ويبين المعاني التي تحيط بهذه اللفظة. يقول الداودي في تحقيقه للكتاب: «لقد سلك الراغب في كتابه منهجا بديعا ومسلكا رفيعا ينم عن علم غزير وعمق كبير، فنجده أولاً يذكر المادة بمعناها الحقيقي، ثم يتبعها بما اشتق منها، ثم يذكر المعاني المجازية للمادة، ويبين مدى ارتباطها بالمعنى الحقيقي»^(٢٩). هذا فيما يخص طريقة الترتيب، أما طرق شرح المعنى فسيكون فيها تفصيل أكثر.

٧. طرق شرح المعنى في المعجم:

(٢٨) مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، حلمي خليل، ص: ٢٢، ٢٣.
 (٢٩) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان الداودي، بيروت، دار القلم، ط. ١، ١٤١٢ هـ، ص: ١٤.



إنَّ طبيعة المعنى أن يكون متعددًا ومحتملاً، وهاتان الصفتان من صفات المعنى، تقوم كل منها على الأخرى، فإذا تعدد معنى الكلمة المفردة حال انعزالها، تعددت احتمالات القصد، وتعدد احتمالات القصد يعتبر تعدداً في المعنى. والذي يجب ألا يغيب عن أذهاننا دائماً، أن الكلمة في المعجم لا تفهم إلا منعزلة عن السياق، وهذا هو المقصود بوصف الكلمات في المعجم بأنها مفردات^(٣٠).

وشرح المادة في المعاجم لا يعتبر كاملاً من حيث منهجه إلا إذا اشتمل على أمرين اثنين^(٣١):

أ. شرح الأشكال المختلفة للكلمة.

ب. تقسيم المادة بحسب تعدد المداخل الفرعية فيها.

يستخدم الراغب في شرح المعنى المعجمي وتفسيره الطرق نفسها المطبقة في معاجم الألفاظ، غير أنه كان حريصاً على إيراد المعنى الأصلي في كل مدخل من مداخل المعجم. وشرح المعنى في معاجم الألفاظ، وجدت له عدة وسائل قسمها أبو الفرج في كتابه المعاجم اللغوية إلى خمسة أقسام هي التفسير بالمغايرة، والتفسير بالترجمة والتفسير بالمصاحبة، والتفسير بالسياق^(٣٢).

أ. التفسير بالمغايرة:

التفسير بالمغايرة هو أن يشرح معنى الكلمة، بأن يذكر أخرى تغيروها في المعنى فيتضح الضد بالضد، والمغايرة تنقسم إلى قسمين هما:

• المغايرة التامة:

(٣٠) بحوث ودراسات في علم اللغة، مجدي إبراهيم محمد إبراهيم، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، د. ط، د. ت، ص: ١٤٥.

(٣١) المعجم العربي بحوث في المادة والمنهج والتطبيق، رياض زكي قاسم، لبنان، بيروت، دار المعرفة، ط. ١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ص ٢٤٦-٢٤٧.

(٣٢) المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، محمد أحمد أبو الفرج، مصر، دار النهضة للطباعة والنشر، ط. ١، ١٩٦٦م، ص ١٠٣.

وتكون هذه المغايرة في المعنى وأصل الكلمة، وأكثرها ما يكون التعبير عنها بألفاظ ثلاث وهي: نقيض، ضد، خلاف.

فمن استعمال لفظ نقيض ما جاء في مادة (بطل) (٣٣): الباطل نقيض الحق.
فمن استعمال لفظ ضد في معجم المفردات ما ورد تحت المدخل (ضيق) (٣٤): الضيق ضد السعة ويقال الضيق أيضا.

وفي المدخل (ظل) (٣٥): الظل ضد الصَّح وهو أهم من الفيء.
وفي المدخل (عجز) (٣٦): العجز ضد القدرة.
ومن استعمال لفظ خلاف ما ورد في المدخل (عجم) (٣٧): العجم خلاف الإبانة.
وفي المدخل (أنث) (٣٨): الأنثى خلاف الذكر.
وفي المدخل (ضعف) (٣٩): الضعف خلاف القوة وقد ضعف فهو ضعيف.
وفي (قصر) (٤٠): القصر خلاف الطول وهما من الأسماء المتضايقة.
أما المدخل (أنس) (٤١): الإنس خلاف الجن، والإنس خلاف النفور.

اعتمد الراغب على وحدات لغوية أخرى (ضد، خلاف) تؤشر بيان الدلالة، وتساهم في كشف معطياتها. «وقد أطلق المناطقة على هذه العلاقة اسم «التضاييف» والمتضاييفان عندهم هما اللذان لا يتصور أحدهما بدون الآخر» (٤٢). وهذا ما أشار إليه

(٣٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(بطل)، ص ٤٣.

(٣٤) المصدر نفسه، مادة (ضيق)، ص ٢٢٥.

(٣٥) المصدر نفسه، مادة (ظل)، ص ٢٣٦.

(٣٦) المصدر نفسه، مادة (عجز)، ص ٢٤٢.

(٣٧) المصدر نفسه، مادة (عجم)، ص ٢٤٣.

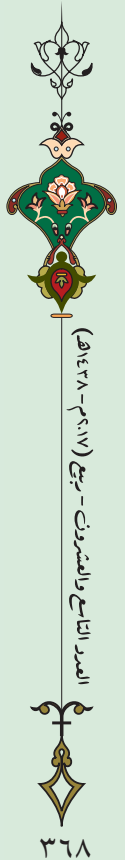
(٣٨) المصدر نفسه، مادة (أنث)، ص ٢٥.

(٣٩) المصدر نفسه، مادة (ضعف)، ص ٢٢٢.

(٤٠) المصدر نفسه، مادة (قصر)، ص ٣٠٥.

(٤١) المصدر نفسه، مادة (أنس)، ص ٢٥.

(٤٢) المنطق الصوري والرياضي، عبد الرحمن بدوي، القاهرة، دار الثقافة، ط. ٣، ١٩٦٨م، ص ٦٦.



الراغب في مادة (قصر) فهذا دليل على أنه منطقي أو تأثر بالمناطقة.

• المغايرة الناقصة:

المغايرة الناقصة إما أن تكون في المعنى أو الصيغة أو فيها، ولا تكون في الأصل،
ومما كانت في المعنى فقط ما جاءت تحت المدخل (جنح)^(٤٣): جنح الطائر أي كسر
جناحه... ، وجنحت العير في السير أسرعت كأنها استعانت بجناح، وجنح الليل أظل
بظلامه... ، وجنحت السفينة أي مالت إلى أحد جانبيها.

وفي مادة (عين)^(٤٤): العين الجارحة... ، ويقال للمراعي عين... وعين الله عليك:
أي كنت في حفظ الله ورعايته... ، وقيل للمتحمس عين تشبيها بها في نظرها... ، وقيل
للذهب عين تشبيها بها في كونها أفضل الجواهر كما أن هذه الجارحة أفضل الجوارح.
وهذا ما يسمى بالمشارك اللفظي.

ومما كانت المغايرة في الصيغة فقط، ما جاء في مادة (عجم)^(٤٥): العجمة خلاف
الإبانة، والإعجام الإبهام، واستعجمت الدار إذا بان أهلها ولم يبق فيها عريب أي من
يبين جوابا... ، والعجم خلاف العرب... ، والأعجم في لسانه عجمه... ، وسميت
البيهمة عجماء من حيث أنها لا تبين عن نفسها بالعبارة إبانة الناطق...

أما المغايرة في الصيغة والمعنى ما جاء في معجم المفردات في مادة (عرب)^(٤٦):...
. والأعرابي من التعارف صار اسما للمنسويين إلى سكان البادية... ، والإعراب
البيان... ، والعربي الفصيح البين من الكلام... ، وما بالدار عريب أي أحد يعرب
عن نفسه، وامرأة عروبة معربة بحالها عن عفتها ومحبة زوجها... ، والمعرب صاحب
الفرس العربي.

(٤٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (جنح)، ص ٧٧-٧٨.

(٤٤) المصدر نفسه، مادة (عين)، ص ٢٦٧-٢٦٨.

(٤٥) المصدر نفسه، مادة (عجم)، ص: ٢٤٣.

(٤٦) المصدر نفسه، مادة (عرب)، ص: ٢٤٧.



• المغايرة بالمجاز:

هذا النوع من المغايرة يعتمد على تبين الحقيقة من المجاز في استعمالات المادة المعجمية. وأمثلة المجاز في المعجم كثيرة، إذ أولها الراغب عناية ملحوظة بتحويله الدلالة من مجال إلى مجال آخر.

قال ابن جني في الخصائص: «لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا لمعان ثلاثة: وهي الاتساع والتشبيه والتوكيد فإنّ عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتّة» (٤٧).

فالمجاز ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة. ومثال ذلك في معجم الراغب ما جاء في مادة (أزر) (٤٨): أصل الأزر الإزار الذي هو اللباس. ويكنى بالإزار عن المرأة. وتسميتها بذلك لما قال تعالى ﴿أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةُ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرُوهُمْ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَنكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٧]. وقوله تعالى: ﴿أَشَدُّ بِهِمْ أَزْرِي﴾ [سورة طه: ٣١] أي اتَّقَوْا به. والأزر القوة الشديدة وآزره أعانه وقواه وأصله من شدّ الإزار.

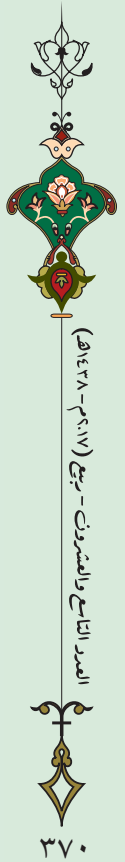
وفي مادة (وزر) (٤٩): الوزر الملجأ الذي يلتجأ إليه من الجبل، قال تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ [سورة القيامة: ١١].

والوزر الثقل تشبيهاً بوزر الجبل ويعبر بذلك عن الإثم كما يعبر عنه بالثقل... والوزير المتحمل ثقل أمير وشغله. هذا الانتقال من مكان إلى مكان، نقل الألفاظ من محل إلى محل.

(٤٧) الخصائص، ابن جني، تح: محمد علي النجار، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، د. ط، د. ت، ج: ٢، ص: ٤٤٢.

(٤٨) معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (أزر)، ١٨.

(٤٩) معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (وزر)، ص: ٤٠٥.



ب. التفسير بالترجمة:

التعريف بالترجمة أو المرادف، يكون بكلمة واحدة من اللغة نفسها، وقد يكون تفسير الكلمة بذكر أكثر من مرادف لها من اللغة نفسها، وقد يكون بالنقل من لغات أخرى.

• التفسير بأكثر من كلمة:

هذا النوع من من الشرح كثير في المعجم فمن ذلك ما ورد في:

مادة (أتى) (٥٠): الإتيان مجيء بسهولة.

مادة (أث) (٥١): الأثاث متاع البيت الكثير.

مادة (صنع) (٥٢): الصنع إجادة الفعل.

مادة (شرط) (٥٣): الشرط كل حكم معلوم يتعلق بأمر يقع بوقوعه.

مادة (فكر) (٥٤): الفكرة قوة مطرقة للعلم المعلوم.

• التفسير بكلمة واحدة:

ومثال التفسير بكلمة واحدة، ما جاء في مادة (أبا) (٥٥): الأب: الوالد.

وفي مادة (جوي) (٥٦): الجوّ الهواء.

وفي مادة (ردف) (٥٧): الرّدْف التابع.

وفي مادة (زرع) (٥٨): الزرع الإنبات.

(٥٠) معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (أتى)، ص: ١١.

(٥١) المصدر نفسه، مادة (أث)، ص: ١١.

(٥٢) المصدر نفسه، مادة (صنع)، ص: ٢١٥.

(٥٣) المصدر نفسه، مادة (شرط)، ص: ١٩٤.

(٥٤) المصدر نفسه، مادة (فكر)، ص: ٢٩٠.

(٥٥) المصدر نفسه، مادة (أبا)، ص: ١٠.

(٥٦) المصدر نفسه، مادة (جوي)، ص: ٨٠.

(٥٧) المصدر نفسه، مادة (ردف)، ص: ١٤٧.

(٥٨) المصدر نفسه، مادة (زرع)، ص: ١٦٠.

وفي مادة (حصر) (٥٩): الحصر التضييق.

هذا فيما يخص الشرح بكلمة واحدة، وربما كان ذلك بالنسبة للألفاظ التي لا تحمل التعدد في المعنى. وبذلك يعرف اختصاص كل خبر بلفظ من الألفاظ المترادفة دون غيره من أخواته كما قال الراغبني مقدمة المعجم (٦٠).

ج. التفسير بكلمة معروفة:

ويسمى «التعريف السطحي» وهو تعريف مبهمفي بعض الأحيان، يُخبر فيه عن اللفظ المعرف إخبارا غامضا لا يوضح دلالته (٦١). وقد جاء في معجم الراغب في المفردات التي لا تحتاج إلى الإطناب أو إلى استشهاد بأقوال مختلفة. ومثال ذلك ما جاء في مادة:

(برص) (٦٢): البرص معروف.

(بصل) (٦٣): البصل معروف.

(شعر) (٦٤): الشعر معروف.

(غنم) (٦٥): الغنم معروف

د. التعريف بالكلية والأكثرية:

الكليات هي ما أطلق علماء اللغة في تفسيرها لفظه «كل»، كما فعل الثعالبي في كتابه فقه اللغة وسر العربية، فقد أفرد بابا للكليات: «كل شيء من متاع الدنيا فهو عرض...»

(٥٩) المصدر نفسه، مادة (حصر)، ص: ٩٢.

(٦٠) المصدر نفسه، ص: ٨.

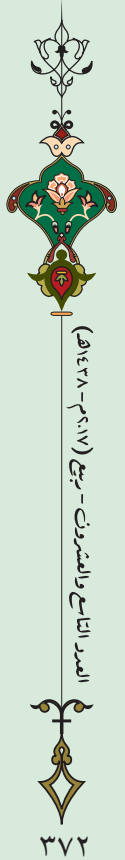
(٦١) دراسات في المعجم العربي، ابراهيم بن مراد، لبنان، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط. ١، ١٩٨٧م، ص: ٢١٤.

(٦٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، مادة (برص)، ص: ٣٨.

(٦٣) المصدر نفسه، مادة (بصل)، ص: ٤٢.

(٦٤) المصدر نفسه، مادة (شعر)، ص: ١٩٧.

(٦٥) المصدر نفسه، مادة (غنم)، ص: ٢٧٥.



كل ما يصيد من السباع والطيور فهو جارح، والجمع جوارح^(٦٦).

كما وافقه أئمة آخرون في ذكر ضروب من الحيوان: «عن الليث عن الخليل وعن أبي سعيد الضرير وابن السكيت وابن الأعرابي وغيرهم من الأئمة: كل دابة في جوفها روح فهي نسمة، كل كريمة من النساء والإبل والخيل وغيرها، فهي عقيلة»^(٦٧).

وقد وافقهم الراغب بقوله: «والأجل ضد العاجل، والأجل الجناية التي يخاف منها أجلا، فكل أجل جناية»^(٦٨).

ويقول في مادة (أتى)^(٦٩): «وكل موضع ذكر في وصف الكتاب آتينا فهو أبلغ من كل موضع ذكر فيه أوتوا، لأن أوتوا قد يقال إذا أوى من لم يكن منه قبول. وآتينا يقال فيمن كان منه قبول».

وفي مادة (خلق)^(٧٠): الخلق أصله التقدير المستقيم ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتداء.

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلَهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمَلَكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [سورة الأنعام: ٧٣]... والخلق لا يستعمل في كافة الناس إلا على وجهين:

أحدهما في: معنى التقدير... والثاني في الكذب...، وكل موضع استعمل فيه الخلق في وصف الكلام، فالمراد به الكذب ومن هذا الوجه امتنع كثير من الناس من إطلاق لفظ الخلق على القرآن.

(٦٦) ينظر: فقه اللغة وسر العربية، أبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، تح: أملين نسيب، بيروت، دار الجليل، ط. ١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ص: ٢٢.

(٦٧) المرجع نفسه، ص: ٢٣.

(٦٨) معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، مادة (أجل)، ص: ١٣.

(٦٩) المصدر نفسه، مادة (أتى)، ص: ١١.

(٧٠) المصدر نفسه، مادة (خلق)، ص: ١٢٠.

وفي مادة (صمغ) (٧١): «الصومعة كل بناء متصمّع الرأس أي متلاصقة، جمعها صوامع».

يشرح بلفظة "كل" ولكن في بعض المفردات لا يتركها على إطلاقها، بل يبين بعض الفروق بينها، كما جاء في مادة (أرب) (٧٢): "فكل أرب حاجة وليس كل حاجة أرباً". هذا فيما يخص التعريف بقواعد الكلية. أما التعريف بقواعد الأكثرية فجاء على سبيل التغليب لتنفى عنه صفة الكلية، وذلك كما في الأمثلة التالية:

في مادة (صلح) (٧٣): "الصلاح ضد الفساد وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال وقوبل في القرآن تارة بالفساد وتارة بالسيئة".

وفي مادة (شفع) (٧٤): "الشفع ضم الشين إلى مثله... وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى".

وفي مادة (سعى) (٧٥): "السعي المشي السريع وهو دون العدو، ويستعمل للجد في الأمر خيراً كان أو شراً... وأكثر ما يستعمل السعي في الفعال المحمودة".

وبهذه التعريفات يكون الراغب قد صنف بعض المفردات في مجالاتها اللغوية والدلالية حتى لا تلتبس المعاني.

و. التفسير بالسياق:

اهتم الراغب في مفرداته بالسياق، مع التطرق لعدد من المفردات التي بينها فروق. كان يريده كتاباً مستوفياً لمفردات ألفاظ القرآن، والإشارة فيه إلى المناسبات التي بين الألفاظ المستعارات منها والمشتقات، وهذا ما ذكره في مقدمة كتابه، وهذه منهجية جديدة ظهر بها الراغب كما ظهر الخليل بن أحمد قبله بمنهجية التقاليد التي كان

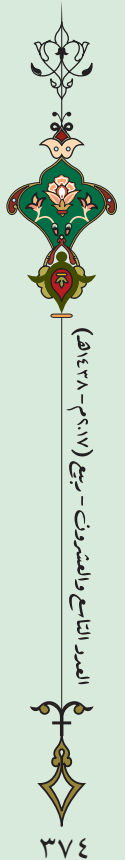
(٧١) معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، مادة (صمغ)، ص: ٢١٥.

(٧٢) المصدر نفسه، مادة (أرب)، ص: ٣٥.

(٧٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، مادة (صلح)، ص: ١٦.

(٧٤) المصدر نفسه، مادة (شفع)، ص: ٢١٤.

(٧٥) المصدر نفسه، مادة (سعى)، ص: ١٧٥.



غرضه منها إحصاء ألفاظ اللغة العربية.

جاء بالسياقات القرآنية تحت الجذر الأصلي للمفردات التي تظهر بالمعنى الواحد، مع ورود مشتقات أخرى موضوعة في إطار شاهد آخر كالحديث النبوي أو الشعر ليجلي معناها. و"قد التفت كل من القدماء والمحدثين إلى أهمية السِّيَاق في تحديد الفروق الدلالية بين الكلمات الذي يظن أنها مترادفة، وكذلك فيما أشار إليه القدماء من أن عدم معرفة السامع لكلام العرب والعلة فيه قد يؤدي إلى غموض المعنى بالنسبة لغير ابن اللغة وذلك لا يلزم العرب أبناء اللغة جهله"^(٧٦).

أ. السياق اللغوي:

ويشتمل السياق اللغوي على كل العلاقات التي تتخذها الكلمة في داخل الجملة. والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى ومنها ما جاء في مادة (عقل)^(٧٧): "العقل يقال للقوة المنتهية لقبول العلم ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل".

ولهذا قال أمير المؤمنين عليه السلام:^(٧٨)

رَأَيْتَ الْعَقْلُ عَقْلَيْنِ

فَمَطْبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ

وَلَا يَنْفَعُ مَسْمُوعٌ

إِذَا لَمْ يَكُ مَطْبُوعٌ

كَمَا لَا تَنْفَعُ الشَّمْسُ

وَضَوْءُ الْعَيْنِ مَمْنُوعٌ

وهذا العقل هو المعني بقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا﴾

(٧٦) الدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش المصطفى، لندن، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، ط. ١، ٢٠٠٧م، ص: ٢٧٠.

(٧٧) معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (عقل)، ص: ٢٥٧، ٢٥٨.

(٧٨) هو علي بن أبي طالب والأبيات من ديوانه، ديوان الإمام علي، الكويت، دار الكتاب الحديث، ط. ١، ١٩٨٨م، ص: ٧٣.

إِلَّا الْعٰلِمُونَ ﴿ [سورة العنكبوت: ٤٣]. وكل موضع ذم الله فيه الكفار بعدم العقل
 إشارة إلى الثاني دون الأول نحو: ﴿ **وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا
 دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمٍّ بِكُمْ عَمِيَ فَهُمْ لَا يَعْطِلُونَ** ﴾ [سورة البقرة: ١٧١]. وإلى قوله: ﴿ **مَثَلُهُمْ
 كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ** ﴾
 [سورة البقرة: ١٧] ونحو ذلك من الآيات، وكل موضع رُفِعَ التكليف عن العبد لعدم
 العقل إشارة إلى الأول، وأصل العقل الإمساك والاستمساك كعقل البعير بالعقال
 وعقل الدواء البطن.

وقيل العقال صدقة عام لقول أبي بكر رضي الله عنه: «لو منعوني عقالا لقاتلتهم»، ولقوهم:
 «أخذ النقد ولم يأخذ العقال» وذلك كناية عن الإبل بما تشد به، أو بالمصدر فإنه يقال:
 «عقلته عقلا، وعقالا».

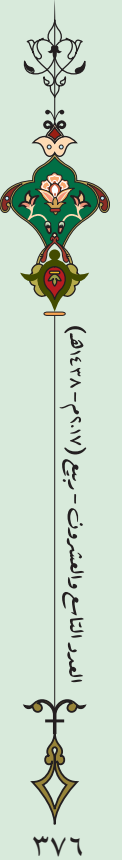
هذا سياق لغوي ضم القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر والأمثال فهو يغني
 عن إيراد أمثلة أخرى.
 ب. السياق الاجتماعي:

أما السياق الاجتماعي فهو ضروري أيضا في تحديد الدلالة، لجأ الراغب إليه، إذا
 كان شرح المعنى له خصوصية اجتماعية، ومثال ذلك ما جاء في مادة (نفر)^(٧٩): «النفر
 الانزعاج عن الشيء وإلى الشيء كالفرع إلى الشيء وعن الشيء، يقال نفر عن الشيء
 نفورا، وتقول العرب نفر فلان إذا فضل في المنافرة، وتقول العرب نفر فلان إذا سمي
 باسم يزعمون أن الشيطان ينفر عنه».

وفي مادة (نفق)^(٨٠): «نفق الشيء مضى ونفذ... والنفق الطريق النافذ والسرب في
 الأرض، النافذ فيه، قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا
 فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَاتٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا تَكُونَنَّ مِنْ**

(٧٩) معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، مادة (نفر)، ص: ٣٧٩.

(٨٠) معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، مادة (نفق)، ص: ٣٨٠.



الْجَهْلِيَّيْنَ ﴿ [سورة الأنعام: ٣٥]. ومنه: نافقاء اليربوع، وقد نافق اليربوع ونفق، ومنه النفاق وهو الدخول في الشرع من باب والخروج عنه من باب وعلى ذلك نبه بقوله: ﴿ **الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [سورة التوبة: ٦٧].

وفي مادة (حنف) (٨١): "الحنف هو ميلعن الضلال إلى الاستقامة... وتحنف فلان أي تحرى طريق الاستقامة، وسمت العرب كل من حج أو اختتن حنيفا تنيها أنه على دين إبراهيم عليه السلام".

وفي (خدع) (٨٢): "الخداع إنزال الغير عما هو بصدده بأمر يديه على خلاف ما يخفيه. وقيل خدع الضب أي استتر في جحره، واستعمال ذلك في الضب أنه يعد عقربا تلدغ من يدخل يديه في جحره حتى قيل: العقرب بواب الضب وحاجبه ولاعتقاد الخديعة، فيه قيل أخدع من ضب".

الخاتمة:

حرص الراجب على تحقيق الألفاظ المفردة - وقد كان عنوان معجمه "مفردات ألفاظ القرآن" - لأنّ الكلمة في المعجم لا تفهم إلا منعزلة عن السياق، وهذا هو المقصود بوصف الكلمات في المعجم بأنّها مفردات على حين لا توصف بهذا الوصف و هي في النص، وإنّ تعدد معنى الكلمة في المعجم، يرجع إلى صلاحيتها للدخول في أكثر من سياق. تفتن الراجب للدراسة العلمية للمفردة، وهذا من فنون الدرس المعجمي المعاصر، إذ تُعطى المفردة الصيغة والشكل الذي يميزها عن غيرها من المفردات، ثم يسند إليها وظائف نحوية تكسبها سمات دلالية ثابتة أو متغيرة.

• راعى الراجب أوائل الأصول في الألفاظ.

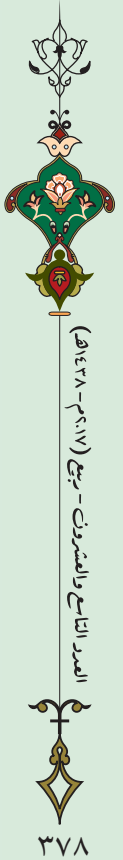
(٨١) معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراجب الأصفهاني، مادة (حنف)، ص: ١٠٢.

(٨٢) المصدر نفسه، مادة (خدع)، ص: ١١٠.

- اعتنى بالسياق وأصل المعنى وما يحيط بها من معان.
- كان حريصا على إيراد المعنى الأصلي في كل مدخل من مداخل المعجم.
- اهتم بالفروق الدقيقة بين المفردات محاولا نفي الترادف.
- وضع كل لفظة على رأس مجموعة من الدلالات وكأَنَّها رأس الحقل الدلالي.

المصادر والمراجع:

١. الأعلام، الزركلي، لبنان، بيروت، دار العلم للملايين، ط: ١٥، ٢٠٠٢ م.
٢. بحوث ودراسات في علم اللغة، مجدي إبراهيم محمد إبراهيم، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، د. ط، د. ت.
٣. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط. ٢، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩ م.
٤. تاريخ أدب العرب، صادق الرافعي، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي.
٥. تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ترجمة عبد الحليم النجار، القاهرة، دار المعارف، ط. ٥، د. ت.
٦. الحضارة الإسلامية دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية، طه عبد المقصور عبد الحميد أبو عيبة، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط. ١، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٤ م.
٧. الخصائص، ابن جني، تح: محمد علي النجار، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، د. ط، د. ت.
٨. دراسات في المعجم العربي، ابراهيم بن مراد، لبنان، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط. ١، ١٩٨٧ م.
٩. الدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش المصطفى، لندن، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، ط. ١، ٢٠٠٧ م.
١٠. ديوان الإمام علي، الكويت، دار الكتاب الحديث، ط. ١، ١٩٨٨ م.
١١. سير أعلام النبلاء، الذهبي، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط. ٣،



١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٢. فقه اللغة وسر العربية، أبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، تح: أملين نسيب،

بيروت، دار الجيل، ط. ١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

١٣. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، لبنان، بيروت، دار إحياء

التراث العربي، د. ط. د. ت.

١٤. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، تح: عمر

الطباع، لبنان، بيروت، دار الأرقم بن الأرقم، ط. ١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

١٥. مدخل إلى علم اللغة، محمود فهمي حجازي، القاهرة، الدار المصرية السعودية، ط.

٤، ٢٠٠٦م.

١٦. المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، محمد أحمد أبو الفرج، مصر، دار

النهضة للطباعة والنشر، ط. ١، ١٩٦٦م.

١٧. المعجم العربي بحوث في المادة والمنهج والتطبيق، رياض زكي قاسم، لبنان، بيروت،

دار المعرفة، ط. ١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١٨. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان الداودي،

بيروت، دار القلم، ط. ١، ١٤١٢هـ.

١٩. معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تح: يوسف الشيخ محمد

البقاعي، لبنان، بيروت، دار الفكر، ط. ١، (١٤٢٦، ١٤٢٧هـ) ٢٠٦٦م.

٢٠. مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، حلمي خليل، بيروت، دار النهضة العربية

للطباعة والنشر، ط. ١، ١٩٩٧م.

٢١. المنطق الصوري والرياضي، عبد الرحمن بدوي، القاهرة، دار الثقافة، ط. ٣،

١٩٦٨م.

زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام فِي تَفْسِيرِ الْقُرْطَبِيِّ عليه السلام

(دراسة وصفية)

د. عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي
مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة

د.م.د. عبد الكريم نعمة النفاخ
كلية التربية الاساسية - جامعة الكوفة

ملخص البحث:

يعد زيد بن علي عليه السلام من علماء أهل البيت ومفكريهم، لذلك استحق دراسة تقوم على وصف أثره في التفسير واختارنا تفسير القرطبي، لما ورد فيه من آراء، فقد كان البحث قد بني على تمهيد لدراسة مكانة زيد الشهيد العلمية، ومن ثم قسم البحث على مطلبين: الأول: اهتم بدراسة آراءه في التفسير ما وافق فيه الجمهور وما اختلف فيه عنهم، والمطلب الثاني: تناول دراسة قراءاته القرآنية، وما تفرد به من قراءات، وختم البحث بخاتمة أو جزنا فيها ما توصلنا من نتائج.

زيد بن علي عليه السلام في تفسير القرطبي - دراسة وصفية:

المقدمة:

يعد زيد بن علي عليه السلام من علماء أهل البيت ومفكريهم، ولا غرابة في ذلك فقد نشأ وترعرع في حضن الإمامة التي هي صنو الرسالة المحمدية، إذ تتلمذ على يدي أبيه زين العابدين وسيد الساجدين الإمام علي بن الحسين عليه السلام وأخذ وافرا من العلم من أخيه الإمام محمد الباقر عليه السلام ومثل هذه النشأة حري بها أن تصقل فكره وتوسع

مداركة وتجعله يقف على علوم القرآن والحديث النبوي من منابعه الأصيلة، مما جعله في ما بعد محط أنظار العلماء الذين جاءوا من بعده، إذ وجدوا فيه الخزين الذي لا ينضب من العلوم، فتناقلوا آراءه شفاها إلى أن جاء عصر التدوين الذي دونت به تفسير القرآن الكريم وأحكامه والآراء الفقهية التي لها علاقة بالقرآن والحديث النبوي الشريف، ولأرائه العلمية السديدة، فقد أعتمد أغلب أصحاب التفاسير على آرائه التفسيرية وعلى قراءاته القرآنية ومن أولئك المفسرين القرطبي^(١) الذي أعتمد على بعض تفسيرات زيد للنصوص القرآنية وعلى بعض القراءات التي انفرد بها زيد الشهيد عليه السلام ومن ثم تأتي أهمية اختيار تفسير القرطبي لأنه يمثل تفسير جامع لأراء مختلفة سبقته، ويحظى هذا التفسير بمكانة علمية مرموقة بين التفاسير، فهو جامع لأراء الصحابة و التابعين بشكل عام ولأراء أهل البيت بشكل خاص، ولذا يصبح هذا التفسير مثالا ملائما للدراسة، ومن ثم أساسا صالحا لتقديم فكر الشهيد زيد بن علي عليه السلام الى المتلقي والقارئ الكريم بوصفه مثالا يحتذى به للشخص الملتزم بعقيدته الذي رفض الذل والخضوع للحاكم المستبد. وقد اقتضت الدراسة أن يبنى البحث على مطلبين، يسبقهما تمهيد، وفيه يتناول الباحثان مكانة زيد الشهيد عليه السلام العلمية.

أما المطلب الأول: فسوف يقف الباحثان على بعض تفسيراته لآيات القرآن الكريم التي اختلفت في تفسيرها مع الآخرين أو اتفق فيها مع المفسرين الآخرين.

أما المطلب الثاني: فيتناول قراءته لبعض آيات القرآنية والتي له رأي فيها.

وختمنا البحث بأهم النتائج تتلوها قائمة المصادر والمراجع التي أعتمدها البحث.

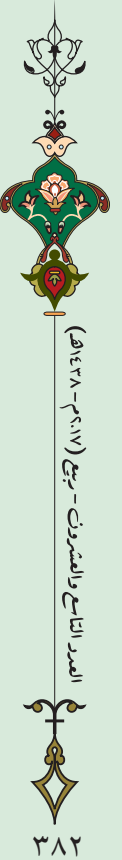
تمهيد: مكانة زيد الشهيد العلمية:

يشير المقرئ في كتابه (الخطط المقرئية) أن زيد الشهيد قال ((خلوت بالقرآن ثلاث عشرة سنة أقرأه وأتدبره، فما وجدت في طلب الرزق رخصة وما وجدت من

(١) هو محمد بن أحمد أبي عبد الله الخزرجي الأنصاري القرطبي صاحب التفسير المشهور توفي سنة

٦٥٦هـ، ينظر: الوافي بالوفيات: ١ / ٢٠٠.

فضل الله إلا العبادة والفقهاء^(٢) ويبدو من هذا النص أن الشهيد كان حليف القرآن منذ صباه، مما أهله لأن يكون مفسراً للقرآن الكريم، فضلاً عن مدارسته للقرآن الكريم فقد اهتم بالحديث النبوي الشريف، فقد أخذ الحديث من منابعه الصافية عن آبائه وأجداده ومن بعض التابعين أمثال أبان بن عثمان^(٣) وعده الجاحظ (٢٥٥هـ) من خطباء بني هاشم^(٤) فقد كان يمتلك لساناً عذبا واضح البيان، وقوي الحججة وهو يتفنن في صياغة الكلام بما يترك أثراً طيباً في نفس المتلقي، وهذه الملكة تعتمد على حافظة عجيبة، إذ يمتلك القدرة على حفظ الرسالة التي تلقى على مسامعه، فيعيده كاملة ويجيب عما ورد فيها من السائل^(٥) ومما يؤكد قولنا ما نجده واضحاً في خطبته التي خطبها على أصحابه عندما عزم الخروج على هشام بن عبد الملك فقال ((الحمد لله الذي منّ علينا بالبصيرة وجعل لنا قلوباً وأساعناً واعية، قد أفلح من جعل الخير شعاره والحق دثاره، وصلى الله على خير خلقه الذي جاء بالصدق من عند ربه وعل آله الطاهرين... أيها الناس العجل العجل قبل حلول الأجل وانقطع الأمل كم طالب لا يفوته هارب إلا هارب هرب منه إليه، ففروا إلى الله بطاعته... فقد أسمعكم وأبصركم ودعاكم إليه... ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون...))^(٦) والذي يتمعن في كلمات هذه الخطبة وتأمل في صياغتها وأساليبها يجدها أشبه بكلام أمير المؤمنين عليه السلام وخطبه التي جمعها الشريف الرضي وأسماها بنهج البلاغة، كما يبدو عليها تاثره بأسلوب أبيه في الصحيفة السجادية، فضلاً عن تأثره بالقرآن الكريم، ولهذا ما كانت تنقصه آلة من آلات الفصاحة والبلاغة، فقد كان إذا تكلم لا يعيد حرفاً وهذا ما شهد به العدو قبل الصديق ومن ذلك ما قاله هشام بن عبد الملك: إن زيداً (حلو اللسان شديد البيان،



(٢) الخطط المقرزية: ج ٢ / ٤٣٦.

(٣) تهذيب ابن عساکر: ٦ / ١٥.

(٤) البيان والتبيين: ١ / ١٤٤.

(٥) تاريخ يعقوبي: ٢ / ٣٩ والحدائق الوردية: ١ / ١٤٩.

(٦) زيد الشهيد، المرقم: ٣٢ - ٣٣.

خليقاً بتمويه الكلام وأهل العراق أسرع شئ إلى مثله))^(٧)، ويكشف هذا النص أن زيد الشهيد كان بليغاً متمكناً من اللغة قادراً على إيصال أفكاره إلى متلقيه بسهولة تغلفها جمالية الأسلوب الذي لا ينكر تأثيره في المتلقي العربي في ذلك الزمن فضلاً عن أن هذه النصوص الخطابية ظلت خالدة لأنه امتلكت مقومات البقاء الفنية والفكرية وهي تمثل مقدرة باهرة يتميز بها الشهيد زيد، ولا غرابة في ذلك فهو سليل دوحة العلم التي اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

ومن آثاره العلمية التي أشار إليها الباحثون: فهو أول من دون التفسير والحديث والفقه تدويناً منظماً، يقول عنه الشعبي (١٠٣هـ) (والله ما ولد النساء أفضل من زيد بن علي ولا أفتقه ولا أشجع ولا أزهد)^(٨) كما وصفه الذهبي بقوله (كان ذا علم وجمالة وصلاح)^(٩) ويدلنا على مكانة زيد العلمية في زمانه أنه كان عالماً في المسائل الفقهية وله فيها ما أخذه عنه العلماء وثبتوه في تفاسيرهم ونوهوا بقدرته، مما أدى ذلك إلى اعتماد الفقهاء عليها في استنباط الأحكام الشرعية، وذلك ما أشار إليه أبو حنيفة النعمان بقوله (شاهدت زيد بن علي كما شاهدت أهله فما رأيت في زمانه أفتقه منه ولا أعلم ولا أسرع جواباً ولا أبين قولاً، لقد كان منقطع القرين، وكان يدعى بحليف القرآن)^(١٠) واعتراف صريح من أحد أقطاب المذاهب الإسلامية بمكانة زيد العلمية، وابلغ قول الإمام الصادق عليه السلام فيه كان (زيد مؤمناً وكان عارفاً وكان عالماً وكان صدوقاً أما أنه لو ظفر لوفى، أما أنه لو ملك لعرف كيف يصنعها)^(١١) وكل هذه الأقوال التي اخترنا منها القليل لتدل على المكانة العلمية لزيد الشهيد عليه السلام.

(٧) تاريخ يعقوبي: ٢ / ٣٢٥.

(٨) الخطط المقرزية: ٤ / ٣٣٥.

(٩) سير أعلام النبلاء: ٢٥ / ٣٨٩.

(١٠) الروض النضير: ٩٨.

(١١) رجال الكشي: ١٨٤.

المطلب الأول:

آراءه التفسيرية لبعض الآيات

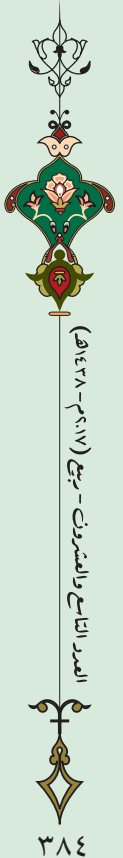
عرف زيد بن علي بأنه عالم من علماء أهل البيت عليهم السلام إذ تجمعت فيه علوم حجة، منها روايته للحديث النبوي الشريف ومروياته للأخبار فضلا عن تفسيره للقرآن الكريم الذي توجه بتفسير سمي بتفسير القرآن، ولا غرابة في ذلك لأن التفسير صنو الحديث النبوي الشريف وقد وردت لفظة التفسير في القرآن الكريم، قال تعالى **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا** ﴿ [سورة الفرقان: ٣٣] وعلى هذا فإن التفسير مأخوذ من مصدر فسر وهو الإبانة أو الكشف والظهور أو كشف المراد عن اللفظ المشكل ^(١٢) ويتبين من التعريفات أن لفظة التفسير يراد بها، الإبانة والكشف والتوضيح والإظهار، وذلك بإظهار الماديات والكشف عن المعنويات، ثم تحول بعد ذلك الى علم يبحث في القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى قدر الطاقة البشرية.

فالقرآن جامع للأحكام وهو أساس الدين ومنه تستنبط شرائع الدين، وقد وصفه أمير المؤمنين علي عليه السلام بقوله: ((واعلموا إن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان، زيادة في هدى أو نقصان من عمى،.. ولا أحد قبل القرآن من غنى فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم فان فيه شفاء من أكبر الداء، وهو الكفر والنفاق والغي والضلال..)) ^(١٣).

ولهذا اهتم علماء المسلمين بتفسير القرآن الكريم نظرا لما لهذا العلم من أهمية بالغة في استنباط الأحكام الشرعية وتشريع القوانين لديمومة الحياة، ومن بين أولئك العلماء زيد بن علي عليه السلام الذي أجاد وبرع في التفسير، وقد نقل لنا القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) مجموعة من تفسيراته لبعض آيات القرآن الكريم التي له فيها توجيه

(١٢) شرح نهج البلاغة: ١٣ / ٨٨ - ٨٩.

(١٣) لسان العرب: ٥ / ٥٥.



تفرد به عن سواه من المفسرين أو وافقهم في ما ذهبوا إليه.

أولاً: التفسيرات التي تفرد بها:

١. جاء في تفسير القرطبي لقوله تعالى: ﴿وَلِيَأْسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكِ مِنَّا آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٢٦] جملة من التفسيرات منها: أنه ذكر أن التقوى خير لباس كما قال:

(إذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى... تقلب عريانا وإن كان كاسيا).

(وخير لباس المرء طاعة ربه... ولا خير فيمن كان لله عاصيا).

وروى قاسم بن مالك بن عوف عن معبد الجهني قال: لباس التقوى الحياء.

وقال ابن عباس: لباس التقوى هو العمل الصالح وعنه أيضا: السميت الحسن في الوجه وقيل: ما علمه عز وجل وهدى به وقيل: لباس التقوى لبس الصوف والحشن من الثياب مما يتواضع به لله تعالى ويتعبد له خير من غيره، وقال عروة بن الزبير: هو الخشية لله وقيل: هو استشعار تقوى الله تعالى فيما أمر به ونهى عنه.

في ما قال زيد بن علي: لباس التقوى الدرع والمغفر والساعدان والساقان يتقى بهما في الحرب وعلق القرطبي على قول زيد بن علي ((حسن فإنه حض على الجهاد))^(١٤) وكان التقوى عنده عدم العدول عن سنن الحق قولاً وفعلاً، وهذا تفسير قد غاير فيه المفسرين.

٢. أما التفسير الثاني الذي تفرد به عن سواه، تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [سورة التوبة: ٤١] اذ قال زيد: (مشاغيل وغير مشاغيل) اما بقية المفسرين فلهم آراء مختلفة منها:

الأول: يذكر عن ابن عباس {فانفروا ثبات أو}: سرايا متفرقين الثاني -روي عن ابن عباس أيضا و قتادة: نشاطا وغير نشاطا الثالث -الخفيف: الغني والثقل الفقير قاله مجاهد الرابع -الخفيف: الشاب والثقل: الشيخ قاله الحسن الخامس الثقل: الذي له عيال والخفيف: الذي لا عيال له قاله زيد بن أسلم السادس الثقل: الذي له ضيعة يكره

(١٤) تفسير القرطبي: ٧ / ١٦٢.

أن يدعها والخفيف: الذي لا ضيعة له قاله ابن زيد السابع - الخفاف: الرجال والثقال: الفرسان قاله الأوزاعي الثامن - الخفاف: الذين يسبقون إلى الحرب كالطليعة وهو مقدم الجيش والثقال: الجيش بأسره التاسع - الخفيف: الشجاع والثقل: الجبان حكاة النقاش والصحيح في معنى الآية أن الناس أمروا جملة أي انفروا خفت عليكم الحركة أو ثقلت (١٥).

٣. ومن تفسيراته لقوله تعالى ﴿ **وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ** ﴾ [سورة فاطر: ٣٧] فقد ذكر القرطبي مجموعة من التفسيرات منها: أن النذير هو القرآن و هذا ما فسره ابن عباس و عكرمة و سفيان و وكيع و الحسين بن الفضل و الفراء و الطبري: هو الشيب وقيل: النذير الحمى وقيل: موت الأهل والأقارب وقيل: كمال العقل والنذير بمعنى الإنذار، بينما فسره زيد بأنه الرسول، ويعلق القرطبي على ذلك بقوله: أن النذير هو الشيب والحمى وموت الأهل كله إنذار بالموت [قال عليه السلام]: (الحمى رائد الموت) [قال الأزهري: معناه أن الحمى رسول الموت أي كأنها تشعر بقدومه وتذير بمجيئه والشيب نذير أيضا لأنه يأتي في سن الاكتهال وهو علامة لمفارقة سن الصبا الذي هو سن اللهو واللعب، (رأيت الشيب من نذر المنايا... لصاحبه وحسبك من نذير) (١٦).

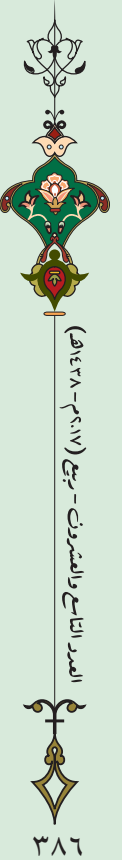
وراي زيد أكثر شمولية لأنه جمع تضمن أغلب الآراء.

ثانيا: التفسيرات التي اتفق فيها مع المفسرين:

١. ومن تفسيراته التي اتفق بها مع الجمهور ما نجده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ** ﴾ [سورة الدخان: ١٠] فقد قال القرطبي: ان لفظه (ارتقب) معناه انتظر يا محمد بهؤلاء الكفار يوم تأتي السماء بدخان مبين وهو قول قتادة.

(١٥) ينظر: تفسير القرطبي: ٨ / ١٣٦.

(١٦) تفسير القرطبي: ١٤ / ٣٠٦.



وقيل: معناه احفظ يا محمد ﷺ قولهم هذا لتشهد عليهم يوم تأتي السماء بدخان مبين ولذلك سمي الحاف رقيباً، ثم ذكر القرطبي في الدخان أقول ثلاثة: الأول أنه من اشراط الساعة لم يجم بعد وأنه يمكث في الأرض أربعين يوماً يملأ ما بين السماء والأرض فأما المؤمن فيصيبه مثل الزكام وأما الكافر والفاجر فيدخل في أنوفهم فيثقب مسامعهم ويضيق أنفاسهم وهو من آثار جهنم يوم القيامة ومن قال إن الدخان لم يأت بعد علي وابن عباس وابن عمر وأبو هريرة وزيد بن علي والحسن وابن أبي مليكة وغيرهم، وأشار القرطبي إلى أن زيادا قد اتفق في تفسيره لهذه الآية مع قول المفسرين الآخرين.

والقول الثاني: ما رواه أبو سعيد الخدري مرفوعاً أنه دخان يهيج بالناس يوم القيامة يأخذ المؤمن منه كالزكمة وينفخ الكافر حتى يخرج من كل مسمع منه ذكره الماوردي وفي صحيح مسلم عن أبي الطفيل [عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: أطلع النبي ﷺ ونحن نتذاكر فقال: ما تذكرون؟. قالوا: نذكر الساعة قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم] في رواية عن حذيفة: [إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات خسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب والدخان والدجال ودابة الأرض ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس] وخرجه الثعلبي أيضاً عن حذيفة قال: [قال رسول الله ﷺ: أول الآيات خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم إذا قالوا وتصبح معهم إذا أصبحوا وتسمي معهم إذا أمسوا قلت يا نبي الله وما الدخان؟. قال هذه الآية: {فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين} يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوماً وليلة أما المؤمن فيصيبه



منه شبه الزكام وأما الكافر فيكون يمتازة السكران يخرج الدخان من فمه ومنخره وعينه وأذنيه ودبره].

أما القول الثالث: أن الدخان هو ما أصاب قريشا من الجوع بدعاء النبي ﷺ حتى كان الرجل يرى بين السماء والأرض دخانا قاله ابن مسعود قال: وقد كشفه الله عنهم ولو كان يوم القيامة لم يكشفه عنهم (١٧).

٢. وجاء في تفسيره لقوله تعالى ﴿ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ [سورة الصف: ١٤] فقد فسرت هذه الآية على أنهم غالبين قال ابن عباس: أيد الله الذين آمنوا في زمن عيسى بإظهار محمد على دين الكفار وقال مجاهد: أيدوا في زمانهم على من كفر بعيسى وقيل أيدنا الآن المسلمين على الفرقتين الضاليتين من قال كان الله فارتفع ومن قال كان ابن الله فرفعه الله إليه لأن عيسى ابن مريم لم يقاتل أحدا ولم يكن في دين أصحابه بعده قتال.

بينما قال زيد بن علي و قتادة: {فأصبحوا ظاهرين} غالبين بالحجة والرهان لأنهم قالوا فيما روي: ألتستم تعلمون أن عيسى كان ينام والله لا ينام وأن عيسى كان يأكل والله تعالى لا يأكل! (١٨).

وفي ما تقدم تبين لنا ان زيد بن علي عليه السلام قد كانت له آراء في تفسير بعض الآيات يختلف فيها مع جمهور المفسرين وهذا دليل على تأثير مدرسة أهل البيت عليه السلام، وهي المدرسة الأقرب الى فهم النصوص القرآنية واستنباط أحكامها بما يتفق مع مراد التنزيل.

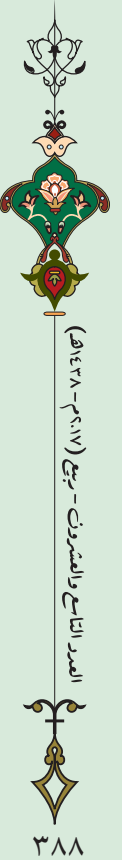
المطلب الثاني:

قراءاته القرآنية:

للقرآيات القرآنية أهمية كبيرة لأنها تمثل من جهة ضبط لصيغ الكلمات المفردة

(١٧) ينظر: تفسير القرطبي: ١٦ / ١١٣.

(١٨) تفسير القرطبي: ٧٩ / ١٨.



التي وردت في النصوص القرآنية في زمن النبي ﷺ ومن جهة أخرى تحافظ على المعاني النحوية والصرفية والدلالية في اللغة العربية، وطالما رددّ المشتغلون في القراءات أنّ الرسول قال ((أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة أحرف))^(١٩) وعلى الرغم من أنّ هذا الحديث متواترا إلا أنه يعدّ من الأحاديث المشكّلة، إذ لم يأت في معنى الأحرف السبعة نصّ ولا أثر^(٢٠)، فضلا عن الحرف في اللغة من الألفاظ المشتركة التي لها معان عدة منها: أنّ الحرف يصدق على حروف الهجاء، ويصدق على القراءة واللغة، وعلى الكلمة والمعنى، وعلى الجهة^(٢١)، ولذا تعددت آراء المفسرين في هذا الحديث، وليس من شأننا أن نفصل القول في آرائهم هنا، ولكن أردنا أن نلفت نظر المتلقي الكريم الى ذلك.

ومعلوم أنّ أثر القراءات يظهر في تأويل الآيات، لذا فإنّ القارئ في الغالب يختار القراءة التي تفصح عن المعنى الذي يبغيه أو الأقرب إليه، لأنّ ((القراءات القرآنية تعدّ ميدانا رحبا لدراسة العربية بمختلف علومها فضلا عن كونها حقلا خصيبا ينطوي على تاريخ العربية وأصول منابعها وطريقة نقل القراءات القرآنية القائمة على الأخذ بالمشافهة والرد، والنقل بمتهمي الأمانة والضبط الشواهد لتعرف ما كانت عليه الظواهر العربية النحوية والصرفية والدلالية والصوتية، وصارت المصدر الأوفى في دراسة اللهجات العربية القديمة ومعرفة طبيعة نطقها وميولها الصوتية والصرفية والنحوية))^(٢٢)، وعلى هذا فإنّ القراءة سماع موثق وفيها سعة وتكثير للمعنى، ومن خلال دراسة بعض الألفاظ التي قرأ بها (زيد عليه السلام) نحاول أن نتلمس آثار تلك القراءات على تأويل الآيات القرآنية التي يفترض أن يصاحبها تغيير في المعنى.

(١٩) صحيح البخاري: ٣ / ٢٦٢.

(٢٠) ينظر: الإتيقان: ١ / ١٣١.

(٢١) ينظر: البرهان للزركشي: ١ / ٢١٢.

(٢٢) نماذج من أثر القراءات في الدلالة: ١.

فزيد عليه السلام اهتم بالقراءات لأنه فطن - على ما يبدو - بأنها تأتي بمعان جديدة فيوجهها توجيهها لغويا يتناسب مع المعنى المراد الذي له الأثر الكبير في إثراء الآيات القرآنية بمعان جديدة، يفيد منها المتخصص بشكل عام والمتلقي بشكل خاص ثم تحصنها معا من الخروج عن جادة الصواب، ومن تلك القراءات التي تفرد بها وذكرها القرطبي في تفسيره هي:

١. قرأ الجمهور قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّيْ جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ خَلِيْفَةًۢۙ قَالُوْۤا اَتَجْعَلُ فِيْهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيْهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۗ قَالَ اِنِّىْۤ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَۗ﴾ [سورة البقرة: ٣٠] إلا زيداً قرأها (خليفة) بالقف والمعنى بالخليفة هنا، في قول ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل - آدم عليه السلام وهو خليفة الله في إمضاء أحكامه وأوامره لأنه أول رسول إلى الأرض. وأورد القرطبي بعض الآراء منها رأي الطبري فعنده جاعل بمعنى خالق ويقضي بذلك تعديها إلى مفعول واحد وخليفة يكون بمعنى فاعل أي يخلف من كان قبله من الملائكة في الأرض أو من كان قبله من غير الملائكة على ما روي ويجوز أن يكون خليفة بمعنى مفعول أي مخلف كما يقال ذبيحة بمعنى مفعولة والخلف (بالتحريك) من الصالحين وبتسكينها من الطالحين وهذا هو المعروف (٢٣).

٢. وفي قوله تعالى ﴿فِيْهَا يُفْرَقُ كُلُّ اَمْرٍ حَكِيْمٍۙ﴾ [سورة الدخان: ٤] قرأ زيد بن علي عليه السلام (يفرق) بالنون {كل أمر حكيم} وعلى هذه القراءة يكون المعنى (كل شأن ذي حكمة) أي مفعول على ما تقتضيه الحكمة، وقرئ (يفرق) بالتشديد و (يفرق) كل على بنائه للفاعل ونصب (كل) والفارق الله عز و جل. كما ذكر القرطبي في معرض حديثه عن هذه الآية المباركة رأي عكرمة: الذي يقول في هذه الليلة هي ليلة النصف من شعبان يرم فيها أمر السنة وينسخ الأحياء من الأموات ويكتب الحاج فلا يزداد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد وروى عثمان بن المغيرة

قال: [قال النبي ﷺ: تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى أن الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى] و [عن النبي ﷺ قال: إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلتها وصوموا نهارها فإن الله ينزل لغروب الشمس إلى سماء الدنيا يقول ألا مستغفر فأغفر له ألا مبتلى فأعافيه ألا مسترزق فأرزقه ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر] ومن العلماء من يرى أنها ليلة القدر (٢٤).

٣. وفي قوله تعالى ﴿أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [سورة الدخان: ٥] ﴿رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة الدخان: ٦] قرأ زيد بن علي (أمر من عندنا) وخرج المفسرون هذه القراءة على أنها منصوبة على الاختصاص.

وكذلك {رحمة من ربك} وهما عند الأخفش حالان تقديرهما أنزلناه أمرين به وراحمين، اما المبرد فعنده (أمرًا) في موضع المصدر والتقدير: أنزلناه إنزالًا، اما الفراء و الزجاج: فد(أمرًا) نصب ب (يفرق) مثل قولك (يفرق فرقا) فأمر بمعنى فرق فهو مصدر مثل قولك: يضرب ضربا وقيل: (يفرق) يدل على يؤمر فهو مصدر عمل فيه ما قبله (إننا كنا مرسلين رحمة من ربك) قال الفراء: (رحمة) مفعول ب (مرسلين) والرحمة النبي صلى عليه وآله و سلم، وقال الزجاج: (رحمة) مفعول من أجله أي أرسلناه للرحمة وقيل: هي بدل من قوله (أمرًا) وقيل: هي مصدر، أما الزنجشري فعنده (أمرًا) نصب على الاختصاص جعل كل أمر جزلا بأن وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بأن قال: أعني بهذا الأمر أمرًا حاصلًا من عندنا كائنا من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتديبرنا (٢٥).

٤. وفي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [سورة المنافقون: ٣] قرأ زيد بن علي فطبع الله على قلوبهم هذا إعلام من الله تعالى بأن المنافق كافر أي أقروا باللسان ثم كفروا بالقلب وقيل: نزلت الآية في قوم آمنوا ثم

(٢٤) ينظر: م. ن ١٦١ / ١١٠.

(٢٥) ينظر تفسير القرطبي: ١٦ / ١١٢.

ارتدوا {فطبع على قلوبهم} أي ختم عليها بالكفر {فهم لا يفقهون} الإيذان ولا الخير (٢٦).

٥. وفي قوله تعالى ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [سورة النجم: ٩] قرأ زيد بن علي (قاد) أي بمعنى قدر قوس، أي كان محمد من ربه أو من جبريل {قاب قوسين} أي قدر قوسين عربيتين قاله ابن عباس و عطاء و الفراء و الزمخشري فإن قلت كيف تقدير قوله {فكان قاب قوسين} قلت تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات. وقوله ((فكان قاب قوسين أو أدنى)) فمن جعل الضمير عائداً إلى الله تعالى لا إلى جبريل كان عبارة عن نهاية القرب و لطف المحل و إيضاح المعرفة و الإشراف على الحقيقة من محمد ﷺ، و عبارة عن إجابة الرغبة و قضاء المطالب و إظهار التحفي و إنافة المنزلة و القرب من الله.

وقيل أو بمعنى قاب قوسين وأدنى وقيل بمعنى بل أدنى وقال سعيد بن المسيّب ألقاب صدر القوس العربية حيث يشد عليه السير الذي يتكبه صاحبه ولكل قوس قاب واحد فأخبر أن جبريل قرب من محمد ﷺ كقرب قاب قوسين وقال سعيد بن جبير و عطاء و أبو إسحاق الهمداني و أبو وائل شقيق بن سلمة {فكان قاب قوسين} أي قدر ذراعين و القوس الذراع يقاس بها كل شيء و هي لغة بعض الحجازيين وقيل هي لغة أزد شنوءة أيضا وقال الكسائي قوله {فكان قاب قوسين أو أدنى} أراد قوسا واحدا (٢٧).

٦. وفي قوله تعالى: ﴿تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الصف: ١١] قرأ زيد بن علي (تؤمنوا وجاهدوا) على إضمار لام الأمر كقوله: (محمد تفد نفسك كل نفس... إذا ما خفت من شيء تبالا).

أراد لتفد وأرغم بعضهم فقال: يغفر لكم والأحسن ترك الإدغام لأن الراء حرف متكرر قوي فلا يحسن إدغامه في اللام لأن الأقوى لا يدغم في الأضعف.

(٢٦) ينظر: م. ن: ١٨ / ١١٢.

(٢٧) ينظر: تفسير القرطبي: ١٧ / ٧٩.

وعلق القرطبي على هذه الآية من خلال الآراء التي جمعها من اللغويين والمفسرين ولا سيما في ما يتعلق من تقديم الأموال على الأنفس إذ ذكرت الأموال أولاً لأنها التي يبدأ بها من الإنفاق {ذلكم} أي هذا الفعل {خير لكم} من أموالكم وأنفسكم {إن كنتم تعلمون} وتؤمنون عند المبرد و الزجاج في معنى آمنوا، ولذلك جاء {يغفر لكم} مجزوماً على أنه جواب الأمر وفي قراءة عبد الله آمنوا بالله وقال الفراء {يغفر لكم} جواب الاستفهام وهذا إنما يصح على الحمل على المعنى وذلك أن يكون تؤمنون بالله وتجاهدون عطف بيان على قوله: {هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم} كأن التجارة لم يدر ما هي فبينت بالإيمان والجهاد فهي هما في المعنى فكأنه قال: هل تؤمنون بالله وتجاهدون يغفر لكم، أما الزمخشري فقد وجه قول الفراء أن متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالإيمان والجهاد كأنه قيل: هل تتجرون بالإيمان والجهاد يغفر لكم قال المهدوي فإن لم تقدر هذا التقدير لم تصبح المسألة لأن التقدير يصير إن دللتم يغفر لكم والغفران إنما نعت بالقول والإيمان لا بالدلالة قال الزجاج: ليس إذا دهم على ما ينفعهم يغفر لهم إنما يغفر لهم إذا آمنوا وجاهدوا (٢٨).

ومن هنا يتضح لنا أثر قراءات زيد بن علي في توضيح المعنى المراد لألفاظ القرآن الكريم التي وقف عندها، لاسيما وهو مأمون عليه من اللبس بوصف عالما من علماء أهل البيت (عليه السلام) الذين زقوه العلم زقاً، وما سقناه من أمثلة هو دليل على ذلك.

الخاتمة:

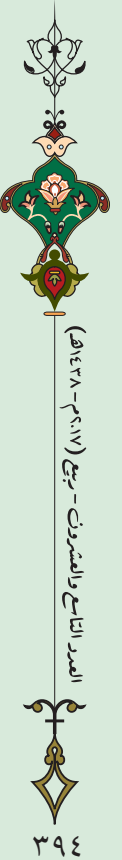
بعد هذه المصاحبة لتفسير القرطبي تبين لنا الآتي:

- ظهر لنا أن زيد بن علي (عليه السلام) كان بارعاً في التفسير و متمكناً في القراءات وكان يعتمد عليهما في بيان معاني الألفاظ القرآنية.
- كان متمكناً من فهم لغات العرب وذلك من خلال إيراده للمعنى الحقيقي والمجازي للألفاظ القرآنية في ضوء ما نطقت به العرب، لأن القرآن نزل بلسان عربي فصيح

- مليح مبين لا عوج فيه وهذا واضح جلي في المعاني المنبثقة من جذر واحد.
- كان ملما بروافد التفسير والقراءات، لذا لم تكن تفسيراته وقراءاته شاذة عما تعارف عليه العرب، وإلا لفسد المعنى المراد لآيات القرآن الكريم.
- لم يشر القرطبي فيما ذكر من تفسيرات وقراءات لزيد عليه السلام من أن هذه التفسيرات والقراءات متواترة عن أهل البيت عليهم السلام، وإنما نسبها لزيد ذاكرا سند بعضها عن الصحابة والتابعين.
- وظهرت قراءاته أنها تنطوي على مادة دلالية غزيرة تساعد على تأويل النص القرآني وترفده بمعان جديدة ودلالات تنجم عن إعراب الكلمة أو بنيتها أو حروفها.
- وقد ظهر من خلال التفسير والقراءة اللذان رصدتهما البحث آثارا واضحة في دلالة الألفاظ وفي تأويل الآيات القرآنية، وقد ألمحنا الى هذه الآثار في مواضعها من البحث.
- ومن خلال إطلاعنا أن أصحاب التفاسير في الأعم الأغلب لا يستغنون عن آراء زيد التفسيرية ولا عن قراءاته، وهذا دليل على مكانته العلمية المتميزة التي لا يمكن لطالب العلم أن يتجاهلها.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي (ت ٢٨٤هـ) مؤسسة فرهنگ، أهل البيت عليهم السلام قم، دار صادر، بيروت.
- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي/ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجليل - بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ) تحقيق، عبد السلام هارون، مكتبة



- بولاق، ط ١، ١٩٤٨ م.
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦ م.
- رجال الكشي، تحقيق، محمد تقي فاضل الميدي و السيد أبو الفضل موسويان، نشر مؤسسة الطباعة والنشر لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط ١، طهران.
- الروض النضير، الصنعاني شرف الدين بن أحمد، مطبعة السعادة، القاهرة، ط ١. ١٩٤٨ م.
- زيد الشهيد، عبد الرزاق المقرم الموسوي، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٣ م.
- سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق، حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي، الرياض، ط ١، ١٤١٥ هـ.
- شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني، تحقيق/ لجنة إحياء التراث، منشورات مكتبة الحياة، بيروت ١٩٥٣.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، الناشر، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦ م.
- لسان العرب، للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، مراجعة، د. يوسف البقاعي وآخرون، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، بيروت - لبنان.
- نماذج من أثر القراءات القرآنية في الدلالة، الأستاذ خليل السامرائي، بحث في مجلة كلية الإمام الأعظم، العدد الأول، ٢٠٠٥ م.

أرجوزة في سور القرآن العظيم نظر علي المكنبري المعرباني

(كان هيا سنة ١٠٨٧هـ)

تحقيق وشرح

م. مصطفى طارق عبد الأمير الشبلي

العتبة العباسية المقدسة - كربلاء

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل القرآن منبعاً للعلم وأصلاً له، ونوراً لا يطفأ مصباحه،
ومنهجاً لا يضلّ سالكه، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله
الطيبين الطاهرين.
وبعد:

لا يخفى ما للقران الكريم ونصه المقدس من المقام عند المسلمين، والذي لا يدانيه
ولا يجاريه نص آخر، لكونه كلام الله، ونقل الوحي، وتبليغ الرسول الأكرم
محمد ﷺ، وقد كُتِبَ برعايته وإشرافه بأيدي أصحابٍ خلص.
ويعدّ القران الكريم إراثاً خلفه الرسول الأكرم ﷺ إلى أمته بقوله: "إني تارك فيكم
الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض،
وعترتي أهل بيتي وإنما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض"^(١).

فهو حجة قاطعة على كل من آمن بالله وسوله، ومن هنا نجد الذين آمنوا بالله
وسوله من العلماء والأدباء والكتاب وغيرهم، راحوا يتسابقون في الكتابة عن هذا

(١) الخلاف، للشيخ الطوسي: ٢٧ / ١.

السفر العظيم بمختلف الأنواع نحو التفسير، والتأويل، والتجويد، وأسباب النزول، والقراءات، والناسخ والمنسوخ، وغيرها من العلوم.

ولما كان الشعر وسيلة من وسائل التوثيق، نجد الشعراء قد خاضوا في هذا المضمار، ونظموا بمختلف الموضوعات القرآنية، ومن ذلك (منظومة في تجويد فاتحة الكتاب) لمحمد بن محمود السمرقندي (ت ٧٨٠هـ)، (منظومة في الشواذ من القراءات)، (أرجوزة في معرفة الوقوف)، لمحمد بن عبد الحميد الحكيم، (المقدمة الجزرية)، وهي عبارة عن أرجوزة في علم التجويد، لمحمد بن محمد المعروف بابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، وغيرها الكثير.

ومن هنا نجد العالم الفاضل علي المكاتبى العرباني، نحا نحو هؤلاء الجهابذة من العلماء ونظم أرجوزة سطر فيها أسماء السور القرآنية، وهي تقع في ثلاث وسبعين بيتاً من البحر البسيط.

وقد عثرت على هذه القصيدة في مكتبة (جامعة الملك سعود)، في ضمن مجموع برقم (٥٩٢٩ / ٣)، وأحببت أن أخرجها لرواد هذا الفن الأصيل، وعشاق القرآن الكريم، والرسول الأمين محمد ﷺ، وسعيًا لتحقيق الهدف الذي أنشده المؤلف في نظمه، وإحياءاً لهذا النوع من التراث الأدبي.

وقد اعتمدت نسخة كتبت على نسخة المؤلف بخط (عبد الرحمن بن محمد)، سنة (١٠٩٠هـ)، وقمت بتشكيل الأبيات، وضبط نصّها، وغير ذلك مما يقتضيه التحقيق.

والحمد لله رب العالمين.

الأرجوزة

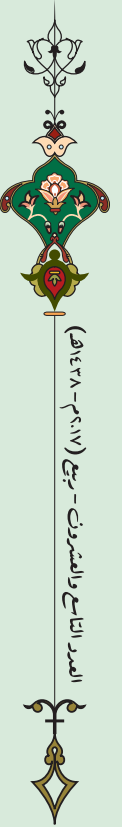
بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخنا وأستاذنا وملاذنا الشيخ علي المكاتبى العرباني^(٢): لما رأيت النظم مقصوداً لمصلحة من المصالح فما رأيت أهم من أن أصنف أرجوزة أذكر بها سور القرآن العظيم

(٢) هذا الكلام للناسخ، وهو عبد الرحمن بن محمد.

منظومة بهذه الأرجوزة فأقول من بعد بسم الله الرحمن الرحيم:
- من البسيط -

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا لَا أَنْتِهَاءَ لَهُ (١) خَالَ عَنِ الظَّنِّ وَالتَّشْكِيكِ وَالرَّيْبِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ مَعَ التَّسْلِيمِ يَتَّبِعُهَا عَلَى نَبِيِّ أُنَى مِنْ أَشْرَفِ الْعَرَبِ
وَبَعْدُ فَالنِّظْمُ مَقْصُودٌ لِمَصْلَحَةٍ كَمْ حَاجَةٌ قُضِيَتْ فِيهِ بِلا نَسَبِ
هِيَ التَّوَسُّلُ بِالْمِفْتَاحِ مِنْ سِوَرِ فَمَنْ تَلَاهَا لِأَمْرِ فَازًا بِالطَّلَبِ
خُذْ عِدَّاهَا مِائَةً مِنْ بَعْدِ أَرْبَعَةٍ وَزِدْ لَهَا عَشْرَةً نُجِيَتْ مِنْ عَطَبِ
أَسْتَفْتِحُ اللَّهَ فِي نَظْمِي «بِفَاتِحَةٍ» تَيْمُنًا بِالْمِثَانِي (٢) أَوَّلِ السَّبَبِ
عَنْ نَعْتِ أَكْرَمِ مَبْعُوثٍ لَقَدْ «بَقَرَتْ» (٣) فِي «آلِ عِمْرَانَ» مَتَلُّوْا وَفِي الكُتُبِ
قَدْ أَنْكَرُوهُ عَلَى عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ رِجَالُهُمْ «وَالنِّسَاء» (٤) هَذَا مِنَ الْعَجَبِ
كَمَا بَعِيسَى جَرَى فِي كُفْرٍ «مَائِدَةٍ» أَلِ «لَأَنْعَامٍ» كَمْ مِنْ غَيْبٍ بَاءَ بِالْغَضَبِ
«أَعْرَافُ» «أَنْفَالُهُمْ» كَمْ مَعْنَمٍ حُرِمُوا «لِتَوْبَةٍ» قَدْ أَبْوَهَا مِنْ ذَوِي الْحَسَبِ
«لِيُونُسَ» ثُمَّ «هُودٍ» ثُمَّ «يُوسُفِهِمْ» قَدْ سَفَّهُوا قَوْلَهُمْ بِالزُّورِ وَالْكَذِبِ



(١) (الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا لَا أَنْتِهَاءَ لَهُ)، هكذا ورد في الأصل، ولا يستقيم الوزن إلا بحذف كلمة (الله) المتكررة.

(٢) قال المفسرون: المثاني يعني سورة الفاتحة، واختلف في تسميتها بالمثاني فقليل لأنها تشنى صلاة مرتين، وقيل لأنها يشنى بها على الله تعالى، وقيل لأنها استثنيت لهذه الأمة لم تنزل على من قبلها. (ينظر: منتهى المطلب: ٥/٥١، تحفة الأحوزي: ٨/٤٣٩).

(٣) أي سورة البقرة.

(٤) أي سورة النساء، وقد حذفت الهمزة لكي يستقيم الوزن.

يَا لَيْتَ «بِالرَّعْدِ» ثُمَّ النَّارِ قَدْ حُرِقُوا
 فِي «الْحَجْرِ» قَدْ أَقْسَمَ الْبَارِي بِعِزَّتِهِ
 «كَالنَّحْلِ» فِي الْحَشْرِ أَوْ كَالذَّرِّ تَنْظُرُهُمْ
 «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ» (٧) كَمْ أَشَدَى لَنَا نِعْمًا
 وَحَصَّ خَيْرَ الْوَرَى «طه» الَّذِي شَهِدَتْ
 كَذَلِكَ «الْأَنْبِيَا» (٨) فِي الذِّكْرِ قَدْ شَهِدُوا
 كَمْ «حَجَّ» خَيْرَ الْوَرَى خَصْمًا بِمُعْجَزَةٍ
 لِذَلِكَ قَدْ لَاحَ «نُورٌ» فِي حَيَاهُمْ
 «تَبَارَكَ» (٩) اللَّهُ أَصْفَاهُمْ بِمَنْزِلَةٍ
 يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ «الشُّعْرَا» (١٠) إِذَا امْتَدَّحُوا
 وَاعَجَبَ «لِنَمْلِ» وَمَا «قِصَّتُهُ» (١١) مِنْ خَيْرٍ
 مِنْ بَعْدِ أَلْقَى «إِبْرَاهِيمُ» فِي اللَّهَبِ
 لَنَسْتَلْنَهُمْ وَيُلُّ لِكُلِّ غَيْبِي (٥)
 «سُبْحَانَ» (٦) مُخْرِجِ أَثَارٍ مِنَ الْحَطَبِ
 كَمَرِّيمَ» حَيْثُ نَجَّاهَا مِنَ الْعَطَبِ
 لَهُ غَزَالٌ فَقَالَتْ أَنْتَ خَيْرُ نَبِي
 وَرُبْنَا شَاهِدٌ فِي ذَلِكَ السَّبَبِ
 «وَالْمُؤْمِنُونَ» تَلَقُّوهَا بِلا تَعَبِ
 فَلَيْسَ يُطْفَى مَدَى الْأَزْمَانِ وَالْحَقَبِ
 فَاقُوا بِهَا كُلَّ شَبْرٍ مِنْ أُولِي الرُّتَبِ
 لِغَيْرِهِمْ سَلِمُوا فِيهِ مِنَ الْكَذِبِ
 «وَعَنْكَبُوتٍ» وَمَا نَالَتْهُ مِنْ أَرْبِ

(٥) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الحج: **فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَأْتِنَهُمْ أَجْمَعِينَ** [سورة الحجر: ٩٢].

(٦) المقصود: سورة الإسراء، كونها تفتتح بقوله تعالى: **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا** ...

(٧) المقصود: سورة الكهف، كونها تفتتح بقوله تعالى: **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ**

عِوَجًا

(٨) أي سورة الأنبياء، وقد حذف الهمزة لكي يستقيم الوزن.

(٩) المقصود: سورة الفرقان، كونها تفتتح بقوله تعالى: **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ**

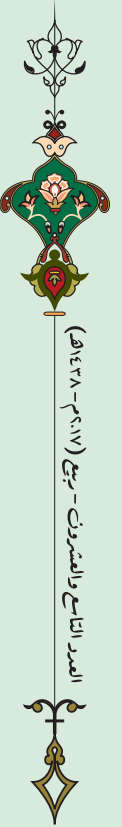
نَذِيرًا

(١٠) أي سورة الشعراء، وقد حذف الهمزة لكي يستقيم الوزن.

(١١) المقصود: سورة القصص.

فِي «الرُّومِ» قَدَّ تَاهُ «لُقْمَانَ» بِحِكْمَتِهِ
 وَ«سَجْدَةَ» الْمِصْطَفَى فِي ضِمْنِهَا حِلْمٌ
 فَكَمْ «سَبَا» «فَاطِرٌ» الْأَكْوَانِ مِنْ بَطَلٍ
 «وَصَافَاتِ» الْمَلَا قَدْ «صَادَهُمْ» (١٢) «زُمرًا»
 قَدْ «فَصَلَّتْ» «شُورَةَ الْمُخْتَارِ» (١٤) «زُخْرَفُهُمْ»
 وَصَارَ كُلُّ عُتُلٍ «جَائِيًا» (١٥) مَرِحًا
 وَأَيَّدَ اللَّهُ مَنْ سَمَّاهُ خَالِقُهُ
 فَاقْصِدْ «لِحُجْرَاتِهِ» وَادْخُلْ لِحَضْرَتِهِ
 «وَالذَّارِيَاتُ» عَلَى «طُورِ» الْخُدُودِ تُرَى
 وَقُلْ بِآيَاتِكَ الْمُنْشَقِّ مِنْ «قَمَرٍ»
 فِي يَوْمٍ «وَأَقَعَةَ» الْأَهْوَالِ حَيْثُ يُرَى
 «وَجَادَلٌ» خَلَا كَانَ رَائِسَهُمْ
 وَكُلُّ «صَفٍ» مِنَ الْأَمْلاكِ تَحْسُبُهُمْ

لِحِكْمَةِ قُدِّرَتْ مِنْ فَارِحِ الْكُرْبِ
 لِرَدْعِ «أَحْزَابِ» أَهْلِ الْكُفْرِ بِالشَّهْبِ
 بِرُغْبِ «يَاسِينَ» فِي بَدْرِ لَدَى الْقَلْبِ
 «فَصَارَ لِلْمُؤْمِنِ التَّيْتُ بِالْحُجْبِ» (١٣)
 حَتَّى عَلَاهُمْ «دُخَانٌ» الذَّلِيلُ بِاللَّهْبِ
 «أَحْقَافٌ» أَجْسَادُهُمْ لِلْوَحْشِ وَالْعُقْبِ
 «مُحَمَّدًا» فَأَتَاهُ «الْفَتْحُ» ذُو الْعَجْبِ
 «بِقَافٍ» (١٦) صَدَقَ مَعَ الْإِطْرَاقِ وَالْأَدَبِ
 لَعَلَّ «نَجْمِ» الرَّضِيِّ يَبْدُو بِبِلَا نَصَبِ
 كُنْ لِي شَفِيعًا إِلَى «الرَّحْمَنِ» يَا عَرَبِي
 مِنْ «الْحَدِيدِ» شَدِيدِ الْحَوْفِ وَالرُّعْبِ
 فِي «حَشْرِهِمْ» «بِامْتِحَانِ» (١٧) لَيْسَ بِاللَّعْبِ
 «تَجْمَعُوا» (١٨) لِقَضَاءِ الْفَرَضِ بِالطَّلَبِ



(١٢) المقصود: سورة ص.

(١٣) المقصود في هذا الشطر سورة غافر.

(١٤) المقصود: سورة الشورى.

(١٥) المقصود: سورة الجاثية.

(١٦) المقصود: سورة ق.

(١٧) المقصود: سورة الممتحنة.

(١٨) المقصود: سورة الجمعة.

وَأَمَّا مَنْ «نَافَقُوا» (١٩) يَوْمَ «التَّعَابِينِ» بِالِ
«وَطَلَّقَ» (٢٠) الْمَرْءُ «تَحْرِيماً» (٢١) لِلذَّيْتِ
«تَبَارَكَ» (٢٢) اللهُ إِجْلَالاً لِهِيبَتِهِ
فَالزَّمُ «لِنُونٍ» (٢٣) وَرَدَّدَ فِي تِلَاوَتِهَا
وَخَالَفَ النَّفْسَ وَاحْتَدَرَ مِنْ مَكَائِدِهَا
وَأَذْكَرُ «لِنُوحٍ» وَكُنْ بِالصَّيْرِ مُتَّزِراً
وَاسْتَلَّ شَفَاعَةَ مَنْ عَمَّتْ رِسَالَتُهُ
المُجْتَبَى مَنْ لِدِينِ الْحَقِّ أَرْسَدْنَا
مَنْ جَازَ «مُدْثِرٌ» بِالْمُعْجِزَاتِ كَذَا
سَوَى الْمُسَمَى «بِإِنْسَانٍ» (٢٥) الْوَجُودِ فَجُدْ
إِذْ «عَمَّ» (٢٦) كُلُّ الْوَرَى كَرُبٌ وَقَدْ ذَهَلَتْ

(١٩) المقصود: سورة المنافقون.

(٢٠) المقصود: سورة الطلاق.

(٢١) المقصود: سورة التحريم.

(٢٢) المقصود: سورة الملك.

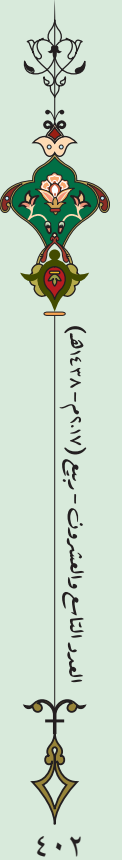
(٢٣) المقصود: سورة القلم.

(٢٤) المقصود: سورة الحاقة.

(٢٥) المقصود: سورة الإنسان.

(٢٦) المقصود: سورة النبأ.

وَمَالِكٌ «عَابِسٌ» (٢٧) وَالنَّارُ مُقْبِلَةٌ
وَالشَّمْسُ قَدْ «كُوِّرَتْ» وَالنَّاسُ فِي كُرْبٍ
حَتَّى السَّمَاوَاتُ ذَابَتْ خَل «وَانْفطرت»
وَبُدِّلَتْ أَرْضُنَا يَا صَاحُ «وَأَنْشَقَّتْ»
وَصَارَتْ الْأَنْبِيَا تَدْعُوا لِأَنْفُسِهَا
مِنْ شَرِّ «طَارِقٍ» أَمْرٍ زَادَ بِالْعَطْبِ
هَنَالِكُ مَسْجِدٌ عَمَّتْ مَكَارِمُهُ
كُلَّ الْخَلَائِقِ مِنْ نَاءٍ وَمُقْتَرِبِ
مُنَاجِيَا رَبِّهِ «الْأَعْلَى» «لِغَاشِيَةٍ»
قَدْ أَذْهَلَتْ سَائِرَ الْأَعْجَامِ وَالْعَرَبِ
فَلذَّبِهِ مُسْتَضِيًّا «فَجَرَ» سُنَّتِهِ
وَأَقْصَدُهُ فِي «بَلَدٍ» «كَالشَّمْسِ» فِي الرَّتْبِ
«وَلَيْلُهَا» «كَالضُّحَى» مِنْ نُورٍ طَلَعَتْهُ
مَنْ أَمَّهَا «بِالنَّسْرَاحِ» الصِّدْرِ لَمْ يَحْبِ
كَأَمَّا جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ قَدْ جَمَعَتْ
لِكُلِّ مُسْتَحْسِنٍ «كَالتِّينِ» وَالْعَنْبِ
قَدْ خَصَّهَا خَالِقُ الْإِنْسَانِ مِنْ «عَلَقِي»
بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ تَعْظِيمًا وَكُلَّ نَبِيٍّ
كَلِيلَةَ «الْقَدْرِ» مَنْ وَافَى لَهَا سَعِدَتْ
فَقَمَّ لَهَا وَاعْتَنِمَ لِلْخَيْرِ مُجْتَهِدًا
قَدْ «بَيَّنَّتْ» (٢٩) سُورَةُ «الزَّلْزَالِ» وَاتَّصَحَّتْ
فَأَنْهَضَ عَلَى «عَادِيَاتِ» الْبِرِّ مُرْتَجِيًّا
أَمَالُهُ وَحَظِي فِي أَنْجَحِ الْطَلَبِ
إِنْ رُمْتَ تُعْطَى لِدَارِ الْعِزِّ فَاسْتَجِبِ
فِيهَا الْأُمُورُ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْكُتُبِ
مِنْ قَبْلِ «قَارِعَةِ» الْأَهْوَالِ وَالْكَرْبِ



(٢٧) المقصود: سورة عبس.

(٢٨) المقصود: سورة المطففين.

(٢٩) المقصود: سورة البيّنة.

وَاحْدَرُ تَكُنْ كَالَّذِينَ الرَّبُّ أَبْعَدَهُمْ
وَأَعْنَمَ «لِعَصْرِ» التَّقَى وَاحْدَرُ مُنَاقَشَةٌ
«أَلَمْ تَرَ» (٣٣) فِي «فُرَيْشٍ» كَيْفَ حَلَّ بِهِمْ
وَاشْرَبَ مِنْ «الْكُوْثِرِ» الصَّافِي الَّذِي حَرَمُوا
فِي يَوْمٍ قَدْ «فَتَحَ» (٣٤) الْمَنَانَ جَنَّتَهُ
وَاشْتَدَّ «أَبُو لَهَبٍ» (٣٥) وَقَدْ هَلَكْتَ
«فَاحْلُصْ» (٣٦) لِمَنْ «فَلَقَ» الإِصْبَاحَ مُعْتَرِلاً
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ قَدْ تَمَّتْ مُكَمَّلَةً
يَا رَبِّ وَأَخْصُصْ لِنَاظِمِهَا بِمَغْفِرَةٍ
الْمَكْتَبِيِّ أَسِيرِ الذَّنْبِ فِي وَجَلِ
وَالتَّابِعِينَ لِشَرِّعِ اللَّهِ قَاطِبَةً
تُمْ الصَّلَاةَ عَلَى مَنْ كُنَّ رَاحَتَهُ
وَالْأَلِ وَالصُّحْبِ مَنْ فَازُوا بِرُؤْيَيْتِهِ

وقل لهم (٣٠) الهاكم «التكثير» (٣١) بالذهب
وَخَفَ مِنْ «الْوَيْلِ» (٣٢) وَارْقَى أَكْمَلَ الرَّتَبِ
فَلَا تَكُنْ مَانِعَ «الْمَاعُونِ» وَانْتَدِبِ
ذَا «الْكَافِرُونَ» لِرُؤْيَيْتِهِ مِنَ الْغَضَبِ
لِلْمُؤْمِنِينَ فَفَازُوا مِنْهُ بِالطَّلَبِ
يَدَاهُ وَاشْتَعَلَتْ بِالنَّارِ وَالْحَطَبِ
«لِلنَّاسِ» تَحَظَّ مِنَ الرَّحْمَنِ بِالْأَرْبِ
مَيْمُونَةً بِأَسَامِي أَشْرَفِ الْكُتُبِ
وَرَحْمَةً يَا جَمِيلَ الْعَفْوِ فَاسْتَجِبِ
لَكِنَّ حُسْنَ الرَّجَائِي نَجِي مِنَ الْعَطَبِ
فِي سَائِرِ الدَّهْرِ مِنْ عَجْمٍ وَمَنْ عَرَبِ
أَطْرَى مِنَ الْوَرْدِ بَلْ أَسْحَى مِنَ السُّحْبِ
وَكَانَ كُلُّ عَلَى الْكُفَّارِ كَالشُّهُبِ

(٣٠) لهم: غير موجودة في الأصل، ووضعناه ليستقيم الوزن.

(٣١) المقصود: سورة التكاثر.

(٣٢) المقصود: سورة الهمزة، كونها تفتتح بقوله تعالى ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لَمَزَةٍ﴾.

(٣٣) المقصود: سورة الفيل، كونها تفتتح بقوله تعالى ﴿الَّذِي تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾.

(٣٤) المقصود: سورة النصر، كونها تفتتح بقوله تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾.

(٣٥) المقصود: سورة المسد، كونها تفتتح بقوله تعالى ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

(٣٦) المقصود: سورة الإخلاص.

كتبت هذه النسخة من خط مؤلفها شيخنا الشيخ علي المكتبي، قال وقد نظمها وأنهى كتابتها نهار الجمعة بعد الصلاة لخمسة ايام خلت من شهر محرم الحرام سنة (١٠٨٧هـ) وحررت هذه النسخة في مضي سبعة أيام من شهر شوال سنة (١٠٩٠هـ).

شرح الأرجوزة:

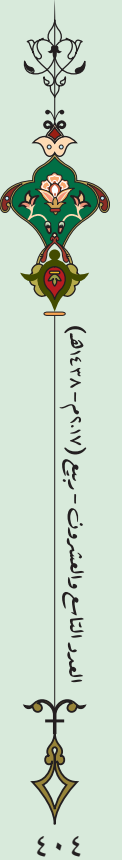
الأرجوزة من البحر البسيط، تقع في (٧٣) بيت شعري، ضمنها الشاعر كل السور القرآنية الـ (١١٤) سورة، وجاء تضمينه لها في (١٠٥) سورة بشكل صريح، و (٩) سور أشار لها بأوائلها.

وقد ركزت القصيدة في جزء كبير منها على نعت أكرم الخلق محمد ﷺ، بأحسن الصفات، ومدحه بأجل الألفاظ وأحسنها.

وقسمنا القصيدة على مقاطع بحسب إنتقال الشاعر من مقطع إلى آخر، وتناولنا المعنى العام للمقطع، ثم السور التي أشار إليها الشاعر، وبيان معانيها ودلالاتها اللغوية، وعلاقة كل ذلك بمراد الشاعر.

وقد أشار الشاعر إلى نكتة مهمة قبل الدخول إلى القصيدة وهي قوله: «لما رأيت النظم مقصوداً لمصلحة من المصالح فما رأيت أهم من أن أصنف أرجوزة أذكر بها سور القرآن العظيم»، وهي إن الشعر لا بد ان يكتب لغرض، ينتفع من ورائه القراء، فقد ورد عن ابن عباس: «الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من اللغة... رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه»^(٣)، ويمكن القول إنه سجلهم النفيس الذي حفظ تراثهم، وتاريخهم، وآدابهم، وأخلاقهم، وأخبار أبطالهم، ووقائع بطولاتهم، وما تفرّدت به قرائح حكماؤهم وفُضلائهم من حِكَمٍ بليغة وأمثالٍ بديعة.

وكانت للشعر العربيّ مساهمة جبارة في توثيق الآداب العربية وعلومها من البلاغة، والنحو، ومن خلاله اشتهرت القبائل وأخبارها، وعُرفت مواقع المدن ومرباعها، فهو الذي حفظ لنا كل ذلك، كما قال يونس بن حبيب اللغوي: «لولا شعر الفرزدق لذهب



نصف أخبار الناس»^(٤).

ومن هنا فشاعرنا المعرباني نحا منحى القدماء، وسعى جاهداً في توثيق أسماء السور القرآنية متسلسلة، كما وردة في القرآن الكريم، وفي ذلك حفاظاً على التسلسل للسور، والرد على كل من يتهمنا بالتحريف.

المقطع الأول: تناول الشاعر في هذا المقطع من القصيدة وهو الخمسة أبيات الأولى، التحميد والتهليل لله سبحانه وتعالى، ومن ثم الصلاة والتسليم على النبي الأكرم محمد ﷺ، ثم ذكر الغرض من النظم، ومن ثم ذكر عدد السور، وعدها (١١٤) سورة.

المقطع الثاني: سلط الشاعر فيه الضوء على نعوت النبي محمد ﷺ وإنكارها من قبل قومه، وهو من البيت (٦) إلى البيت (١٤)، فقد ضمن الشاعر في هذا الجزء من القصيدة سبع عشرة سورة، جاءت ست عشرة سورة منها بأسمائها بشكل صريح، وواحدة عبر عنها بأولها وهي سورة (الإسراء) فقد إشار إليها بـ (سبحان).

وركزت هذه المقطوعة بشكل أساس على نبوة محمد ﷺ، وصفاته التي أشار إليها القرآن في سورة البقرة، وسورة آل عمران، وإنكار القوم لها. وعبر عن ذلك بقوله (بقرت).

وللفعل بقر معاني كثيرة، والمراد هنا هو: إظهار الشيء، وشقّه، وفتحّه وتوسعه^(٥)، والتبقر: التوسع في العلم والمال، ومن هنا لقب الإمام محمد بن علي السجاد عليه السلام بالباقر عليه السلام، لأنه بقر العلم وعرف أصله واستنبط فرعه وتبقر في العلم^(٦).

ولقد ورد في القرآن الكريم جملة من النعوت الصريحة للرسول محمد ﷺ، ومن النعوت التي صرحت بها سورة البقرة، وآل عمران هي: (البشير، والنذير، والشهيد، والرسول، والأنفس).

(٤) الأغاني: ٢١ / ٣٩٨.

(٥) ينظر: تاج العروس: ٦ / ١٠٥.

(٦) ينظر: لسان العرب: ٤ / ٧٤.

وورد نعتا (البشير والذير) للرسول محمد ﷺ في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ** ﴾ [سورة البقرة: ١١٩]، ونلاحظ اقتران (البشير والذير)، لقطع الحجج والأعدار التي يحاولون اللواذ بها^(٧)، والكلمتان على وزن (فعليل)، وفي هذا الوزن دلالة على المبالغة؛ وفي هذا إحياءً بصدور التبشير والإنذار أكثر من مرة.

أما نعت (الشهيد) فقد ورد في قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ..** ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣]، فالشاهد على وزن (فعليل)، ويدلُّ على ثبوت المعنى والاستقرار في الذات، ويحصل هذا في من يثبت تحمُّله للشهادة زمانين أو أكثر^(٨)، وقد كشفت الآية عن دلالة مهمّة، وهي تجلّي كمال نورانيته وروحانيته ﷺ، زيادةً على ذلك تنزّهه عن تعلّقات النفس بالدنيا والتوجّه الخالص إلى الله المتعالى^(٩).

أما نعت (الرسول) فقد ورد في قوله تعالى: ﴿ **ءَأَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ...** ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥]، فجاء الخطاب الإلهي له بهذا النعت في الوظائف التي كُلف بتبليغها من أمرٍ ونهي، وكذلك استعمل هذا النعت في خطاب الناس وأمرهم باتباع صاحب هذا النعت وهو الرسول ﷺ^(١٠).

أما نعت (الأنفس) ففي قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٤]، وفي هذا النعت دلالة امكانية نفاذ الرسول ﷺ إلى أعماق مسرب من مسارب النفس والاتساع لكل جوانب الإنسانية

(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٤ / ٣٥٤.

(٨) ينظر: معجم الفروق اللغوية: ٢٩٢.

(٩) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن (شهد): ٦ / ١٣٥.

(١٠) ينظر: النبي في القرآن، الشيخ جاد الحق علي جاد الحق: ١٠.

لأنه منهم ومن صميمهم (١١).

ما تناولناه نعوت صريحة وردت في القران دلة بشكل صريح على نبوة الرسول ﷺ، ووجوب اتباعه، وهناك الكثير من النعوت الغير صريحة التي وردت في سورة البقرة، آل عمران نذكرها فقط للفائدة وهي: (التالي، والمعلم، واللين، والمشاور، والعروة الوثقى).

وبعد إن بين الشاعر النعوت التي أعلمنا الله اياها، أشار إلى إنكار القوم له من الرجال والنساء وعد الإيمان بنبوته ﷺ، وذلك بقوله: (قَدْ أَنْكَرُوهُ عَلَى عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ...) أراد الشاعر بذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٤٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٥٩].

قال ابن عباس: نزلت في رؤساء اليهود: كعب بن الأشرف وكعب بن أسيد ومالك بن الضيف وغيرهم، كانوا يتمنون أن يكون النبي منهم، فلما بعث محمد ﷺ خافوا أن تذهب مآكلتهم من السفلة، فعمدوا إلى صفة النبي ﷺ فغيروها في كتابهم ثم أخرجوها إليهم، فقالوا: هذا نعت النبي الذي يبعث في آخر الزمان، وهو لا يشبه نعت النبي الذي بمكة، فلما تطرق السفلة إلى صفة النبي من التي غيروها جحدوه لأنهم وجدوه مخالفاً (١٢). والمراد كذلك ما كانت اليهود تصنع ببشارات النبوة فما يجهله الناس لا يظهرونه لهم، وما يعلم به الناس يؤولونه بصرفه عنه ﷺ (١٣).

وفي قول الشاعر: (فِي «آلِ عُمَرَانَ» مَتْلُوءٌ...)، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْقَائِلِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧].

(١١) ينظر: الدر المصون في علم الكتاب المكنون، الحلبي: ١٤١ / ٦.

(١٢) عمدة القاري: ١٢ / ١٨٨.

(١٣) ينظر: تفسير الميزان: ١ / ٣٨٨.

الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿سورة آل عمران: ٨٦﴾، وفيه إشارة كذلك إلى إنكارهم الرسول الأكرم ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَبْصُرَ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٤].

فهم مع علمهم بما للنبي من الصفات، والبيانات التي بشر بها الانبياء، وانهم كانوا يعرفونه كما يعرفون ابناءهم، لكنهم كانوا ينكرونه.

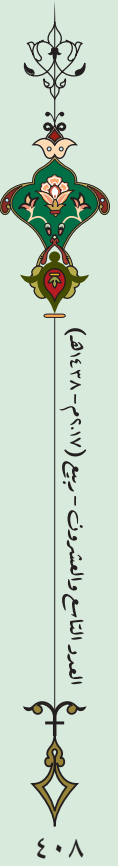
وقد عقد الشاعر بقوله: (كَمَا بَعِيسَى جَرَى فِي كُفْرٍ «مَائِدَةَ» أَل..). ماثلة تشبيهية بين نكران الكفار من الرجال والنساء للنبي ﷺ، وبين أطراف مختلفة وهي: قوم النبي عيسى عليه السلام الذين خبأوا وترفعوا وخانوا، بعد نزول المائدة عليهم التي طلبوها من النبي عيسى عليه السلام، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة المائدة: ١١٥] وكان النبي عيسى عليه السلام اخذ العهد منهم بقوله: فإنها - أي المائدة - مقيمة لكم ما لم تخونوا وتخبأوا وترفعوا^(١٤)، وشبه الشاعر كذلك القوم الذي كفروا بالنبي محمد وأنكروه، بقوم يونس وهود ويوسف وقوم إبراهيم عليهم سلام الله جميعاً، الذين كذبوا أنبيائهم، وراحوا يستهزئون بهم، والذين قذفوا نبيهم في النار وهم قوم إبراهيم عليه السلام.

ثم راح الشاعر يتمنى لهؤلاء القوم العذاب بالرعد بقوله: (يَا لَيْتَ «بِالرَّعْدِ» ثُمَّ النَّارِ قَدْ حُرِّقُوا) - والمقصود منه هنا: رجرجة تأخذ الإنسان من فزع أو داء^(١٥) -، والنار التي توعدهم الله بها يوم القيامة.

المقطع الثالث: فيه يسلط الشاعر الضوء على بعض معجزات النبي محمد ﷺ ومدحه، ويتدلى من البيت (١٥) إلى البيت (٢١)، وقد ضمن الشاعر في هذا الجزء

(١٤) تفسير الصافي: ٢ / ٩٨.

(١٥) ينظر: العين: ٢ / ٣٣.



من القصيدة تسعة سور، جاءت سبع منها بأسمائها بشكل صريح، واثنان عبّر عنهما بأولها وهي سورة (الكهف)، فقد أشار إليها ب (الحمد لله)، وسورة (الفرقان) فقد أشار إليها ب (تبارك).

وقد استفتح الشاعر هذه المقطوعة بالتشبيه التام بقوله: («كَمَرِيمٍ» حِينَ نَجَّاهَا مِنْ الْعَطَبِ...)، حيث شبه حاله والنعم التي من الله بها عليه، بحال مريم عليها السلام التي نجاها الله عز وجل من الهلاك.

المقطع الرابع: وفيه سلط الشاعر الضوء على شجاعة النبي الأكرم عليه السلام والتوسل بقبره الشريف وهذا المقطع من البيت (٢٢) إلى البيت (٣٠)، وفي النص إشارة إلى المعجزات التي حصلت مع الأنبياء، ومنها يذكر قصة النمل مع النبي سليمان، وقصة العنكبوت في غار حراء، ثم يعرج على لقمان وحكمته، ثم يعرج على شجاعة النبي وحكمته، ثم الحث على التوسل بالنبي، والدخول إلى حضرته الشريفة بكل أدب.

المقطع الخامس: في طلب الشفاعة من الرسول الأكرم وذكر أهوال يوم القيامة وهو من البيت ال (٣١) إلى (٥٠)، وفي ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أربعة أنا الشفيع لهم يوم القيامة ولو آتوني بذنوب أهل الارض: معين أهل بيتي، والقاضي لهم حوائجهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه، والدافع عنهم بيده))^(١٦).

المقطع السادس: ذكر مسجد وقبر النبي والتوسل به وهو من البيت ال (٥١) إلى (٦٧)، ولقد نصت الكثير من الأحاديث والروايات على فضل المسجد النبوي، والعبادة فيه، وأول هذه الأشياء قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ حُبًّا الْمُطَهَّرِينَ﴾ [سورة التوبة: ١٠٨].

وعن النبي صلى الله عليه وسلم «صلاة في مسجدي هذا تعدل ألف صلاة في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة في غيره»^(١٧).

(١٦) الأمالي: للشيخ الصدوق: ٥٧٤.

(١٧) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ٣٧٣.

وروي عن أنس بن مالك أن النبي محمد قال: «من صلى في مسجدي أربعين صلاةً لا تفوته صلاةٌ كتبت له براءة من النار وبراءة من العذاب وبرئ من النفاق» (١٨).

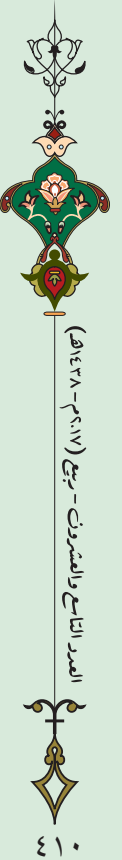
المقطع السابع: الخاتمة.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ قَد تَمَّتْ مُكَمَّلَةً
يَا رَبِّ وَأَخْصَصْ لِنَاظِمِهَا بِمَغْفِرَةٍ
الْمَكْتُبِيِّ أَسِيرِ الذَّنْبِ فِي وَجَلِ
وَالتَّابِعِينَ لِشَّرْعِ اللَّهِ قَاطِبَةً
ثُمَّ الصَّلَاةَ عَلَى مَنْ كُنَّ رَاحَتَهُ
وَالْآلِ وَالصُّحْبِ مَنْ فَازُوا بِرُؤْيَيْهِ
مَيْمُونَةً بِأَسَامِي أَشْرَفِ الْكُتُبِ
وَرَحْمَةً يَا جَمِيلَ الْعَفْوِ فَاسْتَجِبِ
لَكِنَّ حُسْنَ الرَّجَى يُنْجِي مِنَ الْعَطَبِ
فِي سَائِرِ الدَّهْرِ مِنْ عَجْمٍ وَمَنْ عَرَبِ
أَطْرَى مِنَ الْوَرْدِ بَلْ أَسْخَى مِنَ السُّحْبِ
وَكَانَ كُلُّ عَلَى الْكُفَّارِ كَالشُّهْبِ

في هذه المقطع ينوه الشاعر بانتهاء القصيدة طالبا من الله تعالى أن يتقبل منه عمله ويغفر له، ولجميع المسلمين.

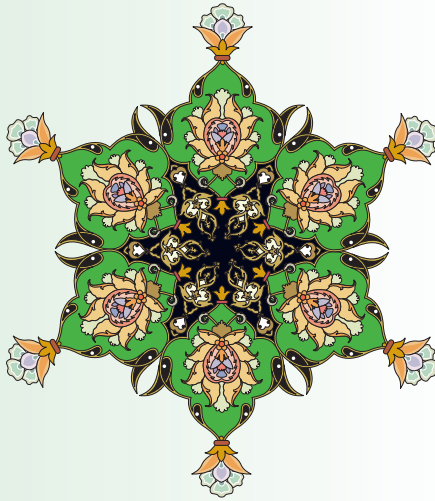
المصادر:

- القران الكريم.
- تحفة الأحوذى: للمباركفوري (ت ١٢٨٢هـ)، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط ١/ ١٤١٠هـ.
- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: لورام بن أبي فراس المالكي الأشتري (٦٠٥هـ)، دار الكتب الإسلامية/ طهران، ط ٢/ ١٣٦٨ش.
- الخلاف: للشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة



المدرسين/ قم المقدّسة، د. ط / ١٤٠٧هـ.

- كنز العمال: للمتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ بكري حياني، مؤسسة الرسالة/ بيروت، د. ط / ١٤٠٩هـ.
- منتهى المطلب: للعلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ)، مجمع البحوث الإسلامية/ مشهد، ط ١ / ١٤١٩هـ.



الدراساتُ القرآنيةُ في المجالات النجفية (دراسة بليوغرافية)

١٣٥٦هـ - ١٤٣٦هـ = ١٩٣٨م - ٢٠١٥م

القسم الرابع

صنعة

ميدر كاظم الجبوري

١. سواء في القرآن الكريم. د. هدى صالح محمد علي. مجلة (مركز دراسات الكوفة)، ١١ع، ٢٠٠٨م، ص ١٦١-١٧٦.
٢. سورة إبراهيم في القرآن الكريم دراسة لغوية. د. رفاه عبد الحسين الفتلاوي، د. فضيلة عبوسي العامري. مجلة (كلية الفقه)، ٨ع، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م، ص ١٨٥-٢١٩.
٣. سورة الفجر (دراسة في ضوء لسانيات الخطاب وعلم النص). أبو القاسم علي. مجلة (المنهج)، ٢٥ع، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م، ص ١٤٥-١٦٦.
٤. سورة الكوثر - دراسة بيانية. د. مزاحم مطر. مجلة (مآب)، ٨ع، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٨م، ص ٤٧-٥٨.
٥. السياق اللغوي في النص القرآني. خليل خلف بشير، مجلة (مركز دراسات الكوفة)، ٤ع، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م، ص ٢٣٧-٢٦٥.
٦. السياق اللغوي في النص القرآني. د. خليل خلف بشير العامري. مجلة (مآب)، ٧ع، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٨م، ص ١١٣-١٣٢.

٧. السياق والدلالة اقتضاء وتوجيه النص القرآني انموذجاً. د. سيروان عبد الزهرة هاشم [الجنابي]. مجلة (ينابيع)، ع٩٤، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦م، ص ١٧ - ٢٣.
٨. السيد السبزواري في سيرته وتفسيره (مواهب الرحمن). أحمد عبد الله نوح. مجلة (آفاق نجفية)، ع١٤، ص ٢٧٩.
٩. سيد الشهداء والقرآن. د. خليل خلف بشير. مجلة (ينابيع)، ع٦٠، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٤م، ص ٤٨ - ٥٢.
١٠. سيرة المصطفى سيرة النبي ﷺ وصفاته من القرآن الكريم. إعداد باسم قاسم الدولة. مجلة (ينابيع)، ع٦٥، ذو القعدة - ذو الحجة ١٤٣٦هـ = ايلول - تشرين الأول ٢٠١٥م، ص ٧٨ - ٨٢.
١١. سيكولوجية الحوار في القرآن بحث خصوصية الخطاب القرآني. انوار جواد المظفر. مجلة (مآب)، ع٣، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٧م، ص ١٢٥ - ١٤٤.
١٢. سيميائية العنوان في سورة الكوثر. د. خالد كاظم حميدي. مجلة (مركز دراسات الكوفة)، ع٣٥، ٢٠١٤م، ص ١٨١ - ٢٠١.
١٣. سينمائية التصوير القرآني. د. عمار عبد الأمير راضي السلامي. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع١٣، ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م، ص ٤٠٥ - ٤٣٥.

حرف الشين

١٤. الشاهد القرآني عند المبرد في المقتضب. د. هاشم جعفر حسين. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع٣١ / ج١، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ١٧٣ - ١٨٩.
١٥. الشاهد القرآني في الأحكام الشرعية عند الإمام الكاظم. د. عدي جواد الحجار. مجلة (كلية الفقه)، ع٢٠، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ٩٦ - ١١٠.
١٦. شبهات المستشرقين حول المكي والمدني. السيد رياض الحكيم. مجلة (ينابيع)، ع١، ذو القعدة - ذو الحجة، ١٤٢٤هـ، ص ٦ - ١١.
١٧. شبهات المستشرقين حول الوحي القرآني. د. ستار جبر الأعرجي، إيناس جاسم



- محمد الدروغي. مجلة (دراسات استشراقية)، ع ٣، ١٤٣٦ = ٢٠١٥م، ص ١٣ - ٦٨.
١٨. شرح المشكل من الألفاظ في دعاء السمات (دراسة قرآنية سامية مقارنة). د. علي زوين. مجلة (مآب)، ع ١١، ١٤٣٠ = ٢٠٠٩م، ص ٩ - ٣٨.
١٩. شكل القرآن. أ. د. محمد حسين علي الصغير، مجلة (كلية الدراسات الإسلامية)، ع ٣، ١٤٢٧ = ٢٠٠٦م، ص ٩ - ٢٥.
٢٠. الشهادة، الشهيد، الشهداء في القرآن الكريم. هاشم جعفر الموسوي. مجلة (ينابيع)، ع ٢٣، ١٤٢٩ = ٢٠٠٨م، ص ١٩ - ٢١.
٢١. الشورى في القرآن منطلق حضاري نحو التغيير. السيد حسن الهاشمي. مجلة (مآب)، ع ٢، ١٤٢٧ = ٢٠٠٧م، ص ٩٣ - ١١٦.
٢٢. الشيخ الطبرسي امام المفسرين. أ. د. حسن عيسى الحكيم. مجلة (مآب)، ع ٣، ١٤٢٧ = ٢٠٠٧م، ص ٨٥ - ٨٨.

حرف الصاد

٢٣. صراط علي في القرآن الكريم بين التراث الإقراي والتفسير الروائي. م. د. كاطع جارالله سطم. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع ٣٢ / ج ١، ١٤٣٦ = ٢٠١٥م، ص ٢٣ - ٥٩.
٢٤. الصراط والسبيل في القرآن الكريم. د. الشيخ عباس كاشف الغطاء. مجلة (مآب)، ع ٢، ١٤٢٧ = ٢٠٠٧م، ص ٧٩ - ٩٢.
٢٥. صفات إبليس وأسلوبه في القرآن الكريم. د. ابتسام عبد الكريم المدني. مجلة (ينابيع)، ع ٥٢، ١٤٣٤ = ٢٠١٣م، ص ١٦ - ٢٠.
٢٦. صفات الأنبياء أولي العزم في القرآن الكريم والعهدين. د. حكمت عبيد حسين الخفاجي. مجلة (كلية الفقه)، ع ٧، ١٤٢٩ = ٢٠٠٨م، ص ٧٥ - ٩٥.
٢٧. صفات الملائكة في القرآن الكريم. د. ابتسام عبد الكريم المدني. مجلة (ينابيع)، ع ٥١، ١٤٣٤ = ٢٠١٣م، ص ٢٢ - ٢٦.

٢٨. صلة القرآن الكريم بالكتاب المقدس. الشيخ محمد مهدي الآصفي. مجلة (الأضواء)، ع ٧-٨، ١٣٨٢هـ، ص ٣٠٠-٣٠٥.

٢٩. صناعة المجتمع الصالح. خضير عباس محمد. مجلة (مآب)، ع ٦، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٨م، ص ١٠٩-١٣٣.

٣٠. الصوت اللغوي في فواصل الآيات القرآنية. أ. د. محمد حسين علي الصغير. مجلة (كلية الفقه)، ع ١، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م، ٢١-٣٦.

٣١. صور الدلالة القرآنية في سورة الناس «دراسة أسلوبية». هادي سعدون هنون، د. عبد الكريم جديع نعمة. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع ٢٧، ص ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م، ص ٤٥٥-٤٨٣.

٣٢. صور من القرآن (التربية وأصول علم الأخلاق). السيد محمد جمال الهاشمي. مجلة (الدليل النجفية)، نشر العتبة العلوية المقدسة، مجلد ١، ٢، ص ١٠٥-١٠٨.

٣٣. الصورة المتخيلة للبيئة المسرحية في سورة يوسف عليه السلام. بشرى فاضل صالح. مجلة (كلية التربية للبنات للعلوم الانسانية)، ع ١/١٧٣-١٨٩.

٣٤. صورة المرأة المثال في الإستعمال القرآني (سورة التحريم مثالا). د. حيدر عبد الزهرة، ومحمد قاسم لعبيبي. مجلة (مآب)، ع ١١، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م، ص ١٠٥-١١٥.

٣٥. صورة المرأة المثالية ومعاييرها في القرآن. فاطمة كريمي تركي. مجلة (ينابيع)، ع ٦٣، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ٩٨-١٠٢.

٣٦. الصورة المفردة والمركبة في سورة الواقعة. د. حسن حميد فياض. مجلة (مركز دراسات الكوفة)، ع ٦، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م، ص ٣٢٩-٣٤٤.

٣٧. الصوم في التعبير القرآني قراءة في أبعاد المفهوم ودلالة النص. د. سيروان عبد الزهرة الجنابي. مجلة (ينابيع)، ع ٥٧-٥٨، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م، ص ١٠-١٥.

٣٨. صيغ المبالغة في الاستعمال القرآني (دراسة في دلالة البنية الصرفية). أ. د. فاخر هاشم الياسري. مجلة (حولية المتدى)، ع ٣، ٢٠٠٩م، ص ١٣-٦٧.

حرف الضاد

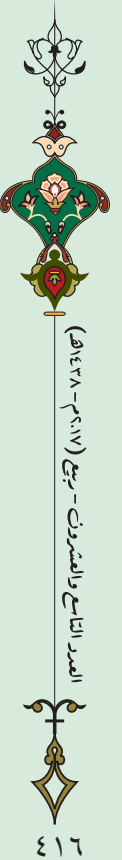
٣٩. الضمير في التفسير الحدسي والتفسير التجريبي «دراسة فلسفية». د. سامي شهيد مشكور، ٣/ ٢٩١-٣٢٧.
٤٠. الضمير ومفسره في الآيات المشككة. د. محمد عامر محمد، د. حسن كاظم أسد. مجلة كلية الفقه، ع١٨، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م، ص ٢٦٩-٢٩٣.

حرف الطاء

٤١. الطب في القرآن. الشيخ محمد الخليلي. مجلة (المعارف)، ع٤ - ٥ - ٦، ١٣٧٨هـ = ١٩٥٩م، ص ٩٠-٩٣/ع١٠، ص ٦٤-٦٩.
٤٢. الإطلاق وعناصر الحكمة في القرآن الكريم (دراسة اصولية مقارنة). د. وفقان خضير محسن الكعبي. مجلة (بحوث ودراسات إسلامية)، ع٣، بلا تأريخ، ص ١٧٢-١٨٣.
٤٣. الطريق إلى القرآن دراسة في اليات تحليل النص القرآني عند عالم سبيط النيلي. ناجي سوادى سالم. مجلة (المنهج)، ع٩، ١٤٣١هـ = ٢٠٠٩م، ص ٤٧-٦٠.
٤٤. طوفان نوح ﷺ بين القرآن الكريم والتوراة وملحمة كلكامش (قراءة علمية). سعد حاتم مرزة. مجلة (مآب)، ع٦، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٨م، ص ٧-٢٦.

حرف الظاء

٤٥. ظاهرة البرزخ المائي في القرآن الكريم وعلاقتها بالتوازن البيئي في شط العرب وشمال الخليج العربي (حيث يلتقي النهر بالبحر). اسيل فاضل أيوب. مجلة (كلية الفقه)، ع١٤، ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م، ص ٣٣٥-٣٧٣.
٤٦. ظاهرة التضاد في سورة الأعراف وأثرها في إيصال المعنى. هادي حسن محمد. مجلة (مركز دراسات الكوفة)، ع٣١، ٢٠١٣م، ص ٥٣-٧٣.
٤٧. ظاهرة التكذيب في الرسائل السماوية - المناقب والآثار -. الشيخ عبد الهادي الطههاري. مجلة (مآب)، ع٣، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٧م، ص ٦٩-٨٣.



٤٨. ظاهرة الوحي عند المستشرقين. د. عبد الباسط عبد الصمد أحمد. مجلة (مآب)، ع٢، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٧م، ص ١٦٥ - ١٧٣.

٤٩. ظاهرة تعاور المفردات في التعبير القرآني. د. عدوية عبد الجبار الشرع. مجلة (مآب)، ع٩، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٨م، ص ١٩ - ٢٨.

٥٠. ظاهرة تقسيمات الجملة في تفسير آيات الأحكام. د. حسن كاظم أسد. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع١٤، ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م، ص ٣٦٥ - ٣٩٥.

٥١. الظن في القرآن الكريم - دراسة في مفهوم التضاد. د. عقيل عكموش عبيد. مجلة (مآب)، ع٨، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٨م، ص ٧ - ٢٤.

٥٢. الظواهر اللغوية في قراءة عبيد بن عمير الليثي (ت ٧٤هـ). د. حيدر حبيب حمزة. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع٣١ / ج١، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ٣٩٩ - ٤٧٩.

٥٣. ظواهر تحليلية في سورة البلد. عبير جبار كاظم الملا. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع٣٥ / ج٢، ١٤٣٧هـ = ٢٠١٥م، ص ٥٩٩ - ٦٤٢.

٥٤. ظواهر دلالية في التعبير القرآني. أ. د. عبد الأمير كاظم زاهد. مجلة (السدير)، ع٢، س١، ٢٠٠٣م، ص ١ - ٢٢.

٥٥. ظواهر لغوية فنية في النص القرآني. أ. د. زهير غازي زاهد. مجلة (ينابيع)، ع١٣، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م، ص ١٣ - ١٩.

حرف العين

٥٦. العالمية والعوامة. د. كاظم عبد فريج المولى. مجلة (مآب)، ع٣، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٧م، ص ١١٣ - ١٢٤.

٥٧. عبس وتولى في ضوء أسباب النزول. السيد أسعد القاضي. مجلة (مآب)، ع١٢، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م، ص ٥٣ - ٦٠.

٥٨. عبقرية العربية في تكثير المعاني سورة الفاتحة أنموذجاً. د. محمد خليل مراد الحربي.

- مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع ٣١ / ج ٢، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ١٨٩ - ٢٠١.
٥٩. عدالة الصحابة في ميزان القرآن والسنة. عبد الرزاق الأعسم. مجلة (ينابيع)، ع ٦٣، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ٣١ - ٣٥.
٦٠. العدالة بين القرآن الكريم وعهد مالك. إعداد: الشيخ حميد محمد الغراوي. مجلة (المبين)، ع ١٧، ٢٠١٠م، ص ٥٣ - ٦٦.
٦١. عدم نقط الأحرف وأثره في اختلاف القراءات القرآنية (الباء وأخواتها انموذجاً). د. عصام كاظم الغالبي. مجلة (ينابيع)، ع ٦٣، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ٥٤ - ٥٩.
٦٢. العدول في السياق القرآني. د. حسن حميد فياض. مجلة (كلية الفقه)، ع ٧، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م، ص ٢٢٩ - ٢٣٨. ونشر في مجلة (مآب)، ع ١١، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م، ص ٧٣ - ٨٦.
٦٣. عسى بين أحكامها النحوية واستعمالها القرآني. د. حسن عبید المعموري. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع ٣١ / ج ٢، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ٣٠٩ - ٣٢٨.
٦٤. عصر القرآن. الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء. مجلة (الدليل) - النجف الاشرف، ع ٨، س ٢، ١٩٤٨م.
٦٥. عصمة الأنبياء وظاهر القرآن. منذر كاظم آل هريدي. مجلة (مآب)، ع ٦، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٨م، ص ٢٧ - ٣٧.
٦٦. عصمة النبي موسى عليه السلام من منظور قرآني. د. سيروان عبدالزهرة الجنابي. مجلة (ينابيع)، ع ٣٨، ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م، ص ٢٠ - ٢٤.
٦٧. العصمة من منظور عقلي وقرآني دراسة مقارنة. السيد خالد سيساوي الجزائري. مجلة (الاصلاح الحسيني)، ع ٧، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م، ص ٣١١ - ٣٣١.
٦٨. عطاء الدال (دراسة تطبيقية في أمثلة من المجاز المرسل في المشاهد القرآنية). أ. د. أياد عبد الودود عثمان الحمداني، حميد جفات ثويني. مجلة (الكلية الإسلامية

- الجامعة)، ع ٣٥ / ج ١، ١٤٣٧هـ = ٢٠١٥م، ص ١٩٥ - ٢٢١.
٦٩. العطف بين الألفاظ والتراكيب المتقاربة بالمعنى في القرآن الكريم «دراسة دلالية». د. أسيل متعب مطرود، سعيد سلمان جبر. مجلة (حولية المتدى)، ١٨٤، ص ١٥ - ٣٥.
٧٠. العلاقات الدلالية في التعبير القرآني في سياقاتها التعبيرية المختلفة. د. منى عبد الرسول شكري. مجلة (مآب)، ع ١٠، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م، ص ٧٥ - ٨٧.
٧١. العلاقة التلازمية بين علي والقرآن. الشيخ هادي الخزرجي. مجلة (الأصالة النجفية)، ع ١٨٤ - ١٩ - ٢٠، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م، ص ٥٨ - ٦٣.
٧٢. علم التأويل بين الوصل (العطف) والوقف. د. الشيخ حسن كريم الربيعي. مجلة (المين)، ع ٢، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م، ص ٦٢ - ٧٥.
٧٣. العلم الغيبي عند الإمام علي (عليه السلام) دراسة تحليلية في النصوص القرآنية والأحاديث. د. صادق فوزي النجادي. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع ٣٢ / ج ٤، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ٢٠٩ - ٢٣٣.
٧٤. علم الكلام في القرآن الكريم والسنة الشريفة. أ. د. الشيخ صاحب نصار. مجلة (ينابيع)، ع ٥٢، ١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م، ص ١٠٦ - ١٠٩.
٧٥. علم المحكم والمتشابه دراسة في المعنى وفي قوله تعالى (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ). خولة مهدي شاكر. مجلة (كلية الدراسات الإنسانية)، ع ٣، ٢٠١٣م، ص ٨٩ - ١١١.
٧٦. علوم القرآن عند الشهيد الحكيم (قدس) دراسة مقارنة. د. عامر عمران الخفاجي. مجلة (كلية الفقه)، ع ٦، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م، ص ٩ - ٢١.
٧٧. علوم القرآن في فكرة الامام شرف الدين. محمد فاكر المبيدي. مجلة (مآب)، ع ٥، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م، ص ٧ - ٢٠.
٧٨. علي بن أبي طالب (عليه السلام) في النص القرآني - قراءة في ولايته بمنطق التحليل الدلالي-. د. سيروان عبد الزهرة الجنابي. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع ٣٢ / ج ١،

١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ٣٨٧-٤٣٩.

٧٩. العمل الصالح في القرآن. السيد محمد باقر الصدر. مجلة (الأضواء)، ع٦، ص٢،

١٣٨١هـ، ص ٤٥٣-٤٦٢.

٨٠. عناصر القصة في سورة أهل الكهف. د. محمود البستاني. مجلة (الرابطة)، ع٣، ص٣،

١٩٧٦م، ص ٧٥-٨٨/ع٤، ص٣، ص ٨٢-١٠١.

٨١. عوامل النجاح في علم البرمجة اللغوية العصبية وتطبيقاتها في القرآن الكريم، بثينة

وليد عبد الحميد. مجلة (كلية الفقه)، ع١٨، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م، ص ٣١٧-٣٣٨.

حرف الغين

٨٢. الغرب وتاريخ القرآن - جذور العلاقة. د. مشتاق بشير الغزالي. مجلة (مآب)، ع٣،

١٤٢٧هـ = ٢٠٠٧م، ص ٤١-٥٦.

٨٣. الغلو في المنظور القرآني الديانة المسيحية شاهدا. د. محمد جواد فخر الدين. مجلة

(مآب)، ع٣، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٧م، ص ٩٧-١١٢.

٨٤. الغيب. سعد حاتم مرزة. مجلة (مآب)، ع٤، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م، ص ٧٩-٩٣.

٨٥. غير في الجملة العربية والقرآن الكريم. د. هدى صالح محمد، د. تناصر قائد راضي.

مجلة (كلية الفقه)، ع١٠، ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م، ص ٢٦٥-٢٧٩.

حرف الفاء

٨٦. الفاصلة القرآنية دراسة في سبلها المغايرة وأثرها الأسلوبي. أ. د. إياد عبد الودود

الحمداني. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع٣١/ج١، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص

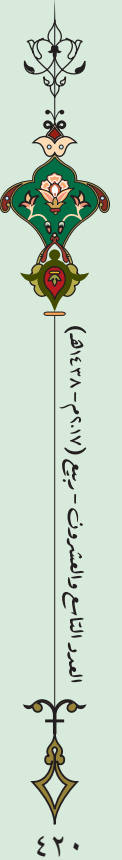
٨٥-١٠٠.

٨٧. الفاصلة القرآنية طبيعتها الايقاعية. أ. د. زهير غازي زاهد. مجلة (ينابيع)، ع٢٧،

١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م، ص ١٠-١٦.

٨٨. فاطمة الزهراء عليها السلام ومصحفها أصله، حقيقته ورد الاقتراءات عليه. د. إسماعيل طه

الجابري، محمد أياد جواد هبة الدين الحسيني الشهرستاني. مجلة (الكلية الإسلامية



- الجامعة)، ع ٢٠٠٤ / ج ٢، ١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م، ص ٣٢٥ - ٣٤٤
٨٩. فاطمة الزهراء عليها السلام.. في النص القرآني.. آية المباهلة أنموذجاً، د. صالح جبار القرشي. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع ٢٠٠٤ / ج ٢، ١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م، ص ٦٢٣ - ٦٥٠.
٩٠. الفاظ الوعد والوعد في القرآن الكريم. أ. د. عبد الكاظم محسن الياسري، د. تناصر قائد راضي. مجلة (كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية)، ع ٥، ٢٠٠٩م، ص ١٧١ - ١٨٧.
٩١. الفاعل وأنواعه في آيات سورة البقرة. د. جاسم غالي. مجلة (مآب)، ع ٨، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٨م، ص ٨١ - ٩٣.
٩٢. فترة الوحي (مقاربة سياقية قرآنية - سورة الضحى المباركة مثلاً). د. محمد جعفر. مجلة (مآب)، ع ٢، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٧م، ص ١٣١ - ١٣٧.
٩٣. فحوى الخطاب في القرآن الكريم. د. إزهار علي ياسين. مجلة (ينابيع)، ع ٥٧ - ٥٨، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م، ص ١٦ - ١٩.
٩٤. فرائد اسلوية في سورة (المؤمنون). د. مشكور العوادي. مجلة (ينابيع)، ع ٩، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦م، ص ١٠ - ١٣.
٩٥. فرائد القرآن الكريم بين اصالة اللفظ وتمكن الدلالة. د. عادل عباس النصراوي. مجلة (ينابيع)، ع ٣٧، ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م، ص ١٢ - ١٧.
٩٦. الفرح والسرور في القرآن الكريم دراسة سيميائية. د. طلال خليفة سلمان. مجلة (الهدى)، ع ١، ٢٠١٤م، ص ٨٨ - ٩٧.
٩٧. الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والحديث. الشيخ محمد الصادقي الطهراني. مجلة (دراسات إسلامية)، ع ٣، ١٣٨٥هـ، ص ٢٤ - ٣٢.
٩٨. الفُرُوقُ الدَّلَالِيَّةُ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ الْمُتَرَادِفَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي ضَوْءِ الْحُقُولِ الدَّلَالِيَّةِ. أ. د. عبد الكاظم الياسري، د. ناصر عبد الإله دوش. مجلة (كلية التربية للبنات

- للعلم الانسانية)، ٩٤، ٢٠١١م، ص ٣٥-٤٨.
٩٩. الفعل (أبى / b) ودلالاته في العهد القديم والعهد الجديد والقرآن الكريم. د. ستار عبد الحسن جبار الفتلاوي. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع٣٥ / ج١، ١٤٣٧هـ = ٢٠١٥م، ص ٤٢٦-٤٣٦.
١٠٠. الفعل المزيد بالتضعيف (فَعَّل) في القرآن الكريم. د. حسن غازي السعدي، ومحمد نوري الموسوي. مجلة (مآب)، ع١٣، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م، ص ٤٩-٥٦.
١٠١. فعل وأفعال، مبنئاً ومعنيين المنظورين اللغوي والقرآني، د. مديحة خضير السلامي. مجلة (كلية الفقه)، ع٦، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م، ص ٨٣-٩٧.
١٠٢. فكرة إعجاز القرآن جذور النشأة. د. عادل عباس النصراوي. مجلة (ينابيع)، ع١٤، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م، ص ٤١-٤٥.
١٠٣. فلسفة البيع والشراء في القرآن الكريم. عقيل عبد الجواد. مجلة (المبين)، ع١٤، ٢٠٠٨م.
١٠٤. فلسفة التأريخ بين خط النبوة وحركة الأمم في ضوء النص القرآني قراءة تحليلية. حسين كاظم الزاملي، مجلة (حولية المتدى)، ع١٨، ص ١٠٣-١٢٣.
١٠٥. الفلسفة التعبوية في توظيف المرجع اليعقوبي لسنة التدافع القرآنية. أ. د. حميد سراج جابر. مجلة (الاصلاح)، ع١، ١٤٣٧هـ = ٢٠١٦م، ص ١٠٩-١٢٧.
١٠٦. الفلسفة القرآنية. الشيخ باقر الهجري. مجلة (العدل الإسلامي)، ع٣، ص٢، ١٣٦٦هـ = ١٩٤٧م، ص ٥٩-٦١.
١٠٧. فلسفة النبات في القرآن الكريم. أ. د. فاطمة زبار عنزان. مجلة (الهدى)، ع٢، ٢٠١٤م، ص ١٠٥-١١٦.
١٠٨. الفهم الحضاري للخطاب القرآني وأثره في المجتمع العراقي الحديث في مفهوم الأختلاف والائتلاف والرأي الآخر. د. عبود شلتاغ. مجلة (المبين)، ع١، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م، ص ١٣٧-١٥٢.

١٠٩. فهم القرآن الكريم. سعيد حماد. مجلة (مآب)، ع٧، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٨م، ص ٦٣-٩٦.

١١٠. فوق ((فوق)) المقيدة والمطلقة في القرآن الكريم - دليل إعجازي. أ. د. عائد

كريم علوان الحريزي. مجلة (اللغة العربية وآدابها)، ع٨، ٢٠٠٩م، ص ١١-١٦.

١١١. (في) في القرآن الكريم بين المعاني المقصودة والفهم السطحي. د. توماس غازي.

مجلة (اللغة العربية وآدابها)، ع٩، ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م، ص ٢٣٩-٢٩١.

١١٢. في التعبير القرآني - سورة البقرة. د. محمود البستاني. مجلة (كلية الفقه)، ع١، س١،

١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م، ص ٢١٧-٢٦١.

١١٣. في القرآن الكريم. د. عائد كريم علوان الحريزي. مجلة (اللغة العربية وآدابها)،

ع١٠، ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م، ص ١١-٢٦.

١١٤. في ذكرى القرآن. الشيخ محمد أمين زين الدين. مجلة (الأضواء)، ع٧-٨، س٣،

١٣٨٢هـ، ص ٢٧٣-٢٧٨.

١١٥. في شواذ القراءات المنسوبة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وحفيده زيد بن علي

(دراسة وتحليل). أ. د. حميد آدم ثويني الخزاعي. مجلة (الكلية الإسلامية

الجامعة)، ع٣٢/ج٢، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ٢٥٧-٣٠٧.

١١٦. فيصل التفرقة قرآنيا بين القلب والعقل. القاضي فاضل عباس الملا. عبد المحسن

الحكيم. (الأصالة النجفية)، ع٥، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م، ص ٤٦-٤٧.

حرف القاف

١١٧. القبانجي ومقولة نفي الإعجاز البلاغي في القرآن. سعيد العكيلى. مجلة (المنهج)،

ع٢٢، ١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م، ص ٩٧-١٢٧.

١١٨. قبس من المباني القرآنية لهضة عاشوراء. د. محمد علي رضائي الأصفهاني. مجلة

(ينابيع)، ع٥٤، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٣م، ص ١٢-١٦.

١١٩. القبليات واثرها في التفسير - الفخر الرازي مثالا. د. حيدر مصطفى هجر. مجلة

- (مآب)، ع ٥، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م، ص ٢١ - ٤٠.
١٢٠. قدماء الشيعة وعلم التفسير. د. خليل خلف بشير. مجلة (ينابيع)، ع ٣٩ - ٤٠، ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م، ص ٦٤ - ٦٧.
١٢١. القراءات الحدائثة المتصارعة تأويل النص القرآني - سورة الفاتحة أنموذجاً - أ. د. سامي علي جبار. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع ٣٥ / ج ١، ١٤٣٧هـ = ٢٠١٥م، ص ٥٧ - ٩٥.
١٢٢. القراءات القرآنية دراسة صوتية في الأداء. د. مناف مهدي الموسوي. مجلة (مركز دراسات الكوفة)، ع ٨، ٢٠٠٨م، ص ١ - ٣٨.
١٢٣. القراءات القرآنية في الميزان. د. علي الفحام. مجلة (ينابيع)، ع ٤٦، ١٤٣٣هـ، ص ٢٤ - ٣١.
١٢٤. القراءات القرآنية في تلخيص البيان. د. نجم عبد مسلم هاشم الفحام. مجلة (اللغة العربية وآدابها)، ع ٧، ٢٠٠٩م، ص ١٩٣ - ٢١٥.
١٢٥. القراءات القرآنية وأثرها في المدارس النحوية. الشيخ ميثاق الخفاجي. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع ٣٥ / ج ٢، ١٤٣٧هـ = ٢٠١٥م، ص ٦٤٣ - ٦٨٢.
١٢٦. قراءات في آفاق الدرس القرآني في كلية الفقه. د. محمد جعفر محسن العارضي. مجلة (كلية الفقه)، ع ١٠، ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م، ص ١٨١ - ١٨٨.
١٢٧. القراءات والتيسير. أ. د. خليل بنيان حسون. مجلة (اللغة العربية وآدابها)، ع ٥، ٢٠٠٧م، ص ٥٣ - ٦١.
١٢٨. قراءة اسلوية في مقدمات المفسرين. أ. د. مشكور العوادي. مجلة (مآب)، ع ٢، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٧م، ص ٤٥ - ٦٦.
١٢٩. القراءة الحدائثة للقرآن الكريم نظرة عامة. د. نور نظام الدين نجم الدين. مجلة (ينابيع)، ع ٥٧ - ٥٨، ١٤٣٥هـ، ص ١٧٦ - ١٧٩.
١٣٠. القراءة اللغوية للنص القرآني. أ. د. زهير غازي زاهد. مجلة (ينابيع)، ع ٤٧،

١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م، ص ١٠-١٣.

١٣١. قراءة بيانية في سورة المسد. عبد علي حسين الجاسمي. مجلة (ينايع)، ع٦٤، ١٤٢٦هـ =

٢٠٠٥م، ص ٤٢-٤٧.

١٣٢. قراءة تحليلية في النص القرآني. د. عقيل جاسم دهش العذاري، ٤٧ مجلة (مركز

دراسات الكوفة)، ع٦٤، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م، ص ٤٧-٧٤.

١٣٣. قراءة تفسيرية مرويات أهل البيت تحف العقول (انموذجا). جبار كاظم العويدي.

مجلة (الأصالة النجفية)، ع١٤، ص ٥٦-٥٨.

١٣٤. قراءة دلالية في محذوف سورة الضحى (دراسة مقارنة). د. سيروان عبد الزهرة

الجنابي. مجلة (حولية المتدى)، ع١٤، ٢٠٠٩م، ص ١٤٩-١٦٣.

١٣٥. قراءة دلالية في محذوف سورة الضحى. أ. د. سيروان عبد الزهرة الجنابي. مجلة

(مركز دراسات الكوفة)، ع٤٤، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م، ص ٢٦٧-٢٨٦.

١٣٦. قراءة دلالية للتناظر النصي في التعبير القرآني - مقارنة بفواتح السور وخواتمها.

د. سيروان عبد الزهرة الجنابي. مجلة (السدير)، ع١٤، ٢٠٠٣م، ص ١٠٠-١٠٩.

١٣٧. قراءة في البعد التاريخي للمعوذتين. د. عادل عباس النصراوي. مجلة (العقيدة)،

ع٥٤، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ٩-٤٦.

١٣٨. قراءة في البنية الدالة في القرآن الكريم بنية الإيقاع في نماذج من آي الذكر الحكيم.

أ. د. عبد الكريم راضي جعفر. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع٣٥/ ج١،

١٤٣٧هـ = ٢٠١٥م، ص ١١٧-١٢٩.

١٣٩. قراءة في آيات من سورة (يس). حيدر جبار عيدان. مجلة (السدير)، ع٥٤، ٢٠٠٤-

٢٠٠٥م، ص ٥٨-٦٧.

١٤٠. قراءة في قضية التأويل عند سماحة آية الله العظمى الشهيد السعيد محمد باقر

الصدر. د. مرتضى عباس. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع٢٦، ١٤٣٥هـ =

٢٠١٤م، ص ٨٩-١٠٨.

١٤١. قراءة في كتاب دراسات فنية في قصص القرآن. القاضي فاضل عباس الملا. مجلة ع ٤٧.

١٤٢. قراءة في كتاب دستور الأخلاق في القرآن. لجنة التحقيق. مجلة (البرهان)، ع ٤-٥، ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م، ص ٢١٣-٢٦٦.

١٤٣. قراءة في مقدمات كتاب منة المنان في الدفاع عن القرآن للسيد الشهيد الصدر. علي حسن هذيلي. مجلة (المنهج)، ع ١٤، ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م، ص ١٥٧-١٩٥.

١٤٤. قراءة قرآنية في سيرة أمير المؤمنين. د. علي عبد الحسين المظفر. مجلة (الأصالة النجفية)، ع ١٨-١٩-٢٠، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م، ص ٦٤-٦٧.

١٤٥. قراءة للصورة المجازية في سورة الحج. الشيخ قصير الغراوي. مجلة (ينابيع)، ع بسم الله الرحمن الرحيم، رجب - شعبان، ١٤٢٤هـ، ص ٨-١٣.

١٤٦. قراءة للنماذج القرآنية في المرأة. فاطمه كريمي تركي. مجلة (ينابيع)، ع ٦٢، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ٢٠-٢٤.

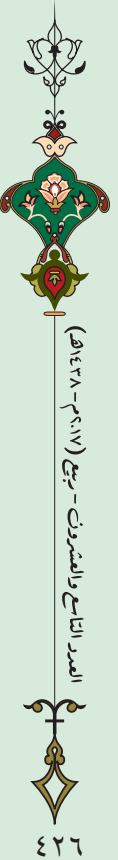
١٤٧. قراءة نقدية في الرؤية البنائية للنص القرآني عند الدكتور محمود البستاني. د. أحمد عويز العلي. مجلة (اللغة العربية وآدابها)، ع ٧، ٢٠٠٩م، ص ٢٧٠-٢٩٧.

١٤٨. قراءة نقدية في تفسير آية تزويج (الذكران) من منظور الإمام علي الهادي عليه السلام. د. سيروان عبد الزهرة الجنابي. مجلة (ينابيع)، ع ٥٥، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م، ص ١٤-١٩.

١٤٩. قراءة نقدية لحديث نزول القرآن على سبعة أحرف. الشيخ هادي الشيخ طه. مجلة (مآب)، ع ٨، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٨م، ص ٥٩-٦٦.

١٥٠. القراءة والإقراء والتدبر في القرآن الكريم. د. مسلم منصور الاسدي، ع ٢٣، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م، ص ١٠-١٨.

١٥١. القرآن الكريم باللغة الإسبانية. عبد الرحيم محمد علي. مجلة (النشاط الثقافي)، ع ٢، س ١، ١٣٧٧هـ = ١٩٥٧م، ص ١١١-١١٣ / ع ٣-٤، س ١، ص ١٩٥-١٩٧.



١٥٢. القرآن الكريم في كلمات الإمام الحسن عليه السلام. د. علي مجيد البديري. مجلة (ينابيع)، ع٣٩٤-٤٠، ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م، ص ٥٨-٦٣.
١٥٣. القرآن الكريم والحضارة (سورة الجمعة شاهداً). عبد الرحيم أحمد الحسيني. مجلة (مآب)، ع٦٤، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٨م، ص ٩٩-١٠٨.
١٥٤. القرآن الكريم وتفسيره في تراث الإمام علي بن موسى الرضا. د. خولة مهدي شاكر الجراخ. مجلة (كلية الفقه)، ع٢٠، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ١٨٠-٢٠٥.
١٥٥. القرآن الكريم وعلوم الحياة. الشيخ عبد الكريم الزنجاني. مجلة (الحضارة)، ع١٠٤، س١، ١٣٥٦هـ = ١٩٣٨م، ص ٥-٦ / ٥-٦.
١٥٦. القرآن الكريم وعلومه في الموسوعات اليهودية. أحمد البهنسي. مجلة (دراسات استشرافية)، ع٣، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ٢٦٧-٢٨٢.
١٥٧. القرآن بين مصطلحي النص و الخطاب «قراءة في ضوء التراث والدرس الحديث». د. سيروان عبد الزهرة الجنابي، خالد توفيق مزعل. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع٢٤، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م، ص ١٨١-٢٤٠.
١٥٨. القرآن في السينما الغربية. د. عبد الزهرة جاسم الخفاجي. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع٣١، ج١، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ٥٣١-٥٧٧.
١٥٩. القرآن كتاب الفطرة. الشيخ نجم السبتي. مجلة (مآب)، ع١، ٢٠٠٧م، ص ٥٧-٧٧.
١٦٠. القرآن نص خالد متعدد القراءة. أ. د. زهير غازي زاهد. مجلة (ينابيع)، ع٤٥، ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م، ص ١٠-١٢.
١٦١. القرآن والإمام الصادق. السيد محمد جمال الهاشمي. مجلة (الإيمان)، م١ / ع١٤-٢ / ص ٥٤-٦٠.
١٦٢. القرآن والدراسات النصية. أ. د. شاكر سبع الأسدي، د. نوال جاسم محمد. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع٣١، ج١، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ١٣١-١٥٢.



١٦٣. القرآن والصوت اللغوي. أ. د. محمد حسين علي الصغير. مجلة (المين)، ٣٤، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م، ص ٢٣-٢٩.
١٦٤. القرآن والعربية. أ. د. زهير غازي زاهد. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ٣١ع / ج ١، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ١٣-٢٦.
١٦٥. القرآن والعلم. عبد الجبار الهاشمي. مجلة (العقيدة)، ٦ع، ١، ١٣٦٨هـ = ١٩٤٩م، ص ١٥٣.
١٦٦. القرآن والنبي محمد ﷺ في الشعر الروسي الكلاسيكي. د. ناظم الديراوي. مجلة (ينابيع)، ٤٦ع، ١٤٣٣هـ، ص ٥٨-٦٣.
١٦٧. القرآن وبعض الظواهر الاجتماعية. عبد العال المظفر. مجلة (النجف)، ٤ع، ٥، ١٣٨٢هـ = ١٩٦٣م، ص ٢-٨.
١٦٨. القرآن وفلسفة الحدائث. د. أمجد حميد عبد الله. مجلة (مآب)، ١٣ع، ١٣٠هـ = ٢٠٠٩م، ص ٩٣-١٠٨.
١٦٩. القرآن يتحدى - قراءة في الإعجاز. سعد حاتم مرزة. مجلة (مآب)، ٨ع، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٨م، ص ٢٥-٤٥.
١٧٠. القرائن اللغوية في الاصوات المفردة في القرآن الكريم. د. عدوية عبد الجبار الشرع. مجلة (مآب)، ١٠ع، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م، ص ٥٩-٧٤.
١٧١. قصة من القرآن الكريم. السيد محمد الصدر. مجلة (الأضواء)، ٧ع-٨، ١٣٨٢هـ، ص ٣٠٣-٣٤٠.
١٧٢. قصيدة تعلق التركيب عند الزمخشري (٥٣٨هـ) في الكشف. هاشم جعفر حسين. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ٣٥ع / ج ١، ١٤٣٧هـ = ٢٠١٥م، ص ٥٣٧-٥٥٨.
١٧٣. القصص القرآني قراءة في كتابات الحدائين العرب. السيد تقي الحسيني. مجلة (البرهان)، ١٤ع-١٥، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ٣١١-٣٦٣.